



المَدِينَةُ النُّورَة فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِي

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

دراسة تاريخية

إعداد

عبد الرحمن مدير مركز المدريسة

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م



③ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

المديرس، عبدالرحمن مديرس

المدينة المنورة في العصر المملوكي - الرياض.

٤٣٧ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٤-٦١-٧٢٦-٩٩٦٠

١ - المدينة المنورة - تاريخ - عصر المماليك أ - العنوان

٢١ / ٠٩٣٦

ديوي ٩٥٣، ١٢٢

رقم الإيداع: ٢١ / ٠٩٣٦

ردمك: ٤-٦١-٧٢٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣



المحتويات

٧ المقدمة
١٧ الفصل الأول : الأوضاع السياسية
١٩ أولاً : الأوضاع السياسية الداخلية
١٩ (أ) تمهيد
٢١ (ب) قيام إمارة بني مهنا في المدينة
 (ج) أمراء المدينة في ظل السلطة المملوكية
٣١ (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)
٤٧ ثانياً : العلاقات الخارجية
٤٧ (أ) العلاقة مع السلطة المركزية
٥٧ (ب) العلاقة مع مكة
٥٧ ١- العلاقة مع مكة قبل في العصر المملوكي
٦٦ ٢- العلاقة مع مكة في العصر المملوكي
٧٨ (ج) العلاقة مع القبائل المجاورة
٨٣ الفصل الثاني : الأحوال الاقتصادية
٨٥ أولاً : النشاط الزراعي
٩٨ ثانياً : النشاط الصناعي والحرفي
١٠٦ ثالثاً : النشاط التجاري
١٢٩ الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية
١٣١ أولاً : السكان
١٣١ أ- عناصر السكان
١٣٥ ب- الأصول الاجتماعية لسكان المدينة



جـ - العلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني	
ثانياً: السكن	٣٠
ثالثاً: الأطلعة	١٥١
رابعاً: اللباس	١٥٤
خامساً: العادات والتقاليد	١٥٦
سادساً: المصاهرات	١٦١
الفصل الرابع: الأحوال الدينية	١٨٥
أولاً : المذاهب الفقهية	١٨٨
ثانياً : الوظائف الدينية	٢٠٢
أ- الوظائف في المسجد النبوي	٢٠٢
١- الأئمة، والخطباء	٢٠٢
٢- خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة	٢٠٧
٣- المؤذنون	٢١٨
٤- الفراشون والبوابون	٢٢٣
٥- السقاؤون	٢٢٥
٦- وظائف أخرى	٢٢٦
ب- قضاة المدينة	٢٢٨
الفصل الخامس: الحركة العلمية	٢٣٩
أ - مراكز التعليم في المدينة المنورة	٢٤١
١- التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب	٢٤١
٢- نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي	٢٤٥
٣- المدارس	٢٥٠
٤- المنازل والأربطة	٢٥٦



٢٦١	ب- العلماء وأثرهم العلمي .
٢٨٧	ج- الأسر العلمية
٢٩٢	د- الرحلات العلمية
٣١٢	هـ- العلوم والمؤلفات العلمية
٣١٣	و- المكتبات أو خزائن الكتب .
٣١٣	ز- الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم
٣١٣	١- الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا
٣١٦	٢- مهن طلبة العلم .
٣٢٠	الخاتمة
٣٢٥	الملحقات
٣٥٤	المصادر والمراجع
٣٩٣	الفهارس العامة



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن موضوع هذه الرسالة هو: المدينة المنورة في العصر المملوكي «دراسة تاريخية». وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع من المكانة الخاصة التي تمثلها المدينة عند المسلمين، ففيها ثاني الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال، وكانت أول عاصمة للدولة الإسلامية، ومن تكون له السيطرة عليها يصبح له مكانة خاصة في نفوس المسلمين . ونظراً لعدم وجود سلطة مركزية في الجزيرة العربية بعد انتقال الخلافة من المدينة فقد أخذت القوى المحلية تتصارع للسيطرة على المدن والأقاليم، وتمثل الصراع في الفترة المملوكية في المدينتين المقدستين بين أشرافها من الحسينيين والحسينيين، وكان لهذا الصراع أثر في أوضاع المدينة: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، كما حدثت تغييرات في أحوالها الدينية المذهبية أثناء فترة الدراسة وكان للمالِك أثر فعال في أحداث تلك الفترة التي تمتد بين (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، وهي فترة طويلة حافلة بالأحداث شمل تأثيرهم فيها مجمل أوضاع المدينة. وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعنى بدراسة فترة تاريخية مهمة من تاريخ المدينة وهي فترة العصر المملوكي في نواحيها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية.

لهذا تهدف هذه الدراسة إلى كشف الغموض عن هذه الجوانب وإلى بحث وتحليل عناصرها المختلفة ، ومدى تأثير كل منهما في الآخر، وتأثره به بما

يوضح قسمات صورة الحياة العامة في المدينة في تلك الفترة.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فهي: ندرة المادة العلمية المتعلقة ببعض جوانب الموضوع، لهذا فقد حاولت جهدي أن أسد النقص بالتنقيب والبحث عن المادة العلمية المتناثرة في المصادر المعاصرة لتلك الفترة وبعض المصادر الأخرى السابقة واللاحقة.

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيم البحث خمسة فصول:

الفصل الأول: خصص لدراسة الأوضاع السياسية، وقد قسم الفصل محورين أساسيين، المحور الأول: يختص بدراسة الأحوال السياسية الداخلية ويشتمل على نقطتين سبقتا بتمهيد عن أوضاع المدينة السياسية قبل قيام الإمارة الحسينية، ثم تحدثت في النقطة الأولى عن قيام إمارة بني مهنا في المدينة، تلك الإمارة التي بدأت منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وتتضمن الأوضاع السياسية في ظل هذه الأسرة حتى نهاية العصر الأيوبي ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. ثم عالجت في النقطة الثانية إمارة المدينة في ظل السلطة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣ / ١٢٥٠-١٥١٧). أما المحور الثاني من هذا الفصل: فيتضمن دراسة علاقات المدينة الخارجية التي عالجتها من خلال ثلاث نقاط أساس، تحدثت في النقطة الأولى عن علاقة المدينة مع السلطة المركزية الممثلة بالسلطنة المملوكية في القاهرة، التي كان لها تأثير في تشكيل صورة الأوضاع السياسية في المدينة باعتبار مالها من نفوذ على القوى السياسية المحلية في المنطقة. وفي النقطة الثانية ناقشت العلاقة بين المدينة ومكة، حيث نلاحظ أن لأشراف مكة منذ القرن الرابع الهجري مطامع سياسية، حاولوا من خلالها مد سيطرتهم على المدينة في فترات مختلفة، وكان للعلاقة بين الطرفين أثر كبير في الأوضاع السياسية في الحجاز بصفة عامة. وفي النقطة الثالثة الأخيرة تحدثت عن العلاقة

مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة التي كان لبعضها تأثير في أوضاع المدينة السياسية إما بالتحالف مع بعض أشرافها، أو بمحاولة التأثير في أوضاعها السياسية والاقتصادية.

الفصل الثاني: يتعلق بدراسة الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة ويتضمن ثلاث نقاط أساس، تتعلق النقطة الأولى بالنشاط الزراعي الذي يعد الركيزة الأولى في النشاط الاقتصادي للمدينة منذ صدر الإسلام حتى فترة الدراسة، ويتضمن هذا النشاط عدداً من الجوانب المختلفة المتعلقة بمصادر المياه والمناطق الزراعية. أما النقطة الثانية فتتضمن النشاط الصناعي والحرفي الذي يشمل على المهن والحرف الأساس الموجودة في المدينة. وتتطرق النقطة الثالثة للنشاط التجاري الذي كان له أثر كبير في تحريك جوانب الأنشطة الاقتصادية الأخرى، ويتضمن النشاط التجاري عنصرين أساسيين هما: التجارة الداخلية والتجارة الخارجية، مع ما يتضمنه كل عنصر من جوانب عديدة تتعلق بالأسواق وأنواع السلع، وموانئ الاستيراد والتصدير والطرق التجارية وما إلى ذلك مما يدخل في النشاط التجاري.

الفصل الثالث: تطرق الحديث فيه إلى الحياة الاجتماعية ويشتمل على عدة نقاط تتعلق النقطة الأولى بدراسة السكان وتشمل عناصر السكان وهي الشرائح الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع المدينة، والأصول الاجتماعية لسكان المدينة، والعلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني، وتتطرق النقطة الثانية إلى السكن، وتعالج النقطة الثالثة الأطعمة والأشربة، أما النقطة الرابعة فتتعلق باللباس، وتحدث النقطة الخامسة عن العادات والتقاليد، وأخيراً تعالج النقطة السادسة المصاهرات بين الأسر في المجتمع المدني.

الفصل الرابع: يتناول الأحوال الدينية والمقصود بذلك الأحوال المذهبية

والفقهية وما يتعلق بها من وظائف أو مناصب دينية، وقد قسمته على نقطتين أساسيتين، عالجت في النقطة الأولى المذاهب الفقهية التي تتضمن انتشار المذاهب الإسلامية المختلفة في المدينة، ومدى نفوذ كل مذهب أو قوته، وعدد أتباعه. أما النقطة الثانية فتتعلق بالوظائف الدينية التي تتضمن عنصرين أساسيين: العنصر الأول: يتعلق بالوظائف في المسجد النبوي التي تشمل على الإمامة والخطابة، وخدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة، والمؤذنين، والفراشين، والبوابين، والسفائين، ووظائف أخرى تتعلق بالمسجد النبوي وخدمته. أما العنصر الثاني فيتطرق لقضاة المدينة.

الفصل الخامس: يتناول الحركة العلمية التي تشمل على عدة نقاط، تحدثت في النقطة الأولى عن التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب، ثم عالجت في النقطة الثانية نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي، واشتملت النقطة الثالثة على حديث عن المدارس ودورها العلمي، أما النقطة الرابعة فتتعلق بالحديث عن العلماء وأثرهم العلمي، وتحدثت في النقطة الخامسة عن الأسر العلمية ودورها في الحركة العلمية، أما النقطة السادسة فتتطرق للرحلات العلمية للعلماء وطلبة العلم من المدينة وإليها وأثرها في تلك الحركة. أما النقطة السابعة فقد تحدثت من خلالها عن العلوم والمؤلفات العلمية، وكانت النقطة الثامنة تتعلق بالمكتبات أو خزائن الكتب، وناقشت في النقطة التاسعة الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم.

الخاتمة: وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

لم تحظ المدينة بدراسات متخصصة مستقلة شاملة تعالج مختلف الجوانب، وما تم من دراسات يتعلق ببعض الجوانب العامة للجزيرة العربية أو لمنطقة الحجاز، أو نظرة للموضوع من خلال رؤية خارجية للأحداث أو معالجة لبعض

جوانب الموضوع.

فمن الدراسات التي تطرقت لبعض المظاهر العامة للجزيرة العربية أو
الحجاز:

* دراسة علي حسين السليمان «النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية
أواخر العصور الوسطى» (١٢٥٠-١٥١٧م)، وتتطرق هذه الدراسة لحركة
التجارة في الجزيرة العربية خلال العصر المملوكي، وفيها بعض الإشارات إلى
المدينة غير أنها لم تتعمق في نواحي النشاط التجاري فيها.

* دراسة ريتشارد مورتل «الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر
المملوكي» (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، حيث تختص هذه الدراسة
بمكة، غير أن الباحث يشير من خلال الدراسة إلى بعض جوانب العلاقات
السياسية بين مكة والمدينة خلال تلك الفترة، أما في الجانب الاقتصادي فقد
اقتصرت الدراسة على حركة التجارة والمعاملات المالية. كما أغفل الباحث
الحديث عن نمط علاقات مكة التجارية مع المدينة.

أما الدراسات التي تطرقت للمدينة من خلال رؤية خارجية للأحداث فهي
تلك التي تتعلق بعلاقات الحجاز بالسلطنة المملوكية ومنها:

* دراسة أحمد عبد الحميد خفاجي عن «موقف مصر من الحجاز في عصر
المماليك الجراكسة» (٨٤٢-٩٢٣هـ / ١٤٣٨-١٥١٧م)، وقد تطرقت الدراسة
لموقف المماليك السياسي من الحجاز، والصراع على النفوذ بينهم وبين
الرسولين، كما تناولت الدراسة الإصلاحات المملوكية في الحجاز في بعض
الجوانب وخاصة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة، ودور المماليك في إحياء النشاط
التجاري لبندر جدة، غير أن ما يؤخذ على هذه الدراسة عدم شموليتها لجوانب

علاقة المماليك بالحجاز، كما ركزت الدراسة على مكة بشكل خاص، ولم تنل المدينة من الدراسة سوى النزر اليسير.

* دراسة علي بن حسين السليمان «العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك»، وتطرق هذه الدراسة للعلاقات السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي أكثر شمولية من دراسة أحمد عبد الحميد خفاجي، غير أنها تركز أيضاً على مكة وتهمل كثيراً من جوانب علاقات المدينة بمصر في العصر المملوكي.

أما الدراسات الخاصة بالمدينة خلال تلك الفترة فمنها:

* دراسة علي السيد علي «الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك» (٦٤٨-٩٢٣هـ)، ويعالج الباحث في هذه الدراسة الحركة الثقافية خلال العصر المملوكي، تمتاز هذه الدراسة بالشمولية حيث تتطرق لجوانب عديدة من الحركة العلمية، غير أن ما يؤخذ على الباحث الاستطراد والتطرق لموضوعات خارج نطاق الدراسة زمانياً ومكانياً.

* دراسة الدكتور ريتشارد مورثيل «الإمارة الحسينية بالمدينة خلال العصر المملوكي»، وتتناول هذه الدراسة بمعالجة الأحوال السياسية في المدينة خلال تلك الفترة، إلا أن الباحث أغفل الحديث عن الفترة المتأخرة للعصر المملوكي ٩٠١-٩٢٣هـ / ١٤٩٥-١٥١٧م.

* دراسة محمد هزاع الشهري عن «عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي» التي عاجلت جانباً واحداً من جوانب الأحوال العمرانية في المدينة وهو عمارة المسجد النبوي.

* دراسة منى حسن المشاري عن «المجاورون في مكة والمدينة في العصر

الملوكي» وهي دراسة اجتماعية تناولت شريحة واحدة من شرائح المجتمع في مكة والمدينة وهم المجاورون، ونلاحظ أن الدراسة ركزت على مكة بشكل خاص.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على مصادر عديدة ومتنوعة في التاريخ والتراجم والطبقات والأنساب والجغرافيا والرحلات والأدب واللغة من أبرزها:

* «نصيحة المشاور وتسلية المجاور» لبدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) وهو كتاب في التراجم، والمؤلف قريب جداً من الأحداث، فهو إما ينقلها عن شخصيات كان قد عايشها بنفسه وعرف خلفياتها أو ينقلها عن الجيل الذي سبقه أو الذي قبله، وكان بذلك مصدراً قيماً أغنى الكثير من نقاط الموضوع ويعد كتابه بحق إسهاماً جيداً في تاريخ المدينة السياسي، والاجتماعي، والديني، في تلك الفترة، غير أن ما يؤخذ على الكتاب افتقاره للترتيب الموضوعي للحوادث. كما لم ترتب الشخصيات على حروف المعجم كما هو الحال في كتب التراجم، وتكثر في الكتاب المبالغات ذات الصبغة الصوفية التي هي من سمات ذلك العصر.

* «المغانم المطابة في معالم طابة» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) ويشتمل الكتاب على ستة أبواب يختص الباب الخامس بالمواضع وهي مرتبة على حروف المعجم، وأهمية هذا الباب أنه يزودنا بمعلومات جيدة عن بعض نواحي النشاط الاقتصادي وبخاصة في المجال الزراعي، أما الباب السادس فقد خصصه المؤلف لترجمة من أدركهم في المدينة أو ذكر له أشيائه من أهل المدينة أنهم أدركوهم بها على اختلاف طبقاتهم. ونلاحظ أن المؤلف ينقل عن سبق وبخاصة عن ابن فرحون في «نصيحة المشاور» كما أن بعض تراجمه مختصرة وغير موثقة تاريخياً، ومع ذلك فإن تلك التراجم

تزودنا بمعلومات عن طبيعة أحوال المدينة السياسية خلال تلك الفترة.

• «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) وهو كتاب في التراجم اهتم بمن وفد إلى المدينة وأقام بها إقامة طويلة أو قصيرة منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر المؤلف، والكتاب رتب على حروف المعجم إلا أنه غير مكتمل الأجزاء، ومن الملاحظ أنه يكثر النقل عن نصيحة المشاور لابن فرحون، كما يعتمد المؤلف على كتاب تاريخ المدينة لمحمد بن صالح بن إسماعيل الكناني. ويشير السخاوي في مقدمة كتابه إلى بعض جوانب أحوال المدينة السياسية والدينية خلال العصر المملوكي، غير أن ما يلحظ على الكتاب الاختصار في بعض التراجم في مواضع مختلفة، ومع ذلك فإن أهمية الكتاب تكمن في تزويدنا بمعلومات مفيدة عن أحوال المدينة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية والعلمية.

وللمؤلف كتاب آخر في التراجم هو الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، وهو من كتب التراجم العامة، وقد حصلت من خلاله على معلومات جيدة عن أحوال المدينة العامة خلال تلك الفترة وسد النقص في بعض الشخصيات التي لم يوردها المؤلف في كتابه التحفة اللطيفة.

• «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٦م) الذي يتناول فضائل المدينة ومسجدها وأحوالها العمرانية، ومع أنه يبحث في خطط المدينة غير أننا نجد فيه بعض الإشارات المتناثرة في فصوله يتحدث من خلالها عن بعض جوانب تاريخ المدينة السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والديني، والعلمي.

* «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لشهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، وهو من كتب التراجم العامة التي تؤرخ لشخصيات القرن الثامن الهجري، ومع أن الكتاب يبحث في أعيان الشام ومصر بشكل أساس إلا أن أهمية الكتاب تكمن في ورود شخصيات من أهل المدينة خلال تلك الفترة بعضها لم يرد في المصادر الأخرى، تلقي الضوء على أحوال المدينة السياسية وتسد النقص في المادة العلمية في مصادر تلك الفترة.

* «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) وهو كتاب شامل في التراجم يعد أشمل مصدر يبحث في تاريخ مكة خلال العصر المملوكي، وتكمن أهميته في إلقاء الضوء على أحوال مكة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، وقد استفدت منه فيما يختص بتاريخ المدينة فيما أورده من معلومات عن شخصيات لها ارتباط بالمدينة مما له أثر في دراسة بعض جوانب أحوالها السياسية والعلمية، كما يلقي الضوء على علاقة مكة السياسية بالمدينة خلال تلك الفترة.

* «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» لجمال الدين أحمد بن علي الحسيني الملقب بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) وتكمن أهميته في كونه أبرز المصادر التي تبحث في نسب الهواشم الحسينيين والحسينيين، وقد أفادني في تزويدي بمعلومات وافرة عن نسب الأسرة الحسينية التي حكمت المدينة. وما يؤخذ على المؤلف أنه لم يوثق معلوماته تاريخياً حيث لا يحدد فترة تولي أمراء المدينة، وربما يرجع السبب في ذلك إلى كونه كتاباً في النسب أكثر منه في التاريخ.

* «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» لعبد القادر ابن محمد الجزيري (ت نحو سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) وتكمن أهمية الكتاب في

تطرقه لطرق الحج إلى مكة، وأمراء الحج، وما يتصل بذلك من نواح سياسية واقتصادية ودينية فهو شاهد عيان على كثير من الأحداث، ورغم تركيزه على مكة والطرق الموصلة لها فقد استفدت من خلاله على معلومات متناثرة متعلقة ببعض جوانب الأحوال السياسية للمدينة، ومواطن بعض القبائل، كما نجد فيه إشارات متفرقة عن النشاط التجاري للمدينة وينبع خلال العصر المملوكي.

وأختم مقدمتي هذه بقول للعماد الأصفهاني:

إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو ريد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية

أولاً: الأحوال السياسية الداخلية

أ- تمهيد:

كانت العلاقة بين العلويين والعباسيين طيبة ووثيقة منذ انتقال الرسول ﷺ للرفيق الأعلى، حيث لم يزاحم العباسيون أبناء عمومتهم في شعورهم بأحقيتهم في الخلافة، فقد دعم العباس عم الرسول ﷺ ترشيح علي بن أبي طالب للخلافة بعد وفاة النبي ﷺ حينما قال له: «أخرج حتى أباعدك على أعين الناس فلا يختلف عليك اثنان»^(١) واستمرت هذه العلاقة الطيبة طوال فترة الدولة الأموية، يؤكد ذلك ما قيل عن اجتماع الأبواء^(٢) أو آخر الدولة الأموية^(٣)، وترشيح محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، ج ٢ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ص ٢٤٦، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، ج ١ (د. ط، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٧ م) ص ١٢، البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج ١ (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩ م) ص ٥٨٣ .

(٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي، معجم البلدان، ج ١ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ٧٩، وعن الاجتماع انظر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر للحمودي، ج ٣ (د. ط، دار التعاون، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٧٨ - ٧٩، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر (د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م) ص ٢٠٦ - ٢٠٨، ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) ص ١٦٤ .

(٣) عقد الاجتماع بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م البلاذري، أنساب الأشراف، ٧٨ / ٣، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ١ (ط ٧، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٤ م) ص ٣٣٤ .

ابن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية^(١). إماماً للهواشم وخليفة للمسلمين بعد القضاء على الدولة الأموية. إلا أن هذه العلاقة بدأت تضعف وتزداد توتراً بين الأسرتين عندما ادعى العباسيون تنازل أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي طالب^(٢) عن حقه في المطالبة بالخلافة لأبناء عمومته أي للعباسيين^(٣) في منطقة الحميمة^(٤)، بعدها أصبح أبناء البيت العباسي قادة للدعوة التي أطاحت بالدولة الأموية وأقامت على أنقاضها الدولة العباسية، عندئذ شعر العلويون بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم على يد أبناء عمومتهم، مما دفعهم إلى القيام بثورات ضد الدولة العباسية في مختلف ولايات الدولة ومنها الحجاز^(٥)، أدت في نهاية الأمر إلى قيام حكم أسرة علوية في المدينة عرفت

(١) محمد النفس الزكية، قام بثورته في المدينة في خلافة أبي جعفر المنصور وقتل بها سنة ١٤٥هـ / ٧١٢م، ابن سعد، الطبقات الكبرى، (القسم المتمم) تحقيق زياد محمد منصور (ط٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) ص ٣٧٢ - ٣٧٨، الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٢) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا هاشم، كان صاحب علم ورواية ثقة قليل الحديث، وكانت الشيعة تهتم به، ابن سعد، الطبقات، ٣٢٧/٥ - ٣٢٨ .

(٣) كان رعيم العباسيين في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، يدعى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقد أوصى له أبو هاشم بالإمامة بقوله: «أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك وأصرف الشيعة إليه» ابن سعد، نفسه، ٣٢٨/٥، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١٠٩/٢، مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري - عبد الجبار المطلبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص ١٧٧ - ١٨٣ .

(٤) الحميمة، بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام كانت منزل بني العباس، ياقوت معجم البلدان ٢ / ٣٠٧ .

(٥) أبرز الثورات، ثورة محمد النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م، ابن سعد، الطبقات الكبرى (القسم المتمم) ص ٣٧٢ - ٣٧٨، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٧ (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩ م) ص ٥٥٢ وما بعدها، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، ج ٣ (د. ط، دار الفكر، القاهرة د. ت) ص ٣٠١ - ٣٠٦، =

بأسرة بني مهنا وذلك عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م^(١).

ب- قيام إمارة بني مهنا في المدينة:

إن الحديث عن الأحوال السياسية في المدينة في العصر المملوكي يقتضي العودة لأوضاعها السياسية قبل تلك الفترة حتى يمكن إعطاء صورة واضحة عن أحوالها السياسية الداخلية وعلاقاتها الخارجية، لذلك لابد من الحديث عن أسرة بني مهنا التي حكمت المدينة ابتداء من القرن الرابع الهجري، واستمرت في السلطة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي.

تتفق بعض المصادر على أن أسرة بني مهنا تنسب للحسين بن علي بن

= الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٢٦٧، ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م، حيث استولى على المدينة غير أنه هزم وقتل في موقعة فسخ قرب مكة علي يد جيش عباسي أرسل له، الطبري، تاريخ، ٨/ ١٩٢ وما بعدها، الأصفهاني، نفسه، ص ٤٣١ - ٤٦٠، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٣ (ط ٤)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) ص ٣٣٦، وثورة أبي السرايا ١٩٩ هـ / ٨١٤ م في عهد الخليفة العباسي المأمون حيث وجه أبو السرايا شخصاً من آل البيت يدعى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المدينة فاستولى عليها بدون قتال غير أنه قتل بعد ذلك، ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل ركار، ج ٢ (د. ط)، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ص ٧٦٠، ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج ٦ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٣٠٦، ابن عتبة، جمال الدين أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط ٢)، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) ص ١٨٩.

(١) الفلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤ (د. ط)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٢٩٨ - ٢٩٩، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، ج ٤ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦ م) ص ١٨٦ - ١٩٠.

الحسين بن علي بن أبي طالب^(١)، غير أنها تختلف فيمن تولى السلطة من عقبه، فيتحدث العتبي^(٢) عن بدايات حكم بني الحسين للمدينة بقوله: «لجأ طاهر^(٣) والد الحسن المذكور إلى مدينة الرسول ﷺ متأمراً على أهلها ومعه ابن عم له يعرف بأبي علي بن طاهر^(٤) وختته على أخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث أبو علي المذكور مكانه من الإمارة إلى أن لحق به ، وورثه ولده هانيء ومهنا دون الحسن». أما ابن عنبه^(٥) فيرى أن أول من تولى الإمارة في

(١) الزبيرى، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قریش، عني بنشره ليفي بروفنسال (٣، ط)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م) ص ٧٤، ذكر ابن شدقم أن أشراف المدينة كلهم حسينيون منحصرين في علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وينقسمون إلى ثلاثة رجال: بعضهم إلى محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين، وآخرون إلى أخيه زيد، والآخرين إلى أخيهما الحسين الأصغر، أنظر علي بن الحسين بن شدقم الحمزي، نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة (مخطوطة مصورة رقم ٢١١٧ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١ لوحة ١ .

(٢) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي، تاريخ العتبي بهامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٢ (د. ط، المطبعة الأميرية، بولاق القاهرة ١٢٩٠هـ) ص ٦١ .

(٣) هو طاهر بن مسلم المسمى بطاهر بن محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٣٩١ / ١٩٧١م) ص ٥٤ - ٥٦، ابن عنبه، عملة ص ٣٣٠. وذكر ريتشارد مورثيل أن طاهر بن مسلم قد أعطى ولاءه في البداية للعباسيين غير أنه اضطر إلى نقل ولاءه للفاطميين في سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م بعد أن أرسل الخليفة العزيز جيشاً إلى المدينة لتوطيد سلطة الفاطميين بها انظر في ذلك Mortel Richard T. The origins and Early History of the Husaynid Amirate of Madina to the End of the Ayyubid period; Studia Islamica 74 (1991) P. 66 - 76.

(٤) أبو علي بن طاهر هو داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن عنبه، نفسه ص ٣٣٦ .

(٥) عملة، ص ٣٣٥ .

المدينة من بني طاهر هو الحسن بن طاهر بن مسلم. على أني أميل لرأي العتي
لكونه المصدر الأقدم^(١).

مهما يكن من أمر فإن الظروف التي جاءت ببني مهنا للإمارة في المدينة
ترتبط إلى حد كبير بالأوضاع السياسية للدولة الفاطمية في مصر، وهذا يدعونا
للتساؤل عن طبيعة العلاقة التي ربطت بين هذه الأسرة والفاطمين، فمع تولي
الفاطمين للسلطة في مصر تطلعت نفوس الهواشم ومنهم الحسينيون للاستئثار
بالحكم في المدينة، مستغلين الدعم المعنوي والمادي الذي قد يكون الفاطميون
أسبغوه عليهم، فأعلن طاهر بن مسلم الحسيني السيطرة على المدينة ٣٦٦هـ/
٩٧٦^(٢) وخطب للمعز الفاطمي، وكانت الخطبة قد أقيمت قبل ذلك للفاطمين
بالمدينة عامي ٣٥٩ هـ و ٣٦٠ هـ/٩٦٩-٩٧٠م^(٣).

(١) لتفصيلات أكثر عن هذه الأسرة ابن حزم، جمهرة ص ٥٤ - ٥٦، مجهول، سبك الذهب في علم
النسب (مخطوطة مصورة برقم ١٧١٣ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة)
ورقة ٧٠ لوحة أ-ب، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، تاريخ
ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر، ج ٤ (د.ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م)
ص ١٠٩، ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي، بحر الأنساب (مخطوطة مصورة رقم ١٤١٨
تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١١٦ - ١١٧، العصامي، عبد الملك بن
حسين العصامي المكي، سمط النجوم الموالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج ٤ (د.ط، المطبعة السلفية،
القاهرة ١٣٨٠ هـ) ص ١٢٥.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح ٢٩٨/٤ - ٢٩٩، السخاوي، شمس الدين محمد بن
عبد الرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج ٢ (د.ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م) ص ٢٥٧ عائشة باقاسي، مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف
القرن السادس الهجري، دراسة تاريخية حضارية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى مكة ١٤١٣ هـ - ١٤١٤ هـ) ص ٩٦.
(٢) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام (مخطوطة مصورة برقم ١٣٨١٣
بدار الكتب المصرية القاهرة) ورقة ١١٧.

ويتحدث القلقشندي^(١) عن هذه الأسرة فيذكر أنها كانت بالمدينة خلال القرن الثالث الهجري، وكان منهم أبو جعفر عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين ومن جملة ولده جعفر حجة الله ومن ولده الحسن ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النسابة كانت له وجاهة وفخر ظاهر توفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٦ م.

ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ساد أهل عصره وبني داراً بالعقيق^(٢) ونزلها. توفي سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م. ومن ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الإخشيد^(٣) بمصر وهو يومئذ ملكها فأقام عنده وأقطعه الإخشيد ما يغل في كل

(١) صبح، ٢٩٨/٤ سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ نهاية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد (د. ط، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٣٠ حيث ذكر مجيء طاهر سنة ٣٦٠ هـ والأصح ما سبق.

(٢) العقيق: «ناحية بالمدينة وفيه عيون ونخل» ياقوت، معجم البلدان، ٤ / ٤٣٩. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب المفاتيح، المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط ١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ٢٦٦، وكان يطلق عليهم في القرن الرابع الهجري بنو طاهر نسبة لطاهر بن يحيى. عبد الرحمن بن حمد المغيرة المنتخب في ذكر أنساب العرب، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط ١)، دار الحارثي للطباعة، الطائف ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ص ٣٨٠.

(٣) يبدو أنه محمد بن طغج الإخشيدي حكم من ٣٢٣-٣٣٤ هـ - ٩٤٦/٩٣٤ م) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٥ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٥٦-٦٣، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم الزبيق، ج ١٥ (ط ٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨١ م) ص ٣٦٥-٣٦٦، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ج ١ (د. ط، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ص ١٣٠، وذكر أن الإخشيد أرسل الحسن بن طاهر إلى سيف الدولة الحمداني حاكم حلب ليفاوضه من أجل السلام وتحديد الحدود بينهما، كما كان سفيراً بين الإخشيد وابن رائق الذي هاجم مصر سنة ٣٢٧ هـ / ٩٢٩ م انظر آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ج ١ (ط ٤ مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) أحمد محمد البرادعي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي (ط ١ دار الكتاب، بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م) ص ١١١.

سنة مئة ألف دينار واستقر بمصر، وكان له من الولد طاهر بن الحسن الذي توفي سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م، ويتفق كل من ابن خلدون^(١) والقلقشندي^(٢) أن المذكور خلف ابناً اسمه محمد الملقب بمسلم كان صديقاً لكافور الإخشيدي^(٣) والي مصر، وحينما استولى الفاطميون على مصر ووصل المعز لدين الله^(٤) للقاهرة خطب من مسلم كريمته لأحد بنيه فرده فسخط عليه واستصفى أمواله واعتقله حتى مات، وقيل إنه فر من سجنه ولحق ابنه طاهراً بالمدينة سنة ٣٦٦هـ / ٩٨٦م فقدمه بنو الحسين على أنفسهم واستقل بإمارتها سنين^(٥) وكانت وفاته سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م، وخلفه كما يؤكد ابن خلدون^(٦) نقلاً عن المسيحي مؤرخ الفاطميين العبيدين ابنه الحسن الذي كان أميراً عليها سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، أما العتبي^(٧) فيرى أن المذكور كان موجوداً في الإمارة سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م فغلبه على إمارتها بنو عم أبيه عقب أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر ابن يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة واستقلوا بها، ويؤيده في ذلك ابن عنبه^(٨) الذي يرى أن الإمارة انتقلت من طاهر بن مسلم لابن عمه أبي هاشم داود بن

(١) ابن خلدون، تاريخ، ١٠٩/٤ .

(٢) القلقشندي، صبح ٢٩٨/٤ - ٢٩٩ .

(٣) أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي حكم مصر بين (٣٥٥ - ٣٥٧هـ / ٩٦٦ - ٩٦٨م) ابن

خلكان، وفيات، ٩٩/٤ - ١٠٥ . الذهبي، سير، ١٦ / ١٩٠ - ١٩٣ . ستانلي لين بول، الدول،

١٣٠ / ١ .

(٤) المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور تولى الخلافة بين (٣٤١ - ٣٦٥هـ / ٩٥٣ - ٩٧٥م)، ابن

خلكان، نفسه، ٢٢٤/٥ - ٢٢٨ الذهبي، نفسه، ١٥٩/١٥ - ١٦٧ .

(٥) السخاوي، التحفة، ٢٥٧/٢ .

(٦) نفسه، ١٠٩/٤ .

(٧) تاريخ العتبي، ٦١/١٢ .

(٨) عمدة، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

القاسم وهو ما أميل إلى ترجيحه، وقد أعقب داود أربعة رجال هم: أبو عمارة المهنا واسمه حمزة وفي عقبه الإمارة، والحسن الزاهد، وأبو محمد هاني واسمه سليمان، والحسين، وأعقب أبو عمارة المهنا بن داود ثلاثة رجال هم: عبد الوهاب جد قضاة المدينة الإمامية من بني سنان، وسبيع، وشهاب الدين الحسين أمير المدينة الذي انحصرت الإمارة في عقبه. أما القلقشندي^(١) فينقل عن الشريف الحاراني^(٢) أن مهنا خلف عبيد الله والحسين وعمارة، فولى بعده ابنه عبيد الله، وكان أميراً على المدينة سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م وقتله موالي الهاشميين بالبصرة، ثم ولي الحسين بن مهنا (كان موجوداً سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)^(٣) وبعده ابنه مهنا بن الحسين، وذكر من أمرائهم: هاشم بن الحسن ابن داود الذي تولى إمارة المدينة سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر^(٤). وقد خلف شهاب الدين الحسين ولدين هما مالك ومهنا فخلف مهنا والده على الإمارة، ومن هنا أطلق على أمراء المدينة منذ ذلك التاريخ بنو مهنا^(٥). وبنو مهنا ينسبون إلى أبي عمارة مهنا بن داود بن القاسم ابن عبيد الله بن طاهر. وذكرت بعض المصادر^(٦) من أمرائها منصور بن عمارة

(١) صبح، ٢٩٩/٤.

(٢) لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ج ١٦ (ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ص ١٨٠.

(٤) المستنصر بالله أبو تميم معد بن علي بن الحاكم بأمر الله تولى الخلافة بين (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) انظر ابن خلكان، وفيات ٢٢٩/٥ - ٢٣١.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ١٠٨/٤، ابن عنبه، عمدة، ص ٣٣٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل ٣٥٢/١٠ وذكره باسم منظور، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، المختصر في أخبار البشر، ج ٢ (د. ط، مكتبة المتنبى، القاهرة د. ت) ص ٢١٦، القلقشندي، صبح، ٣٠٠/٤.

الحسيني المتوفى سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م الذي تولى ابنه مكانه غير أن المصادر لم تذكر اسمه، وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله والقاسم، فتولى الحسين إمارة المدينة، أما عبد الله فقد قتل في وقعة نخلة^(١). أما القاسم^(٢) فتفرد المصادر^(٣) قدرأ لا بأس به للحديث عنه وعن فترة حكمه، وقد أشار ابن حجر^(٤) إلى أن القاسم هو: «أول من عرف من أمراء هذا البيت والمقصود هنا أول من اشتهر من أمرائهم، ويبدو أن السبب في تسليط الضوء

(١) القلقشندي، نفسه ٤ / ٣٠٠ ولم تحدد نخلة هنا فإما أن تكون نخلة اليمانية أو الشامية وهما واديان لهذيل على ليلتين من مكة، ويحتمل أنه قتل في معركة مع أمراء مكة لقرب الواديين منها، ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٧/٥، البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ج ٣ (ط١)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ص ١٣٦٤ - ١٣٦٥.

(٢) هو أبو فليحة القاسم بن مهنا بن داود، ولي إمرة المدينة ومن خلافة المستضيء العباسي (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ - ١١٧٩ م) لمدة خمس وعشرين سنة (٥٦٨ - ٥٨٣ هـ / ١١٧٢ - ١١٨٧ م) القاسي، تقى الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ج ٧ (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٣١.

(٣) ابن فندق، أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد البيهقي، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ج ٢ (ط ١)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم إيران ١٤١٠ هـ) ص ٥٣٣، ٦١٧، ابن خلدون، تاريخ، ١٠٩/٤، ابن عنبه، حمدة، ص ٣٣٨، القاسي، نفسه، ٧ / ٣١ - ٣٢، ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج ١ (ط١)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٥٤٤ - ٥٤٧، أحمد ياسين الخياري، أمراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم (ط١)، مكتبة المدينة المنورة، المدينة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ص ١٥، أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ط١)، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٥) شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج ٥ (ط٢)، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) ص ١٣٢، أحمد الخياري، أمراء المدينة، ص ١٦.

عليه يرجع إلى صلته بالسلطان صلاح الدين الأيوبي^(١)، ودوره السياسي في مكة سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م حين سحب أمير الركب العراقي إلى مكة وتمكن خلالها من مد نفوذه إليها^(٢).

بعد وفاة القاسم ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م خلفه ابنه جمار^(٣) جد الجمامزة أمراء المدينة^(٤) الذي لم تشر المصادر لفترة ولايته أو مدتها، غير أنه يعتقد أنه لم يكن موجوداً أوائل القرن السابع الهجري حين احتدم الصراع بين أمراء المدينة

(١) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب بالملك الناصر (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م) تولى وزارة العاضد الفاطمي وأسقط الدولة الفاطمية، ثم استقل بملك مصر ٥٦٩هـ / ١١٧٣م والشام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م توفي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م، ابن خلكان، وفیات، ١٣٩/٧ - ٢١٨، وعن علاقة القاسم بصلاح الدين، ابن العماد الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي (د. ط، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١هـ) ص ٢١، أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢ (د. ط، دار الجليل، بيروت د. ت) ص ١٣٤، العليمي، أبو اليمن مجد الدين عبد الرحمن الحنبلي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج ١ (د. ط، د. ن، القاهرة ١٢٨٣ هـ) ص ٢٨٦، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي ويعرف بتممة المختصر في أخبار البشر ج ٢ (ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ص ١٤٣.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، المقام المطابة في معالم طابة، (مخطوطة مصورة برقم ٣١٩ قسم المخطوطات، جامعة الملك عبد العزيز جدة) ورقة ٢٥٦ ل ب، الفاسي، العقد ٣٥٥/٤ - ٣٥٦، ابن فهد، النجم عمر بن محمد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهد محمد شلتوت، ج ٢ (ط ١، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م) ص ٥٣٧ - ٥٣٨، ابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (ط ٢، د. ن، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م) ص ٣٠٨ - ٣٠٩، جميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (ط ١، تهامة للنشر والمكتبات، جدة ١٤٠٥ / ١٩٨٥م) ص ٦٨.

(٣) لا توجد معلومات عن حياته أو فترة إمارته في المصادر التي بين أيدينا .

(٤) السخاوي، التحفة ١/ ٤٢٦، ٣/ ٤٠٤ .

وأمير مكة الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن^(١)، حيث تؤكد المصادر أن الإمارة آلت لأخيه سالم بن قاسم الحسيني^(٢)، الذي دخل في صراع مع أمير مكة السالف الذكر^(٣). وبعد وفاة الشريف سالم بن قاسم ٦١٢هـ / ١٢١٥م تولى الإمارة ابن أخيه قاسم بن جمار بن قاسم الحسيني^(٤) وحفلت فترته بحوادث كثيرة خاصة فيما يتصل بعلاقته مع أمراء مكة، واستمرت إمارته حتى سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م حيث اغتيل على يد أحد أفراد قبيلة بني لام^(٥).

(١) أمير مكة بين (٥٩٧ - ٦١٧ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٢٠م) الفاسي، العقد، ٤٠/٧، الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت) ١٩٩/٢، ابن فهد، إتحاف، ٥٦٦/٢ - ٥٦٧، العصامي، سمط، ٢٠٨/٤ عبد الله العنقاوي، مكة في عهد الشريف قتادة مجلة كلية الآداب المجلد الثاني عشر، العدد الأول (جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) ص ٨٧.

(٢) سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني ارتبط اسمه بالصراع مع أمير مكة الشريف قتادة، السخاوي، التحفة، ١١٠/٢.

(٣) عن هذه الفترة انظر ابن الأثير، الكامل، ٢٠٥/١٢، الفاسي، العقد، ٤٢/٧، ابن فهد، إتحاف، ٤٣/٣.

(٤) الفاسي، العقد، ٤٣/٧. وذكر السخاوي، التحفة ٣٩٩/٣ أنه استقر في الحكم بعد أبيه جمار. وأرجح ما أورده الفاسي لكونه الأقدم، وأبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، الليل على الروضتين (د. ط، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م) ص ٩٠.

(٥) ابن فرحون، أبو محمد عبد الله بن محمد، نصيحة المشاور وتسلية الجاور (مخطوطة مصورة رقم ٥ قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود الرياض) ورقة ١٠٣ ل. ب، السخاوي، التحفة، ٣٩٩/٣، وقبيلة بني لام بطن من جديلة من طي بن زيد بن كهلان من القحطانية كانت مساكنهم المدينة وما حولها وجبلي أجلى وسلمى، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) ص ٣٩٠، ابن خلدون، تاريخ، ٢/٢٥٤، الفلقشندي، صبح، ٣٢٤/١، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ٣ (ط ٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ١٠٠٧ - ١٠٠٨.

استغل أحد أفراد أسرة أشراف المدينة وهو شيحة بن هاشم بن قاسم^(١) الفراغ السياسي الذي أعقب اغتيال القاسم؛ فاستولى على المدينة ونصب نفسه أميراً عليها فانتقلت الإمارة من فرع جمار بن القاسم لفرع هاشم بن قاسم، ودام حكمه ثلاثاً وعشرين سنة وكان ينوب عنه في غيابه ابنه عيسى، وتسجل بعض المصادر تحديداً واحداً لسلطته، ففي صفر سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م جمع الشريف عمير بن قاسم بن جمار - وهو من فرع الجمامزة - قوة من أتباعه وخلع شيحة بن هاشم الذي اضطر للفرار إلى بعض التلال أو الجبال المجاورة للمدينة، غير أن عميراً لم يتمكن من الاحتفاظ بسلطته على المدينة بسبب معارضة الهواشم وهم أحفاد هاشم بن قاسم بن مهنا له، فتمكن الشريف شيحة بن هاشم من استعادة سلطته على الإمارة^(٢) وقد اغتيل شيحة أيضاً على يد قبيلة بني لام حينما كان متوجهاً للعراق سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(٣).

(١) تولى الإمارة بين (٦٢٤-٦٤٧ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٩ م) الفاسي، العقد ٥ / ٢٢ - ٢٤، السخاوي، التحفة، ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٧ .

(٢) الفاسي، العقد ٥ / ٢٣ - ٢٤، السخاوي، التحفة ٢ / ٢٢٦، Mortel Richard. T. The origins, P. 72.,

(٣) ابن شاعر الكتبي، محمد بن شاعر، عيون التواريخ تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود جـ ٢٠ (د. ط، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م) ص ٢٧-٢٨، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، على حافظ، فصول من تاريخ المدينة (ط ٢ شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٥هـ) ص ٢٧ - ٢٨ .

ج- أمراء المدينة في ظل السلطة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م).

مع قيام السلطنة المملوكية في مصر سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م كان أمير المدينة عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا، وقد استغل الجمامزة^(١) فرصة مقتل والده فهاجموا المدينة للاستيلاء عليها فتصدى الأمير عيسى للمهاجمين: «وقبض عليهم وقيل إنه قتلهم»^(٢). قام الشريف عيسى لأجل توطيد سلطته بإخراج أخويه منيف وجمار من المدينة، مما حملهما على التآمر ضده فاتفقا مع وزيره على إدخالهما للمدينة، فتم لهما ذلك فدخلوا الحصن العتيق قصر إمارة المدينة وقبضا على أخيهما عيسى وسجناه سنة ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١م^(٣)، وتولى الإمارة أبو الحسين منيف بن شيحة^(٤) يساعده في ذلك أخوه جمار حتى سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م عندما توفي منيف وخلفه أخوه عز الدين جمار^(٥)، غير أن الصراع ما لبث أن نشب بينه وبين ابن أخيه مالك بن منيف، حيث تمكن مالك من انتزاع الإمارة من عمه، ثم تنازل مالك طواعية عن الإمارة لعمه ولم تحدد المصادر تاريخ التنازل^(٦). استمر جمار في الإمارة حتى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م

(١) هم عقب جمار بن قاسم بن مهنا، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٤٣ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٨٣/٣.

(٤) اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد، ذيل مرآة الزمان ج ١ (د. ط، دائرة

المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) ص ٤.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة، ٨٧/٢، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، المختار من تاريخ ابن الجزري،

دراسة وتحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي (ط١)، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨هـ/

١٩٨٨م) ص ٢٥٤، ٣٩١.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب.

حيث تنازل عنها لابنه منصور الذي كان كما يقال أبرّ أولاده به^(١) وذلك بعد أن كبر، ثم ما لبث أن توفي سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م^(٢).

تولى منصور بن جمار الإمارة في ظل صراع على السلطة بينه وبين إخوته الذين حسدوه على تفضيل أبيه له، وتفاقم النزاع بدخول أهل المدينة طرفاً فيه مما أدى للقبض على منصور وابنه كيش من قبل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون^(٣). وأحضرا إلى مصر، ثم أعيدا للمدينة بعد أن اشترط على منصور عدم التعرض للمجاورين والخدام^(٤). دخل منصور بعد عودته في صراع مع أخيه ودي بن جمار وأولاد مقبل بن جمار^(٥)، ثم استقرت له الأمور

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل ب، وقد ذكر أنه تنازل عن الإمارة سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ذيل العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، ج٤ (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٠، الفاسي العقد، ٤٣٧/٣، ابن حجر، الدرر، ٧٥/٢ ومن المرجح أنه بعد تلك الحادثة انتقل الجمامزة إلى الشام وصعيد مصر ولم يبق منهم بالمدينة أحد، ابن شدقم، نخبة الزهرة الثمينة، ورقة ٤ ل ب، ٥ ل أ.

(٢) الذهبي، نفسه، ١٠/٤، ابن حجر، نفسه، ٧٥/٢، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٨ (د. ط)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ص ٢١٤.

(٣) الناصر محمد بن المنصور قلاوون تولى السلطنة عدة فترات بين (٦٩٣ - ٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤٠م) المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعركة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ج١ (ط ٢)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) ص ٧٩٢، ٧٩٣، ٨٧٢، ٧٢/٢، ٥٢٣، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ص ١٧٢.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم (خ)، ورقة ٢٣٦، ل ب.

(٥) ودي بن جمار بن شبيحة، أمير المدينة يلقب ببدر الدين، وصف بأنه: «مقيم السنة ومعلها ورافض الرافضة ومقصيها» الفيروزآبادي، نفسه ورقة ٢٦٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١٨٠ / ٥ - ١٨١.

سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م^(١)، غير أنه قتل على يد ابن أخيه حريقة بن قاسم بن قاسم بن جمار سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م^(٢).

تولى الإمارة من بعده ابنه كبيش بن منصور^(٣) وشهد عهده صراعاً على الإمارة مع عمه ودي في سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م خرج على أثرها كبيش من المدينة^(٤)، غير أنه لم يلبث أن عاد إلى الإمارة بأمر من السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد القبض على ودي^(٥). وظل كبيش في الإمارة حتى مقتله في رجب سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م على يد أولاد عمه مقبل بن جمار^(٦)، وفي رواية أن القاسم بن منصور بن جمار هو الذي تولى إمارة المدينة بعد مقتل والده وليس كبيش^(٧). ثم أعقبه في الإمارة طفيل بن منصور بمرسوم من السلطان المملوكي الملك الناصر محمد بن قلاوون في ١١ شوال

(١) المقرئزي، نفسه، ١٧٥/٢، وذكر أن مقبل بن جمار تنافس مع أخيه المنصور فتركه وقدم القاهرة فولاه الملك الناصر محمد نصف الإمارة بنجد سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م المقرئزي، نفسه، ٨٤/٢، غير أن منصوراً قدم إلى القاهرة فأنعم عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون بإعادة ما خرج لأخيه مقبل، المقرئزي، نفسه، ٩٤/٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٥ ل ب، وفي ابن حجر، نفسه، ١٣٢/٥ ورد بلفظ حديثة، وفي نسخ أخرى من الدرر حليفة وحريث بن قاسم بن جمار وفي السخاوي، التحفة، ٤٦٤/١، ورد بلفظ حديثة بن قاسم بن قاسم بن جمار.

(٣) ابن حجر، نفسه، ٣٤٨/٣.

(٤) ابن الوردي، تاريخ، ٤٠١/٢.

(٥) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، ورقة ٢٦٨ ل أ، المقرئزي، السلوك، ٢٨٨/٢، السخاوي التحفة، ٤٢٦/٣ - ٤٢٧.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٧ ل أ، وذكر المقرئزي أن المذكور يدعى كبيشة وقد قتل على يد أولاد ودي المحبوس بقلعة الجبل بالقاهرة، نفسه، ٣٠٤/٢.

(٧) افرد السخاوي بهذه الرواية وربما يكون القاسم قد تولاه لفترة قصيرة بعد مقتل كبيش، التحفة، ٤٠٤/٣.

٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م^(١)، فدخل المذكور في صراع مع عمه ودي وأبناء عمه مقبل ابن جمار انتهى بتنازل طفيل عن الإمارة لعمه أبي مزروع ودي بن جمار ١٣٣٥ هـ / ١٣٣٥ م وحبس طفيلاً نحو أربعين يوماً ثم أفرج عنه^(٢) من قبل السلطان المملوكي ومنحه إقطاعاً في حوران بسورية، وما قام به السلطان يعني سياسة واضحة لتأمين السيطرة وحفظ الأمن في المدينة، وإبعاد أحد المتنافسين على حكم المدينة ليتم الاستقرار في الحجاز^(٣).

استمر ودي حاكماً على المدينة حتى سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م حين تمكن طفيل من استعادة الإمارة بعد القبض على نائبه جحيدب، وعلى قلاوون بن حسن ابن مقبل وقتلهما^(٤)، أما ودي فقد توفي سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م^(٥).

إن الصراع على السلطة كان سمة بارزة في تلك الفترة، ففي أعقاب وفاة ودي عين آل جمار فضل بن قاسم بن قاسم بن جمار بن شيحة الحسيني^(٦) زعيماً لهم ومطالباً بالإمارة من طفيل، فتجدد النزاع وهاجم فضل ومعه عدد

(١) الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٤٥ ل ب، القلقشندي، صبح، ٣٠١/٤ غير أنه ذكر أن ودياً هو الذي خلف كبيش.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٧ ل ب، نفسه، ورقة ٢٣٦ ل ب.

(٣) اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر (ط١)، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٧ ل أ، الفاسي، العقد

٤٣٧/٣، المقرئ، السلوك، ٣٩٢/٢، mortel Richard T., The Husaynid Amirate of

Madina during the Mamluk, Period. *Studia Islamica* 80 (1994) P. 107.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣٢٥/٢.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل ب.

(٦) انظر ترجمته في المغانم (خ)، ورقة ٢٥٦ ل أ.

من أشرف المدينة غير أنهم لم يتمكنوا من إزاحته من منصبه فانسحبوا، وظل طفيل أميراً للمدينة حتى سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م حين صدرت عنه كما يقول ابن فرحون^(١): «أشياء عن تدبير بعض الوزراء لا تليق بمثله فكتب فيه القاضي شرف الدين الأميوطي».

يبدو من النص السابق استشراف الفساد في نظام حكم طفيل نتيجة لسوء تدبير بعض وزرائه، كما يتضح أن قاضي المدينة المعين أصلاً من قبل السلطان المملوكي كانت له كلمة مسموعة لدرجة أنه كان يكتب له عن سياسة أمراء المدينة وطريقة حكمهم.

مهما يكن من أمر فقد عزل طفيل بأمر من السلطنة المملوكية وعين مكانه الشريف سعد بن ثابت بن جمار^(٢)، غير أن طفيلاً رفض قرار عزله مما أدى إلى تجدد الصراع بين الطرفين، فاستعان سعد بأمراء الركب الشامي غير أنهم لم ينجدوه، غير أن قرار تعيينه قد وزع على أمراء الحج مما قوى من مركزه،

(١) نصيحة، ورقة ١٠٨ ل ب، والقاضي الأميوطي هو شرف الدين أبو الفتح محمد بن القاضي عز الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المصري المعروف بابن الأميوطي الشافعي، قاضي المدينة، تولى القضاء والإمامة والخطابة بالمدينة، مولده بالقاهرة سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ووفاته بالمدينة سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٠ - ٩٢، ابن رافع السلامي، تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس، الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس (ط ١)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م (١/ ٤٨٢)، ابن حجر، الدرر، ١٧٦/٤. والأميوطي نسبة إلى أميوط بلدة في كورة الغربية من أعمال مصر ياقوت، معجم البلدان، ٢٥٦/١.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢٥، ٢٥٩، أما سعد بن ثابت بن جمار بن شيحة فقد ولي إمارة المدينة سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م وكان مشكور السيرة، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ابن حجر، الدرر ٢/ ٢٢٨، السخاوي، نفسه، ١٢٥/٢ - ١٢٦.

وأضعف موقف طفيل وأنصاره من آل منصور بن جمار الذين انتقموا بنهب المدينة^(١). في ظل هذه الفوضى والفراغ السياسي حدث أمر غريب هو قيام إحدى النساء وتدعى هميان بنت مبارك بن فضل^(٢) بتسلم مفاتيح الدور، وحكمت المدينة يوم السبت وحتى ظهر الأحد حيث وصل محمد بن مقبل بن جمار أحد أنصار سعد بن ثابت وابن عمه وتسلم الأمور في المدينة، ثم دخل سعد يوم الثلاثاء ٢٢ ذي الحجة سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م^(٣). رغم الفترة القصيرة التي حكم فيها سعد بن ثابت إلا أنه قام بأعمال جلية من أبرزها: عمل خندق حول سور المدينة للدفاع عنها غير أنه لم يكمله لوفاته سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م، كما أدخل تغييراً على النظام القضائي منع بموجبه آل سنان قضاة المدينة الإمامية من التعرض للأحكام الشرعية وعقود أنكحة الرعية وغيرها: «ورد الأمر جميعه لأهل السنة تقريباً لقلوب السلطنة»^(٤) بإظهار السنة وإخماد البدع^(٥)، ويتضح من النص السابق أن القضاء بالمدينة أصبح في فترة حكم

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢٥٩/٢.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل أ، وذكر الفيروزآبادي أن اسمها هميان بنت مبارك ابن مقبل، وقال: إنها جلست في شبك الإمامة وحكمت في المدينة يومي السبت والأحد، المغنم، ورقة ٢٤٦ ل ب، وقد تكون المذكورة حفيدة فضل بن قاسم بن قاسم بن جمار، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٦ ل أ، أو حفيدة مقبل بن جمار، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٣٦ ل ب، وهي الحالة الوحيدة التي تتولى فيها امرأة حكم المدينة.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٢، السخاوي، التحفة، ٢٥٩/٢.

(٤) المقصود بذلك سلطنة الماليك .

(٥) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ابن حجر، نفسه، ٢٢٨/٢، السخاوي، نفسه، ١٢٦/٢.

سعد بن ثابت مقصوراً على أهل السنة^(١)، فيما كان لفقهاء الإمامية قبل ذلك اليد الطولى في القضاء، كما يتضح أن السلطان المملوكي لم يكن راضياً عن تولي الشيعة الإمامية منصب القاضي الأول في المدينة. لقد أحدث سعد هذا التغيير رغم ما عرف عن كثير من أمرائها من ميل للمذهب الإمامي الاثني عشري^(٢). لقد أكد ابن فرحون^(٣) أهمية هذا التحول في نظام القضاء في سياق حديثه عن شخصية الأمير سعد بقوله: «كان في دولته من أحسن الأمراء سيرة، شجاعاً وافر الحشمة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة متخلقاً بذلك مستجبلاً رضى السلطنة».

لم تدم إمارة سعد سوى سنة وأربعة أشهر ثم توفي من جرح أصابه في معركة في ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م^(٤)، وانتخب آل جمار بعد وفاته فضل بن قاسم بن قاسم بن جمار^(٥)، وصدر له مرسوم بذلك من القاهرة وظل في منصبه حتى وفاته سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م^(٦). لقد شهدت الفترة القصيرة التي تولى فيها فضل بن قاسم منصب الإمارة في المدينة إكمال

(١) ذكر الفيروزآبادي والسخاوي أنه: «نادى في المدينة وأسواقها جهاراً ونهاراً أنه لا يحكم في المدينة إلا القاضي الشافعي»، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي نفسه، ١٢٦/٢ .
(٢) من بينهم جمار بن شيحة وابنه منصور وقد وصفهم الذهبي بأن فيهم تشيعاً ظاهراً، ذبول ١٠/٤، ابن حجر، الدرر، ٧٥/٢، ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحفي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٦ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص ١٠ .

(٣) نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب .

(٤) ابن حجر، نفسه، ٢٢٨/٢، السخاوي، التحفة، ١٢٦/٢ .

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ب، الفيروزآبادي المغانم، (خ) ورقة ٢٥٦ ل أ، ابن حجر، نفسه ٢٢٨/٢، ٣١٤/٣، وفي هامش ٢٢٨/٢ من الدرر فضل بن قاسم بن جمار كما في السخاوي أيضاً التحفة ١٢٦/٢ .

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٦ ل ب وذكر ابن حجر، نفسه، ٣١٤/٣ وفاته في ذي القعدة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م والاصح ما ذكره ابن فرحون لأنه المصدر الأقدم.

حضر الخندق الذي بداه سعد بن ثابت حول سور المدينة ، كما تمتع بأخلاق فاضلة ونشر عدله بين الناس^(١)، تولى الإمارة بعده ابن عمه ومستشاره^(٢) مانع بن علي بن مسعود بن جمار^(٣). ويتضح من سير الأحداث في عهده عدم تمتعه بالخزم في إدارة شؤون المدينة فلم يتمتع بدهاء سياسي وبعد نظر مما أدى إلى اضطراب الأوضاع السياسية وطمع بعض الأشراف وعلى رأسهم آل منصور ابن جمار في السلطة، مما حدا به للاستعانة ببعض القوى والفئات السكانية، ومنها المجاورون وأهل المدينة وخدام الحجرة النبوية لدعمه عسكرياً ومادياً فاستجابوا لذلك مراراً، غير أن معاملته القاسية لأهل المدينة أدت إلى نقص في الأموال الكافية لإغداقها على القبائل لدعمه عسكرياً، مما أدى إلى انحسار نفوذه فصدر أمر بعزله سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م، وعين مكانه جمار بن منصور ابن جمار بن شيحة^(٤).

رغم أن فترة إمارة ابن جمار كانت قصيرة حيث لم تتجاوز ثمانية أشهر، إلا إنها اتسمت باستقرار أمني وسياسي وربما يعود ذلك إلى قوة شخصيته وحسن إدارته فكان كما وصف: «خليقاً للملك شهماً شجاعاً وافر الحرمة عظيم الهيبة ظاهر الجبروت»^(٥). غير أنه نظراً لميوله العلوية حاول إعادة قضية الإمامية الذين عزلهم سعد بن ثابت لتولي منصب القضاء بالمدينة، فأصدر أمراً

(١) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ٢٥٦ ل أ، السخاوي، نفسه، ٣/ ٣٩٦ .

(٢) كان مانع قد ذهب إلى مصر لطلب مرسوم بتعيين فضل على إمارة المدينة، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٦ ل ب .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣١٤، السخاوي، الصفحة، ٣/ ٣٩٦ .

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ ل أ، القلقشندي، صبح، ٤/ ٢٠١، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ ل أ.

لفقيه الإمامية ويدعى يوسف الشريشير بأن يحكم بين الغرباء: «فظهرت كلمتهم وارتفعت رايته^(١)»، بل إنه تمادى في محاربة أهل السنة لدرجة أن فقهاء الحنفية تعرضوا للتعذيب^(٢). كما عامل المجاورين معاملة قاسية مما حدا بالسلطان المملوكي أن يوعز لنائبه في الشام بالتخلص منه فتم تنفيذ الأمر باغتياله على يد فدائين قدما للحج مع الراكب الشامي في ٢١ ذي القعدة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م^(٣)، فاضطربت الأحوال في المدينة ونُهب الحاج الشامي على يد آل منصور غير أن الأمور استقرت بعد تدخل ابنه بدر الدين هبة بن جمار^(٤).

لقد كان البحث عن أمير للمدينة من قبل الأشراف مهمة صعبة نظراً لتدهور الأحوال السياسية والأمنية، حيث رفض المنصب كل من بدر الدين هبة بن جمار، وزيان بن منصور بن جمار، لكن الأخير أشار بتعيين أخيه زين الدين عطية بن منصور فتم اختياره أميراً للمدينة سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م^(٥) لما يتمتع به من ورع وتقوى، وقد شهدت المدينة في عهده استقراراً وأمناً كما عمل على تخفيف الضرائب عن الناس^(٦). غير أنه ما لبث أن عزل سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م ولم يتضح سبب عزله وعين بدلاً منه ابن أخيه هبة بن جمار بن منصور^(٧). وكان سبب تعيينه كما يظهر انتقاله من مذهب الشيعة الإمامية إلى المذهب

(١) الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٣٧ لوحة أ، السخاوي، التحفة، ٤٢٧/١.

(٢) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ لوحة أ.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ، القلقشندي، صبح،

٤/٣٠١، السخاوي، نفسه، ٤٢٧/١.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٤ ل ب.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١١ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٥ ل أ.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣/١٩٨.

الشافعي مذهب دولة الماليك في مصر، فكان عهده - كما ذكر - خيراً وبركة على المدينة فرفع قواعد السنة وأحمد البدعة^(١)، غير أنه ما لبث أن قبض عليه بمكة سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨٠م^(٢) فعاد زين الدين عطية إلى الإمارة إلا أن فترته الثانية لم تدم طويلاً فقد توفي سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م^(٣). ويلحظ أن فترة إمارة كل من عطية وهبة كانت طويلة نسبياً قياساً ببعض الأمراء السابقين، ويبدو أن ذلك راجع لحسن سياستهما وميلهما لأهل السنة والجماعة، مما أكسبهما رضا السلطنة المملوكية. تولى الإمارة بعد عطية جمار بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني في ذي القعدة سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م^(٤) بمرسوم سلطاني^(٥). غير أن نعيم بن منصور^(٦) الذي خلف أخاه عطية دون مرسوم بتعيينه امتنع عن تسليم المدينة له مما أدى إلى وقوع قتال بين الطرفين انتهى باستيلاء جمار على المدينة بعد طعن نعيم وانهزام أصحابه، ثم وفاته بعد ذلك بيومين^(٧).

من خلال تتبع الأوضاع السياسية في المدينة أواخر القرن الثامن الهجري يتضح أن الصراع على السلطة بين أشرافها على أشده وسمة بارزة للحياة

(١) الفيروزآبادي، المغنم، ورقة ٢٦٨ ل ب .

(٢) السخاوي، نفسه، ١٩٨/٣ .

(٣) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج ٢ (ط ٢)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٧٣، ٨٣، ابن تغري بردي، النجوم، ٢١٨/١١ .

(٤) ابن تغري بردي، نفسه، ١١ / ٢١٨، السخاوي، نفسه، ٤٢٧/١ .

(٥) صدر من السلطان الملك الصالح أمير حاج، تولى السلطنة فترتين الأولى بين (٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢م) والثانية بين (٧٩١ - ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ - ١٣٩٠م) انظر ابن تغري بردي، نفسه، ١١/٢١٦ وما بعدها، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١/١٧٣ .

(٦) نعيم بن منصور، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه عطية ٧٨٣هـ / ١٣٨١م لفترة قصيرة، ابن حجر، إنباء ٨٣/٢، وكان كما يظهر مستشار أخيه عطية، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٥٤ ل ب .

(٧) ابن حجر، إنباء، ٧٣/٢، ٨٣ .

السياسية، فقد خرجت الإمارة من يد جمار بن هبة عدة مرات كما شاركه أبناء عمومته في بعض الفترات، ففي سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م شاركه ابن عم أبيه محمد بن عطية بن منصور^(١) ثم خرجت الإمارة من يده فيما بعد، وأعيد إليها سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م^(٢)، وقبض عليه سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م^(٣)، وسجن بالإسكندرية سبع سنوات، ثم أطلق سراحه وأعيد للإمارة سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م بعد عزل أميرها ثابت بن نعيم بن منصور بن جمار بن شيحة، وعاد ثابت للإمارة في ذلك العام، ثم اقتتل جمار وثابت وحسم نزاعهما بالسيف وتولى جمار الإمارة سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م حتى عزل عنها سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م^(٤).

فانتقم لعزله بكسر قبة الحجرة النبوية ونهب ما فيها من قناديل الذهب والفضة، ثم فر من المدينة، وقتل بعدها على يد بعض الأعراب سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ هـ^(٥) وقد وصفه السخاوي^(٦)، بأنه: «كان يظهر إعزاز السنة ومحبتهم

(١) توفي الشريف محمد بن عطية سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م، انظر، الصيرفي، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي ج ١ (د. ط. دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٤٧.

(٢) السخاوي، التحفة، ٤٢٨/١.

(٣) الفلقشندي، صبح، ٣٠١/٤ حيث ذكر أن أميرها سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م كان ثابت بن نعيم، أما الصيرفي، نزهة ١/ ٤٥٠ فلذكر أن القبض على جمار تم سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م.

(٤) ابن حجر، نفسه، ١٠٣/٦، حيث ذكر وفاة ثابت بن نعيم منافسه على الإمارة.

(٥) ابن حجر، نفسه، ١٠٤/٦ - ١٠٥، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ٣ (د. ط. دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت) ص ٧٨، السخاوي، التحفة ٤٢٨/١.

(٦) السخاوي، الضوء، ٧٨/٣.

بخلاف ثابت بن نعيم». ويرى المقرئزي^(١) أن حسن بن عجلان^(٢) أمير مكة الذي أصبح بتفويض من السلطان المملوكي نائب السلطنة بالحجاز؛ قد استتاب عجلان بن نعيم بن منصور بن جمار والد زوجته بدلاً من ثابت المتوفى سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م على المدينة، وأمه أمير مكة بعسكر على رأسهم ابنه أحمد لدعمه ضد مناوئيه وبخاصة جمار بن هبة.

كانت ولاية عجلان بن نعيم على المدينة مضطربة فلم يستقر الحكم له، بل نافسه آخرون وعلى رأسهم آل جمار بن هبة الذين هاجموا المدينة وقبضوا على عجلان وسلموه لأمير الحاج الشامي ثم أرسل إلى مكة، وأطلق سراحه بأمر من أميرها غير أنه لم يعد للإمارة، بل حل مكانه سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م غرير بن هيازع بن ثقبه بن جمار الحسيني^(٣) الذي استمر في الإمارة ثمانين سنين وعزل عنها سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م واعتقل وسجن وتوفي سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م^(٤)، وأعيد عجلان بن نعيم^(٥) ثم عزل وعين بدلاً منه ثابت بن نعيم ابن هبة بن جمار سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م، ثم عزل ثابت في نفس العام، أما عجلان فقد قتل سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٥ م^(٦). لم تتضح أسباب عزل كل من عجلان وثابت غير أنه يبدو أن لميولهما العلوية دوراً في ذلك العزل فقد أقام

(١) السلوك، ٧٦/٤، انظر أيضاً ابن حجر، إنباء، ١٠٥/٦، السخاوي، التحفة، ١٧٦/٣.

(٢) حسن بن عجلان، أمير مكة ونائب السلطنة ولي إمرة مكة من غير شريك نحو إحدى عشرة سنة ووليها سنة وسبع أشهر شريكاً لابنه السيد بركات، تولى الإمارة سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م وتوفي سنة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م الفاسي، العقد، ٨٦/٤ - ١٣٨.

(٣) الصيرفي، نزهة، ٤٣٥/٢.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٤٧٩/٧، السخاوي، الضوء، ١٦١/٦، السخاوي، التحفة، ١٧٧/٣.

(٥) الصيرفي، نفسه، ١٧/٣.

(٦) ابن حجر، نفسه، ١٨٣/٨، السخاوي، الضوء، ١٤٥/٥، السخاوي، التحفة، ١٧٧/٣.

ثابت كما يذكر السخاوي^(١): «من الرافضة قاضياً اسمه الطفيل وكلما جاء حكم من الأحكام يرسل غالباً إليه»، ويتضح أمر عزل ثابت من الدعم الذي تلقاه خلفه خشرم بن دوغان بن هبة من السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١ هـ/١٤٢٢-١٤٣٨ م)^(٢)، حين أرسل السلطان المملوكي جيشاً بقيادة بكتمر السعدي^(٣) لصد هجوم عجلان، حيث يرى السخاوي^(٤) أن تعيين المذكور كان: «لتقوية أهل السنة»، على أن فترته في الإمارة لم تطل فما لبث السلطان المملوكي أن غضب عليه لأسباب غير معروفة فقبض عليه وأرسل إلى مكة ومنها إلى القاهرة حيث سجن سنة ٨٣١ هـ/١٤٢٧ م^(٥)، وفي رواية أنه قتل سنة ٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م^(٦). تولى مكانه مانع بن علي بن عطية بن منصور ابن جماز بن شيحة الحسيني واستمر في منصبه حتى مقتله سنة ٨٣٩ هـ/١٤٣٥ م على يد حيدر بن دوغان انتقاماً لمقتل أخيه خشرم بن دوغان الذي يعتقد أنه قتل من قبل مانع المذكور^(٧). وقع صراع على الإمارة بين أبناء مانع وهم العجل وعلي وأميان حُسم بتولي أميان للإمارة وتوطدت سلطته بمرسوم

(١) السخاوي، التحفة، ٣٩٧/١.

(٢) المقرئزي، السلوك، ٦٠٧/٤ - ١٠٥١، ابن تغري بردي، النجوم، ٢٤٢/١٤، ٢١٠/١٥، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١٧٥/١.

(٣) بكتمر بن عبد الله السعدي، مملوك سعد الدين بن غراب... ترقى إلى أن سَفَره السلطان إلى صاحب اليمن، ثم عاد فتأمر وتقدم، مات في ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ/١٤٢٧ م، ابن حجر، إنباء، ١٥٢/٨، السخاوي، الضوء، ١٧/٣.

(٤) التحفة، ١٨/٢.

(٥) السخاوي، نفسه، ١٨/٢.

(٦) ابن حجر، إنباء، ١٨٢/٨ - ١٨٣ وفيها مات أيضاً عجلان بن نعيم بن منصور وقيل إن خشرم قتل على يد مانع بن علي، السخاوي، الضوء، ٢٣٦/٦. وانظر أيضاً السخاوي، الضوء، ١٧٤/٣، السخاوي، التحفة، ١٨/٢.

(٧) ابن حجر، إنباء، ٤٠٤/٨ - ٤٠٥، السخاوي، الضوء، ٢٣٦/٦.

سلطاني بتعيينه^(١). غير أن أميان عزل من منصبه غير مرة ففي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م عزل وعين سليمان بن غرير بن هيارع بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني^(٢)، وقد دخل الأخير في صراع مع أميان على الإمارة سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م تمكن سليمان من الانتصار فيه ثم عاد أميان للإمارة مرة أخرى سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م بعد ضيغم بن خشرم بن نجاد الحسيني^(٣)، واستمر أميان في الإمارة حتى وفاته سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م^(٤) وقيل سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م^(٥)، وخلال فترة الصراع تلك تعاقب على إمارة المدينة عدد من أشرفها بينهم سليمان بن غرير السالف الذكر الذي استمر في الإمارة من ٨٤٢هـ - ٨٤٦هـ / ١٤٣٨ - ١٤٤٢م^(٦)، وخلفه لعدة أشهر موسى بن كيش بن جمار، ثم أعقبه سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعيم بن منصور واستمر في الإمارة حتى عزل سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م وأعيد أميان إلى الإمارة^(٧). مما سبق يتضح أن الصراع بين أشراف المدينة للاستحواذ على السلطة قد أدى إلى إضعاف مركز المدينة السياسي والعسكري في مواجهة القوى المحلية خاصة القبائل، وفي مواجهة أشراف مكة، وأدى ذلك إلى تعزيز دور وسلطة السلطنة المملوكية فتدخلت في شؤون أشراف المدينة بالعزل والتعيين.

(١) المقرئزي، السلوك، ٩٧٥/٤، ابن حجر، نفسه، ٤٠٤/٨ - ٤٠٥، السخاوي، الضوء، ٣٢١/٢.

(٢) السخاوي، الضوء، ١٦١/٥.

(٣) السخاوي، الضوء، ٢/٤.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣٣٩/١.

(٥) السخاوي، الضوء، ٣٢١/٢.

(٦) السخاوي، الضوء، ٢٦٨/٣، السخاوي، التحفة، ١٨٤/٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣٣٩/١، ٢٥٤/٢.

استمر أميان في الإمارة حتى توفي سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م^(١). وقيل سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م^(٢) وتم تعيين زبيري بن قيس بن ثابت بن نعيم بن منصور الحسيني^(٣). استمر زبيري في الإمارة مدة عشر سنوات ثم عزل سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م^(٤) وعين بدلاً منه زهير بن سليمان بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني^(٥)، غير أن زبيراً رفض قرار عزله وسافر إلى مصر ملتجئاً لإعادته فلم ينجح في مسعاه وظل زهير بن سليمان في منصبه حتى وفاته سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م^(٦). وقد ذكر أن زهيراً كان مناهضاً للشيعه مناصراً للسنة يقول في ذلك السخاوي^(٧): «إن الشيعة كانت تكرهه».

تولى الإمارة بعده ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت الحسيني حتى عزل سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م^(٨)، وعين بدلاً منه قسيطل بن زهير بن سليمان بدعم من أمير مكة حتى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م^(٩) حيث أعيد زبيري بن قيس للإمارة

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور تحقيق محمد كمال عز الدين ج ٢ (ط ١)، عالم الكتب. د. م ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ٣٥٠ السخاوي، التحفة، ٢٣٩/١.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢٣٢/٣، حيث ذكر توليه الإمارة سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م وفي السخاوي، التحفة، ٨١/٢ سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م.

(٣) السخاوي، الضوء، ٣٢١/٢، السخاوي، التحفة، ٨١/٢.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث، ٥٦٦/٢، السخاوي، الضوء، ٢٣٢/٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ٢٣٩/٣، السخاوي، التحفة، ٨٥/٢.

(٦) ذكر السخاوي أن ضيغم بن خشرم بن ثابت بن نعيم تولى إمارة المدينة سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م فأقام بها نحو أربعة أشهر ثم عزل وعين بدلاً منه إبراهيم بن سليمان، ثم أعيد بعد موت إبراهيم سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م فاستمر إلى رمضان سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م، الضوء، ٢/٤، التحفة، ٢٥٣/٢، وانظر الصيرفي، علي بن داود، إنباء الهصر بأنباء العصر تحقيق حسن حبشي (د. ط)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠ م) ص ٧.

(٧) السخاوي، التحفة، ٨٥/٢.

(٨) السخاوي، الضوء، ٢/٤.

(٩) السخاوي، الضوء، ٢٣٢/٣ - ٢٣٣، السخاوي، التحفة، ٨٠/٢ - ٨١، ٤١٦ - ٤١٧.

غير أنه لم يدم في منصبه سوى أشهر قليلة توفي بعدها سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م^(١). وتولى الإمارة ابنه البدر حسن الذي وصفه السخاوي^(٢) بقوله: «إنه «محمود السيرة»، دامت إمارته قرابة ثلاث عشرة سنة غير أن حكمه ساء أواخر القرن التاسع لدرجة أنه سطا على المسجد النبوي وسرق حاصل الحرم من نقود وقناديل الذهب والفضة مثل كثير من أمراء المدينة وسبك تلك القناديل وارتحل عنها سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥م، فأرسل شريف مكة جيشاً لحفظ الأمن بصحبة فارس بن شامان بن رهير بن سليمان الذي عينه أمير مكة نائباً عنه في المدينة^(٣)، بعد أن صدر الأمر بعزل أميرها البدر حسن، ثم عين شريف مكة بعد ذلك وفي نفس العام مانع بن زبيري - أخا الأمير السابق - أميراً على المدينة^(٤). وفي رجب سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣م قام الشريف بركات بن محمد بن بركات^(٥) أمير مكة بأمر من السلطان المملوكي^(٦) بتعيين الشريف ثابت بن ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت أميراً على المدينة^(٧). ويبدو أن المذكور استمر في منصبه حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م.

(١) السخاوي، الضوء، ٢٣٣/٣، السخاوي، التحفة، ٨١/٢ .

(٢) الضوء، ٣/١٠٠، ٢٣٣، التحفة، ٤٧٩/١ .

(٣) السخاوي، الضوء، ١٦٢/٦، السخاوي، التحفة، ٣/٣٩٢ .

(٤) السخاوي، التحفة، ٤٧٩/١ حيث ذكر أنه عاد بعد ذلك إلى المدينة وتوفي بها، وفي الضوء، ٣/١٠٠ .

١٠٠، أن السخاوي رآه بالمدينة سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م .

(٥) تولى الشريف بركات بن محمد بن بركات الإمارة شريكاً لوالده سنة ٨٧٨ هـ / ١٤٧٣م، ولاها إياه

السلطان الأشرف قايتباي ثم انفرد بالإمارة بعد وفاة والده سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م، ابن فهد، عز

الدين عبد العزيز بن عمر، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهد شلتوت ج ٣ (ط ١،

جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م) ص ٣٥ - ٣٢٥ .

(٦) هو الملك الأشرف قانصوه الغوري تولى السلطنة من سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠١م حتى مقتله في رجب

سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م، ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور،

تحقيق محمد مصطفى، ج ٤ (ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م)

ص ٣ - ٥، ٦٨ - ٧٠ .

(٧) ابن فهد، غايه، ٣/ ٢٨٠ - ٢٨١، ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢١٣ ل ب .

ثانياً - العلاقات الخارجية:

(أ) العلاقة مع السلطة المركزية:

ظلت علاقة الحجاز بالسلطة المركزية تمثل أهمية بارزة في نطاق التاريخ السياسي للحجاز خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، لأهميتها الدينية والإستراتيجية والاقتصادية^(١).

وقبل الحديث عن طبيعة العلاقات السياسية للمدينة المنورة في العصر المملوكي يحسن بنا أن نعطي بعض المؤشرات عن طبيعة علاقة المدينة بالسلطة المركزية قبل هذا العصر، ففي العصر الأيوبي نجده القاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة يرتبط بعلاقة قوية مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وضعها أبو شامة^(٢) في قوله: «كان للسلطان في جميع الغزوات مصاحباً... وكان السلطان يستوحش لغيبته ويأنس بشيئته» حتى إن تعيين القاسم كان بأمر من الخليفة العباسي المستضيء ٥٦٦ - ٥٧٥هـ / ١١٧٠ - ١١٧٩م.^(٣) وفي موسم سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م تمكن من مد نفوذه على مكة بدعم من أمير الركب العراقي

(١) علي حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك (د. ط، دار حراء، القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) ص ٢٢-٢٣ .

(٢) كتاب الروضتين، ٢/ ١٣٤، ابن العماد الأصفهاني، الفتح، ص ٢١، العليمي، الأنس، ٢٨٦/١.

(٣) القاسي، - العقد، ٧/ ٣١-٣٢، وقد عاصر القاسم أيضاً السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م الذي اتسع ملكه فشمل الموصل والشام ومصر واليمن وخطب له بالخرمين مكة والمدينة، ابن الأثير علي بن أبي بكر بن محمد، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (د. ط، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) ص ١٦٢.

طاشتكين المستنجدى^(١) الذي عزل أمير مكة مكث بن عيسى وعين القاسم بدلاً منه، غير أن أمير المدينة لم يستمر فيها سوى ثلاثة أيام^(٢)، وفي ذلك يقول ابن الجوزي^(٣) إن قاسماً قال: «إني لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج».

وتسلط المصادر الضوء على العلاقة بين أشرف المدينة وأمرء الشام من بني أيوب فنجد ارتباطاً قوياً من جانب أمرء المدينة بالسلطة الأيوبية في الشام، ويمكن تفسير قوة تلك العلاقة لعدة عوامل أبرزها: الخلاف بين جناحي الأسرة الأيوبية في مصر والشام بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ومحاولة كلا الطرفين مد نفوذه إلى الحجاز، إضافة لقرب الشام من المدينة، رد على ذلك أن سلاطين بني أيوب في مصر قد دعموا أمرء مكة على حساب أمرء المدينة مما أدى بأشرف المدينة إلى الالتجاء للأيوبيين في الشام^(٤). كما نجد أن سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة قد تلقى الدعم والمساندة من الملك المعظم عيسى بن العادل أمير دمشق^(٥).

(١) طاشتكين الأمير مجد الدين أبو سعيد المستنجدى وعرف أيضاً بطاشتكين بن عبد الله المقتفوي مجير الدين أمير الحرمين والحاج توفي سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م، الفاسي، العقد، ٥٦/٥ - ٥٧، الجزيري، عبد القادر بن محمد، الدور الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، ج ١ (ط١)، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٥٦٨ - ٥٦٩، العصامي، سمط، ٢٠٥/٤.

(٢) الفاسي نفسه، ٣١/٧ - ٣٢، العصامي، نفسه، ٢٠٥/٤.

(٣) المنتظم، ٢٢٤/١٨.

(٤) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية ج ١٣ (ط٢)، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م) ص ٦٧، المقرئ، السلوك، ١/ ١٨٠.

(٥) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨ (د. ط)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند ١٩٥٢م) ص ٥٧٠، ابن كثير، نفسه، ٦٧/٣.

وفي الوقت الذي تحالف فيه الشريف قتادة أمير مكة مع الملك الكامل في مصر^(١)؛ نجد أن خلفاءه وبخاصة راجح بن قتادة يتحالفون مع الرسوليين^(٢)، فيما تحالف أمراء المدينة مع الأيوبيين ضد أمراء مكة وسلاطين بني رسول ففي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م انضم الشريف شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني إلى الملك الكامل^(٣) ضد كل من الملك المنصور الرسولي^(٤) وأمير مكة راجح ابن قتادة، وذلك في نطاق الصراع بين الأيوبيين والرسوليين للسيطرة على الحجاز فتم للأيوبيين وحلفائهم من أشرف المدينة إخراج راجح وجيش اليمن من مكة، كما وصل الأمير شيحة سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م إلى مكة على رأس جيش في ألف فارس مرسلاً من قبل الملك الكامل الأيوبي لانتزاع مكة من نواب صاحب اليمن^(٥). وكان أول اتصال بين السلطنة المملوكية وأمراء المدينة قد تم في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م حينما قدم مصر أبو العباس أحمد ابن عبد الواحد بن مرء الحوراني القاضي الملقب بالثقي الشافعي رسولاً من أمير

(١) أبو شامة، الدليل، ص ٩٢، الفاسي، العقد، ٤٤/٧ - ٤٥ حيث ذكر تسليم نواب الكامل ينبع من نواب قتادة حماية لها من قاسم بن جمار صاحب المدينة.

(٢) حكموا ما بين (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ٢٠٣/١، وانظر عن الدولة الرسولية إلى الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس، العقود اللؤلؤة في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الكوع، (ط٢)، دار الآداب، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٣) أبو المعالي محمد بن العادل حكم بين (٦١٥ - ٦٣٥ هـ/ ١٢١٨ - ١٢٣٨ م)، ابن خلكان، وفيات، ٧٩/٥ - ٩٢، ستانلي لين بول، نفسه، ١٤٦/١.

(٤) المنصور نور الدين عمر أول ملوك بني رسول تولى ما بين (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ/ ١٢٢٩ - ١٢٤٩ م) الخزرجي، نفسه، ٥١/١ - ٨١، ستانلي لين بول، نفسه، ٢٠٣/١.

(٥) الفاسي، نفسه، ٢٣/٥، المقرئ، السلوك ٣١٢/١، السخاوي، التحفة، ٢٢٦/٢، يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر البهائي، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة ج ١ (د. ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ ص ٤٢٤.

المدينة إلى السلطان المملوكي سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م) الذي اتهم بأنه قبض أوقاف المدينة بالديار المصرية فوجده قد قتل وتولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مكانه: «فاجتمع به وقضى شغله وأطلق الوقف»^(١).

وبعد إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م قلد الخليفة العباسي المستنصر بالله^(٢) الظاهر بيبرس^(٣) البلاد الحجازية وتلقب بخادم الحرمين الشريفين^(٤)، كما أقيمت الخطبة للسلطان المملوكي بمكة سنة ٦٦٢هـ ١٢٦٤م وسلم مفتاح الكعبة إلى الصدر جمال الدين بن الموصلي الموقّع الذي قدم إلى مكة ليكون نائب السلطان الظاهر بيبرس بها^(٥).

وكان السلطان بيبرس قد بدأ نفوذه في الحجاز سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م بأن جهز الأموال لعمارة الحرم النبوي وأرسلها بصحبة الأمير علم الدين

(١) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراد ، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار ج ٢ ، د. ط، دار البعث دمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ١١١٩ - ١١٢٠.

(٢) هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد تولى الخلافة بين (٦٥٩ - ٦٦٠ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٦١م) المقرئ، السلوك، ٤٤٨/١، ٤٨٦، ابن تغري بردي النجوم، ٢٠١/٧، ٢٠٦ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ٤٥/١.

(٣) الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري حكم بين (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) المقرئ ، نفسه، ٤٣٦/١، ٦٣٦، ابن تغري بردي، نفسه، ٩٤/٧، ٢٥٩. ستانلي لين بول، نفسه، ١/١٧٢

(٤) عرف ذلك من خلال نقش موجود بقلعة دمشق تاريخه ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق (د. ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ص ٢٦٨.

(٥) المقرئ، السلوك، ٥٠٤/١ - ٥٠٥، المقرئ، أحمد بن علي، الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م) ص ٨٤-

اليغموري^(١). كما قام السلطان المملوكي سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م بعمل كسوة للحجرة الشريفة وبعثها مع أحد رجاله مصحوبة بالشمع والبخور والزيت والطيب^(٢).

إلا أن النفوذ السياسي المباشر للمالِك في المدينة لم يبدأ إلا في سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م حينما سنحت الفرصة للظاهر بيبرس بالتدخل في شؤون أمرائها الحسينيين من بني مهنا بأن كتب تقليداً للشريف بدر الدين مالك بن منيف بن شيحة بالمشاركة في نصف إمارة المدينة وأوقفها مع عمه جمار بن شيحة^(٣)، وقد وافق جمار على هذا التقليد وهو بمنزلة اعتراف من أشرف المدينة بالسيادة السياسية والدينية للمماليك^(٤). وكانت الزكاة والعشور من

(١) المقرئزي، السلوك، ١/٤٤٥، ٥٠٢، السخاوي، التحفة، ١/٣٨٥، غير أنه ذكر أن ذلك تم سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م وذكر في ص ٣٨٦ أعمالاً أخرى للظاهر بيبرس في أعوام ٦٦٦هـ و ٦٦٧هـ / ١٢٦٧م و ١٢٦٨م، ولم أجد ترجمة لعلم الدين اليغموري فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٢) المقرئزي، السلوك، ١/٥١٢، العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين ج ١ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٧ / ١٩٨٧م) ص ٣٧٦، ونرى بالمقابل أن الملك المظفر الرسولي يوسف ملك اليمن قد كسا الحجرة النبوية سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، ابن فهد، إتحاف، ٣/٩١.

(٣) هو جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني (٦٥٧-٧٠٤هـ / ١٢٥٩-١٣٠٤م) ابن حجر، الدرر، ٢/٧٥، وانظر عن تدخل المماليك في شؤون المدينة السياسية إلى د أحمد محمد عدوان، المماليك وعلاقاتهم الخارجية (ط ١، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٤٧-١٤٨.

(٤) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر (ط ١)، نشر عبدالعزيز الخويطر الرياض ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص ٢٨٤-٢٨٥، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القسم التاريخي) تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة ج ٣٠ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ١٤٦-١٤٧، المقرئزي، السلوك، ١/٥٦٠، العيني، عقد، ٢/٩-١٠.

الأمر التي تؤكد نفوذ المماليك في الحجاز؛ لهذا أرسل السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م مندوباً إلى أمير المدينة هو الأمير شكال ابن محمد لأخذ الزكاة، فامتنع أميرها عز الدين جمار بن شيعة الحسيني فما كان من مندوب السلطان إلا أن ذهب إلى قبيلة بني خالد^(١) وطلب منهم المساعدة لمحاربة أمير المدينة، وعندما علم الشريف جمار خاف وأرسل للسلطان المملوكي مبدئياً استعداداته لأداء ما عليه من حقوق للسلطنة^(٢).

وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م أرسل السلطان المملوكي الأمير ناصر الدين بن محيي الدين الجزري الحاجب لاستخراج الزكاة من أهل المدينة، فعاد إلى مصر ومعه مئة وثمانون جملأً وعشرة آلاف درهم كما: «وصل بنو صخر، وبنو لام، وبنو عنزة وغيرهم من عربان الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل وتوجه معهم مشدون لاستخراج ذلك»^(٣).

لقد أدت الفتن الداخلية والصراع بين أمراء المدينة إلى تدخل سلاطين المماليك لحسم الأمور بين الأطراف المتصارعة من أشرافها، ففي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م أفرجت السلطنة المملوكية عن الشريف منصور بن جمار أمير المدينة، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب إلى القاهرة، فأعيد إلى ولايته بعد عزل أخيه ودي بن جمار، وأرسل بصحبة منصور أحد قادة المماليك ويدعى

(١) بنو خالد ربما هم بطن من غزية من طيء من القحطانية، مساكنهم بريا الحجاز، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ٢٤٢، عمر كحالة، معجم قبائل العرب، ٣٢٨/١.

(٢) العيني، عقد، ٨/١ - ٤٢٩، المقرئ، السلوك، ٥٥٨/١.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض، ص ٢٨٥ النويري، نهاية، ١٤٩/٣٠، المقرئ، السلوك، ٥٦٢/١ - ٥٦٣.

عز الدين أيدمر الكوندكي^(١)، ويفهم من إرسال القائد المملوكي بصحبته دعم سلطة أمير المدينة وتوطيد النفوذ المملوكي بها.

لقد عاد ودّي بن جمار لاحتلال المدينة مستغلاً غياب أميرها كيش بن منصور سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م ففر منها نائبه طفيل بن منصور وتوجه إلى القاهرة وقدمها في صفر ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م وأخبر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون بما حدث، فقرر السلطان تجريد حملة لإعادة كيش غير أن أميرها استطاع العودة وطرد الشريف ودّي منها^(٢). ويتضح من ذلك أن سياسة السلطنة المملوكية تجاه المدينة كان دعم الاستقرار فيها من خلال دعم أمرائها بالقوة العسكرية مما مكنها من قمع معارضيها.

وفي الفترة الواقعة بين (٧٢٨ - ٧٥٠هـ - ١٣٢٨ - ١٣٤٩م) شهد الوضع السياسي في المدينة محاولات من قبل السلطنة المملوكية لتثبيت سلطتها فقد أصدر السلطان المملوكي محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م أمراً بتقليد طفيل بن منصور^(٣) خلفاً لأخيه كيش الذي قتل في تلك السنة، إلا أن السلطان ما لبث أن عزله سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م وقلد الإمارة لودّي بن جمار^(٤) وبعد وفاة ودّي سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٣م هاجم طفيل بن منصور المدينة واستولى عليها وبعث أخاه جماراً إلى مصر، مما اضطر السلطنة المملوكية لإقراره على إمارة المدينة وإرسال التقليد إليه، غير أنه ما لبث أن عزل سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وعين

(١) ابن حجر، الدرر، ١٣٢/٥، المقرئ، نفسه، ١٧٥/٢، ولم أجد لأيدمر الكوندكي ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٢) تولى كيش بن منصور إمارة المدينة بين (٧٢٥ - ٧٢٨هـ / ١٢٢٤ - ١٢٢٧م) ابن حجر، نفسه، ٣/٣٤٨، السخاوي، التحفة، ٤٢٦/٣ - ٤٢٧.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٤٦ ل أ.

(٤) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١٨٠/٥ - ١٨١.

مكانه ابن عمه سعد بن ثابت بن جمار، فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة ونهب ما كان بها من بضائع وأمتعة للحجاج فأمر السلطان ناصر الدين حسن^(١) بالقبض عليه سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ونقل إلى القاهرة حيث سجن حتى وفاته سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م^(٢).

استمر المماليك في التدخل في شؤون المدينة السياسية، ففي سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م تولى إمارة المدينة جمار بن هبة بن جمار بن منصور بمرسوم من السلطان المملوكي الصالح صلاح الدين^(٣). وقد دخل جمار في صراع مع أبناء عمومته وتولى الإمارة ثلاث مرات حتى مقتله سنة ٨١٢هـ / ١٤١٠م^(٤)، وكانت المرة الأخيرة لإمارته في عام مقتله حيث ولاء السلطان فرج بن برقوق^(٥) وهو بدمشق إمرة المدينة بعد أن أشرط عليه إعادة ما أخذ من حاصل الحرم النبوي الشريف^(٦).

كان النفوذ المملوكي يشمل إلى جانب النفوذ السياسي جانباً دينياً يتمثل في ذكر سلاطين المماليك والدعاء لهم على منابر مكة والمدينة، حيث كان المماليك

(١) الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن محمد بن قلاوون الألفي تولى السلطنة لفترتين الأولى بين (٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م) والثانية بين (٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦١م) المقرئ، السلوك، ٧٤٥/٢، ٨٤٣، ١/٣، ٦٤، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/١٧٣.

(٢) ابن حجر، نفسه، ٣٢٥/٢، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦، ٢٤٧ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/٢٥٩.

(٣) الصالح صلاح الدين حاجي الثاني، تولى في المرة الأولى (٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م) ثم تلقب بالمنتصور ناصر الدين حاجي الثاني في ولايته الثانية (٧٩١-٧٩٢هـ / ١٣٨٩-١٣٩٠م) المقرئ، السلوك، ٤٣٩/٣، ٤٧٥، ٦٢٠، ٦٩٩، ستانلي لين بول الدول الإسلامية، ١/١٧٣.

(٤) المقرئ، نفسه، ١٢٩-١٣٠، السخاوي، التحفة، ١/٤٢٨.

(٥) امتد عهد السلطان فرج لفترات متقطعة فيما بين (٨٠١-٨١٥هـ / ١٣٩٨-١٤١٢م) المقرئ، نفسه، ٩٥٩/٣، ١/٤، ٧، ٨، ١٣.

(٦) المقرئ، نفسه، ١٠٦/٤، السخاوي، نفسه، ١/٤٢٨.

في حاجة إلى شرعية تسند حكمهم فكان التعبير الأقوى لتأكيد تلك الشرعية والسلطة هو الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين . ومن ناحية أخرى فإن الممالك يدركون الأهمية الإستراتيجية للحجاز لذلك أرسلوا إليها الحاميات العسكرية لتضمن السيطرة الفعلية عليها، وتنتشر الأمن والاستقرار هناك وتمنع منافسيها وبخاصة الرسولين في اليمن ومغول فارس والعراق من مدّ نفوذهم إليها، كما أنها بإرسال تلك الحاميات انتزعت جانباً من السلطة التي كان يتمتع بها أمراء مكة والمدينة من الأشراف، فأرسلت حاميات إلى مكة لدعم النفوذ المملوكي، وسلطة أمرائها في وجه منافسيهم كما كانت ترسل قوة من عسكر الممالك وقت الحج لحراسة قوافل الحجاج وتوطيد الأمن وقت الموسم^(١). وفيما يتعلق بالمدينة فقد أرسلت إليها قوة في عهد السلطان جقمق^(٢) كما استعين ببعض القبائل لحماية أهل السنة في المدينة من الرافضة^(٣)، كما أرسل السلطان جقمق أيضاً في سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م قوة إلى الحجاز مكونة من عسكر الترك والعرب: «لدفع قبيلة بلي المفسدين في طريق الحجاز فظفروا بطائفة منهم بسطح العقبة رجعوا بعد أن امتاروا فقبضوا عليهم واستمروا إلى أن دخلوا بلاد بلي»^(٤).

(١) المقرئزي، السلوك، ١/ ٧٢٤ حوادث سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، ٢/ ١١٩ حوادث سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م، ٢/ ١٤٥ حوادث سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م .

(٢) السلطان جقمق الملك الظاهر، أبو سعيد جقمق العلائي الجركسي الظاهري تولى السلطنة بين (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م)، المقرئزي نفسه، ٤/ ١٠٨٦، ابن تغري بردي ، النجوم، ١٥/ ٢٥٦، ابن اياس، بدائع، ٢/ ١٩٨، ٢٩٩، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٥.

(٣) العيني ، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم) تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي القرموط (ط)، الزهراء للإعلام، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ص ٥٨٣، أحمد عبد الحميد خفاجي، موقف مصر من الحجاز في عهد الممالك الجراكسة ، (٨٤٢-٩٢٣هـ / ١٤٣٨-١٥١٧م) (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٦٨م) ص ١٧.

(٤) ابن حجر، إنباء، ٩/ ١٠٤.

ويمكن القول: إن القوات والحاميات المرسلة للحجاز كان من أهدافها الأساس تأمين طرق الحج والقوافل من مصر والشام للحجاز، وحماية قوافل الحج، وقمع محاولات أشراف الحجاز الخروج عن سلطة الدولة، وإحلال الأمن والاستقرار في البلاد كما كان قادة العسكر عيوناً للسلطنة المملوكية، وقد استخدم المماليك أشراف الحجاز بعضهم ضد بعض طمعاً في تدعيم السلطة المركزية في الحجاز، ففي سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م بادر السلطان المملوكي المنصور قلاوون^(١) بدعم أمير المدينة جمار بن شيحة بقوة ضد أمير مكة أبي نغمي^(٢)، الذي لم يكن على وفاق مع السلطنة المملوكية حيث كان يسلك سياسته الخاصة التي لا تتفق بالضرورة مع مصالح الدولة المملوكية، وقد استطاعت تلك القوة المشتركة دخول مكة واستقر الأمر فيها لأمر المدينة جمار بعد خروج أميرها، إلا أن جماراً مالبت أن ترك مكة بعد عدة أشهر حين بلغه مراسلة قائد العسكر المملوكي المربط بمكة للشريف أبي نغمي سراً فخشي على حياته وانسحب منها^(٣). ويتضح من سير الأحداث وعودة أبي نغمي إلى السلطة في مكة أن المماليك كان هدفهم الأساس تأديب أبي نغمي وإعادته إلى بيت الطاعة المملوكية دون انتزاع السلطة منه، ومن ثم كان حماية مصالحهم هو هدفهم الأساس في سياستهم تجاه أمراء مكة والمدينة.

- (١) الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي تولى السلطنة بين (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م) بنيت على أيامه سنة ٦٧٨هـ قبة على الحجرة الشريفة المقيزي، نفسه، ٦٦٣/١-٧٥٦، السخاوي، التحفة، ٤١٨/٣، ستانلي لين بول، نفسه، ١٧٢/١.
- (٢) أبو نغمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة صاحب مكة يلقب بمج الدين ولي مكة نحو خمسين سنة وكانت وفاته سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م الفاسي، العقد، ٤٥٦/١-٤٧١، ابن فهد، غاية، ٩/٢.
- (٣) الفيروزآبادي، المغنم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل أ، الفاسي، نفسه، ٤٦١/١-٤٦٢، المقيزي، السلوك، ٧٤٦/١، ابن حجر، الدرر، ٧٥/٢، ابن فهد، إتحاف، ١١٨/٣-١١٩، ابن تغري بردي، النجوم، ٢١٤/٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات، ١٠/٦.

ب - العلاقة مع مكة

١ - العلاقة مع مكة قبل العصر المملوكي:

قبل أن نتحدث عن طبيعة العلاقات التي ربطت المدينة بمكة في العصر المملوكي؛ يحسن بنا أن نمهد لذلك بإعطاء نبذة سريعة عن تلك العلاقة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حيث دخلت الحجاز تحت النفوذ الفاطمي، كما شهدت تلك الفترة قيام إمارتين هاشميتين إحداهما حسنية في مكة والأخرى حسينية في المدينة. فقد استولى فريق من الحسينيين يعرفون بالجعافرة نسبة لزعيمهم جعفر بن محمد^(١) على مقاليد الأمور في مكة في أواخر عهد الدولة الإخشيدية^(٢)، كما أقام الخطبة بمكة للمعز لدين الله الفاطمي بعد فتح الفاطميين مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م^(٣). أما المدينة فقد سيطرت عليها أسرة حسينية تنتسب لطاهر بن مسلم الحسيني سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م^(٤).

تأرجحت العلاقات بين أشراف المدينة وأشراف مكة خلال العهد الفاطمي والأيوبي أحياناً بالجفاء وأخرى بالعداء، فحينما نتبع طبيعة وتطور تلك

(١) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وينتهي نسبه للحسن بن علي بن أبي طالب أمير مكة في أيام الدولة الأخشيديّة ويعتقد أنه تولى الإمارة في مكة بعد موت كافور الأخشيدي سنة ٣٥٦هـ / ٩٥٧م، ابن حزم، جمهرة، ص ٤٧، الفاسي، المقد، ٣/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٢) ينسب الإخشيدون إلى محمد بن طفج الإخشيدي، وقد حكموا مصر بين (٣٢٣ - ٣٥٨هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩م) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة (د. ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة د. ت) ص ٢٨١ - ٢٩٨.

(٣) ابن فهد، إتحاف، ٢/ ٤٠٦.

(٤) العتيبي، تاريخ، ١٢/ ٥٩ - ٦٠، ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٢، ولتفصيلات أكثر انظر إلى: الأحوال السياسية الداخلية من هذا الفصل.

العلاقات نجد أنه في سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م قام الحسن بن جعفر المكني بأبي الفتوح^(١) بالاستيلاء على المدينة وعزل أمرائها من بني مهنا، تنفيذاً لرغبة الخليفة الفاطمي^(٢) بالاستيلاء على المدينة ونش قبر النبي ﷺ وصاحبيه وحملهم إلى مصر، لكي تكون لمصر كما يرى البعض مكانة دينية^(٣)، غير أن أبا الفتوح لم يحقق رغبة الخليفة الحاكم^(٤). وذكر الجزيري^(٥) سبباً آخر في عزل أمراء بني مهنا وهو: «القدح في نسب الفاطميين» ثم خرجت المدينة عن سيطرته في إحدى فترات حكمه إلى أن استردها ابنه شكر بن أبي الفتوح^(٦). فبعد تولي المذكور إمارة مكة في أعقاب وفاة والده سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م^(٧) قرر استعادة السيطرة على المدينة فدخل في صراع مع أمرائها، وقد صاهر شكر

(١) هو الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولي إمرة مكة نحواً من ست وأربعين سنة، وليها بعد أخيه عيسى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م، ابن حزم، جمهرة، ص ٤٧، ابن خلدون، تاريخ، ١٠١/٤، الفاسي، العقد، ٦٩/٤.
(٢) الحاكم يأمر الله منصور بن العزيز نزار تولى الخلافة سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م وتوفي قتيلاً سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م، ابن خلدون، تاريخ، ٤/٥٦ - ٦١.

(٣) الفاسي، نفسه، ٧٧-٧٨، ابن فهد، إتحاف، ٢/٤٢٦-٤٢٧، الجزيري، الدرر، ١/٥٣٢.
(٤) الفاسي، نفسه، ٧٨/٤، ويرى أحمد الزيلعي أن أبا الفتوح كان يرغب في الاستيلاء على المدينة وضمها إلى مكة وبقية الحجاز تحت رعايته، وقد وجد في أمر الحاكم فرصة لتحقيق هدفه غير أنه لم يستطع الاستجابة لمطلبه للمعارضة التي واجهها في المدينة من أهلها، كما وجد في هبوب الرياح علراً لحفظ ماء وجهه أمام الحاكم، أحمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، (ط١)، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص ٤٩.

(٥) نفسه، ١/٥٣٢.

(٦) هو تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر ولي إمرة مكة سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م، وتوفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م، وبه انقرضت دولة السليمانيين بمكة وجاءت دولة الهواشم، الفاسي، نفسه، ١٤/٥ - ١٥، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، مآثر الأئمة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ج ١ (ط٢)، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٠ م) ص ٣٢٨.

(٧) ابن حزم، نفسه، ص ٤٧، ابن الأثير، الكامل، ٩/٤٦٦، الفاسي، نفسه، ٥/١٤.

قبيلة بني هلال بن عامر^(١) مما كان له أثر في دعم موقفه تجاه أمراء المدينة من بني مهنا، وتمكن في نهاية الأمر من الاستيلاء عليها فجمع بذلك بين الحرمين حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م^(٢). ويبدو أن المدينة خرجت عن سلطة شكر

(١) هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من مضرب، كانوا يقطنون الحجاز ولجأوا وأقاموا بالشام وانتقل بعضهم إلى مصر والمغرب، ابن حزم، جمهرة، ص ٢٧٣-٢٧٥، التويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢ (د. ط، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) ص ٣٥٢-٣٥٣، القلقشندي، صبح، ٣٤١/١، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط ٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ١١٧، القلقشندي، نهاية، ص ٤٣٧، وذكر سليمان مالكي أنه وقع خلاف في سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م بين بني هلال وبني عامر - والمقصود بني هلال بن عامر - وبين بني مهنا أشراف المدينة، وقد حرصت تلك القبيلة الشريف شكر للاستيلاء على المدينة، انظر د. سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص ٦٠ وبالعودة لمصادر الباحث في الجزيرة، الدرر الفرائد، ٥٤٦/١، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، ج ١ (ط ٤)، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٢٠٠-٢٠١ لم أجد فيها ما يدل على تلك العلاقة بين القبيلة وشكر وربما يكون ذلك استنتاجاً من الباحث نتيجة ما ذكره بنو هلال من زواج الجازية أخت الحسن بن سرحان من أمراء الأتبع من بني هلال من شكر بن أبي الفتوح ويحتمل أنه استعان بهم في حروبه كما ذكر ذلك أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٦١ ولتفصيلات أكثر، انظر إلى ابن خلدون، تاريخ، ١٠٢/٤، الفاسي، العقد، ١٤/٥، د. محمد عبد المنعم خفاجي، الخفاجيون في التاريخ، (د. ط، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص ١٦-١٧ وعلى كل حال فلا بد من وجود دليل من المصادر التاريخية يسند الرأيين السابقين.

(٢) ابن خلدون، نفسه، ١٠٢/٤، الفاسي، العقد، ١٥/١٤، شفاء، ١٩٥/٢، ابن الأثير، الكامل، ١٩/١٠، ولشكر شعر حسن منه:

قوض خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالمندل الرطب في أوطانه حطب

انظر: ابن العماد الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل ج ٣ (د. ط، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤) ص ١٩-٢٠، ابن الأثير، الكامل، ١٠/٢١٩، الفاسي، العقد، ١٦/٥، أبو الفدا، المختصر، ٢/ ١٨١.

أثناء حكمه أو بعد وفاته، فعندما تولى إمارة مكة محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م^(١) سعى للاستيلاء على المدينة وضمها لسلطته وهذا يدل على خروجها عن سلطة أمراء مكة قبل ذلك التاريخ.

حدثت تطورات سياسية في مجال العلاقة بين العباسيين والسلاجقة من جهة والفاطميين من جهة أخرى كان لها أثر في دعم موقف أمير مكة، فقد عرض السلطان السلجوقي ألب أرسلان^(٢) على أمير المدينة مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود الحسيني^(٣) عشرين ألف دينار وخمسة آلاف دينار كل سنة مقابل إقامة الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله^(٤) وللسلطان بالمدينة، وإسقاط الخطبة للفاطميين بمصر غير أنه رفض مما دفع السلطان السلجوقي - الذي كان قد أغدق على أمير مكة محمد بن جعفر بإعطائه ثلاثين ألف دينار وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار^(٥) - لتحريضه على مهاجمة المدينة وضمها إليه، فهاجمها بمساعدة العباسيين والسلاجقة واحتلها حوالى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م وضمها

(١) محمد بن جعفر بن محمد المكنى بأبي هاشم ويصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ولي إمرة مكة من قبل علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م، وأعاد الخطبة لبني العباس في بغداد بعد قطعها من الحجاز من نحو مئة سنة، الفاسي، العقد، ١ / ٤٣٩ - ٤٤٠، وانظر، ابن عنبه، عمدة، ص ١٣٧.

(٢) هو السلطان عضد الدولة ألب أرسلان بن أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تولى السلطنة بعد وفاة والده ببلغ سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وتوفي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، الأصفهاني، الفتح ابن علي بن محمد البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق (ط٢)، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م) ص ٣٠ - ٤٧.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ١٠٨ / ٤، ابن عنبه، نفسه، ص ٣٣٧، ويعتقد أن أمراء المدينة من بني مهنا ينسبون إليه.

(٤) القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن أحمد تولى الخلافة بين سنة ٤٢٢ - ٤٦٧هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥م) ابن الأثير، الكامل، ٩ / ٤١٧، ١٠ / ٩٤، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١ / ٣٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ١٠ / ٦١، ابن خلدون، تاريخ، ٤ / ١٠٣.

إلى مكة وجمع بين الحرمين وخطب فيها للخليفة القائم العباسي فأطلق عليه منذ ذلك التاريخ أمير الحرمين^(١). ويتضح من طبيعة العلاقة بين المدينة ومكة خلال العصر الفاطمي أن رمام المبادرة كان بيد أمراء مكة وساعدت الظروف والتطورات السياسية سواء في بغداد أم القاهرة على تعزيز نفوذ أمراء مكة في مواجهة أمراء المدينة، واستمرت العلاقة بين الطرفين في صورتها العدائية خلال العصر الأيوبي، غير أن ميزان القوى قد مال لصالح أمراء المدينة في بداية تلك الفترة نتيجة دعم الخلافة العباسية والسلطنة الأيوبية لهم، وتوضح الحادثة التي وقعت بين أمير الركب العراقي طاشتكين المستنجمي المرسل من قبل الخلافة العباسية والأمير مكث بن عيسى^(٢) أمير مكة سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م هذا التحول، فبعد محاولة أمير الركب العراقي إعادة الأمن إلى مكة، التجأ أميرها إلى حصن بناه أبوه فوق جبل أبي قبيس مما حدا بأمر الركب العراقي لتعيين قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة أميراً على مكة، غير أنه عجز عن إدارتها مما اضطره أن يطلب بعد ثلاثة أيام من توليه منصبه إعفائه من تلك المهمة، فقام أمير الركب بتعيين داود بن عيسى أخيه أمير مكة السابق مكانه بعد أن اشترط عليه إسقاط المكوس^(٣).

(١) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٢٤ (مخطوطة مصورة برقم ٢/٢٧٩٧ أحمد الثالث طويقابوسزاي إستانبول أصدرها فؤاد سزكين معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، فرانكفورت ألمانيا ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ص ١٧، ابن خلدون، تاريخ، ١٠٣/٤، القلقشندي، صبح، ٢٧٠/٤.

(٢) مكث بن عيسى بن فليسة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسيني المكي تداول إمرة مكة مع أخيه داود مدة ثلاثين سنة وانقضت بولايته إمارة الهواشم في مكة، الفاسي، العقد، ٢٧٤/٧.

(٣) ابن الجوزي للمتظم، ٢٢٢/١٨، ٢٢٤ الفاسي، العقد، ٣٥٥/٤، ابن فهد، إتحاف، ٥٣٧-٥٣٨، الطبري محمد بن علي بن فضل، إتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن (مخطوط مصور رقم ٣١٤٣، معهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة) ورقة ١٨.

في أواخر القرن السادس الهجري حدث تطور كبير في مكة حين استولى أحد أشراف ينبع وهو الشريف قتادة^(١) عليها، غير أن الأمر لم يستتب له تماماً إلا بعد وفاة مكث بن عيسى سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م^(٢).

وبعد أن استقرت له الأوضاع بادر بمهاجمة المدينة سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م^(٣) فخرج له أميرها سالم بن قاسم الحسيني وتصدى له، غير أن الشريف مكة تمكن من هزيمته ومحاصرة المدينة لعدة أيام إلا أن ميزان القوى مال لصالح أمير المدينة بعد أن تمكن من استمالة بعض قادة جيش قتادة كما تلقى مدداً من قبيلة بني لام^(٤)، فاضطر قتادة للتراجع نحو مكة فتعقبه سالم وحاصره فيها إلا أن قتادة تمكن من تغيير المواجهة لصالحه مما أدى لعودة الشريف سالم للمدينة^(٥).

يتضح أن المواجهة السابقة بين أمير المدينة ومكة لم تحسم لصالح أي من الطرفين، كما اتسمت عشر السنوات التالية بالهدوء والاستقرار النسبي في العلاقة بين الطرفين رغم ما شاب فترتها الأخيرة من توتر، فقد أوضحت أحداث حج سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م مدى توتر العلاقات بين الطرفين، فحينما رافق أمير المدينة الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي أمير دمشق^(٦) إلى مكة

(١) قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني صاحب مكة وينبع، ولي إمرة مكة عشرين سنة ابتداء من ٥٩٧هـ أو ٥٩٨هـ أو ٥٩٩هـ، الذهبي، العبر، ٣/ ١٧٤، الفاسي، نفسه، ٧/ ٣٩ - ٤٠.

(٢) الفاسي، نفسه، ٧/ ٤٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٠٥، أبو الفداء، المختصر، ٣/ ١٠٦، Urainan, Mohammed, Abdel - Qadir al-Taberi- Nasha'at al-Sulafah bi Munsheat al-Kwlaifah (un Published Thesis, Submitted for the degree of Doctor of Philosophy, University of St. andrews, Department of Arabic Studies, England 1972). P.492.

(٤) الفاسي، العقد، ٧/ ٤١، شفاء، ٢/ ١٩٩.

(٥) ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٤، ابن فهد، خاية، ١/ ٥٥٣.

(٦) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ولد سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وتوفي سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م، ابن خلكان، وفيات، ٣/ ٤٩٤ - ٤٩٥.

في ذلك العام عومل سالم بن قاسم معاملة سيئة من قبل قتادة، كما حاول أمير مكة القبض عليه فلم يفلح لوجوده مع المعظم عيسى الذي صحبه معه إلى دمشق^(١). وفي السنة التالية ٦١٢هـ / ١٢١٥م انتهز قتادة فرصة وجود سالم في دمشق فهاجم المدينة غير أن أهلها دافعوا عنها مما اضطره لفك الحصار والعودة لمكة^(٢)، وحينما علم سالم بأمر الهجوم بادر بطلب الدعم من الملك المعظم عيسى الذي أمده بقوة رحفت على مكة ودخلتها مما اضطر قتادة للانسحاب إلى البادية^(٣). غير أن بعض المصادر تذكر أن سالماً توفي وهو في طريقه من الشام إلى الحجاز على رأس قوة من التركمان فتولى الإمارة وقيادة الجيش ابن أخيه قاسم بن جمار^(٤)، الذي هزم جيش قتادة بوادي الصفراء^(٥) قرب ينبع في شهر ذي القعدة سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م^(٦). وفي

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة، ٨ / ٥٧٠، ابن كثير، البداية، ٦٧ / ١٣، ابن تغري بردي، النجوم، ٢١١ / ٦.

(٢) أبو شامة، الذيل، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) الفاسي، العقد، ٤٢ / ٧، ابن فهد، إتحاف، ٢٠ / ٣.

(٤) قاسم بن جمار بن قاسم بن مهنا أمير المدينة تولى الإمارة بعد وفاة عمه سالم، أبو شامة الذيل على الروضتين ص ٩٠، الفاسي، نفسه، ٤٣ / ٧، أما السخاوي فيذكر أنه تولى الإمارة بعد أبيه جمار، الصفحة ٣ / ٣٩٩، ولاحظ الاختلاف في الروايتين والأرجح ما ذكره كل من أبي شامة والفاسي لكونهما الأقدم.

(٥) واد بمنطقة المدينة ذو قرى كثيرة اشتهرت بالزراعة. عرام بن الأصبح السلمي، أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق عبد السلام هارون، نواذر المخطوطات، المجموعة الثامنة، ج ٢ (ط١)، دار الجليل، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص ٤٢٨، ياقوت، معجم البلدان، ٤١٢ / ٣، الفيروزآبادي (ط١) ص ٢١٩ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق ١ (ط١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٦٩٨.

(٦) أبو شامة، الذيل، ص ٩٠، الفاسي، العقد، ٤٣ / ٧، ابن فهد، إتحاف، ٢١ / ٣.

تلك الفترة من تاريخ العلاقات بين المدينة ومكة نجد أن صراعاً قد حدث بين جناحي البيت الأيوبي في كل من الشام ومصر بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وانعكس هذا الصراع على نفوذ الأيوبيين في الحجاز فدعم بعض أمرائهم في الشام أمير المدينة فيما دعم جناح البيت الأيوبي بمصر الشريف قتادة أمير مكة^(١).

بعد هزيمة قتادة انسحب إلى مكة، وحاول أمير المدينة في العام التالي الاستيلاء على جدة باعتبارها بوابة مكة غير أنه فشل في مهمته بعد أن لحقت به الهزيمة في الحميمة^(٢) في ذي الحجة سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م^(٣)، وفي الأعوام التالية بين ٦١٥ - ٦١٧هـ - ١٢١٨ - ١٢٢٠م^(٤) أصبح رمام المبادرة بيد الشريف قتادة الذي حاول الاستيلاء على المدينة غير أنه فشل في تلك المحاولات، ثم اغتيل على يد ابنه الحسن سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م^(٥) فخلفه في منصب الإمارة،

(١) نرى ذلك واضحاً حينما جهز صاحب دمشق الملك المعظم عيسى بن العادل جيشاً مع الناهض ابن الجرخي لسنجدة أمير المدينة ضد الشريف مكة سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م، سبط ابن الجوزي، مرآة، ٨ / ٥٧٠، أبو شامة، نفسه، ص ٩٠، فيما دعم الكامل الأيوبي قتادة سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م بتسلم نواب الكامل قلعة ينبع من قتادة حماية لها من قاسم بن جمار أمير المدينة، الفاسي، نفسه، ٧ / ٤٤ - ٤٥.

(٢) الحميمة، قرية ببطن مر من نواحي مكة فيها عين ونخل، ياقوت، معجم، ٣٠٧ / ٢.

(٣) الفاسي، نفسه، ٧ / ٤٥، المقرئ، السلوك، ١ / ١٨٥.

(٤) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب، تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوفجرين ج ١ (د. ط، مطبعة بريل، لندن ١٩٥١م) ص ١٦.

(٥) المنذري، ركي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ج ٣ (ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص ١٧، أبو شامة، نفسه، ص ١٢٣، ابن كثير، البداية، ٩٢ / ١٣، الفاسي، نفسه، ٧ / ٥٩، ابن فهد، نفسه، ٣ / ٢٧، وذكر ابن الأثير، الكامل، ١٢ / ٤٠١ أن وفاته كانت في سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م.

غير أن مكة دخلت مرحلة جديدة من تاريخها تمثلت في الصراع السياسي بين أبناء قتادة، كما كانت مكة أيضاً مجالاً للتنافس السياسي بين الأيوبيين والرسوليين، ودخل أمراء المدينة طرفاً في ذلك التنافس بانضمامهم إلى الأيوبيين، ففي سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م تدخل أمراء المدينة في الصراع السياسي لصالح الأيوبيين ضد أحد أبناء قتادة المدعوم من الرسوليين حكام اليمن، وهو راجح الذي قاد حملة للاستيلاء على مكة فاستنجد الوالي الأيوبي طغتكين^(١) بالملك الكامل صاحب مصر الذي بادر بإرسال حملة من مصر مدعومة بقوات من الشريف أبي سعد الحسن بن قتادة صاحب ينبع والشريف شيحة بن هاشم ابن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة، فتمكنوا من إعادة السيطرة على مكة^(٢). ويظهر أن التنسيق والدعم الذي تلقاه أمراء المدينة من بني أيوب قد شجعهم على مهاجمة مكة في الأعوام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م^(٣)، ٦٣٨هـ / ١٢٤٠^(٤)، ٦٣٩هـ / ١٢٤١هـ^(٥)، فقد أرسل الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل الشريف شيحة بن هاشم أمير المدينة إلى مكة على رأس جيش سنة ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م فاشتبك مع عسكر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول

(١) شجاع الدين أبو بكر بن عمر بن محمد الطغتكيني الملكي الكامل أمير مكة من قبل الأيوبيين بين سنة ٦٢٦هـ و ٦٢٩هـ / ١٢٢٨ - ١٢٣٢م) الفاسي، العقد، ٥ / ٦٤ - ٦٦، ابن فهد، إتحاف، ٤٨/٣، ابن فهد، خاتمة، ٦١٢/١ - ٦١٤.

(٢) الفاسي، نفسه، ٢ / ٢٨٤، ابن فهد، إتحاف، ٣ / ٤٩ - ٥٠.

(٣) الفاسي، نفسه، ٥ / ٢٣، ٦ / ٣٤٦، ابن فهد، إتحاف، ٣ / ٥٦، الخزرجي، العقود، ١ / ٦٦.

(٤) ابن فهد، إتحاف، ٣ / ٥٦ - ٥٧، الخزرجي، نفسه، ١ / ١٧.

(٥) ابن فهد، إتحاف، ٣ / ٥٧ - ٥٨، الخزرجي، نفسه، ١ / ٧٠، ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم الياامي الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث (د. ط)، د. ن، كمبردج ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) ص ٢٢٠ - ٢٢١.

صاحب اليمن، فخرج عسكر المنصور واستولى شيحة على مكة غير أن ملك اليمن ما لبث أن أرسل جنده إلى مكة وعليهم الشريف راجح بن قتادة فأخرجوا العسكر الأيوبي منها^(١).

في أعقاب حوادث سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م تتوقف المصادر عن ذكر طبيعة العلاقات بين الطرفين، فقد شغل كلاهما بنزاعاتهم الداخلية كما اصطدم أشراف مكة مع الرسولين حكام اليمن الذين كانوا يحاولون مد نفوذهم إليها مستغلين ضعف الدولة الأيوبية ثم انهيارها سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .

٢- العلاقة مع مكة في العصر المملوكي:

مع قيام دولة المماليك في مصر والشام سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م شغل قادتها في بداية حكمهم بالصراعات على السلطة، وبتوطيد سلطانهم في مصر والشام، على أنه في ظل الصراع بين أشراف مكة على السلطة جرت محاولة من جانب الرسولين للقضاء على تلك الاضطرابات ضمناً لنفوذهم فيها، فأرسل السلطان الرسولي الملك المظفر يوسف^(٢) جيشاً إليها سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م وكان يحكمها أميران هما: أبو نجي وعمر إدريس بن علي^(٣)، اللذان

(١) محمد صالح الطاسان، تحقيق ودراسة لكتاب الأراج المسكي في التاريخ المكي لمؤلفه علي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م) - (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أدنبرة، بريطانيا ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) ص ١٢٧-١٢٨، ٤٣١.

(٢) ولي المظفر يوسف بلاد اليمن من ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م حتى وفاته ٦٩٤هـ / ١٢٩٧، الفاسي، العقد، ١٥٣/٦، الخزرجي، العقود، ٨٨/١-٢٣٢.

(٣) إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني أمير مكة ولي إمرتها شريكاً لابن أخيه أبي نجي سبع عشرة سنة، وانفرد بالإمارة وقتاً يسيراً، وقد ورد نسبه بهذا اللفظ في المقرئ، السلوك، ٣٩٦/١، وسقط اسم والده من الفاسي، نفسه، ٢٧٨/٣، ابن فهد، غاية، ١/ ٦٤٠.

انتزعا السلطة من غاثم بن راجح بن قتادة^(١)، ولعجز الأميرين عن صد الجيش الزاحف فقد طلبا المساعدة من أمير المدينة الشريف جمار بن شيحة^(٢)، الذي قاد جيشاً لدعم أشراف مكة غير أنه لحقت به الهزيمة على يد ابن برطاس^(٣) قائد الجيش الرسولي أواخر سنة ٦٥٢/١٢٥٤م، وفي أوائل ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م تمكن الأميران من استعادة سلطتهم وطرد الجيش الرسولي^(٤).

مهما يكن من أمر فإنه يبدو أن العلاقات بين أمراء المدينة ومكة خلال تلك الفترة كانت سلمية، حتى إن كلا الطرفين كان يدعم كل منهما سلطة الآخر ضد منائويه وقد ظهر ذلك واضحاً في المساندة السابقة التي قدمها أمير المدينة لأمراء مكة^(٥). وقد رد أبو نمي هذا الجميل لأمير المدينة جمار حين تدخل في الخلافات الداخلية بين أفراد البيت الحاكم من بني مهنا بدعم جمار ضد ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة الذي انتزع الإمارة من عمه سنة ٦٦٦هـ/

(١) غاثم بن راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني تسلم مكة من أبيه بغير قتال وأخرجها منها واستأثر بالسلطة، التيجيبي، القاسم بن يوسف السبتي، مستفاد الرحلة والاعترا ب (د. ط، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٥م) ص ٣٠٥-٣٠٦، القاسمي، نفسه، ٣٧٨/٤، ٧/٤-٥، المقرزي نفسه، ٣٩٦/١، ابن فهد، نفسه، ٦٣٩/١-٦٤٠.

(٢) تولى جمار بن شيحة السلطة مشاركة مع أخيه أبي الحسين منيف بن شيحة ثم انفرد بالإمارة بين (٦٤٩-٦٥٩هـ / ١٢٥١-١٢٦٠م)، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ أ، الفيروزآبادي، للمفانم، (خ)، ورقة ٢٤٣ ل ب.

(٣) علي بن الحسين بن برطاس الأمير مبارز الدين أمير مكة وليها للملك المظفر صاحب اليمن ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، ابن حاتم، السمط، ص ٣١٦-٣٢١، ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي (د. ط، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) ص ٩٢، القاسمي، العقد، ٦/ ١٥٢-١٥٣.

(٤) ابن حاتم، نفسه، ص ٣١٨-٣٢١، القاسمي، نفسه، ٤٨٨/٧-٤٨٩، وساندهم في ذلك جمار بن شيحة أمير المدينة، ابن فهد، إتحاف، ٧٧/٣.

(٥) ابن حاتم، نفسه، ص ٣١٧، الخزرجي، العقود، ١١٥/١.

١٢٦٧م، ورغم الدعم الذي قدمه أمير مكة لجمار إلا أنه لم يتمكن من استعادة السلطة غير أن مالكا مالبت أن سلم الإمارة طوعاً لعمه بعد انسحاب جيش مكة^(١). وابتداءً من سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م بدأت العلاقات بين الطرفين في التدهور فقد طمع أمير المدينة جمار بن شيحة في السيطرة على مكة وضمها لنفوذه؛ فاستعان لهذا الغرض بأحد الأشراف المناوئين لأبي نمي وهو غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة^(٢) فتمكنوا من الاستيلاء على مكة وطرد أبي نمي منها غير أنه مالبت أن عاد بعد أربعين يوماً واستعاد سلطته^(٣). استمرت العلاقات بين الطرفين في صورتها العدائية في السنوات التالية، ففي سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م حاول جمار بن شيحة الاستيلاء على مكة مرة أخرى متحالفاً هذه المرة مع أمير ينبع إدريس بن الحسن بن قتادة الحسيني، ودار قتال بين جمار وحليفه من جهة وأبي نمي من جهة أخرى بمر الظهران^(٤)، انهزم فيها عسكر المدينة وينبع وأسر إدريس فيما انسحب جمار إلى المدينة^(٥). وبعد تلك المعركة خيم الهدوء على

(١) الفاسي، نفسه، ٤٣٦-٤٣٧، السخاوي، النخبة، ٤٢٣/١.

(٢) غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة، شارك الأمير جمار بن شيحة في الاستيلاء على مكة ٥٧٠هـ / ١١٧١م، الفاسي، العقد، ١/٤٦، ٧/٣-٤، ابن فهد، إتحاف، ٣/١٠١، ابن فهد، غاية، ٢/٧-

٤٨، الطبري، إتحاف ص ٢٧، URAINAN Nasha'at P. 513

(٣) الفاسي، نفسه، ١/٤٦٠ - ٤٦١، ابن فهد، إتحاف، ٣/١٠١، القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد ج ٢ (ط١)، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ص ٣٤٣.

(٤) مر الظهران قرية تقع في واد قرب مكة يدعى الظهران تضاف إليه فيقال مر الظهران، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٦٣.

(٥) الفاسي، نفسه، ١/٣٦١، ٧/٤ وفيه يرى وينقل عنه ابن فهد أن الذي انضم لجمار سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م هو غانم بن إدريس بن الحسن وليس إدريس انظر: غاية، ٢/٤٨ أما ابن فهد فيشير إلى صاحب ينبع بإدريس بن الحسن، إتحاف، ٣/١٠٥.

العلاقات بين الجانبين وأحجم كل منهما عن مهاجمة الآخر، وقد أدى انشغال الظاهر بيبرس بمحاربة المغول^(١) وحلفائهم من سلاجقة الروم^(٢) إلى اضطراب الأوضاع في الحجاز وحدوث صراعات بين أشرافها^(٣). غير أن السلطنة المملوكية حاولت توطيد نفوذها في الحجاز بمحاولة ضرب الأشراف أمراء المدينة ومكة بعضهم ببعض، فقد أغضب السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحى عدم وفاء أبي نمي باليمن الذي قطعه على نفسه سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م بالولاء والطاعة والإخلاص للسلطنة المملوكية، كما أحس أن أبا نمي يطمح لتحقيق الاستقلال عن السلطنة، لهذا وافق على طلب أمير المدينة جمار بن شيحة بمحاربة أمير مكة فسير معه سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م جيشاً إليها حيث انتزعها منه فحقق بذلك أمير المدينة ما يطمح إليه من السيادة على مكة، وخطب للسلطان فيها، وضربت السكة باسمه غير أنه مالبت أن تركها بعد ما بلغه من المراسلات السرية بين قائد العسكر المملوكي وأبي نمي^(٤).

(١) المقصود بالمغول هنا التتار بزعامة أبغا بن هولاكو، المقرئ، نفسه، ٦٣٣/١.

(٢) سلاجقة الروم هم من نسل قتلмыш بن إسرائيل بن سلجوق وهم من العناصر التركية التي قدمت من بلاد ما وراء النهر، انظر: أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة (ط٢)، ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ٢١، ٨٧.

(٣) المقرئ، السلوك، ٥٨٣/١ - ٦٣٣ ريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٥٨.

(٤) ابن حجر، الدرر، ٧٥/٢، الفاسي، العقد، ٤٦٢/١، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، الدليل الشافى على المنهل الصافى، تحقيق فهم محمد شلتوت ج ١ (د. ط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٢٥٠، ابن فهد، إتحاف، ١١٨/٣ - ١١٩ السخاوي، التحفة، ٤٢٤/١، ابن فهد، غاية، ١٧/٢، وذكر الفاسي أنه خطب لجمار بمكة وضربت السكة باسمه، نفسه، ٤٦٢/١ وهذا وهم منه حيث إن ابن حجر ذكر أن الخطبة والسكة كانت باسم السلطان المملوكي، نفسه، ٧٥/١، محمد صالح الطاسان، تحقيق ودراسة كتاب الطبري الأراج المسكي، ص ١٣٠، ٤٢٣.

يتضح من تطور الأحداث بعد استيلاء جمار والعسكر المملوكي على مكة أن السلطان المملوكي كان يهدف من تلك الحملة إلى تدعيم نفوذ السلطنة المملوكية بالحجاز دون المساس بسلطة أبي نمي، فقد أشار الفاسي^(١) إلى هذه النقطة بقوله: «ويبعد جداً أن يعين أحداً على أبي نمي مع وفاء أبي نمي باليمين المذكورة، لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة، وإظهار الحرمة، سيما نواب الحجاز» أما أمير المدينة فقد حقق بعض أهدافه المتمثلة في مد نفوذه إلى مكة ولو إلى حين.

ظلت العلاقات بعد ذلك بين الطرفين هادئة ومستقرة حتى وفاة كل من أمير مكة أبي نمي سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م^(٢) وأمير المدينة جمار سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م^(٣).

وفي خلال الصراع بين أبناء أبي نمي حميضة^(٤) ورميثة^(٥) من جهة، وأبي الغيث^(٦) وعطيفة^(٧) من جهة أخرى^(٨)، وما ذكر عن سوء معاملة الحجاج والمجاورين من جانب أمراء مكة؛ أرسل السلطان المملوكي الملك الناصر

(١) الفاسي، نفسه، ٢١٢/١.

(٢) الفاسي، نفسه، ٤٧٠-٤٧١.

(٣) الفاسي، نفسه، ٤٣٧/٣، السخاوي، نفسه، ٤٢٦/١.

(٤) حميضة بن أبي نمي قام مشاركاً لأخيه رميثة في منصب الإمارة بعد أبيهما، ولي إمرتها إحدى عشرة سنة ونصف متفرقة، الفاسي، العقد، ٤/٢٣٢.

(٥) رميثة بن أبي نمي شارك أخاه حميضة في الإمارة لفترة ويكنى أبا عرادة، ويلقب أسد الدين، ولي إمرة مكة ثلاثين سنة، الفاسي، نفسه، ٤٠٣-٤٠٤.

(٦) أبو الغيث بن أبي نمي، الأمير عماد الدين أمير مكة ولي إمرتها في موسم سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م شريكاً لأخيه عطيفة توفي سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م، الفاسي، نفسه، ٧٩/٨-٨٠، ابن فهد، إتحاف، ١٥١-١٥٣، ابن فهد، غايّة، ١١١/٢-١١٣.

(٧) عطيفة بن أبي نمي، يلقب سيف الدين أمير مكة ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها الآخر ابتداء من سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م، الفاسي، نفسه، ٩٥-٩٦.

(٨) الفاسي، نفسه، ٢٣٢-٢٣٣، ابن فهد، إتحاف، ١٣٨/٣-١٤٣.

محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣ جيشاً لعزل حميضة ورميثة وإحلال أخيهما أبي الغيث مكانهما، واستعان خلال حملته بخمسمئة فارس أرسلهم أمير المدينة منصور بن جمار بن شيحة^(١)، واستطاع الجيش المملوكي الاستيلاء على مكة بعد خروج أميرها إلى حلي بن يعقوب^(٢) ثم عاد حميضة إلى مكة سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م فيما هرب أبو الغيث إلى أخواله من هذيل بوادي نخلة^(٣).

في خضم الصراع بين أشراف مكة أبناء أبي نمي على السلطة وقف السلطان المملوكي إلى جانب أبي الغيث الذي توجه بطلب المساعدة من أمير المدينة منصور بن جمار ضد أخيه حميضة فجهز له عسكرياً من قبيلتي بني عقبة^(٤)

(١) الخزرجي، العقود، ٤٠٧/١، الفاسي، نفسه، ٤٠٦/٤، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٥٠-١٥١.

(٢) حلي بن يعقوب مدينة ساحلية تقع في نهامة وهي عاصمة وادي حلي تقع حالياً إلى الشمال الشرقي من مدينة مخشوش وإلى الجنوب من منطقة الصلب، وهي تتوسط قرى وادي حلي، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص ٨٥، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٩٧، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه ريفود وماك كوكين ديسلان (د. ط، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م) ص ٩٣. أحمد عمر الزيلعي، المواقع الإسلامية المتدثرة في وادي حلي، حويلات كلية الآداب الحولية السابعة، الرسالة التاسعة والثلاثون (جامعة الكويت، الكويت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ١٩-٢٣، أحمد عمر الزيلعي بنو حرام حكام حلي، وعلاقاتهم الخارجية، مجلة كلية الآداب المجلد الخامس عشر العدد الأول (جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ١٠١-١٠٢.

(٣) الفاسي، العقد، ٢٣٢/٤، ٢٣٥، ٨/ ٨٠، وهذيل قبيلة عدنانية بلادها حول مكة والطائف، حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ج ٢ (ط١، النادي الأدبي، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٨٧٨-٨٧٩. ووادي نخلة أحد أودية هذيل على ليلتين من مكة، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢٧٧.

(٤) بنوعقبه قبيلة من جذام كانت تسكن شمال الحجاز من الأزل إلى الكرك، الجزيرة، الدرر، ٢٣٠/ ٢، ٣١٨-٣٢٠، حمد الجاسر، نفسه، ٥٤١/٢، عاتق البلادي، معجم قبائل الحجاز، ج ٢ (د. ط، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٣١٨.

وبني مهدي^(١) وذلك في سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م^(٢).

ابتداء من سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م دخلت العلاقات بين المدينة ومكة طوراً جديداً طابعها العام سلمي، فقد ورد أن ثقبه وعجلان ابني رميثة بن أبي نمي أمير مكة رارا المدينة وهما في طريقهما إلى مصر سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م تلبية لدعوة السلطان المملوكي الملك الناصر حسن وكان أمير المدينة في تلك الفترة يدعى سعد بن ثابت بن جمار^(٣).

ومنذ تلك الفترة حتى أواخر القرن الثامن الهجري لم تشر المصادر إلى علاقات بين الطرفين، فقد شغل كلاهما بالتزاعات الداخلية على السلطة، غير أنه في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م تشير بعض المصادر إلى مجيء علي بن عجلان ابن رميثة^(٤) أمير مكة لزيارة المدينة^(٥).

في أوائل القرن التاسع الهجري حدث تطور مهم له أبعاده في طبيعة العلاقة بين المدينة ومكة؛ ففي شهر ربيع الأول سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م عمد السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق، إلى توسيع سلطة الشريف حسن بن عجلان^(٦)

(١) بنو مهدي بطن من عروة من مالك من جهيثة كانت تسكن العيص في شمال الحجاز، البلادي نفسه، ٣/ ٣٨٥.

(٢) ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٥٢-١٥٣، ريتشارد مورتل، الأحوال، ص ٧٤.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل أ، الفاسي، نفسه، ٦/ ٦٢-٦٣ ابن فهد، نفسه، ٣/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) علي بن عجلان بن رميثة ولي أمر مكة منفرداً دون شريك ثمانين سنين من سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م بعد عزل عنان بن مغامس، الفاسي، العقد، ٦/ ٢٠٦.

(٥) الفاسي، نفسه، ٦/ ٢٠٩-٢١٠.

(٦) تولى حسن بن عجلان بن رميثة إمارة مكة ونيابة السلطنة لفترات متفرقة ابتداء من (٧٩٧-٨٢٩هـ / ١٣٩٤-١٤٢٦م) وكانت مدة إمارته اثنتين وثلاثين سنة تقريباً، الفاسي، نفسه، ٤/ ٨٦-٨٧ ابن حجر، إنباء، ٨/ ١١٢، وذكر السخاوي أن ولايته بدأت سنة ٧٩٨ الضوء، ٣/ ١٠٤.

أمير مكة فضم إلى حكمه المدينة وخليص^(١) والصفراء وأعمالها، فيما ظل ابنه بركات وأحمد يليان إمارة مكة بصفتها نائين عن أبيهما بها^(٢). ويتضح من ذلك أن السلطان المملوكي أراد حصر السلطة في الحجاز في يد أمير واحد من الأشراف يسهل التعامل معه ويوطد في ذات الوقت نفوذ السلطة المملوكية في الحجاز^(٣)، كما أضاف هذا القرار نفوذاً وهيباً لسلطة شريف مكة أصبح من خلالها يمارس سلطةً وتأثيراً على بقية الحجاز، وقد أتاحت له فرصة ممارسة نفوذه في المدينة حين أصدر السلطان المملوكي فرج بن برقوق أمراً بعزل جمار ابن هبة أوائل ٨١١هـ/ ١٤٠٨م وتولية ثابت بن نعيم^(٤)، غير أن ثابتاً توفي قبل أن يصله التقليد السلطاني مما أتاح الفرصة للحسن بن عجلان أمير مكة لفرض نفوذه السياسي على المدينة فاستدعى عجلان بن نعيم^(٥) أخا ثابت وفوض إليه

(١) خليص، حصن بين مكة والمدينة، ياقوت، معجم البلدان، ٣٨٧/٢.

(٢) الفاسي، نفسه، ١٠٥/٤، المقرئزي، السلوك، ٧٦/٤، ابن تغري بردي، النجوم، ١٣٥/١٥ ومن الجدير بالذكر أن ينبع لم تذكر ضمن المناطق الداخلة تحت سلطته، أما الطائف فيعتقد أنها داخلة تحت سلطة أمير مكة أساساً.

(3) Mortel Richard T. *The Husaynid Amirate*, P. 113.

(٤) حدث نزاع بين أشراف المدينة أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين، فقد تولى مثلاً جمار ابن هبة الإمارة في المدينة عدة مرات في خضم صراعه مع أبناء عمومته ومن بينهم نعيم بن منصور ومحمد بن عطية بن منصور بن جمار وثابت بن نعيم، مما جعل السلطنة المملوكية تسند أمر المدينة للشريف حسن بن عجلان، ابن حجر، إنباء، ٧٣/٢، ابن تغري بردي، النجوم، ١٣/١٧٣، الفاسي، المعقد، ١٠٥/٤، المقرئزي، السلوك، ٧٥/٤، السخاوي، التحفة، ٤٢٧/١ - ٤٢٨، أما ثابت بن نعيم بن منصور بن جمار فقد تولى إمرة المدينة للمرة الأولى ٧٨٩ هـ/ ١٣٨٧م انظر: ابن تغري بردي، نفسه، ١٧٣/١٣، السخاوي، الضوء، ٥٠/٣.

(٥) عجلان بن نعيم بن منصور بن جمار ولي إمرة المدينة غير مرة ومات مقتولاً سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م ابن تغري بردي، نفسه، ١٥٣/١٥، السخاوي، الضوء، ١٤٥/٥، السخاوي، التحفة، ١٧٦/٣ - ١٧٧.

إمرة المدينة، وكان جمار بن هبة الأمير السابق في المدينة حين صدر القرار فثار وقام بالاستيلاء على محتويات خزانة المسجد النبوي^(١).

لقد أثبت الحسن بن عجلان قدرته على مواجهة هذا الموقف بإرسال قوتين عسكريتين إلى المدينة إحداهما بقيادة ابنه أحمد والأخرى بقيادة الأمير الجديد عجلان بن نعيم، الذي سلك طريقاً إلى الشرق من المدينة حتى يقوم بحركة التفاف دون أن يشعر به جمار، وحينما وصل الجيشان إلى المدينة في جمادى الأولى ٨١١هـ / ١٤٠٨م وجدا أن جماراً قد خرج منها هارباً فاستقر عجلان ابن نعيم في منصب الإمارة وخطب فيها للسلطان المملوكي فرج بن برقوق ثم لنائب السلطنة حسن بن عجلان ولأمير المدينة عجلان بن نعيم^(٢). أكسب هذا التصرف الذي قام به نائب السلطنة احترام السلطان المملوكي له، فالسلطنة المملوكية يهملها في المقام الأول استقرار الأوضاع في الحجاز والولاء والطاعة للسلطنة، وقد لقي تعيين عجلان بن نعيم موافقة السلطان المملوكي الذي أصدر تقليداً بإمرة المدينة له واشترط أن يلقي تعيينه موافقة نائب السلطنة^(٣)، وهذا الشرط يدل على مدى الثقة التي أولاها السلطان المملوكي لشريف مكة. ورغم ما ساد مكة من اضطراب نتيجة عزل السلطنة المملوكية للشريف حسن عن نيابة السلطنة أكثر من مرة أعوام ٨١٢هـ / ١٤٠٩م ثم عودته ثم عزله ٨١٨هـ / ١٤١٥م وعودته ٨١٩هـ / ١٤١٦م فقد ظلت العلاقات بين المدينة ومكة ودية وارتبط أمير المدينة عجلان بن نعيم بعلاقة تحالف مع أمير مكة^(٤). وقد أكسب

(١) الفاسي، نفسه، ١٠٦/٤، المقرئ، نفسه، ٧٦/٤، ابن فهد، إتحاف، ٤٦٣/٣ - ٤٦٥.

(٢) الفاسي، نفسه، ١٠٦/٤، المقرئ، نفسه، ٧٦/٤، ابن فهد، نفسه، ٤٦٣/٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ١٧٢/٣، السخاوي، التحفة، ٣٩٦/١، السخاوي، الضوء، ٥٠/٣.

(٤) الفاسي، العقد، ١٠٧/٤ - ١٠٨، ١٢٢، الفاسي، شفاء، ٢٥٣/٢، المقرئ، السلوك، ٣٤١/٤ - ٣٤٢.

٣٤٢، ابن فهد، إتحاف، ٤٧١/٣، السخاوي، التحفة، ١٧٦/٣ - ١٧٧.

هذا التحالف الشريف عجلان بن نعيم مكانة لدى أشرف مكة حيث استطاع حل الخلاف بين أمير مكة حسن بن عجلان وابن أخيه رميثة بن محمد^(١) الذي كان قد هرب للمدينة وطلب من أميرها التوسط لدى عمه حتى يعفو عنه، وقد نجحت وساطته في عودته لمكة^(٢). ويبدو أن العلاقات قد ظلت طيبة بين المدينة ومكة حتى عزل الشريف عجلان بن نعيم عن إمارة المدينة ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م^(٣)، و وفاة الشريف حسن بن عجلان في نفس العام^(٤).

وفي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م في عهد إمارة إسميان بن مانع^(٥) على المدينة كانت العلاقات بين الطرفين ودية حيث قام الشريف بركات^(٦) بزيارة للمدينة لزيارة المسجد النبوي والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم^(٧). غير أن هذه العلاقات تدهورت أواخر القرن التاسع الهجري حين تدخل الشريف مكة محمد بن بركات^(٨) في شؤون المدينة سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م فقام بأمر من

(١) رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نعيم الحسني المكي ولي إمرة مكة مدة فلم يحمّد سيرته فعزل، قتل سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م، السخاوي، الضوء، ٣ / ٢٣٠.

(٢) الفاسي، نفسه، ٤ / ١٤٥، ابن حجر، إنباء، ٨ / ١١٢-١١٣، ابن فهد، نفسه، ٣ / ٤٧١.

(٣) الفاسي، العقد، ٤ / ١٥٢، المقرئ، السلوك، ٤ / ٧٠٦.

(٤) في يوم الخميس ١١ شوال ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م سافر الشريف بركات من القاهرة إلى مكة أميراً عليها مكان والده الشريف حسن بن عجلان، ابن تغري بردي، النجوم، ١٤ / ٣٠٤.

(٥) وهو إسميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جمار تولى بين (٨٣٩-٨٤٢هـ / ١٤٣٥-١٤٣٨م) السخاوي، التحفة، ١ / ٣٣٨.

(٦) بركات بن حسن بن عجلان، ولي إمرة مكة سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م وتوفي سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م، ابن فهد، النجم عمر بن محمد، معجم الشيوخ، تحقيق حمد الجاسر (د. ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ص ٣٥٢-٣٥٣، السخاوي، الضوء، ٣ / ١٣-١٤، ابن فهد، غاية، ٢ / ٣٩٢، ٤٥١.

(٧) ابن فهد، إتحاف، ٤ / ١٢٦-١٢٧.

(٨) محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، ولي إمرة مكة سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٤م وتوفي سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م، ابن فهد، غاية، ٢ / ٥٠٨، ٥٩٦.

السلطان المملوكي قايتباي^(١) بعزل ضيغم بن خشرم عن الإمارة وعين بدلاً منه قسيطل بن زهير بن سليمان بن هبة^(٢).

وقد ازداد نفوذ أمير مكة قوة بعد أن منحه السلطان المملوكي قايتباي ٨٨٧هـ/١٤٨٢م سلطات في حكم الحجار كلها فأصبح من حقه تولية جميع المناصب في الحجار^(٣).

وقد مارس الشريف محمد بن بركات هذا التفويض في ذلك العام بعزل قسيطل وإنابة زيري في إمرة المدينة: «بعد عقود مجالس ومشاورة أهل المدينة في ولايته أو ولاية قسيطل ثم وقع الاختيار على زيري»^(٤). وقد منح الشريف محمد بن بركات عدة ألقاب لم يمنحها أحد من أشراف مكة منذ سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م فهو سلطان مكة وسلطان الحجار ثم لقب نائب السلطنة بالأقطار الحجازية^(٥)، وقد دعي له على منبر المدينة^(٦).

وفي أواخر العصر المملوكي صدر تفويض من جانب السلطان المملوكي محمد بن قايتباي^(٧) للشريف بركات بن محمد بن بركات بولاية مكة وأعمالها

(١) الأشرف سيف الدين قايتباي الجركسي الظاهري تولى السلطنة بين (٨٧٢ - ٩٠١هـ / ١٤٦٨ -

١٤٩٦م) السخاوي، الضوء، ٢٠١/٦ - ٢٠٢، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٦.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢/٤، السخاوي، التحفة، ٢٥٢/٢ - ٢٥٣، ابن فهد، إتحاف، ٤/ ٦٣٥ - ٦٣٦ ابن فهد، غاية، ٢/ ٥٣٠ - ٥٣١.

(٣) ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري، (مخطوطة مصورة برقم ف ١/٧٣، جامعة الملك سعود، الرياض) ورقة ١٠ ل ب.

(٤) ابن فهد، بلوغ، ورقة ١٠ ل ب، ابن فهد، غاية، ٢/ ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٥) ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢٢ ل ب، ٢٤ ل ب، ٢٧ ل ب.

(٦) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣، ٧/ ١٥٢، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨٠ - ٨١.

(٧) محمد بن قيتباي تولى السلطنة بين (٩٠١ - ٩٠٤ هـ / ١٤٩٦ - ١٤٩٨م)، ابن إياس، بدائع، ٣/ ٣٣٣ - ٤٠٢.

وجميع الحجاز بمرسوم صدر ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م مقابل مبلغ من المال يدفعه للسلطان^(١). وفي سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م أصدر السلطان الغوري مرسوماً كلفه بالنظر في أمر تعيين أمير جديد للمدينة بالتعاون مع قضاة المدينة وشيخ الحرم النبوي، فأرسل أمير مكة في رجب من ذلك العام ابنه السيد أبا نمي والشريف عراراً وقاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة للمدينة فاجتمعوا بشيخ الحرم شاهين والقضاة واتفقوا على تولية ثابت بن ضيغم ثم عادوا إلى مكة^(٢)، كما قام الشريف محمد بن بركات بزيارة المدينة ٩٢١هـ / ١٥١٥م وفرق تسعمئة دينار ذهب على أهلها^(٣).

(١) ابن فهد، غاية، ٧٣/٣، ابن فهد، بلوغ، ورقة ١٠٣ ل ب ، ورقة ١٠٤ ، ل أ

(٢) ابن فهد، بلوغ ، ورقة ٢١٣ ل ب ، ابن فهد، غاية ، ٢٨١/٣ .

(٣) ابن فهد، غاية ، ٣/٣١٨ ، ابن فهد، بلوغ ، ورقة ٢٢٦ ل أ وفيها فرق سبعمئة دينار.

(ج) العلاقة مع القبائل المجاورة:

لقد قامت القبائل العربية المحيطة بالمدينة والقريبة منها بدور مهم في الأوضاع السياسية فيها، فقد تدخل بعضها لدعم الفئات المتنازعة على السلطة، كما انضم بعضها لأشراف مكة في مهاجمة المدينة، وقام بعضها الآخر بمهاجمة المدينة طمعاً في الحصول على المغنم .

وحين نتبع نمط العلاقات القبلية مع المدينة منذ العهد الفاطمي نرى أنه من أبرز المشكلات التي واجهت أمراء المدينة ومكة كانت غارات القبائل وقطعهم طرق الحجاج طمعاً في النهب والسلب. ومن أبرز الطرق التي تعرضت لتلك الغارات: طرق الحج المصري والشامي والعراقي، كما تعرض الطريق بين مكة والمدينة لغارات القبائل؛ ففي عام ٥٤٥هـ / ١١٥٠م خرجت قبيلة: «رعب»^(١) ومن انضم إليها على الحجاج بالغرابي بين مكة والمدينة فأخذوهم ولم يسلم إلا القليل»^(٢).

وفي العصر الأيوبي تعرضت المدينة لهجوم قبلي كبير عام ٥٩٠هـ / ١١٩٤م تحت قيادة قبيلة رعب أيضاً، منتهزين فرصة وجود أميرها جمار بن قاسم بن مهنا الحسيني في الشام فهاجموها في جمادى الآخرة من ذلك العام بقصد السلب والنهب، فخرج إليهم أخوه هاشم - الذي كان نائبه على المدينة - وقاتلهم فقتل في تلك المعركة، غير أن ابن الأثير^(٣) لم يحدد نتيجة المعركة وهل دخلت الأعراب المدينة.

(١) رعب بطن من قبيلة سليم وأحلهم رعي، حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة، ق ١ ص ٣١٠،

حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، ج ١ (ط ١)،

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ١١ / ١٤٨ - ١٤٩ ولم أجد ذكراً لهذه الحادثة في المصادر الأخرى.

(٣) الكامل، ١٢ / ١١٠.

وفي ظل الصراع بين بعض أمراء المدينة والقبائل اغتيل أحد أمرائهم وهو قاسم بن جمار على يد قبيلة بني لام سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م^(١).

كما اغتال بنو لام أيضاً أمير المدينة شيحة بن هاشم بن قاسم سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(٢).

في أوائل العصر المملوكي حاول السلطان المملوكي الظاهر بيبرس استخراج الزكاة من سائر الجهات، فأرسل إلى الحجار سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م الأمير شكال بن محمد الذي طلب الدعم والمساندة من أمير المدينة جمار بن شيحة فلم يستجب له، فاتجه إلى بني خالد لدعمه في استخراجها من قبائل الحجار فلم يستجيبوا له مما حدا به إلى أن يطلب من السلطان إعفاءه من منصبه^(٣).

وفي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م حاول أمير المدينة جمار بن شيحة استعادة سلطته التي فقدتها على يد ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة؛ فاستعان لذلك بصاحب مكة محمد أبي نمي وبيع بعض القبائل غير أن تلك المساندة لم تفلح في إعادته، وبعد انسحاب حلفائه تنازل مالك لعمه عن الإمارة طواعية كما أسلفنا^(٤).

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٣ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/٣٩٩.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ، ابن شاکر الكتبي، عيون، ٢٠/٢٧-٢٨، السخاوي، التحفة، ٢/٢٢٧، ذكر عبد الباسط بدر أن الأمير شيحة كان في طريقه إلى العراق مع عدد قليل من رجاله لزيارة الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، غير أنه لم أجد لزيارته للخليفة العباسي ما يسنده من المصادر التاريخية، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ج ٢ (ط١، د. ن، المدينة المنورة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ص ٢٢٠.

(٣) المقرئ، السلوك، ١/٥٥٨، وفي العيني، عقد، ١/٤٢٨ - ٤٢٩، يذكر الرواية بطريقة مختلفة فيتحدث عن وقوعها سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م وأن مندوب السلطان: «ذهب لبني خالد ليستعين بهم على محاربة أمير المدينة، وأن جماراً بعد أن علم بذلك رضخ وأذن، للقيام بحقوق الله واستخراجها من قومه».

(٤) الفاسي، العقد، ٣/٤٣٦-٤٣٧، السخاوي، التحفة، ١/٤٢٣، ابن فهد، غاية، ٢/٤٩-٥٠.

وقد تعرضت المدينة لهجمات بعض القبائل التي ساندت بعض الأشراف، ففي عام ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ساندت القبائل طفيل بن منصور الذي عزل بابن عمه سعد بن ثابت بن جمار، فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة بمساندة تلك القبائل ونهبها كما نهب ما كان بها للحجاج^(١). في سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م تعرضت القبائل القاطنة شمال المدينة للحجاج وقطعت عليهم الطريق ونهبتهم كما قتلت أعداداً منهم^(٢). وفي ظل الصراع على الإمارة بالمدينة عزل جمار بن هبة بن جمار بن منصور من منصبه سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م بعد أن تولى الإمارة عدة مرات فانتقم بأن أخذ حاصل المدينة وخرج إلى البرية فتعرضت له قبيلة مطير^(٣) واغتالته سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م^(٤).

وقد استعانت السلطنة المملوكية ببعض القبائل التي لم تُذكر أسماؤها ضد أمراء مكة والمدينة، فقد أرسل السلطان المملوكي جقمق عام ٨٤٦هـ / ١٤٤٣م إلى جماعة من عرب نجد يطلبهم إلى القاهرة: «ليولي كييرهم إمرة المدينة

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٦ ل أ، ب، حيث وصف تلك الحادثة وصفاً تفصيلياً لأنه معاصر لها وشاهد عيان، غير أنه لم يشر إلى أسماء تلك القبائل بل ذكر الصعاليك من أهل المدينة والخيابة التي تبعت القبائل في نهب المدينة، وانظر الفيروآبادي، المغنم، (خ)، ورقة ٢٤٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣٢٤/٢ - ٣٢٥، السخاوي، التحفة، ٢٥٨/٢ - ٢٥٩.

(٢) المقرئزي، السلوك، ٢٥٧/٣، وكان التعرض للحجاج على طريق الحج الشامي، ابن إياس، بدائع، ١/٢ ص ١٦١.

(٣) تقع الديار الأصلية لقبيلة مطير بالقرب من المدينة وبلادهم حالياً منتشرة في عالية نجد ووسطها وشرق الدهناء، الجزيري، الدرر، ٢٣٠/١، حمد الجاسر، معجم، ٧٨٠/٢، عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ٢٨٤/٢.

(٤) المقرئزي، نفسه، ١٢٩/٤، السخاوي، الضوء، ٧٨/٣، السخاوي، التحفة، ٤٢٧/١ - ٤٢٨، السموودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ص ٥٨٧.

لكونهم من أهل السنة قمعاً للرافضة وأن يمشوا إلى مكة والمدينة ليخلصوا أهلها من الشيعة والرافضة^(١)، ويتضح من النص السابق أن السلطان المملوكي قد بدأ عهده بمحاولة التخلص من أمراء المدينة من الإمامية وأمراء مكة الزيدية المخالفين له في المذهب، عن طريق بعض قبائل نجد المناهضين لهم، غير أن محاولته لم يكتب لها النجاح نظراً لتدخل بعض أهل النفوذ في دولته لصالح أمراء مكة والمدينة، فقد أشار السخاوي^(٢) إلى ذلك بقوله: «لكن لم يتم له مرامه لغرض بعض أهل الدولة» وربما يشير بذلك إلى مصالح بعض حاشيته في عدم عزلهم أو مناهضتهم.

في عام ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م تعرضت قبيلة بلي^(٣) لقافلة يتقدمها أحد الأشراف كانت متجهة من المدينة إلى جدة، فأخذت ثيابهم وأمتعتهم وأحمالهم^(٤).

ورغم ذلك فإنه بالنسبة للقبائل المجاورة تعد المدينة سوقاً لهذه القبائل ترتاده للبيع والشراء وبخاصة شراء المواد الغذائية والملابس والأسلحة .

مهما يكن من أمر، فيمكن أن نوضح أثر الأوضاع السياسية وانعكاساتها في الأوضاع العامة للمدينة المنورة (الاقتصادية الاجتماعية، الدينية، العلمية).

(١) العيني، عقد (حوادث وتراجم) ص ٥٨٣ ، ابن تغري بردي، حوادث، ٧٥/١، السخاوي، محمد ابن عبد الرحمن، الثبر المسبوك في ذيل السلوك (د. ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة د. ت) ص ٤٤ ، ابن تغري بردي .

(٢) نفسه، ص ٤٤ .

(٣) بلي النسبة إليها بلوي تنتشر بلادها في شمال الحجاز حول الوجه ممتدة شرقاً إلى العلا ونواحيها حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة، ٥٣/١ .

(٤) ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢٨ ل ١ حوادث ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م وكانت القافلة قد خرجت من المدينة في شهر رجب مقدمها محمد قawan الشريف إسحاق العجمي الذي كان قدم من القاهرة عبر البحر إلى جدة في شهر جمادى الثانية تم اتجه من هناك إلى المدينة.

الفصل الثاني

الأحوال الاقتصادية

أولاً: النشاط الزراعي.

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي.

ثالثاً: النشاط التجاري.

حينما نحاول التحدث عن الأحوال الاقتصادية في المدينة في العصر المملوكي، نجد ندرة في المادة العلمية في مصادر تلك الفترة مقارنة بأحوال مكة الاقتصادية.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن دراسة أحوال المدينة الاقتصادية من خلال الأنشطة التالية.

أولاً: النشاط الزراعي.

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي.

ثالثاً: النشاط التجاري.

أولاً: النشاط الزراعي

أ - ملكية الأرض

تعد الزراعة من أهم مجالات النشاط الاقتصادي في المدينة منذ صدر الإسلام؛ ففي عهد الرسول ﷺ وخلفائه كانت بساتين أهل المدينة تعرف بالحوائط ومفردتها حائط، ويقال للأرض المحاط عليها، حائط وحديقة^(١). ولم تكن بساتين أهل المدينة في أغلب الأحيان كبيرة المساحة، فقد كان متوسط مساحتها مائة ذراع في مثلها، ويشتمل الحائط غالباً على بئر خاصة به، إلى جانب أطم يكون جواره لتوفير الحماية^(٢).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف، خياط، ج ١ (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت) ص ٧٥٧.

(٢) المطري، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد بن عبدالحسن الحليال (د. ط، منشورات أسعد طرابزونى الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ) ص ٥٨، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

أما في العصر المملوكي، فقد عرفت مزارع المدينة في الغالب بالحدائق^(١).
ومن الجدير بالذكر أن الأراضي كانت في الغالب مقسمة على ملكيات
صغيرة، ومنها ملكيات كبيرة خاصة بالأشراف^(٢). غير أننا لا نعلم شيئاً عن
طبيعة الملكيات في تلك الفترة .

ب - مصادر المياه :

نظراً لأن المدينة بلد زراعي، فقد وجد فيها عدد من مصادر المياه، هي:
الآبار - العيون - الأمطار.

ونظراً لأهمية الآبار، كمرافق أساسية لخدمة مجتمع المدينة في الشرب
والزراعة، فقد كثر استخدامها منذ العهد النبوي^(٣)، واستمر استخدام بعضها
خلال العصر المملوكي ومنها:-

بئر رومة : تقع أسفل وادي العقيق قرية من مجتمع الأسيال، استمر

(١) الفيروزآبادي، المغنم (ط) ص ٢٥، ٣٠، ٣٦.

(٢) الفيروزآبادي، نفسه ص ٣١، ٢٩٩ .

(٣) لتفصيلات أكثر انظر ابن شبه، أبازيد عمر بن شبه النميري البصري، أخبار المدينة النبوية المعروف
بتاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد شلتوت، ج ١ (ط٢)، دار الأصفهاني للطباعة، جده
١٤٠٢ هـ ص ١٥٦-١٦٢، ابن النجار، محمد بن محمود، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الملحق
الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق لجنة من
كبار العلماء والأدباء، ج ٢ (د. ط)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة د. ت) ص ٣٤٠-٣٤٥،
المطري، التعريف، ص ٥٦-٦٠، المراغي، زين الدين أبي بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص
معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي (ط ٢)، المكتبة العلمية، المدينة ١٤٠١ هـ/
١٩٨١ م) ص ١٦٨-١٧٦، الفيروز آبادي، المغنم (ط)، ص ٢٥ - ٤٩، السمهودي، وفاء،
٩٤٢/٣، العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب
الانصاري (د. ط)، نشره أسعد درايزوني، القاهرة د. ت) ص ٢٤٢-٢٦٨.

استخدامها منذ عصر الرسول ﷺ^(١) حتى القرن السابع الهجري ثم خربت^(٢)، وأعيد إصلاحها وتجديدها ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م على يد قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن محمد الطبري الذي «قام برفع بنيانها عن الأرض نحو قامة ونزحت فكثرت ماؤها»^(٣).

بئر أريس : تقع بقاء غربي المدينة^(٤). وذكر ابن النجار^(٥) أنها مقابلة لمسجد بقاء، وعندها مزارع، ويستقى منها وماؤها عذب» وفي عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م قام الشيخ صفي الدين أبو بكر بن أحمد السلامي بتجديدها «فبنى لها درجاً ينزل إليها من يريد الشرب والوضوء من الزوار وعلى الدرج قبو»^(٦)، غير أن ابن فرحون^(٧) يذكر أن نجم الدين يوسف الرومي هو الذي أنشأ الدرج، وقد عقب الفيروزآبادي^(٨) على تلك الرواية بقوله «والظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرج وتشعثت فأصلحها صفي الدين وجدها».

بئر حاء: تقع شمال سور المدينة، وقد آلت في القرن السابع الهجري إلى

(١) ابن شبه، نفسه، ١٥٢/١ - ١٥٣.

(٢) ابن النجار، نفسه، ٣٤٤/٢.

(٣) المراغي، نفسه، ص ١٧٦، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٤٢، والسمهودي، نفسه، ٩٧١/٣، على أن الفاسي في العقد، ١٦٣/٣، ذكر أن القاضي المذكور رار المدينة سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م.

(٤) مجهول، الاستبصار في عجائب الأنصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (د. ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد د. ت (ص ٤٣ ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير (د. ط)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ١٧٥، المطري، التعريف، ص ٥٧.

(٥) الدرة، ٣٤٢/٢.

(٦) المطري، نفسه، ص ٥٧، المراغي، تحقيق، ص ١٧٠.

(٧) نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب.

(٨) اللغات (ط)، ص ٢٨.

بعض أهل المدينة وأصبحت وسط حديقة صغيرة تقع بالقرب منها نخيل ومزارع^(١)، ثم آلت في القرن الثامن إلى نساء من النويريين من مكة نسبة لأسرة النويري خطباء مكة فأصبحت تعرف ببئر النويرية «وأوقفت على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ﷺ»^(٢) وظلت البئر مفتوحة للناس إلى أوائل القرن التاسع الهجري^(٣). وفي النصف الثاني من القرن التاسع لم ير السهمودي^(٤) للفقراء أثراً حول البئر.

بئر بضاعة: كانت البئر خلال القرنين السابع والثامن الهجريين عامرة^(٥)، وقد دخلت ضمن حديقة أو بستان^(٦)، ثم أصبحت في القرن التاسع في منطقة تنتشر فيها المزارع والحقول التي يملكها أهل المدينة وبالقرب منها حديقة لأmir المدينة^(٧). بئر البصة: كان أهل المدينة يستقون منها قبل أن يطمها السيل^(٨). ثم أعيد حفرها وتجديدها، أواخر القرن السابع لخدمة الفقراء والزائرين والواردين إلى المدينة، وقد أوقفها الشيخ عزيز الدولة، ريحان البدري شيخ خدام الحرم الشريف ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م^(٩).

(١) ابن النجار، نفسه، ٢ / ٣٤١.

(٢) المطري، نفسه ص ٥٩.

(٣) الفيروزآبادي، نفسه، ص ٣٨.

(٤) وفاة ، ٣ / ٩٦٤.

(٥) ابن النجار، الدرّة، ٢ / ٣٤٣، المطري، التعريف، ص ٥٩.

(٦) المراغي، تحقيق ، ص ١٧٣.

(٧) الفيروزآبادي، المقائم (ط)، ص ٣١.

(٨) ابن النجار، نفسه، ٢ / ٣٤٤.

(٩) المطري، نفسه، ص ٥٨، المراغي، نفسه، ص ١٧١، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٣١، وقد عمر البئر

خلال القرن التاسع الهجري قاضي المدينة ركي الدين بن أبي الفتح بن صالح، السهمودي، نفسه، ٣ / ٩٥٥.

بئر غرس: تقع شرقي مسجد قباء بين النخيل^(١)، وكانت أوائل القرن الثامن ملكاً لبعض أهل المدينة ثم خربت، فجددت فأصبحت كثيرة الماء^(٢)، ثم خربت للمرة الثانية فابتاعها خواجه حسين بن أحمد الكيلاني^(٣) فعمرها وأحاطها بحديقة، وجعل لها درجة ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها وأوقفها عام ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م^(٤) فأصبحت تخدم أهل المدينة والقادمين إليها.

العيون :

تشكل مصدراً هاماً وأساسياً للمياه في المدينة، ورغم قلة عددها فقد أدت دوراً هاماً لسكانها باستخدامها في الري والشرب ومن تلك العيون.

- عين النبي ﷺ :

تقع خارج المدينة، وتدعى أيضاً عين كهف بني حرام^(٥) وذكر ابن جبير^(٦) في رحلته أن «عليها حلقة عظيمة مستطيلة، ومنبع العين وسط ذلك الحلق، كأنه الخوض المستطيل، وتحت سقائتان مستطيلتان باستطالة الحلق» ويتضح من ذلك أن العين كانت عامرة خلال القرن السابع، غير أنها اندثرت خلال القرن التاسع ولم يبق لها أثر^(٥).

(١) المطري، نفسه، ص ٥٧، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٤٦.

(٢) المراخي، تحقيق، ص ١٧٠-١٧١، حيث ذكر أنها جددت بعد السبع مائة من الهجرة.

(٣) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن أحمد، البدر بن الخواجه الشهاب الكيلاني، ثم المكّي، الشافعي، يعرف بابن قاوان ولد سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م بكيلان تردد إلى المدينة وجاور بها، وعمر بئر غرس وحوط عليها حديقة وبنى بجانبها مسجداً سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م توفي سنة ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤م بمكة، السخاوي، الضوء، ٣/ ١٣٥-١٣٦ السخاوي، التحفة، ١/ ٥٠٣-٥٠٤.

(٤) السمهودي، وفاء، ٣/ ٩٨١.

(٥) المراخي، تحقيق، ص ١٧٦.

(٦) ابن جبير، رحلة، ص ١٧٥-١٧٦.

(٧) الفيروزآبادي، اللغات (ط)، ص ٢٩٥، السمهودي، نفسه ٣/ ٩٨٦.

– عين الأزرق أو العين الزرقاء:

هي أشهر عيون المدينة على الإطلاق، فقد قدمت للمدينة خدمات كبيرة منذ أن أجراها مروان بن الحكم والي المدينة بأمر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان^(١)، واستمر الاهتمام بها خلال القرون التالية^(٢) وتقع العين في قباء، وأصلها بئر في حديقة نخل غربي مسجد قباء^(٣).

– عين الخيف:

تقع في حديقة نخل، يعرف بالغنمية ثم عرف بعد ذلك بالنقيية، في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع، تأتي من عوالي المدينة وتسقي المزارع والنخيل التي حولها^(٤).

– عين الشهداء:

قام بحفرها مروان بن الحكم بأمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان^(٥)، ويظهر أن العين اندثرت فقام نور الدين زنكي^(٦) بإجراء عين أخرى تحت جبل أحد عرفت أيضاً بعين الشهداء، ظلت قائمة حتى أوائل القرن العاشر الهجري^(٧).

(١) المطري، التعريف، ص ٦١، المراغي، تحقيق، ص ١٧٧.

(٢) منها ما قام به الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء وزير الفاطميين سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م ببناء

قناة رئيسية من العين إلى المدينة، المطري، نفسه، ص ٦١، المراغي، نفسه، ص ١٧٧-١٧٨

الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٤) المطري، نفسه، ص ٦١، المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٥) المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٦) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن أمر سنقر، الملقب الملك العادل نور الدين ولد سنة

٥١١هـ / ١١١٧م وتوفي ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ملك الشام والموصل وسير جيشاً إلى مصر وملكها

صلاح الدين الأيوبي نيابة عنه، ابن خلكان، وفيات، ١٨٤/٥-١٨٩.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٨ ل أ، المراغي، نفسه، ص ١٧٧ السهمودي، وفاء ٩٨٧/٣.

الأمطار:

تعتمد الزراعة في الأودية بشكل أساسي على مياه الأمطار. ومن الأودية الزراعية التي تعد من أعمال المدينة، وادي ساية، وُصِف بأنه وادٍ عظيم به أكثر من سبعين عيناً تجري، وتنزله مزينة وسليم، وكان واليه يعين من قبل صاحب المدينة^(١). وإن استقل الوادي في فترات قصيرة عن حكم المدينة^(٢). ومن الأودية الزراعية، وادي ذي الهدى بحورة اليمانية، ويقع إلى الغرب من المدينة، على طريق ينبع بناحية الفقرة.^(٣) ومن الأودية الهامة من أعمال المدينة وادي الصفراء^(٤)، ووادي ليليل بناحية ينبع والصفراء، يصب في البحر^(٥).

السيول والكوارث

رغم أن للأمطار أثرها الهام في تنمية الثروتين الزراعية والحيوانية، فإن الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة، لها آثارها السلبية والمدمرة على المزارع، والمساكن والناس. فقد يؤدي هطول الأمطار بغزارة إلى قطع الطرقات، ومنع وصول البضائع والسلع، وجرف المزارع، وتخریب التربة وتدمير المحاصيل الزراعية. مما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها، كما تؤدي السيول الجارفة إلى الإضرار بالمرافق والمنشآت العامة. ففي أوائل سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م أدت الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة إلى إلحاق الضرر بالمسجد النبوي الشريف، وبالكثير

(١) عرام، أسماء، ص ٤٤٤.

(٢) الفيروزآبادي، المغانم، (ط)، ص ١٧٥، وربما يكون ذلك أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الهجريين.

(٣) الهجري، أبو علي هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، دراسة حمد الجاسر، ج ٣ (ط)، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ص ١٦٣١، السمهودي، وفاء، ١٩٧/٤.

(٤) الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢١٩، السمهودي، نفسه، ١٢٥٢/٣ - ١٢٥٣.

(٥) السمهودي، نفسه، ١٣٣٣/٤.

من المساكن وتدمير أعداد كبيرة من النخيل والمحاصيل الزراعية. كما دمرت السيول العيون الجارية بالمدينة، ومنها عين الأزرق التي يستقي منها أهل المدينة وأعقب ذلك وصول جراد كثيف، دمر المزروعات والمحاصيل^(١).

ويبدو أن هذه الكارثة، التي حلت بالمدينة قد أثرت في الأوضاع الاقتصادية بشكل عام، وعلى النشاط الزراعي بشكل خاص، فقلت الكميات المعروضة من المحاصيل الزراعية مما أدى إلى ارتفاع أسعارها.

كما حل بالمدينة سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م سيل عظيم، أخذ كما ذكر «الجمال وعشرين فرساً وخرب أماكن»^(٢). وكان للجراد تأثير في الأوضاع السكانية والنشاط الزراعي في المدينة وما حولها ففي سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م أدى وصول أعداد كبيرة من الجراد إلى المدينة إلى إتلاف أشجارها ومحاصيلها الزراعية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من أهلها، و وفاة الكثيرين وخاصة الفقراء منهم جوعاً وعطشاً^(٣)، فانخفض عدد سكان المدينة في تلك الفترة نتيجة لذلك.

أما البراكين التي أصابت المدينة في بعض أعوامها^(٤)، فكان لها تأثير سلبي في أوضاعها السكانية والاقتصادية غير أن لتلك البراكين أثرها الايجابي أيضاً في التربة الزراعية، حيث أسهمت في زيادة خصوبتها. ومن أبرز تلك البراكين، البركان الذي ظهر بالمدينة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وقد أسهب المؤرخون في

(١) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق جـ ٨ (د. ط، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٩م) ص ٥٢، المقرئ، السلوك، ٧٣٧/١.

(٢) الياقعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليميني، مرآة الجنان وصبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان جـ

٤، (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٣٧هـ) ص ٢٩١.

(٣) المقرئ، السلوك، ٦٣٣/٤.

(٤) السهمودي، وفاء، ١٤٢/١ - ١٥٠.

الحديث عن هذا البركان وآثاره الاقتصادية والاجتماعية. وينقل أبو شامة عن قاضي المدينة، شمس الدين سنان بن عبد الوهاب، أنه «ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم، انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتى حاذى جبل أحد، ويذكر من آثارها ...» والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب ...».

«... وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه فطرح المكس، وأعتق ممالكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده وعلى غيرنا ...»^(١).
كما أشار إلى تلك النار أيضاً المطري^(٢)، وذكر السهمودي^(٣) بعض آثارها الاقتصادية والاجتماعية وفوائدها .

ج - المناطق الزراعية :

اشتهرت المدينة منذ أمد طويل بأنها منطقة زراعية؛ حيث تتوفر فيها المياه الوفيرة، وإلى حد ما التربة البركانية الخصبة، فنجد الزراعة في المناطق المحيطة بالمدينة في بطون الأودية والقرى الزراعية مثل قبا، كما تنتشر الزراعة في الوديان والواحات الداخلة في منطقة المدينة إدارياً؛ وإن كان بعضها بعيداً نسبياً عن البلد نفسها، مثل خيبر، وادي القرى، السيالة، رهاط^(٤). ومن أبرز

(١) الدليل ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٢) التعريف ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) وفاء الوفاء ١٤٢/١ - ١٥١ .

(٤) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان (ط١)، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٢٨، شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ط١)، دار احياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٢٨٤ .

المناطق الزراعية في المدينة العوالي التي وصفها الفيروزآبادي^(١) بقوله: إنها «ضبعة عامرة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال وذلك أدناها. وقيل: أبعداها. وحدد كل من الفيروزآبادي^(٢) والسمهودي^(٣) العوالي، بأنه ما كان جنوب المدينة باتجاه مكة. ويقابل العوالي في الجهة الأخرى من المدينة السافلة. وتقع على طريق الشام^(٤)، حيث يوجد بها كثير من الحدائق^(٥). ويحدد الفيروزآبادي^(٦) أبرز محاصيل العوالي بقوله: «إن جليل شجرها النخيل وتحف بها محاصيل زراعية أخرى، كالقرع واللفت والجزر» وهناك كثير من المزارع المحيطة بالمدينة يطلق عليها حدائق وتشتمل، كل حديقة أو عدة حدائق على بئر خاصة، بل إن بعضها يُسمَّى باسم البئر الواقع بها، كحديقة بئر أيوب والمعروفة بدار فحل^(٧)، وحديقة بئر أريس، التي كانت زمن الفيروزآبادي للأشراف من بني الحسين^(٨)، وحديقة بئر البضة^(٩) وحديقة بئر زمزم بالخرة المعروفة سابقاً ببئر فاطمة نسبة

(١) المغانم (ط)، ص ٢٨٦، السمهودي، وفاء، ١٢٦٢/٤، السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ص ٥٨٠.

(٢) نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) وفاء ٢٦١/٤ وانظر إبراهيم العياشي، المدينة بين الماضي والحاضر (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ص ٥٤٦.

(٤) السمهودي، وفاء ١٢٣٠/٤ - ١٢٣١ إبراهيم العياشي، نفسه، ص ٥٤٦ - ٥٤٧.

(٥) المراعي، تحقيق، ص ١٤٤.

(٦) نفسه، ص ٢٨٦.

(٧) المراعي، تحقيق، ص ٤٤.

(٨) ذكر ابن النجار أن عندها مزارع يستقن منها الذرة، ٣٤٢/٢ الفيروزآبادي، المغانم، (ط)، ص ٢٥، ٢٧، السمهودي، وفاء، ٩٤٨/٣.

(٩) أوقف هذه الحديقة على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين الشيخ عزيز الدولة ربحان البديري الشهابي شيخ الخدام في الحرم الشريف (ت ١٢٩٧هـ / ١٢٩٧م) انظر ابن الضياء، أبو البقاء محمد ابن أحمد، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة، المجلد الثاني (مخطوطة مصورة برقم ٢٢٦ص، جامعة الملك سعود، الرياض). ورقة ٢٤ ل ب.

إلى فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي عنهما^(١) وإلى الشمال من سور المدينة تسقي بئر حا عدداً من الحدائق والنخيل^(٢). ومن الحدائق الأخرى حديقة وقف رباط اليمينية، وحديقة أولاد الصفي^(٣)، وحديقة غشاوة^(٤)، والحديقة الجعفرية القريبة من مسجد قباء^(٥).

ومن المناطق الزراعية القريبة من المدينة، نُخَيْلٌ، التي تقع إلى الشرق منها، على بعد ستين ونيف ميلاً، وبها كثير من مزارع النخيل والقمح والشعير^(٦)، كما تنتشر أشجار النخيل في أودية ليل^(٧)، وساية^(٨)، والصفراء^(٩)، والقمح بوادي ذي الهدى^(١٠) وتزود قرية السوارقية المدينة بالتمور والموز والعنب والتين والرمان^(١١).

(١) السمهودي، نفسه، ١١٤٠/٤.

(٢) الفيروزآبادي، نفسه، (ط)، ص ٣٨.

(٣) المراغي، نفسه، ص ٤٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٥ ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٥ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢٨ السمهودي، نفسه، ٩٤٩/٣.

(٦) الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٥٢٠ - ٥٢١، ابن الفرات، تاريخ مج ٩، ٣١٢/٢ - ٣١٣ الفيروزآبادي، المغانم (ط) ص ٤٠٨، ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، ج ٣ (د. ط)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م) ص ٤٣٣، السمهودي، وفاء ١٣١٩/٤.

(٧) عرام، أسماء، ٤٢٧/٢، واختلفت المصادر في تحديد موقع ليل، انظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ج ٢ (ط)، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٦٥٦، السمهودي، نفسه، ١٣٩٦/٤.

(٨) الفيروزآبادي، نفسه، ص ١٧٥.

(٩) عرام، نفسه، ٤٢٧/٢ - ٤٢٨، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢١٩، السمهودي، نفسه، ١٢٥٢/٢.

(١٠) الهجري، التعليقات، ١٦٣١/٣، السمهودي، نفسه، ١١٩٧/٤.

(١١) عرام، نفسه، ٤٦٢/٢ - ٤٦٣، الفيروزآبادي، نفسه، ص ١٨٩، السمهودي، نفسه، ١٢٣٨/٤.

إن أبرز المحاصيل الزراعية في منطقة المدينة ، هو دون شك التمر الذي يعد مادة أساسية في طعام سكانها حاضرتهم وباديتهم بل أصبح تقليداً سائداً لدى سكان المدينة أن يستقبلوا زائريها بالتمر^(١). وقد ذكر النابلسي أن بالمدينة مائة وثلاثة عشر نوعاً من أنواع التمر^(٢)، ويأتي من التمر عوائد اقتصادية فرعية فالتمر طعام، والنوى علف للإبلهم، كما يستفيد سكان المدينة من جريد النخيل وسعفها وليفها فيما يصنعون منه أو يستخدمونه في حاجاتهم^(٣) ومن أبرز المحاصيل الزراعية الأخرى الخضراوات كالباذنجان والباسلاء والجزر والملوخية والبامية والبصل واللفت وغيرها^(٤). وتمثل الزراعة نشاطاً اقتصادياً لقطاع عريض من السكان، يعتمدون عليها في معاشهم فبالإضافة لاشتغال أهل المدينة الأصليين بالزراعة وخاصة الذين عرفوا بالنخالة^(٥)

(١) ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ج ٥ (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ١٦.

(٢) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة وللحجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، المعروفة برحلة النابلسي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م) ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٣) سليمان عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية (د. ط، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ، ٤٦ ل ب، العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد امحزون (ط١، دار الارقم، الكويت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٢٢٤.

(٥) هم طائفة من سكان المدينة من الشيعة الإمامية، يسكنون «خارج المدينة في العوالي وغيرها من الجهات» ولعل تسميتهم بالنخالة مشتقة من اشتغالهم بفلحة النخل، العياشي، نفسه، ص ١٧٦ وانظر أيضاً الانتصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي (د. ط، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٧٠م) ص ٤٧٩ - ٤٨٠، وذكر الانتصاري أن الخطيب خير الدين إلياس المدني صنف كتاباً في أصولهم وفروعهم، وانظر: محمد لبيب البتونني، الرحلة الحجازية (د. ط، مكتبة المعارف، الطائف د. ت) ص ٥٢، إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١ (ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م) ٤٤٠، بكر أبو زيد، طبقات النسابين (ط١، دار الرشد، الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص ٧٧.

شارك المجاورون^(١) بالنشاط الزراعي، كما أن سكان المدينة كانوا يستعينون بالعبيد^(٢).

ومن الجدير بالذكر، أن هناك زراعات شتوية، تشمل الحبوب، وأخرى صيفية تشمل التمور والخضروات. فالآبار والعيون مصادر دائمة للمياه، ولا بد أن لها أنواعاً خاصة من المزروعات. أما الأمطار، فهي شتوية ولا بد أن لها مزروعات خاصة بها. ول نجد أن بعض الأسر اشتهرت بممارسة الزراعة، حيث امتلكوا أراضي زراعية ومنها أسرة الشكليين^(٣) التي قدمت من مكة واشتغل بعض أفرادها بالزراعة، ويبدو أنهم استقروا أولاً في مكة قادمين من خارج الحجاز. ومن أشهر شخصيات هذه الأسرة مسعود الكجار وابنه مبارك^(٤).

د- الثروة الحيوانية

لكون المدينة منطقة زراعية، فلا بد من وجود ثروة حيوانية تقدم خدمات مختلفة لهذا المجتمع الزراعي؛ كالإبل والأبقار والأغنام والحمير. وتنتشر هذه الثروة في الأودية المحيطة بالمدينة؛ كوادى ساية^(٥)، وبعض الأودية الأخرى التي تنتشر فيها المراعي.

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض (د. ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م)

ص ٣٧-٣٨، الإدريسي، أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ١ (د. ط)، مكتبة

الثقافة الدينية، بور سعيد مصر د. ت) ص ١٤٣ ياقوت، معجم البلدان، ٨٢/٥.

(٣) سيرد ذكر لهم في اشتغالهم أيضاً بالعطارة والتجارة.

(٤) ربما ينسب الشكليون إلى شكل، ولم يحدد السمعاني موقعها، انظر ابن أبي سعد عبد الكريم بن محمد

ابن منصور، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ج ٣ (ط ١)، دار الجنان، بيروت

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٤٤٩، أما الكجار فرمما تكون إحدى قرى بخارى، السمعاني، نفسه، ٩/٥.

(٥) الفيروزآبادي، المفانم (ط) ص ١٧٥، جعفر الخليلي، موسوعة العنبات المقدسة، قسم المدينة ج ١

(ط ١)، دار التعارف، بغداد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ص ٧٠.

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي:

تؤدي الحرف والمهن دوراً هاماً في حياة المجتمعات؛ فهي تقدم جملة من الخدمات الأساسية لمعيشتهم. إلا أن المصادر، لا تمدنا بالمادة الكافية عن هذا النشاط خلال العصر المملوكي، باستثناء بعض الإشارات القليلة من كتب التاريخ والتراجم.

البناء :

هي مهنة أساسية، لا يستغنى عنها في كل مجتمع؛ لأهميتها في بناء المساكن والتحصينات والمرافق المختلفة. وقد برز جملة رجال في المدينة يمارسون هذه المهنة في العصر المملوكي؛ منهم إبراهيم بن أحمد المدني^(١)، الذي قام بحفر أساس منارة باب السلام بالمسجد النبوي ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م وعلي الحجار^(٢) الذي امتهن البناء، إضافة إلى حرفة النجارة والحجارة وبها عرف.

النجارة :

تعد من الحرف التي تسد حاجة الناس. وهي مكملة لمهنة البناء وهناك أنواع من هذه الحرفة؛ مثل نجارة البناء، ونجارة الأثاث والأدوات المنزلية، وتعتمد هذه الحرفة على المواد الأولية المحلية والمستوردة. وقد برز بعض النجارين في المدينة خلال العصر المملوكي؛ مثل أبي بكر بن يوسف المحوجب^(٣)، الذي قدم من مصر بعد حريق المسجد النبوي ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، ومن النجارين آدم المغربي^(٤)

(١) السخاوي، التحفة، ١ / ١٠٧، ١٥٥.

(٢) توفي علي الحجار بالمدينة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٢ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل ب، وكانت وفاة المحوجب ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، ابن حجر، الدرر، ١ / ٥٠٣.

(٤) وكانت وفاته سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م، السخاوي، التحفة، ١ / ٩٨ - ٩٩.

(ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م). وتعتمد التجارة على مواد أولية من خشب الأشجار، الذي ينتشر حول المدينة. ومن أبرز تلك الأشجار الطلح، السلم، والسيال، العرطف، السمر، الشبهان^(١).
الخرازة^(٢):

هي حرفة تشير إلى من يعمل بالصناعات الجلدية^(٣). وكانت هذه الحرفة موجودة في المدينة منذ صدر الإسلام^(٤) وتعتمد على المواد الأولية المتوفرة من جلود الحيوانات وترتبط هذه الحرفة بحرفة أخرى هي الدباغة. والسؤال هنا: هل كان بعض الخرازين يمارسون مهنة الدباغة أيضاً؟ أو إنهم يشترون الجلود مدبوغة، ويقومون بخرازتها أحذية وقرباً وأدوات أخرى؟

تعد الطائف المدينة الرئيسية في دباغة وتصنيع وتجارة الجلود^(٥)، التي ربما زودت المدينة بحاجتها من الجلود المدبوغة. على أنه يحتمل أن بعض الخرازين في المدينة قد مارسوا مهنة الدباغة. وقد انتظم بعض هؤلاء الخرازين في جماعة، وربما يكون لهم شيخهم وتنظيماتهم الخاصة بهم، التي يتعاونون من خلالها على مزاوله هذه المهنة؛ ومن ذلك أنه في عهد أمير المدينة طفيل بن منصور (ت

(١) جعفر الخليلي، موسوعة ٧٧/١.

(٢) الخرازة خياطة الادم، ابن منظور، لسان، ٨١١/١.

(٣) عبد العزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (ط ١)، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة ١٩٨٥م) ص ٢٨٢.

(٤) الزيري، نسب، ص ١٧٨.

(٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الكعوك الحوالي (د. ط، دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٢٦٠، البكري، عبد الله بن عبد العزيز، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق ودراسة عبد الله يوسف الغنيم (د. ط، دار السلاسل، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٢٧.

٧٥٢هـ^(١) كان يوجد جماعة من الخزازين ورد ذكرهم في المساهمة في إعادة بناء بئر أريس في قباء قرب المدينة^(٢).

ويبدو، أن مهنة الخرازة كانت متطورة بالمدينة خلال العصر المملوكي؛ لدخول عناصر مغربية وأندلسية في ممارستها؛ ومن هؤلاء الأخوان: أبو الحسن علي، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأندلسيان اللذان قدما للمدينة في القرن الثامن الهجري وكان لهما في الأندلس دور في محاربة الإفرنج في بلادهم^(٣) لقد عاصر هذان الأخوان، آخرين من أرباب المهنة؛ هما عمر بن عياد الخراز الأنصاري الأندلسي^(٤)، وعبد الله بن عمر الخراز سبط أبي بكر المحوجب النجار السابق الذكر^(٥). وربما يكون لهؤلاء سوق خاص بهم. وفي ورقان وهو من جبال المدينة أنواع من الشجر المثمر وغير المثمر، وفيه القرظ وهو ورق يستعمل لدبغ الجلود^(٦).
العطارة^(٧):

إن لمهنة العطارة دوراً هاماً في حياة الناس؛ فالعطار يقوم بدور الطبيب والصيدلي وبائع العطور. ومواد العطارة تدخل أيضاً في إعداد الطعام، فهي مهنة رائجة، وبالإضافة إلى اعتمادها على مواد محلية، فإنها أيضاً تستخدم مواد مستوردة

(١) ابن حجر، الدرر، ٣٢٤/٢، السخاوي، التحفة، ٢٥٩/٢.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٥ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم (ط)، ص ٢٧-٢٨، السمهودي، وفاء ٩٤٨-٩٤٩/٣.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل أ، وذكر السخاوي، أن اسمه عمر بن عياد الخراز وهو أحد اختان أبي الحسن علي الأندلسي السالف الذكر نفسه، ٣٥٤/٣.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧١ ل أ، وذكره السخاوي بإسم عبد الله بن عمر بن عياد أحد أبناء عمر السابق الذكر، نفسه ٣٦٨/٢.

(٦) جعفر الخليلي، موسوعة ٧٧/١.

(٧) مهنة مأخوذة من العطر، وهو اسم جامع للطيب والجمع عطور، ابن منظور، لسان، ٢/ ٨١٠.

ويحتاج من يشتغل بها إلى فترة طويلة من الممارسة. وكان لهذه المهنة سوق خاص بها في المدينة يسمى سوق العطارين^(١)؛ يقع بالقرب من سوق الصواغ. لقد عمل بهذه المهنة أسر توارثتها؛ ومنها أسرة ابن مشكور التي تنتسب إلى قریش وقدمت من مكة حيث نزح جدهم مشكور منها، ومن أبنائه عبيد وعبدالرحمن وأحمد وعلي وحسن^(٢). كما عمل بها أسرة الشكليين السابقة الذكر التي تنتسب لمسعود الكجار، ومن أفرادها الذين عملوا بالعطارة؛ محمد وحسن وعليان^(٣).

الخطابة^(٤):

مهنة مارسها بعض أهل المدينة والبادية المحيطة بها، حيث توفر هذه المهنة المواد التي يحتاجها السكان للطبخ والتدفئة، ولها بالمدينة سوق معروف بسوق الخطابين، يقع بالجبانة^(٥) إلى الشمال من المدينة بالقرب من مسجد الراية وثنية الوداع^(٦). لقد مارس هذه المهنة بعض أهل المدينة، والقادمون إليها، وخاصة الفقراء منهم، ممن لا يتقن مهنة أو حرفة غيرها، ومن هؤلاء محمد الهزميري؛ وهو من المجاورين الذين امتهنوا الخطابة^(٧). ومنهم إبراهيم المغربي الخطاب^(٨).

(١) السهمودي، وفاء، ٧٣٦/٢.

(٢) ابن فرحون النصيحة ورقة ٧٧ ل ب وذكرهم السخاوي دون تحديد لمهنتهم انظر التحفة، ٢٦٩/١، ٤٩٩، ٥٤٢/٢، ٢٦٢/٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢٦٩/١، ٤٩٩.

(٤) مهنة تطلق على الذي يحتطب الخطب فيبيعه فيقال له خطاب، ابن منظور، لسان، ٨١٠/٢.

(٥) الجبانة أصله المقبرة وهو موضع شمالي المدينة، السهمودي، نفسه، ١١٧٣/٤.

(٦) السهمودي، نفسه، ٧٦٥/٢.

(٧) لا يعرف تاريخ وفاته، ولكن كان موجوداً في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل أ.

(٨) (ت ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م) السخاوي، التحفة، ١٥٣/١.

وتعتمد هذه الحرفة على الأشجار، وخاصة السمر، الذي يعد من أفضل الأخشاب للتدفئة والطبخ^(١).

الخراطة^(٢):

حرفة كانت موجودة في المدينة في العصر المملوكي، وهي قائمة على مادة الخشب المتوفر في الأشجار الموجودة خارج المدينة^(٣). ومن أبرز المصنوعات القائمة عليها السبح، التي يعتقد أنها كانت مزدهرة، وعليها إقبال من الحجاج والمعتمرين. ومن مارس هذه الحرفة محمد الخراط، وهو من المجاورين، حيث كان يقوم بحز الخشب بالمخراط، ويضع تلك القطع الخشبية في خيط لتكون سبحة، لهذا عرف بالخراط^(٤).

الخياطة^(٥):

مهنة، تتضمن عمل الملابس الخاصة بالرجال والنساء على السواء. وتتوفر المنسوجات في المدينة وفي غيرها من مدن الحجاز، إما من الإنتاج المحلي، أو باستيرادها من الخارج، حيث يمد التجار الخياطين بحاجتهم من الأقمشة ومن أبرز الممارسين لهذه المهنة بالمدينة خلال القرن الثامن أبو عبد الله محمد السلوي^(٦)، الذي عمل بها خلال مجاورته بالمدينة^(٧).

(١) جعفر الخليل، موسوعة، ٧٧١.

(٢) الخراطة من «خرط الشجرة يخرطها خرطاً أي انتزع الورق واللحاء عنها اجتذاباً» ابن منظور، لسان، ٨١٤/١.

(٣) جعفر الخليلي، نفسه، ٧٧/١.

(٤) (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦١ ل أ ب.

(٥) مأخوذة من الكلمة خاط الثوب يخيطة خيطاً وخياطة، ابن منظور، نفسه، ٩٢٨ / ١.

(٦) نسبة إلى سلا بأقصى المغرب، ياقوت، معجم البلدان، ٢٣١/٣.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٦ ل أ.

الصيد:

مهنة، قائمة على صيد البر والبحر. غير أننا لا نجد ما يشير إلى وجود مهنة الصيد البري بالمدينة أما الصيد البحري، فقد مارس بعض أهل المدينة والمجاورين صيد الأسماك من البحيرات، وتجمعات المياه المحيطة بالمدينة. ويطلق على من يقوم بهذه المهنة لقب الحوات ومن هؤلاء إبراهيم الحوات^(١) وقاسم التكروري^(٢)،^(٣) الذي قام بممارسة هذه المهنة في بعض تجمعات المياه خارج المدينة، حيث تعيش بعض الأسماك كغدران ورقان^(٤)، وفحل^(٥)، والسد^(٦) وغيرها.

السقاية^(٧):

كانت السقايات موجودة في المسجد النبوي وخارجه^(٨). واستخدمت أساساً للشرب؛ غير أن بعض الناس استخدمها للوضوء، مع ما يترتب على ذلك من نجاسة^(٩). وممن عمل فيها بالحرم النبوي من المجاورين وغيرهم أبو حسين

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٤.

(٢) نسبة لبلاد التكرور جنوب المغرب، ياقوت، معجم البلدان، ٣٨/٢ وهي بلاد مالي حالياً.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ٢، ٥٦ ل ١، وقد وصفه ابن حجر بأنه أحد الصلحاء الزهاد، الدرر، ٣/ ٣٢٥، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٥٧ ل ١.

(٤) ورقان جبل على يمين الذهاب من المدينة إلى مكة ينصب مائه إلى مريم وفي ورقان أنواع الشجر المثمر، الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ٤٢٨.

(٥) فحل، ربما تكون مفرد فحلان موضع بجبل أحد، الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ٣١١، السهمودي، وفاء ٤/ ١٢٨٠.

(٦) السد ماء سماء في خرم بني حوال. قال الأسدي: وبه ماء كثير في شعب كان معاوية عمل له سداً يحبس فيه الماء، الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ١٧٦، السهمودي، نفسه، ٤/ ١٢٣٢.

(٧) مهنة مشتق اسمها من «الموضع الذي يتخذ فيه الشراب والسقا يكون للبلن والماء، وصاحب المهنة يقال له: سقاء وجمعها سقاؤون، ابن منظور، لسان، ٢/ ١٦٧-١٦٨.

(٨) ابن النجار، الدرر، ٢/ ٣٧٧، السهمودي، وفاء، ٢/ ٦٧٨-٦٧٩.

(٩) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨ ل ١، السهمودي، نفسه، ٢/ ٦٧٩.

محمد السقاء، الذي كان يملأ المسجد بالدوايق^(١)، وحسين بن علي بن رستم الشيرازي^(٢) وابناه حسن^(٣) ومحمد^(٤). ولا بد من وجود هذه المهنة بكثرة، نظراً لحاجة السكان إلى السقائين، لتزويدهم بماء الشرب في منازلهم. ويزداد الطلب على أصحاب هذه المهنة في مواسم الحج والعمرة؛ لوجود أعداد كبيرة من الناس، ويرتبط بهذه المهنة حرفة أخرى هي صناعة الفخار^(٥)، وعمن عمل سقاء للمنازل أحمد السقا الذي كان يقوم بسقي الماء من العين^(٦).

الدهان^(٧) والتزويق^(٨):

يشترط فيمن يمتن هذه الحرفة، أن يكون متقناً لعمله. وقد اشتهر بهذه المهنة عدد من المجاورين مثل صالح بن إسماعيل الكناني الشافعي المدني المصري الأصل الذي «كان صانعاً مبيضاً يشتغل بالتبييض في الحرم الشريف»^(٩) وحمد بن محمد الغرناطي الذي كان «مجيداً في صنعة الدهان والتزويق،

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٣ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ٥١٢/١.

(٣) السخاوي، نفسه، ٤٧٨ / ١.

(٤) السخاوي، نفسه، ٥٦٠ / ٣.

(٥) نظراً لتربة المدينة الجيدة لصناعة الفخار تصنع الدوايق التي يصدر بعضها إلى خارج المدينة ومنها مكة.

(٦) ربما يكون المقصود العين الزرقاء، وقد أغنى الله أحمد السقا فأصبح فيما بعد وزيراً للأشرف، ابن فرحون نفسه، ورقة ٧٧ ل أ.

(٧) الدهان هو الصبغة العادية للجدران والأبواب وغيرها وقوله دهن رأسه وغيره يدهنه دهناً، ابن منظور، لسان، ١٠٢٨/١.

(٨) التزويق: أهل المدينة يسمون الزئبق الزاويق، ويدخل الزئبق في التصاوير، ولذلك قالوا لكل مزين مزوق... ثم قيل لكل منقش مزوق وإن لم يكن منه الزئبق، ابن منظور، نفسه، ٣٦٤ / ٢.

(٩) (ت ١٣٠٧هـ / ١٣٠٧م) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٢٩ / ٢.

فعمل في الحرم الشريف مع الدهانين^(١). ولا يقتصر عمل الدهانين على المسجد النبوي، بل يشمل المنازل التي لا بد أن أصحابها وخاصة الموسرين منهم يحرصون على تبييض منازلهم، وتزيينها بالنقوش والحروف الجميلة. الوراقة أو النساخة^(٢):

تختص هذه المهنة بنسخ كتب العلم وبيعها أو إهدائها أو وقفها. وتشمل الوراقة، نسخ الكتب، وتجليدها، وبيعها. ومن برز في العصر المملوكي بالمدينة من طلاب العلم عبد الواحد الجزولي؛ حيث كان يقوم بنسخ كتب العلم بنفسه، وأوقف كثيراً مما كتبه على رباط دكالة، الذي كان مقيماً فيه^(٣)، غير أنني لم أجد ما يشير إلى سوق للوراقين بالمدينة في تلك الفترة.

ويرتبط بالوراقة مهنة تجليد الكتب، التي تتصل بمهنة أخرى هي صناعة الجلود، حيث يحفظ التجليد الكتاب من التلف، ومن اشتغل بها محمد التلمساني^(٤).

إضافة للمهن والحرف السابقة، تحدثت بعض المصادر عن وجود أفران للخبز، مما يدل على وجود مهنة الخباز، وطواحين لطحن الحبوب التي تدل على وجود مهنة الطحان^(٥).

(١) (ت ٧٥٤هـ / ١٣٦٢م) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤ / ٣٥٥.

(٢) الوراقة مأخوذة من الوراق وهو الذي يورق ويكتب، والنساخة من نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتبه عن معارضة والنسخ اكتبك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، والأصل نسخة والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه والكاتب ناسخ ومتنسخ، ابن منظور، لسان، ٣ / ٦٢٦، ٩١٢.

(٣) (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٧ ل أ، ١١٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم

(خ)، ورقة ٢٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣ / ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) (ت ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ.

(٥) السخاوي، نفسه، ٣ / ٤١١، السمهودي، وفاء، ٢ / ٦٤٤، ٧١٤ - ٧١٥.

كما أنه لابد من وجود مهن وحرف أخرى يحتاجها أهل المدينة، كالجزار، والحدادة.

الصياغة : هي من المهن الخاصة بصياغة حلي النساء من الذهب. ويوجد لها سوق خاص بالمدينة بالقرب من سوق العطارين^(١).

الرعي: يعد نشاط الرعي من الحرف الهامة المنتشرة حول المدينة، حيث يتم رعي الإبل والأغنام^(٢).

ثالثاً: النشاط التجاري

إن المصادر التي بين أيدينا، لا تشير إلى وجود تجارة واسعة في المدينة في العصر المملوكي. غير أنه لا يمكن دراسة الأوضاع الاقتصادية، وخاصة النشاط التجاري بمعزل عن التأثير السياسي. فالاستقرار السياسي له مردود إيجابي على الوضع الاقتصادي، أما الاضطراب السياسي المتمثل بالفتن الداخلية وهجمات القبائل؛ فإنه يؤثر بصورة سلبية على الأوضاع الاقتصادية، ويؤدي إلى تدهور في الأحوال المعيشية. فمن هجمات القبائل التي تعرضت لها المدينة، ما حدث سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م^(٣) حينما هاجمتها قبيلة رعب^(٤). أما في العصر المملوكي فقد أدت الصراعات بين أمراء المدينة من الأشراف^(٥) وهجمات القبائل

(١) السمهودي، نفسه ، ٧٣٦ / ٢ .

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة ، ٧٠ / ١ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ١٤٨ / ١١ .

(٤) رعب، النسبة إليها الزعي بطن من سليم، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، لب اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، أشرف أحمد عبد العزيز ج ١ (ط ١ ، دار الكتب

العلمية، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص ٣٧٩، حمد الجاسر، معجم، ٣١٠ / ١ .

(٥) لتفصيلات أكثر عن الصراع بين أمراء المدينة، انظر الفصل الأول، الأوضاع السياسية.

إلى تدهور في أوضاعها الاقتصادية، وضعف الحركة التجارية. ومن أبرز تلك الحوادث التي كان لها تأثير على أحوال السكان، ما حدث سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م حينما هاجمتها بعض القبائل بدعم من «الخيابة»^(١) وبعض الصعاليك من أهل المدينة، فنهبت كثيراً من أحيائها وأسواقها^(٢). وقد وصف ابن فرحون^(٣) حالة المدينة الأمنية نتيجة لتلك الحوادث، بقوله: «وكان مما جرى أن نهب جميع ما للحاج من ودائع في المدينة، وحصل عليها من العرب إزعاج واذعار عظيم، وتبعتهم الصعاليك من أهل المدينة وجميع الخيابة وغيرهم، فلم يتركوا أثاثاً ولا متاعاً، وكان أمراً عظيماً لم يجر مثله في زمن من الأزمان التي أدركناها وسمعنا بها» إن هذا التدهور الأمني، وحوادث النهب والسلب، لا بد أن تنعكس بصورة سلبية على أوضاع السكان الاقتصادية. . وفي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م هاجمت بعض القبائل الحجاج إلى الشمال من المدينة ونهبتهم^(٤). إلا أنه من جانب آخر يمكن القول: إن الاستقرار السياسي، والأمني له أثر إيجابي في الأوضاع الاقتصادية، فمثلاً حينما تولى الشريف سعد بن ثابت إمارة المدينة عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م في أعقاب الحوادث السابقة، ابتدأ بحفر خندق حول سور المدينة لمنع القبائل من مهاجمتها، غير أنه لم يكمله لوفاته (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بعد أشهر من بدء العمل به فتولى إكماله ابن عمه الأمير فضل بن

(١) الخيابة، نسبة إلى خيبر إلى الشمال من المدينة، كانوا يعملون بالمدينة انظر الفئات الاجتماعية في الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية بالمدينة في العصر المملوكي.

(٢) وقعت هذه الحوادث أثناء إمارة طفيل بن منصور في ذي الحجة من ذلك العام نتيجة لعزله من منصبه ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٦ ل ١، ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) نفسه، ورقة ٥٦ ل، ب، ويذكر السخاوي، أن طفيلاً «استنجد بصالح بن حريه من آل فضل من بني لام من طي ويعمر بن مراد، وبعياق بن متروك الرزاق فجاءوه في جموع كالجبال» نفسه، ٢/ ٢٦٠.

(٤) المقرئزي، السلوك، ٣/ ٢٥٧، ابن اياس، بدائع، ١/ ٢ ص ١٦١.

قاسم بن جمار (٧٥٢هـ - ٧٥٤هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٣)^(١)، ولا بد أن لهذا الخندق أثراً كبيراً في استتباب الأمن وانتعاش الاقتصاد.

هذا ويمكن تحديد أوجه تجارة المدينة في عنصرين أساسيين؛ التجارة الداخلية، والتجارة الخارجية.

أ- التجارة الداخلية

يقصد بها التبادل التجاري، الذي يتم بين أهل المدينة أنفسهم، وبينهم وبين جيرانهم من أهل القرى والبوادي، ومع بقية مدن الحجاز وعلى رأسها مكة وجدة وينبع. وتتركز التجارة الداخلية على المحاصيل الزراعية والمتنوعات المحلية، حيث تساهم المحاصيل الزراعية في مزارع المدينة وفي القرى والأودية وفي أعراض المدينة في قيام نشاط تجاري^(٢). ويعد التمر أبرد المحاصيل الزراعية ففضلاً عن أن الطلب عليه كبير لكونه المادة الغذائية الرئيسية لسكانها من حاضرة وبادية، فإن بيئة المدينة مناسبة لزراعة النخيل نظراً لخصوبتها، مما ساعد على ازدهار تجارة التمور، ومن الجدير بالذكر أن النخلة لا تفيد فقط في توفير المادة الغذائية فقط بل إنها تسد حاجة السكان من المواد الأولية في الوقود والبناء والنجارة والكثير من الاحتياجات المنزلية.

كما أن التمور وسيلة لتبادل السلع (المقايضة) للحصول على الحاجات الأخرى فيما بين الحاضرة والبادية، فيجلب الأعراب اللبن والجبن والسمن

(١) الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، ٢٥٦ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢ / ١٢٥ - ١٢٦، ٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م / ص ١٢٢ - ١١٣، شيخ الربوة، نخبة، ص ٢٨٤.

والغنم والخيول والجمال ثم يعودون إلى باديتهم محملين بالتمر والقمح والشعير والأقمشة واحتياجات البادية الأخرى^(١).

كما أن تجارة المقايضة تسد حاجة السكان المستقرين، من مختلف السلع والبضائع، التي تعرض في الأسواق الدائمة والأسبوعية والموسمية.

أسواق المدينة :

تحدثت بعض المصادر بشيء من الإيجاز عن أسواق المدينة في العصر المملوكي فقد ذكر ابن شاهين^(٢) أن «بالمدينة المشرفة سوراً وقلعة ومدارس ومساجد وأسواقاً وشوارع وبساتين ونخلًا كثيراً وفنادق وحمامات وهي مدينة حسنة» غير أن السمهودي^(٣) يعطي وصفاً أكثر تفصيلاً لأسواق المدينة، من خلال حديثه عن الدور والمرافق المحيطة بالمسجد النبوي فذكر عدداً من تلك الأسواق منها: سوق الصواغين أو الصواغ لبيع الذهب ويقع بالقرب من باب الرحمة، وهو من أبواب المسجد الحرام، وسوق العطارين القريب من سوق الصواغ، وبالقرب منهما سوق الفاكهة، أما سوق الخطابين فهو بالجبانة إلى الشمال من المدينة^(٤) كما وصف النابلسي^(٥) في رحلته أسواق المدينة وأزقتها ومنازلها وقصورها.

- الحسبة أو الرقابة على الأسواق : ومن البديهي أن الأسواق كانت تخضع لرقابة السلطة التنفيذية للمدينة، برئاسة المحتسب الذي يراقب طريقة البيع

(١) العياشي، الرحلة، ص ٢٢٣، علي حسين السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١م) ص ١٠٢.

(٢) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين، زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس (د. ط، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م) ص ١٦.

(٣) وفاء، ٢ / ٧٢٥، ٧٣٦، ٧٣٧.

(٤) السمهودي، نفسه، ٢ / ٧٦٥، ١١٧٣.

(٥) الحقيقة والمجاز، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

والشراء ونوع البضاعة والجودة. ومن تولى وظيفة المحتسب نور الدين علي بن يوسف بن الحسن الزرندي وذلك سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م^(١)، وابنه عبدالرحمن سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م^(٢). وعلي بن يوسف بن محمد الزرندي (ت ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م)^(٣).

ب - التجارة الخارجية

عندما نتحدث عن التجارة الخارجية للمدينة يتبادر إلى أذهاننا الطرق التي تسلكها تلك التجارة، التي يمكن تقسيمها على قسمين: الطريق التجاري البحري، والطريق التجاري البري.

١ - الطريق التجاري البحري

تمثل البنادر المتناقلة الرئيسة للتجارة البحرية، ويعد ميناء الجار^(٤) أقدم منفذ

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ ، ابن حجر، الدرر ، ٢١٧/٣ ، السخاوي ، التحفة ، ٢٦٩/٣ .

(٢) ابن حجر، إنباء ، ١٥٦/٧ ، السخاوي، الضوء ، ١٠٦/٤ ، السخاوي، التحفة ، ٥١٨/٢ - ٥١٩ .
(٣) السخاوي، التحفة ، ٢٧٣/٣ .

(٤) وعن ميناء الجار انظر عرام، أسماء ، ٤٢٨/٢ - ٤٢٩ حيث ذكر أن الجار على شاطئ البحر، ترفاً إليه السفن من أرض الحبشة ومصر ومن البحرين والصين، وانظر أيضاً اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، البلدان (ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٧٧ ، الحربي، المناسك، ص ٥٣٢ ، ٥٣٩ ابن رسته، أبا علي أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة (ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٩٤ ، ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣١ ، الإصطخري، أبا إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العلا الحيني، محمد شفيق غربال (د. ط ، دار القلم، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) ص ٢٣ ، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٧٤ ، خسرو، ناصر، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب (ط٢ ، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م) ص ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ابن حوقل، صورة، ص ٣٩ ، الإدريسي، نزهة، ١٤٤/١ ، ياقوت، معجم البلدان، ٩٢/٢ - ٩٤ ، شيخ الرتبة، نغمة ، ص ٢٨٤ ، أبو الفداء، تقويم، ص ٨٢ ، الفيروزآبادي، المغنم (ط١)، ص ١٧٧ - ٢٤٩ ، السهودي، وفاء، ١١٧٣/٤ .

بحري للمدينة، حيث تم استخدامه منذ صدر الإسلام^(١).

إن شهرة هذا الميناء جعلت مرتادي بحر القلزم (البحر الأحمر) من جدة إلى مدينة القلزم يطلقون على هذا الجزء بحر الجار^(٢). وأقدم من أشار إلى استخدامه كميناء، المقدسي^(٣) ويبدو أنه كان مزدهراً في القرن السادس الهجري ولم يلبث أن اضمحل في القرن السابع الهجري ويفهم من وصف ياقوت^(٤) له في سنة ٦٢٦هـ: أنه كان خالياً من السكان، على أن الجار كميناء وكمدينة بدأ بالتدهور منذ فترة لا نستطيع تحديدها على وجه الدقة ولعلها منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وقد ذكر بعض الباحثين^(٥) أن المجسات الأثرية بموقع الجار أثبتت وجود عدد من المستويات السكنية المتتابعة. أقدمها يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام، وأحدثها يرجع إلى القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين^(٦). كما أشارت المصادر إلى

(١) لتفصيلات أكثر انظر ابن سعد، الطبقات ، ٢٠٨/١ ، ٣ / ٣١٠ - ٣١١ ، يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ يعقوبي، ج ٢ (د. ط، دار صادر، بيروت د.ت) ص ١٥٤ ، ابن شبه، تاريخ ٢/ ٧٤٤ - ٧٤٥ ، علي غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١ ، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ص ١٨ .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٩٣/٢ ، ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفتروق ضيقاً (د. ط، جامعة شريفتن، غوتنجن ١٨٤٦م) ص ٩٢ ، البغدادي، مراصد، ٣٠٥/١ .

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٨٣ .

(٤) معجم البلدان، ٣١٦/٢ .

(٥) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (ط٢ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ١٦٨ - ١٧٠ ، علي غبان، الآثار، ص ١٨ - ٢١ .

(٦) ابن شجاع، إبراهيم ، منازل الحجاز (مخطوط مصور برقم ف ٨٠٩ معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٦ ل ب.

وجود ميناء آخر للمدينة؛ يدعى الحوراء^(١) إلى الشمال من ينبع.

وهنا يبرز أمامنا ميناء ينبع^(٢) الذي حل محل مينائي الجار والحوراء منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري. إن ميناء ينبع كان له وجود في العصور القديمة، وكانت ينبع تسمى في كتب اليونان القديمة (NERA) و (NEGRA)^(٣) إلا أن استخدامه في العصر الإسلامي لم يظهر إلا في سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م حينما اشترى السلطان الكامل الأيوبي قلعة ينبع الواقعة على ساحل البحر مقابل المدينة من الأشراف الحسنيين بأربعة آلاف مثقال^(٤)، ويبدو أن شراءه تلك القلعة كان إما بقصد مراقبة أشراف الحجاز أو لمواجهة الاطماع الصليبية في المنطقة غير أن الأشراف امتنعوا عن تسليمها فأخذها قهراً وأقام له فيها نائباً، وظلت تحت السلطة الأيوبية إلى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م حين استردها الأشراف الحسنيون^(٥)

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٣١٦/٢ - ٣١٧، البغدادي، نفسه، ٥٣٥/١، وذكر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣ أن الحوراء هو ساحل خيبر، أما البكري، جزيرة العرب، ص ٢١، والحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (ط٢)، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م) ص ٢٠٥، فذكروا أن الحوراء ساحل وادي القرى.

(٢) يَنْبَعُ يَنْبَعُ عن اللحياني، نبأً ونبوعاً: تفجر، وقيل: خرج من العين؛ ولذلك سميت العين ينبوعاً، ابن منظور، لسان، ٥٦٩/٣ والمقصود ينبع البحر أو الساحل أما ينبع النخل فقد كانت مأهولة بالسكان منذ قبل الإسلام - حتى العصر المملوكي.

(٣) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢ (ط٢)، جامعة بغداد، د. م ٢٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ص ٤٧ - ٤٨، حمد الجاسر، بلاد ينبع (د. ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض د. ت) ص ٤٦ - ٤٧، علي السليمان، النشاط، ص ١٠٥.

(٤) المقرئزي، السلوك، ٢١٥/١، وفيها يشير إلى الطابع العسكري للقلعة.

(٥) المقرئزي، نفسه، ٢١٥/١ غير أنه يذكر في حوادث سنة ٦٣٠هـ أن الملك الكامل جهز عسكرياً من الغز والعربان إلى ينبع لمواجهة الجيش الرسولي الذي قدم من اليمن بقيادة راجح بن قتادة للسيطرة على مكة، ٢٤٤/١.

واستمرت في أيديهم حتى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م حينما اشتراها السلطان الرسولي نور الدين عمر بن علي بن رسول^(١) وأمر بتخريبها حتى لا يعود إليها الأيوبيون^(٢). غير أن ينبع ما لبثت أن عادت إلى سلطة الأيوبيين دون أن تذكر المصادر الفترة الزمنية التي آلت فيها إليهم، ثم أصبحت تحت السلطة المملوكية. ويشير المقرئزي^(٣) إلى استخدام ينبع لنقل السلع إلى المدينة، حيث ذكر أنه في سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠م أرسل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة مراكب إلى ينبع شحنها «بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك» وكذلك فعل السلطان المملوكي المؤيد سيف الدين شيخ ٨١٦ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م) ففي سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م وحينما عزم السلطان على الحج جهز الغلال وأرسلها إلى بندر ينبع لمساعدة الحجاج وأهل المدينة وينبع^(٤). غير أنه بالعودة إلى كثير من المصادر التاريخية والبلدانية وكتب الرحلات المعاصرة نجد أنها لا تشير إلى ينبع الساحل، بل تتحدث فقط عن ينبع النخل^(٥). ويعد ابن سعيد المغربي أقدم جغرافي تحدث عن ينبع كميناء فبعد أن تحدث عن خير قال «فيما بينها وبين المدينة النبوية ينبع وبها عيون وخضر

(١) مؤسس الدولة الرسولية سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م، وكان المذكور أميراً على مكة من قبل السلطان الأيوبي في اليمن سنة ٦١٧هـ / ١٢٢١م، الحزرجي، العقود، ٤١/١، ٥٥.

(٢) الجزيري، الدرر، ٣/٦٣١، أما العصامي، سمط، ٤/٢١٨ - ٢١٩ فيذكر شراء القلعة سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤١م).

(٣) المقرئزي، السلوك، ٩١٧/١.

(٤) الصيرفي، نزهة، ٤١٣/٢ - ٤١٤.

(٥) البكري معجم، ٢/٦٥٥، ٦٥٨ ياقوت، معجم، ٥/٤٤٩ - ٥٥٠، الفيرآبادي، المغانم (ط)، ص ٤٤٠، السهمودي، وفاء، ٤/١٣٣٤، العبدري، أبا عبد الله محمد بن محمد، رحلة العبدري، حققه محمد الفاسي (د. ط، وزارة الثقافة المغربية، الرباط ١٩٦٨م) ص ١٦٣.

وحصن، وهي منازل بني الحسن رضي الله عنه. وموضوعها حيث الطول أربع وستون درجة والعرض ست وعشرون درجة ولها فرضة على بحر الحجاز على مرحلة منها ينزل فيها الحجاج الذين يقصدون المدينة^(١) ويتضح من النص السابق أنه يتحدث عن الينبعين: النخل والساحل، وأن ينبع البحر أصبحت ميناء للحجاج. كما نقل كل من أبي الفداء^(٢) والجزيري^(٣) ما ذكر ابن سعيد عن ينبع. وتتضح أهمية ينبع التجارية خلال العصر المملوكي فيما ذكره ابن شاهين^(٤) بقوله «وهي مدينة حسنة تشتمل على سور وقلعة... ومدينة الينبوع كثيرة العماير والأسواق... وللينبوع بندر ترد إليه المراكب بالغلل من سواحل الطور، يؤخذ عليها المكوس لصاحب الينبوع في كل سنة تقدير ثلاثين ألف دينار» ويفهم من النص السابق أن ميناء الطور بمصر هو الميناء التجاري الذي يربط مصر ببندر ينبع، أما الجزيري فتحدث عن ميناء ينبع بقوله: «وعلى مرحلة من الينبع، البندر الذي بساحل البحر الملح غرباً وبه خان و(حصار)^(٥) و(نوباجية)^(٦) وجماعة الشريف يأخذون المكس الذي يسمونه الزالة من أهل المراكب المارة بهذا

(١) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي (ط١)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م) ص ١٣١.

(٢) تقويم، ص ٨٩.

(٣) درر، ١٤١٥/٢، وهو ينقل هنا عن كل من أبي سعيد وأبي الفداء، رغم أنه عمل في وظيفة كاتب إمرة الحج وكان دائم المرور بينبع والأفضل أن يصفها كما رآها.

(٤) زبدة، ص ١٦.

(٥) الموضع الذي يحصر فيه الإنسان، ابن منظور، لسان، ٦٥١/١٠ ويحتمل أن المقصود هنا القلعة أو الحصن وهو استعمال تركي.

(٦) مصطلح يطلق على الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان. والمقصود هنا فرقة من الجند، محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبيح الأعشى، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م) ص ٣٥٣.

البندر وهي عادة لأمير الينبع، يستعين بها على مصروف امرته^(١)، ويصفها العطار بقوله: «وبها خانات وبيوت وأفران والخضر واللحم كثير والعسل والسمن والدقيق وغيره والعشش ويندرها على البحر^(٢)».

ويذكر الرحالة القلصادي^(٣): أنه قد ركب من الطور في طريقه إلى الحج ونزل بالينبوع ومنه اتجه براً إلى رابغ فجدة ثم مكة.

لقد تزايد سكان ينبع البحر بانتقال أعداد كبيرة من الأسر من صعيد مصر واستيطانهم لها^(٤) فازدادت حركة النشاط الاقتصادي وخاصة التجاري منها، وتعاظمت أهمية ينبع التجارية، حيث استخدم ميناء ينبع خلال إحدى فترات العصر المملوكي بدلاً من ميناء جدة كميناء رئيسي للحجاز، نتيجة لاختلال الأمن في كل من مكة وجدة. ففي سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م أراد بعض أشرف مكة أن يشاركوا أميرها السيد علي بن عجلان فيما يأخذه من ضرائب على السفن الواردة إلى جدة خاصة بعد وصول سفينة إليها مرسلتة من قبل السلطان المملوكي محملة بالقمح والشعير وال فول، ورغم أن الشريف علي وافق على إعطائهم أربعمئة غرارة قمح من ذلك المركب وزادهم مائة أخرى. إلا أنهم تمادوا في الإفساد على الطريق بين جدة ومكة، مما أدى إلى إغراض التجار عن جدة، واتجهوا إلى ينبع لممارسة تجارتهم فتدهورت نتيجة لذلك تجارة مكة^(٥).

(١) درر، ١٤١٧/٢.

(٢) العطار، محمد بن محمد، منازل الحج الشريف، (مخطوطة مصورة برقم ف ١٦٣٨ - ٢، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود) ورقة ٦.

(٣) أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الاجفان (د. ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨م) ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) ويطلق على إحدى حارات ينبع البحر بحارة الصعايدة، حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٢٨،

(٥) ابن فهد، التحاف، ٣/٣٨٩، الجزيري، الدرر، ١/٦٨٠.

كما أن التجارة القادمة من الهند واليمن، أخذت تتجنب المرور بجدة، مستخدمة ميناء ينبع بدلاً منها، نتيجة للرسوم المرتفعة التي تؤخذ على السلع المارة بها، والأساليب القاسية التي يمارسها الموظفون في ميناء جدة ضد التجار^(١). ولذلك تعاظم دور ينبع تجارياً وعمراًياً وقد وصفها ابن إياس^(٢) بقوله: من أهم مدن الحجاز، وهي بندر التجار ومحل المكاسب... وبها بدو وصاغة وحواصل ودكاكين وسرحات وبساتين وزرع وعيون وأشجار».

٢- الطريق التجاري البري

يعد طريقاً الحج الشامي والمصري أهم طرق التجارة البرية التي تربط المدينة بالخارج منذ صدر الإسلام^(٣). أما تجارة مصر مع المدينة فترتبط بطريقين بري وبحري، ويشكل طريق الحج المصري عبر الساحل الطريق البري الرئيسي لتجارة المدينة مع مصر^(٤). ويعد الطريق الممتد من اليمن إلى الشام من أبرر الطرق التجارية في جزيرة العرب، ويمر هذا الطريق بالمدينة حيث تقطعه القوافل محملة بالسلع اليمنية والحبشية والهندية وتعود بالمنتجات الشامية والمصرية وغيرها إلى اليمن^(٥)، ومنها تنقل إلى غيرها من الأقطار وهذا ما يطلق عليه تجارة المرور التي تتوقف في المدينة كما تتوقف أيضاً السفن القادمة من مصر بينبع فتقدم لتلك القوافل والسفن الخدمات اللارمة من مؤن وإبل

(١) علي السليمان، النشاط التجاري، ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) محمد بن أحمد، نقش الأزهار في عجائب الأقطار، (مخطوطة مصورة برقة ف ١/٣٥٢)، (جامعة

الملك سعود الرياض) ورقة ٢٠٠ ل ٢، ٢٠١ ل ٢.

(٣) الحربي، الناسك، ص ٦٥٣.

(٤) الجزيري، الدرر، ١٤١٩/٢، سعيد الافغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط ٣)، دار

الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ١٥ - ١٦.

(٥) علي السليمان، النشاط التجاري، ص ١٢٦.

وأدلاء مما يعود بالنفع والفائدة على سكان المدينتين، فتزدهر التجارة ويتعش النشاط الاقتصادي.

إضافة إلى أن تجار المدينة وينبع، يقومون بشراء بعض السلع المارة بهما. يتضح مما سبق: أن ازدهار ميناء ينبع، والطرق التجارية البرية المارة بالمدينة، قد انعكس بصورة إيجابية على تجارتها بشكل خاص، وأوضاعها الاقتصادية بشكل عام. فانتعشت نتيجة لذلك، التجارة التي شملت مختلف السلع، ومنها الغذائية كالذقيق والأرز الذي يحمل إلى المدينة عبر القوافل البرية، وعبر الطرق البحرية إلى ينبع^(١). وقد اتخذ هؤلاء التجار المدينة أو ينبع مقراً لهم، كما أن بعضهم مارسوا تجارتهم من أقطارهم فكانوا يأتون إلى الحجاز في أوقات معلومة أو في مواسم الحج، ومنهم تجار من مصر والشام والعراق وفارس واليمن وغيرها. ومن الأسر التي مارست التجارة متخذة من المدينة مقراً لها أسرة الشكليين^(٢). ومن الأفراد الذين اشتغلوا بالتجارة بالمدينة صفى الدين أبو بكر ابن أحمد السلامي^(٣). ومن كبار تجار المدينة عمر بن محمد كمال بن محمد ابن عمر التكروري الأصل المدني الذي «كان مثيراً يكثر السفر لمصر وغيرها»^(٤) ويبدو أن ذلك كان من أجل التجارة.

(١) الجزيري، الدرر ، ١١٧٢/٢ .

(٢) ابن فرحون، نصيحة ، ورقة ٧٧ ل ب، ٧٨ ل أ، وسبق الحديث عن هذه الأسرة في مهنة العطارة من هذا الفصل.

(٣) (توفي سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥١ م)، ابن فرحون ، نفسه ، ورقة ٤٥ ل أ ، ابن حجر ، الدرر ، ٤٦٩/١ ، الفيروزآبادي، المقامات (خ)، ورقة ٢٣٢ ل ب، السمهودي، وفاء، ٩٤٨/٣ وينسب المذكور إلى قرية السلامية، وهي قرية كبيرة بنواحي الموصل شرق دجلة، ياقوت ، معجم البلدان، ٢٣٤/٣ .

(٤) (توفي سنة ٨٨١ هـ / ١٤٨١ م)، السخاوي، التحفة ، ٣٦٠ / ٣ .

ومن تجار المدينة علي بن سليمان بن عبد الواحد القاهري . نزول المدينة وكانت تجارتها بين ينبع ومصر عبر البحر الأحمر . وينقل بضائعه بعد ذلك براً إلى المدينة^(١) . ومن التجار، محب الدين بن أبي الفتح العسقلاني المصري الأصل؛ وكان من تجار الحجارة وقد وصف بأنه «لم يكن بالمرضي، يقال: كان لا يبالي بما اشترى ومن أي مال اكتسب»^(٢) أي إن تجارتها لم تكن حلالاً كلها، فربما كان يتعامل بالربا، ومن التجار المصريين الذين تعاملوا مع الحجارة علي النوساني^(٣) .

الحج والعمرة والزيارة وأهميتها في النشاط الاقتصادي

يمثل الحج والعمرة والزيارة المتصلة طوال السنة أهمية كبرى للحجارة وخاصة مكة والمدينة، التي يلتقي خلالهما المسلمون من شتى بقاع الأرض، فيفد التجار إلى الحجارة للحج والتجارة معاً، حيث يجلبون بعض متوجات أقطارهم للحجارة^(٤)، كما أن حرمة مكة والمدينة كان خير ملاذ للأثرياء الذين تقع ديارهم في فتن فيفرون إليها بعلة الحج حفاظاً على أموالهم^(٥) . وفيما يختص بالمدينة فإن كثيراً من الحجاج والمعتمرين من فارس والعراق والشام ومصر وبلاد ما وراء النهر يمرون بها وهم في طريقهم إلى مكة وعودتهم منها، فيزداد النشاط الاقتصادي بالمدينة، نتيجة قيام بعضهم باستئجار جمال أو أدلاء^(٦)

(١) السخاوي، الصفحة ٢٢٣/٣ .

(٢) (توفي سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م)، ابن قاضي شعبة، تاريخ، ٦٦٩/٣ .

(٣) ابن قاضي شعبة، نفسه، ٦٣٦/٣ .

(٤) القلقشندي، صبح، ٣٠٢/٤، علي السليمان، النشاط، ص ١٠٤ .

(٥) المسعودي، مروج، ٤١٦/٣ - ٤١٧، سعيد القحطاني، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع

الهجريين (رسالة دكتوراه)، غير منشورة، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤١٥ هـ /

١٩٩٥ م) ص ٥٣ .

(٦) يطلق عليهم غالباً الجمالون، العياشي، الرحلة، ص ٢٢٤ .

والحصول على بعض الطعام والحاجات الأخرى، كما يجلب بعضهم سلعاً مثل السجاد من فارس، والمنسوجات من الشام، كما يقيم بعضهم في المدينة لفترة طويلة فيستأجرون منازل، كما يأتي أغنياؤهم بالصدقات إليها ويرسل آخرون بتلك الصدقات مع الحجاج.

المعاملات المالية والأوزان والمكاييل

ترتبط معاملات أهل المدينة المالية بما هو سائد في الديار المصرية، ومكة من المعاملة بالدنانير والدراهم النقرة^(١)، ويعبر عن الدرهم النقرة بالكاملي نسبة إلى السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. كما يتم تداول درهم آخر من فضة خالصة مربع الشكل يسمى الدرهم المسعودي نسبة إلى الملك المسعود الأيوبي صاحب اليمن^(٢). كما سكت بالمدينة نقود تدعى بالعلوية وهي «قطيعات من الفضة مسكوكة باسم صاحب المدينة، كل واحد صرفه سدس درهم»^(٣) ثم راجت بعد ذلك الدراهم المملوكية في عهد السلطان برقوق، ويعادل كل درهم ثمانية وأربعين فلساً^(٤). ومن النقود المستعملة أيضاً بالمدينة الدينار الأفرنتي^(٥) الذي بدأ استعماله في مصر لأول مرة سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وأول إشارة إلى ظهوره في مكة كان في موسم حج سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م^(٦) ولا بد أنه قد وصل إلى المدينة في نفس الفترة أو قريباً من ذلك وتم

(١) الدراهم النقرة هي التي تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس القلقشندي، صبح، ٤٣٩/٣، ٤٤٠، محمد قنديل البقلي، التعريف، ص ١٣٤.

(٢) القلقشندي، صبح، ٢٧٥/٤ - ٢٧٦، ٣٠٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٠ ل ب، ٤١ ل أ.

(٤) القلقشندي، نفسه، ٢٧٦/٤.

(٥) «ذهب يقال له الأفرنتي والأفلوري والبندقي» وهو من ضرب البندقية، المقرئزي، السلوك، ٣٠٥/٤.

(٦) الفاسي، شفاء، ٢٧٥/٢ - ٢٧٦.

تداوله. ثم راج بعد ذلك استعمال الدنانير الأشرفية^(١)، التي حلت محل الدنانير الأفرنتية^(٢). كما تم تداول المحلق^(٣) في أسواق مكة والمدينة منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري^(٤).

أما الأوزان المستعملة، فمنها المن ويعادل مائتين وستين درهماً^(٥)، والرطل المصري^(٦) ويعادل اثنتي عشرة أوقية، كل أوقية اثنا عشر درهماً وزنيًا = ١٤٤ درهماً وزنيًا^(٧).

أما المكايل المستعملة في الحجاز في العصر المملوكي؛ فمنها الصاع^(٨)، ومنه الصاع المدني «صاع النبي ﷺ» نسبة للمدينة يعادل ٥,٥ رطل مدني = ٣,٢٤٥ كغم قمح^(٩) والغرارة^(١٠) وهي مكيال دمشقي للحنطة تعادل ٢٠٤,٥ كغم أو حوالي ٢٦٥ لتراً، بوصفها مكيالاً^(١١). والوبة^(١٢) وهو مكيال مصر بالدرجة

(١) نسبة إلى السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقمائي الظاهري الجركسي ٨٢٥-٨٤١ هـ / ١٤٢١-١٤٣٧ م المقرئ، نفسه، ٦٠٧/٤ - ١٠٥١.

(٢) المقرئ، نفسه، ٧١٠/٤.

(٣) في حاشية إنحاف الوري لابن فهد ٦٣٩/٤، ذكر المحقق أن المحلق هو في اصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير غير أنني لم أجد تفسيراً دقيقاً لهذا النوع من العملات فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) ظهر الأول مرة بمكة سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م، ابن فهد، إنحاف، ٦٣٩/٤، ويحتمل استعماله بالمدينة خلال تلك الفترة، الجزيري، الدرر، ٧٦٣/١.

(٥) القلقشندي، صبح، ٦٧٦/٤ - ٣٠٢.

(٦) ابن الفرات، تاريخ، مج ٩، ٤٦٣/٢، الجزيري، نفسه ٧٦٥ - ٧٦٦.

(٧) فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العلي (د. ط، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٧٠ م) ص ٣٢.

(٨) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٤٦٣/٢.

(٩) فالتر هنتس، نفسه، ص ٦٣.

(١٠) ابن الفرات، نفسه، ٢١١ - ٢١٢.

(١١) فالتر هنتس نفسه، ص ٦٤.

(١٢) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٣١٢ - ٣١٣، ابن قاضي شهبه، تاريخ، ٤٣٣/٣، الجزيري، نفسه، ٧٦٥ - ٧٦٦.

الاولى ١٠ أمان أو ١٦٨، ١٢ كغم. والمد^(١)، وهو أحد المكايل المستعملة منذ صدر الإسلام بالمدينة يعادل ربع صاع؛ فالصاع الشرعي يعادل ٤ أمداد^(٢)، والحمل^(٣) ويستعمل الحمل المصري في حساب الأوزان بمكة والمدينة ويعادل ٣٠٠ رطل = ١٣٥ كغم قمح^(٤).

الأسعار

لم تكن أسعار السلع في الحجاز بصفة عامة والمدينة بصفة خاصة مستقرة في العصر المملوكي، بل كانت ترتفع وتنخفض حسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية. كما كان لارتفاع السلع وانخفاضها في الأقطار المجاورة كمصر والشام واليمن والعراق أثر في هذا التذبذب؛ نظراً لأن كثيراً من السلع تأتي من تلك الأقطار، كما كان للظروف المناخية أثر في الأسعار. حيث تمر البلاد بفترات من الرخاء، وأخرى من الجفاف والقحط، فللأمطار أثر في زيادة الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية ففي سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م هطلت أمطار غزيرة على الحجارة عامة سالت على إثرها الأودية وعم الرخاء سائر الحجارة وقد أشار إلى ذلك ابن الفرات^(٥) بقوله «وكان ذلك عاماً بالحجاز الشريف ووصل من نخيلة^(٦) تقدير ألف جمل وكسور قمح وشعير وعسل وغيره وكان

(١) القلقشندي، نفسه، ٤ / ٣٠٢، الجزيري، نفسه، ١ / ٧٦٦.

(٢) فالتر هتس المكايل والأوزان، ص ٦٣، ٧٤.

(٣) الجزيري، الدرر، ١ / ٧٦٦ - ٧٦٧.

(٤) فالتر هتس، نفسه، ص ٢٧.

(٥) تاريخ مج ٩، ٣١٢-٣١٣، وانظر أيضاً ابن قاضي شعبة، تاريخ، ٣ / ٤٣٣.

(٦) قد يكون المقصود نخيل تصغير نخل على خمسة أميال من المدينة ياقوت، معجم البلدان ٥ / ٢٧٨، أو نخيل على بعد نصف وستين ميلاً من المدينة وهو الأرجح، الحربي، المناسك، ص ٥٢٠ - ٥٢١، الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ٤٠٨ السهمودي، وفاء، ٤ / ١٣١٩.

السعر تشحط^(١) فحصل بذلك الرخاء بسعادة مولانا السلطان خلد الله ملكه والأسعار، القمح كل وية ثمانية عشر والشعير كل وية خمسة عشر والدقيق كل وية ثمانية عشر» ويستدل من النص السابق أن أسعار تلك السلع كانت عالية، وحينما وصلت تلك الحمول انخفضت الأسعار. وحينما تهطل الأمطار تنخفض الأسعار نظراً لارتواء الأرض ففي سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م أدى سقوط الأمطار إلى رخاء في البادية والحاضرة؛ فكانت الأسعار منخفضة عما كانت عليه في السنة السابقة فرخص اللحم نتيجة لنمو المراعي فأصبح الرطل المصري بأقل من نصف درهم، أما القمح فقد أصبح الصاع منه بـ خمسة عشر درهماً بعد أن كان في السنة السابقة بثلاثين درهماً^(٢)، وفي سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ذكر أن الرخاء عم مكة والمدينة وغيرهما فرخصت أسعار القمح واللحم^(٣).

أما حالات الغلاء، فمنها ما حدث سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م حين حدث غلاء شديد؛ فبلغت غرارة القمح بمكة من ألف إلى ألف ومائتي درهم أما غرارة القمح بالمدينة فبلغت ألف درهم، وغرارة الشعير سبعمائة درهم^(٤). ويلاحظ هنا، أن أسعار القمح في مكة كانت أعلى منها في المدينة، وربما يرجع ذلك لازدحام مكة، وخاصة في مواسم الحج والعمرة، ولقرب المدينة من الشام ومناطق زراعة القمح. وقد لاحظ العياشي^(٥) «أنه ليس بين القمح والشعير

(١) تشحط هو من شحط في السوم إذا أبعد فيه، ويشحط الثمن... أي يبلغ به أقصى القيمة. ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ٢٧٧.

(٢) الذهبي، المختار، ٢١١/٨ - ٢١٢، ابن الفرات، تاريخ، مج ٩، ٢ / ٤٦٣.

(٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر، إظهار العصر لأسرار أهل العصر، «تاريخ البقاعي، تحقيق محمد بن سالم ابن شديد العوفي (ط ١)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص ٤٦٧.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، ٢١١/٨ - ٢١٢.

(٥) (القرن الحادي عشر الهجري / السابع الميلادي) رحلة، العياشي، ص ٢٢٤.

تفاوت كبير في السعر في الحجاز، خلافاً للمعهود في غالب البلاد» ولم أجد تفسيراً لهذا التقارب في السعر بين السلعتين، إلا أن يكون الشعير مادة غذائية للإنسان في بعض الأقطار، يصنع منه الخبز مثلاً بخلاف أقطار أخرى تستخدمه للماشية، فيكون سعره منخفضاً كثيراً عن القمح. ولو تتبعنا حالات الرخاء ورخص الأسعار في فترة الدراسة بالمدينة، نجد أنها حدثت أعوام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م^(١)، ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م^(٢)، ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م^(٣) و ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م^(٤)، ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م^(٥)، ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م^(٦)، ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م^(٧) و ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م^(٨)، ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م^(٩)، أما الجفاف والغلاء فقد حدث أعوام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م^(١٠)، ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م^(١١)، ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م^(١٢)، ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م^(١٣)، ٧٨٣هـ/ ١٣٨٤م^(١٤)، على أننا لا نعلم شيئاً عن

(١) ابن الفرات، تاريخ، ٧/ ٢٦٠-٢٦١.

(٢) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٣٨/١.

(٣) ابن قاضي شهبه، تاريخ، ٣/ ٣٥٠.

(٤) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٢٧٣.

(٥) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٣١٢-٣١٣.

(٦) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٤٢.

(٧) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٤٧.

(٨) المقرئ، السلوك، ٤/ ١١٥٧.

(٩) البقاعي، اظهار، ص ٣٦٧.

(١٠) ابن الفرات، نفسه، ٨/ ٢١١-٢١٢.

(١١) العيني، عقد، ٣/ ٣٠١ وقد ذكر أن الغلاء والمجاعة كان شاملاً نتيجة للسيول في مصر والشام والحجاز واليمن.

(١٢) المقرئ، نفسه، ٢/ ٣٧٤.

(١٣) نتيجة للأوبئة والأمراض المقرئ، نفسه، ٢/ ٧٩٨.

(١٤) المقرئ، نفسه، ٣/ ٤٦٠، ابن فهد، المحاف، ٣/ ٣٣٧، الجزيري، الدرر، ١/ ٦٦٩.

السنوات الأخرى محل الدراسة، من حيث مستوى الغلاء والرخاء. إلا أنه بالعودة لما ذكره الجزيري عن أحوال مكة وأسعار السلع بها فترة الدراسة اتضح لدينا أن أعوام الغلاء تفوق كثيراً أعوام الرخاء^(١)؛ وهذا يعود لأسباب منها اختلال الأمن، والقحط، وانخفاض أو انقطاع قوافل التجارة في بعض السنوات. وقياساً على ذلك، يمكن القول: إن الحجاز بصفة عامة، قد شهد خلال فترة الدراسة سنوات كثيرة من القحط، وغلاء الأسعار أكثر من سنوات الرخاء، وانخفاض الأسعار.

الأوقاف والصدقات وأثرها في الأحوال الاقتصادية

نظراً للأهمية الدينية لكل من مكة والمدينة، ولقدوم أعداد كبيرة من الحجاج والمعتمرين والزوار لهاتين المدينتين، ولضعف مواردهما الاقتصادية واعتمادهما بشكل أساسي على ما يأتيهما من الخارج، فقد ساهم سلاطين الممالك مساهمة فعالة في معالجة أوضاعهما الاقتصادية، وذلك بتحييس الأوقاف على الحرمين الشريفين، وصرف ما يرد منها على أهل مكة والمدينة والقادمين إليهما. وكان لتلك الأوقاف أثرها الاقتصادي والاجتماعي، ففيما يخص المدينة وفي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م «وقف السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر^(٢)

(١) الجزيري، الدرر: الغلاء أعوام ٦٤٩، ٦٥١، ٦٦٥، ٦٧٦، ٦٨٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٢٢، ٧٤٤، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٧٤، ٧٧٦، ٧٨٠، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٩٣، ٧٩٧، ٨٠٥، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٩، ٨٢٢، ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٦٣، ٨٨٣، ٨٩٨.

حالات الرخاء أعوام ٦٨٢، ٦٨٤، ٦٩٧، ٧١٦، ٧٢٥، ٧٥٥، ٧٨٧، ٧٩٦، ٨٩٦، ٨٩٨، ٩٠٣. (٢) السلطان المملوكي الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد تولى السلطة بين (٧٤٣-٧٤٦ هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥ م) المقرئ، السلوك، ٦١٩/٢-٦٧٧، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد، الانتصار بواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (د. ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت) ج ٥ ق ٢ ص ٤٩.

ثلاثي ناحية سندبيس من القليوبية بمصر على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي^(١).

وقد أوردت المصادر^(٢) أنه «في عشر الستين وسبعمائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد قرية من بيت مال المسلمين بمصر وقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة المطهرة والمنبر في كل خمس سنين مرة وقيل في كل ست سنين مرة».

أما الصدقات فقد شمل سلاطين المماليك أهل المدينة برعايتهم. فقد أمر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بأن يحمل إلى المدينة في كل سنة مائتي أردب غلة^(٣).

وفي سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٨٠ م وبعد عودة السلطان المملوكي قايتباي من المدينة إلى مصر بعد أدائه فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي شرع في شراء أماكن وجعلها وقفاً ليحمل ريعها إلى المدينة ليفرق منه على أهلها ويعمل منه سباط، وكان يحمل إلى المدينة من مصر كل سنة سبعة آلاف إردب^(٤) من الحب، كما شرع القائمون على عمارة المسجد النبوي ببناء رباط ومدرسة للسلطان قايتباي، ورباط آخر مكان رباط الحصن العتيق وحمام وسبيل وفرن وطاحون ومطبخ

(١) المقرئ، نفسه، ٦٣٣/٢، ابن تغري بردي، النجوم، ٨٥/١٠.

(٢) الفاسي، شفاء، ١٢٣/١، السخاوي، التحفة، ٣١٩/١ - ٣٢٠ السمهودي، وفاء، ٥٨٤/٢، الثابلسي، الرحلة، ص ٣٤٨، وقد يكون المقصود بذلك السلطان الناصر حسن الذي تولى السلطنة بين (٧٨٤ هـ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١ م) و (٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦١ م) ستانلي لين بول الدول الإسلامية، ١٧٣/٢.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٤) الإردب مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ ويات كل وبة ٨ أقداح كبيرة ١ و ١٦ قدحاً صغيراً فالتر هتس، المكابيل والأوزان، ص ٥٨.

ووكالة ذات حواصل بعد أن تم شراء عدة دور بالمدينة وهدمها^(١). كما ساهم بعض الأمراء الماليك بنصيب في تلك الأوقاف ففي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م قام الأمير شيخ نائب السلطنة المملوكية في الشام بإيقاف جميع أملاكه على ذريته وعلى جهات بر، منها «مائتا قميص تحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق في الفقراء. ومنها مبلغ لمن يطوف عنه كل يوم، أسبوعاً، ومنها عشرة أيتام، في كل من الحرمين، ومؤدب يقرئهم القرآن»^(٢). أما الصدقات فهي كثيرة وقد ساهمت إلى حد كبير في التخفيف من موجة الغلاء والقحط والمجاعات التي أصابت مكة والمدينة خلال العصر المملوكي. ففي سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م تصدق أمير العرب في بلاد الشام على أهل مكة والمدينة والمجاورين بهما^(٣).

وفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م تصدق نائب السلطنة بالقاهرة سيف الدين أرغون (الدوادار) الناصري بصدقات كثيرة بمكة والمدينة^(٤).

وفي سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م وصلت إلى مصر الأخبار بوقوع موجة من الغلاء بالحجاز، فلما سمع بذلك الاتابكي يلغى العمري أرسل إلى مكة اثني عشر ألف أردباً من القمح، فتم تفريقها على الفقراء والمساكين بمكة والمدينة^(٥). وفي سنة ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م أرسل الأمير جركس الخليلي قمحاً كثيراً إلى الحرمين الشريفين ليعمل منه كل يوم خمسمائة رغيف لمكة ومثلها للمدينة فكان

(١) السخاوي، التحفة، ٤١١/٣، السمهودي، وفاء، ٦٤٤/٢، ٧١٤-٧١٥.

(٢) ابن إياس، بدائع، ٧١٨/١، المقصود الطواف سبعة أشواط في اليوم.

(٣) الجزيري، الدرر، ٦١٣/١.

(٤) الجزيري، الدرر، ٦٢٢/١.

(٥) ابن إياس، بدائع، ج ١ ق ٢ ص ١٦-١٧.

لذلك أثر طيب في نفوس أهل المدينتين والقادمين إليهما^(١).

وفي سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م عزم جماعة من أهل دمشق على التوجه إلى الحجاز، فأرسل معهم نائب السلطان في دمشق قمحاً ليفرق هناك، فقصدوا المدينة أولاً، ثم اتجهوا إلى مكة^(٢). كما ساهم أمراء الحج بنصيب في التخفيف من موجات الغلاء والتصدق على الفقراء والمساكين في مكة والمدينة؛ فقد ذكر أنه في سبتي ٦٩٩-٧٠٠هـ / ١٢٩٩-١٣٠٠م كان أمير الحاج بكتمر الجوكندار وقد أنفق في حجه ثمانين ألف دينار، وجهاز لجلدة مراكب مشحونة بالأطعمة الأزواد من جميع الحبوب وغيرها من الحلويات، والأعسال والزيت، والسكر وما يحتاج إليه الحاج في الأسفار، وجهاز للينبوع أيضاً ثلاث مراكب مشحونة بما ذكر، ونادى متابعيه: من كان محتاج لشيء ليحضر، وكل من حضر وطلب شيئاً أعطاه، وفرق على من حضر وعلى من لم يحضر حتى عم أهل الينبوع وأهل الحرمين خيره وإحسانه ملأ وطعاماً وإداماً وغير ذلك^(٣).

وسيجد القارئ، أن شريحة الأوقاف والصدقات وغيرها، ستعكس على الحياة الاجتماعية لفئات السكان انعكاسات إيجابية.

(١) المقرئزي، السلوك، ٥٣٦/٣، ابن فهد، إتحاف، ٣٤٨/٣، الصيرفي، نزهة، ١٢٢/١.

(٢) ابن قاضي شُهْب، تاريخ، ص ٨٣.

(٣) ابن تفردي بردي النجوم، ١٤٦/٨، الرشيد، أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج تحقيق ليلي عبد اللطيف أحمد (د. ط)، مكتبة الخالجي مصر ١٩٨٠م ص ١٢٨، د. أحمد عدوان، الممالك وعلاقاتهم الخارجية، ص ١٥١.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

أولاً : السكان

أ- عناصر السكان

ب- الأصول الاجتماعية لسكان المدينة

ج- العلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني.

ثانياً: السكن

ثالثاً: الأظعمة

رابعاً: اللباس

خامساً: العادات والتقاليد

سادساً: المصاهرات

أولاً : السكان

أ- عناصر السكان

استقطبت المدينة عبر تاريخها عناصر سكانية متعددة من داخل الجزيرة وخارجها. وقد وضح ذلك في العصر المملوكي حيث إن مجتمع المدينة كان يتكون من عناصر متميزة هي :

١- الأشراف :

ومن بينهم الطبقة الحاكمة، وهم من بني مهنا الحسينيين^(١)، وقد سكنت تلك الفئات المدينة وما حولها، وسكن بعضها ناحية من المدينة، وانعزل عن بقية السكان^(٢). كما اختلط البعض الآخر بالشرائح الاجتماعية الأخرى في المدينة. فمن فئات الأشراف في العصر المملوكي.

أ- آل منصور: ينسبون إلى منصور بن جمار الذي حكم المدينة سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م^(٣)، وقد سكنوا في البلاط^(٤).

ب- المتأينة: سكنوا بالقرب من المدرسة الشهابية الملاصقة للمسجد النبوي^(٥).

(١) حول بني مهنا أمراء المدينة انظر الفصل الأول الأوضاع السياسية.

(٢) ابن شدقم، نخبة، ورقة ٢ ل أ- ب، أحمد بن محمد البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسنية (ط ٢، د. م، بيروت ١٣٩٤هـ) ص ٥٩-٧٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، ١٠٥ ل أ- ب، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٧٥/٢.

(٤) البلاط «موضع بالمدينة بين المسجد المقدس وسوق البلد، وهو مبلط بالحجارة، ويقال : هو الخط الممتد من سوق العطارين إلى أبيات الأشراف الحسينيين، ولاية المدينة اليوم» الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص ٦٤، وانظر، المراغي، تحقيق، ص ١٧٧.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ ل .

ج - المداعبة: سكنت هذه الفئة في حارة الخدام القريبة من المسجد النبوي،
وخالطت نتيجة لذلك خدام الحرم، ولذا يعتقد أن علاقتهم بالخدام كانت
طيبة^(١).

د- البدور: ينسبون إلى بدر بن فايد بن علي بن الحسين بن القاسم، وينتهي
نسبهم إلى علي بن الحسين بن علي، وقد سكنت فيما يسمى بحوش الحسن
وما حوله^(٢).

هـ - الواحدة^(٣): استقرت في السوق^(٤) - وهو موضع قرب المدينة^(٥) -
وما حولها، ومن زعاماتهم سلطان بن نجاد^(٦).

٢- الجماعات والأسر القديمة بالمدينة ومنها:

أ- الأنصار : وهم أهل المدينة الأصليون من الأوس والخزرج، وقد خرجت
أعداد منهم إلى الأمصار الإسلامية أثناء حركة الفتح^(٧) وبعدها وبقيت منهم

(١) ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٤ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٤ ل ب

(٣) الواحدة، نسبة إلى عبد الواحد بن مالك بن حسين بن المهنا الأكبر بن داود، السخاوي، التحفة،

١٦٧/٢، ابن شدقم، نجدة، ورقة ٢ ل ب، أحمد البرادعي، الدرر، ص ٦١.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب .

(٥) ذكر البكري، «أنها على مقربة من المدينة، وبها كانت منازل بني حسن بن حسن بن علي»، معجم

ما استمع، ٧٦٧/٣، أما الفيروز آبادي فذكر أنها «موضع قرب المدينة، يسكنه آل علي بن أبي

طالب رضي الله عنه» المغانم (ط) ص ١٩١، وعنه نقل السهودي، وفاء، ١٢٣٩/٤.

(٦) ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٨ ل أ، أما السخاوي، نفسه، ١٦٧/٢ فذكر أن اسمه سلطان بن محارود.

(٧) انظر في خروج الأنصار إلى الأمصار، ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي،

الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق علي نويهض (د. ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩١ هـ/

١٩٧١ م) ص ٣٣، ٣٤، ٥٤، ٥٥، ٧٢، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٠.

بقية في المدينة يسكنون في حارة عرفت باسمهم، غير أنهم اختلطوا ببقية السكان وصاهروهم، ومن ذريتهم في العصر المملوكي جماعة يسمون الخذاة، منهم عبد الله الخاذي^(١).

ب- جماعة من البكرين^(٢)، يتنسبون إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه «يسمون بالخلفاء... ارتحل بعضهم إلى مصر فأقاموا بها وتناسلوا فيها» ومنهم في المدينة رجل يقال له جمال^(٣).

ج - جماعة من العمرين يتنسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، وكانوا «جماعة كثيرة لهم شوكة وحرمة وحكمة نافذة، وكانوا أهل حشمة وخيل وعبيد وأتباع ولهم بالمدينة أملاك عظيمة»^(٤) ومن زعمائهم علي بن مطرف «كان يجلس وعن يمينه ويساره أكابر العمرين، وشيوخهم»^(٥) والحسن بن يعلى العمري^(٦)، وعلي بن معلى القرشي، العمري^(٧). ومن أفراد الأسرة أحمد بن علي العمري^(٨). وابنه الحسين^(٩).

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ ل ب، ٧٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٤٤٠ / ٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل أ.

(٣) خلف المذكور ابنة «اسمها سيادة قریش. عمرت وتزوجت عدة أزواج، ورزقت أولاداً وأحفاداً» السخاوي، نفسه، ٤٢٩ / ١.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢٦٢ / ٣.

(٥) ذكر ابن فرحون، أنه قتل مخنوقاً سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م، نصيحة ورقة ٧٨ ل ب.

(٦) مقرئ وفقه حنفي توفي سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل ب، السخاوي، التحفة، ٤٩٩ / ١.

(٧) السخاوي، نفسه، ٢٦٣ / ٣.

(٨) السخاوي، نفسه، ٢٠٩ / ١.

(٩) السخاوي، نفسه، ٥٠٣ / ١.

٣- المجاورون :

وهم من أكبر شرائح مجتمع المدينة والتسمية مأخوذة من الجوار، والمجاورة^(١)، وتعني البقاء في مكة والمدينة بجوار الحرمين، لفترة غير محدودة تنتهي بخروجه من إحدى هاتين المدينتين أو بالوفاة^(٢). وقد شهدت هاتان المدينتان المقدستان قدوم أعداد كبيرة من المجاورين إليها. وخاصةً من مصر والشام والعراق والمغرب واليمن والهند، وفارس، وبلاد ما وراء النهر. ومن بين المجاورين علماء، وطلبة علم، وأصحاب حرف ومهن مختلفة، وأرباب الوظائف، كالأئمة والقضاة المعيّنين من قبل السلطة المركزية. ومن الجماعات التي وفدت إلى المدينة واستقرت بها:

أ- أسرة القيشاني: وهم رؤساء الشيعة الإمامية الاثني عشرية. ويذكر ابن فرحون^(٣) أن المدينة لم يكن بها من يعرف مذهب الإمامية الاثني عشرية حتى جاء القيشانيون من العراق. وكانوا أهل مال عظيم استطاعوا به تأليف قلوب الناس لمذهبهم حتى ظهر وكثر المشتغلون به غير أن ابن فرحون لم يحدد الفترة التي قدمت فيها أسرة القيشاني إلى المدينة.

ب- جماعة السلايين^(٤): التي قدمت من العراق في زمن غير معروف، ويعتقد أن عددهم كان كبيراً في المدينة، غير أن أوضاعهم الاقتصادية لم تكن

(١) ابن منظور، لسان، ١/ ٥٣٠.

(٢) ابن منظور، لسان ١/ ٥٣١، منى المشاري، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب/ قسم التاريخ، الرياض ١٤٠٩هـ) ص ٣٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ب.

(٤) نسبة إلى السلاية قرية كبيرة بنواحي الموصل شرقي دجلة ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٢٣٤.

جيدة؛ بدليل أن أحد أعيانهم من المجاورين ويدعى صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامي، قد أوقف على قرابته من المسلمين الموجودين بالمدينة رباطين أحدهما للرجال، والآخر للنساء^(١). ومن الأسر المكية التي استوطنت المدينة عائلة مشكور المتسبة إلى قريش، وأسرة الشكليين^(٢).

ج - ومن العناصر المهمة الوافدة إلى المدينة، خدام الحرم النبوي الذين يشرفون على خدمة الحجر الشريفة، وهم من أجناس مختلفة لهم شيخ يأثمرون بأمره^(٣).

د - يضاف إلى ذلك، بعض سكان المدينة من أصحاب الحرف والمهن المختلفة وخاصة من يمتنن الزراعة ويعرفون بالنخالة^(٤). والخبابة^(٥) وهم فئة قدمت من خيبر وربما اشتغل بعض أفرادها بالزراعة وممارسة بعض الحرف .

ب - الأصول الاجتماعية لسكان المدينة

تعود أصول العناصر السكانية المكونة لمجتمع المدينة - إضافة لسكان المدينة الأصليين - لعدة بلدان وأقطار من ديار الإسلام، قدمت خلال عصور إسلامية مختلفة. فمنذ هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، نزح إلى عاصمة الدولة الإسلامية أعداد من أفراد القبائل العربية^(٦)، كما قدمت إليها

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٥ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٣٢ ل ب، السمهودي، وفاء، ٦٩٤/٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل ب، ٧٨ ل أ.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١ .

(٤) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦، أحمد السباعي، تاريخ، ٩٤-٩٥ .

(٥) سبق ذكرهم في النشاط التجاري ص ٩٦ .

(٦) ابن سعد، الطبقات، ٣/٣٣٨، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣ .

بعد الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي عناصر أخرى من أجناس مختلفة^(١). غير أن هذا الزخم ما لبث أن خف كثيراً بعد انتقال عاصمة الخلافة إلى دمشق، ثم إلى بغداد. أما في العصر المملوكي فنظراً لقرب المدينة من مقر السلطة المركزية في القاهرة، ونظراً لتبعية الحجاز للسلطنة المملوكية، فقد كان هناك اهتمام متزايد بمكة والمدينة، نظراً لأن الممالك كانوا يستمدون شرعيتهم من إشرافهم على الحرمين الشريفين^(٢)، والدعاء لسلطينهم على المنابر^(٣). لهذا اهتم سلاطين الممالك برعاية الحرمين الشريفين، وإعمارهما، وإنشاء المرافق المختلفة في المشاعر المقدسة. كما أرسلوا القضاة والأئمة والخطباء إلى المدينة من مقر السلطنة المملوكية^(٤)، ووفد إليها أيضاً عدد آخر من أرباب الوظائف والمهن ممن عمل في المسجد النبوي، إضافة إلى من قدم إليها من العلماء وطلبة العلم. وفي محاولة للإلقاء نظرة على أصول سكان المدينة، فقد رأيت الاعتماد على كتاب السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة بأجزائه الثلاثة، الذي يحوي تراجم لأشخاص منذ العهد النبوي حتى وفاة المؤلف سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م. ونظراً لنقص الكتاب بفقدان الجزء الأخير منه، فقد حاولت سد ذلك النقص بالاعتماد على كتابه الآخر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع في أجزائه الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر.

(١) الطبري، تاريخ، ٣/ ٣٨٥.

(٢) علي السليمان، العلاقات، ص ٢٣.

(٣) أقر أمراء المدينة من الأشراف بشرعية الممالك سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م انظر المقرئزي، السلوك، ١/ ٥٥٨.

(٤) بدأت السلطنة المملوكية بإرسال خطيب للمسجد النبوي من أهل السنة سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م وهو سراج الدين عمر بن أحمد السويدي الشافعي، ثم أضيف إليه القضاء، انظر: السخاوي، التحفة ٣/ ٣١٢-٣١٧.

وقد سلكت في تحديد أصول سكان المدينة تنظيماً قائماً على التقسيم حسب البلدان التي قدموا منها دون ذكر للمدن أو القرى نظراً لكثرتها، وانضوائها ضمن تلك الأقاليم الكبيرة. فمثلاً؛ من قدم من كازرون، زرنند، الري، شيراز، أصفهان قزوین، تستر، يدخل ضمن بلاد فارس، ومن قدم من فاس، تلمسان، قسنطينة، تونس، القيروان يدخل ضمن بلاد المغرب وهكذا. أما من ينتهي اسمه بالمدني ولم أجد له نسبة أخرى من كتابي السخاوي التحفة، والضوء أو كتب الأنساب الأخرى فقد نسبته للمدينة. أما الأشخاص الذين لم يذكر لهم نسبة، فقد وضعتهم في خانة غير محدد، وأغلب هؤلاء من خدام الحرم النبوي والحجرة النبوية، وبعضهم من طلبة العلم، والبعض الآخر من أهل الحرف. ومن الطبيعي أن هذه الإحصائية غير شاملة لكل سكان المدينة خلال فترة الدراسة، نظراً لأن السخاوي لم يترجم لمن لم يصل إليه علمه من أهلها أو ممن ليس له شهرة علمية أو مهنية.

غير أن تلك التراجم تعطينا مؤشراً لأصول ونسبة العناصر المكونة للمجتمع المدني، وتوضح الإحصائية أن عدد المترجم لهم ١١١٥ يأتي المدنيون على رأس القائمة وعددهم ٢٢١ أي بنسبة ٢٠٪ تقريباً، وهو أمر طبيعي لوجود هذه النسبة لسكان البلاد، رغم أن هذه النسبة قد ترتفع، لو شملت التراجم الكثير من أصحاب الحرف والمهن، وخاصة في الزراعة، حيث يشتغل بها بعض أهل المدينة. وفي المرتبة الثانية تأتي العناصر التي قدمت من مصر وعددهم ١٧٤ أي بنسبة ١٦٪ تقريباً، وهناك عوامل عديدة لارتفاع هذه النسبة؛ منها وجود السلطة المركزية بمصر التي أرسلت أعداداً كبيرة من رجالها لتولي الوظائف المختلفة في المدينة، كما أن لعامل القرب المكاني أثره في جذب أعداد كبيرة من

المصريين. وفي المرتبة الثالثة العناصر التي قدمت من فارس، وعددهم ١٥٦ أي بنسبة ١٤٪، وربما تعود كثرة من قدم إلى المدينة من بلاد فارس إلى رسوخ المذهب الشافعي في المدينة، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من بلاد فارس حيث يسود المذهب الشافعي، إما لتلقي العلم أو لتولي بعض الوظائف بالمدينة. وفي المرتبة الرابعة المغاربة وعددهم ١٤٨ أي بنسبة ١٣٪ تقريباً وأغلبهم من طلبة العلم، وقد أدى انتشار المذهب المالكي أوائل العصر المملوكي، إلى جذب أعداد كبيرة من المغاربة حيث يسود المذهب المالكي بلاد المغرب. وفي المرتبة الخامسة عناصر غير محددة الأصل وعددهم ١١١ أي بنسبة ١٠٪ تقريباً، ولم أجد لهؤلاء نسبة واضحة، سواء إلى المدينة أو لغيرها من البلدان، غير أن هؤلاء بطبيعة الحال ينتمون إلى بلدان مختلفة ويحتمل أن بعضهم من أهل المدينة وتشكل العناصر التي قدمت من الشام المرتبة السادسة وعددهم ٨٨ أي بنسبة ٨٪، ورغم قرب الشام من المدينة، فلم يفد إليها سوى أعداد قليلة قياساً بالعناصر السابقة، ويبدو أن ذلك راجع في جزء منه لرسوخ الحركة العلمية في الشام وتعدد المذاهب بها. يأتي بعد ذلك الأفارقة الذين ينحسرون في الزبالة في ممالك الطراز الإسلامي شرق الحبشة، والأحباش في بلاد الحبشة والتكرور جنوب بلاد المغرب وعددهم ٤٤ أي بنسبة ٤٪ تقريباً وأغلبهم من طلبة العلم وخدام الحجرة النبوية. يليهم عناصر قدمت من مكة وعددهم ٤٣ أي بنسبة ٤٪ تقريباً وأغلبهم من أصحاب المهن: مثل أسر بني مشكور والشكليين وغيرهم. ومن اليمن كان عدد الوافدين إلى المدينة منها ٣٠ أي بنسبة ٣٪ تقريباً. ومن العراق قدم ٢٩ أي بنسبة ٣٪، ونلاحظ أنه رغم سقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. وهجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم منها فلم يكن للمدينة نصيب كبير من تلك الهجرة بل فضل هؤلاء

الهجرة إلى الشام ومصر حيث رحبت بهم السلطنة المملوكية، وقدمت لهم الرعاية. ثم يأتي بعدهم الأندلسيون وعددهم ٢٦ أي بنسبة ٢٪ تقريباً، ومن المعلوم أنه بعد سقوط المدن الإسلامية الزاهرة مثل سرقسطة والمرية، وطرطوشة، وقرطبة، وبلنسية، وإشبيلية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، نزح قسم من سكانها المسلمين إلى غرناطة وبلاد المغرب^(١)، وانحصر النفوذ الإسلامي بعد ذلك في غرناطة جنوب الأندلس لهذا نلاحظ قلة من قدم إلى المدينة من بلاد الأندلس، في العصر المملوكي. ومن بلاد ما وراء النهر قدم ٢٦ أي بنسبة ٢٪ أيضاً وأغلبهم من خجندة وسمرقند وبلاد التركمان. ومن بلاد الروم والقرم وفد ١١ أي بنسبة ١٪ تقريباً كما جاء إلى المدينة من الهند ٨ أي أقل من ١٪ تقريباً.

ج - العلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني :

عندما نتحدث عن الحياة الاجتماعية في المدينة، يتبادر إلى أذهاننا تساؤل عن طبيعة العلاقات بين الفئات المختلفة، التي تكون مجتمع المدينة، وما مدى انسجامها مع بعضها أو تمايزها؟ وفي الإجابة على هذا السؤال، لا بد من أن نتحدث أولاً: عن نمط العلاقات بين أمراء المدينة من الأشراف من جهة، والمجاورين من جهة. لقد تميزت العلاقة بين الطرفين بعدم الاستقرار، غير أنها كانت فاترة أو سيئة في معظم الفترات؛ نتيجة مضايقة أمراء المدينة للمجاورين

(١) سقطت سرقسطة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م، والمرية ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م، وطرطوشة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، وقرطبة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، وبلنسية ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م، وإشبيلية ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م، انظر: المقرئ، لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج١، (د. ط. د. ن، بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ص ٤٦٢ - ٤٦٣، عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي (ط٢، دار القلم، دمشق ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م) ص ٤٤٠، ٤٧٢، ٤٧٣.

وفرض الضرائب عليهم ومصادرة أموالهم في بعض الأحيان؛ كما حصل من قبل الأمير منصور بن جمار^(١) الذي تولى الإمارة سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م. حيث طلب الأموال من الخدام، فطلب من كل واحد ألف درهم فرفضوا، وأيدهم المجاورون في ذلك. ومارس نفس السياسة أمراء آخرون، من بينهم مانع بن علي بن مسعود بن جمار الذي طلب الأموال من أهل المدينة والمجاورين والخدام^(٢)، وعز الدين جمار بن منصور بن شيحة، كما قام الاشراف في فترات مختلفة بمحاولات نهب المدينة واقتسام أموال أهلها، فتصدى لهم المجاورون والخدام ومنعواهم من ذلك^(٣).

في مقابل هذه العلاقة السيئة في معظم الأحيان بين أمراء المدينة والمجاورين، نرى صورة أخرى لعلاقة طيبة بين بعض أمراء المدينة وأهلها ومنها ما ذكرته بعض المصادر عن سعد بن ثابت - الذي تسلم إمارة المدينة سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م فقد وصفه ابن فرحون بأنه كان «محبباً إلى الرعية عالي الهمة كامل السؤود جم المناقب يوالي المجاورين ويحسن إليهم ويقبل شفاعتهم ووالانا بأحسن الموالة ونصرنا في مواطن عديدة»^(٤) وكان على عكس أسلافه من أمراء المدينة ناصراً للسنّة قامعاً للبدعة^(٥).

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ، القلقشندي، صبح، ٢٠١/٤، السخاوي، التحفة، ٤٢٦/١ - ٤٢٧.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ - ب.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ١٢٦ / ٢.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٢ / ٢٢٨.

وفي مواجهة هذه العلاقة المتقلبة بين أمراء المدينة والمجاورين، نرى صورة مشرقة لعلاقة وطيدة بين المجاورين وخدام الحجرة النبوية، فقد ارتبط الخدام بعلاقة حسنة مع كافة سكان المدينة، وكان لشييوخهم فضل كبير في مساعدة السكان والإحسان إلى المجاورين خاصة، فعزیز الدولة العزیزی شیخ الخدام^(١) كان كما يذكر ابن فرحون^(٢) «كثير الخير أوقف من النخيل شيئاً وحرر من الأرقاء جمعاً غفيراً». أما ظهير الدين، مختار الأشرفي، فقد قويت في عهده شوكة المجاورين والخدام في مواجهة الأشراف^(٣) لقد وقف المجاورون والخدام صفاً واحداً في وجه تسلط الأشراف فكانت «كلمتهم واحدة يهتم كبيرهم ما يهتم صغيرهم ويقومون لقيام ضعيفهم»^(٤).

أما وزراء الأشراف المعروفون بالرؤساء فكانوا على علاقة طيبة مع المجاورين «يوالونهم ويخدمونهم ويتقربون إلى خواطهم بقضاء الخوايج والهدايا والطرف مع حسن الاعتقاد فيهم والتماس بركتهم وأدعيتهم»^(٥). ومن هؤلاء الوزراء علي بن الصيفي الذي تمتع بتقدير ومحبة كل من المجاورين وأمراء المدينة على السواء^(٦)، ونور الدين علي بن يحيى وزير الأمير منصور الذي بنى رباطاً وسقاية، وكان على علاقة طيبة بالمجاورين والخدام، يهتم بهم ويساعدهم، وكان له دور في القضاء على الفتنة التي أشعلها بعض الأشراف في المدينة في محاولة لنهبها^(٧).

(١) (توفي سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٥ ل ب .

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٥ ل ب، وانظر: الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥١ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ.

(٤) (توفي سنة ٧٢٣هـ / ١٤٢٣م)، ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٤ ل ب .

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل ب.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣ / ٢٦٧.

وعز الدين حسن بن علي بن سنجر المكي، ثم المدني، الذي منع الأمير طفيل بن منصور أمير المدينة من أخذ تمر المارستان، الذي طلبه الأعراب، واتصف كما يقول ابن حجر^(١) بأنه «كان عاقلاً حسن السياسة كثير الموالة للمجاورين».

أما العلاقة بين أمراء المدينة من الأشراف، وخدام الحجرة النبوية، فقد اتصفت على وجه العموم بالتوتر والسوء؛ رغم أن بعض الأشراف من غير الأمراء ارتبط بعلاقة طيبة مع الخدام؛ بل جاوروهم في المسكن كما هو الحال بالنسبة للأشراف المداعبة الذين سكنوا في حارة الخدام وخالطوهم^(٢). أما عن علاقة المجاورين بعضهم ببعض الآخر فقد كانت قوية في مجملها^(٣).

وإذا انتقلنا إلى علاقة المجاورين بالشيعة الإمامية لمجدها غير مستقرة، فقد كان القضاء والخطابة بيد آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني منذ استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(٤). غير أن الأوضاع تغيرت في العصر المملوكي فابتداء من سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م أخذ منهم القضاء والخطابة واستمروا قضاء على أتباعهم^(٥).

وفي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين، كانت علاقة الشيعة بالمجاورين طيبة، فقد ذكر أن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة «كان يخطب على المنبر، ويترضى عن الصحابة ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه

(١) الدور، ١٠٨/٢، وانظر السخاوي، نفسه ١/ ٤٨٤.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ - ب، ٤١ ل ب.

(٤) القلقشندي، مآثر، ١/ ٣٠٧.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ - ب، ورقة ٨٨ ل أ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، ج ٢ (د. ط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٧٢، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٢.

ويتصدق به»^(١) وهذا فيما يبدو جزء من عقيدة التقية لدى الشيعة الإمامية. كما عرف عن القاضي الإمامي نجم الدين مهنا بن سنان أنه كان «يتحجب إلى المجاورين ويمدحهم بالفضائل الحسنة ويستقضيهم الحوايج ويحضر مواعيدهم ومجالس الحديث»^(٢) غير أن الشيعة في بدء تولي أهل السنة القضاء سنة ٦٨٢هـ - ١٢٨٣م «كانوا يؤذون أهل السنة كثيراً لغلبة الرفض على أمراء المدينة»^(٣) ومن ذلك يتضح مدى التوافق بين أمراء المدينة والشيعة في اضطهادهم لأهل السنة.

ثانياً: السكن :

نظراً لتعذر الحصول على معلومات كافية عن أوضاع السكن في المدينة خلال العصر المملوكي لقلة المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع، فقد ركزت حديثي على العناصر الوافدة، أو ما يسمى بالمجاورين، وخاصة العلماء، وطلبة العلم، من خلال كونها شريحة اجتماعية تعبر عن باقي شرائح المجتمع.

إن هذه الفئة من السكان، تنتمي إلى أجناس مختلفة، قدمت إلى المدينة في عصور تاريخية متعددة. ويطلق على الجيل الأول الوافد إلى المدينة المجاورون، أما الجيل الثاني الذين ولدوا ونشأوا في المدينة، فيطلق عليهم في بعض الأحيان أبناء المجاورين. ونظراً لطبيعة التكوين الاجتماعي والعلمي للعناصر الوافدة، فقد استقر معظمها حول المسجد النبوي خاصة أن أغلبها من الفئات المتوسطة

(١) هو القاضي سنان بن عبد الوهاب بن نميلة بن محمد بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن مهنا قاضي المدينة كان موجوداً سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م، السخاوي، نفسه، ١٩٦/٢.

(٢) مهنا بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني الإمامي المدني قاضي المدينة توفي سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ١ - ب، ابن حجر، نفسه، ٢٢٤/٣ - ٢٢٥، ولعل المقصود بمواعيدهم مناسباتهم الدينية كالعيدين ويوم المولد النبوي.

(٣) ابن حجر، نفسه، ٢٢٥ / ٣.

الدخل أو الفقيرة، حيث سكنت الأربطة والمدارس لعدم قدرتها على الشراء أو الكراء. أما الفئات الأفضل حالاً، فقد سكنت منازل، إما بطريق الشراء كما فعل عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن الظاهري، ثم الأزهري الشافعي نزيل مكة ثم المدينة، الذي تحول من مكة إلى المدينة سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م وقام بشراء دار من عبد الكافي النفطي بثلاثمائة وخمسين ديناراً، وكان البائع قد عجز عن إكمالها^(١). ومن الذين سكنوا الدور الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون، وكان يجاوره شمس الدين محمد بن يوسف الحلبي^(٢)، وسراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي^(٣). كما سكن بالكراء شمس الدين الحنجندي^(٤) وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري سكن الدار المعروفة بدار تميم الداري «رجل إمامي من حلب له ثروة ورياسة»^(٥).

كان بعض العلماء وطلبة العلم يسكنون حين قدومهم إلى المدينة في منزل أحد أقاربهم أو معارفهم، ريثما يجدون سكناً يتقلون إليه، ومن هؤلاء أبو هادي الذي جاور بالمدينة سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م ونزل عند الشيخ عبد الله بن محمد ابن فرحون الذي أسكنه الطابق السفلي من منزله^(٦)، كما سكن أبو العباس

(١) السخاوي، النحلة، ٢/ ٣٩٢.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧١ ل ب، ورقة ٧٢ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل أ.

(٤) كان المذكور من أكابر المجاورين ممن كان يسكن الدور بالكراء خوفاً من مساكنة أهل الرباط، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٠ ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل ب.

(٦) يقول ابن فرحون، كان مسكني يشرف على مسكنه، ويتضح من ذلك أن بعض دور المدينة في ذلك العصر كان يتكون من طابقين، نفسه، ورقة ٧٤ ل ب.

أحمد بن محمد التلمساني وابنه منزل ابن فرحون السابق الذكر لبعض الوقت، ثم انتقلا لرباط دكالة، وبعد ذلك اشترى أبو العباس نصف دويرة^(١) وسكنها^(٢). وتعددت أحياء المدينة التي سكنها هؤلاء وغيرهم خلال العصر المملوكي، ومنها الحصن العتيق وهو أحد أحياء المدينة القريبة من الحرم، وقد سكنه أمراء المدينة وبعض أشرافها، كما سكنه بعض العلماء وطلبة العلم ومنهم محمد الهروي أو الهوري الذي سكنه عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م وكان المذكور يتصدق بالتمر على الناس^(٣).

أما خدام الحرم النبوي، فقد سكنوا في حارة عرفت باسمهم وشاركهم في سكنها بعض الشرائح الاجتماعية الأخرى، ومن بينهم بعض الأشراف والمجاورين^(٤). غير أن بعضاً من الشرائح الاجتماعية وخاصة المجاورين الذين لا تمكنهم ظروفهم المادية من شراء أو كراء الدور قد سكنوا الأربطة والمدارس التي ساهم في إنشائها السلاطين والأثرياء والعلماء، وأوقفوها على المجاورين والفقراء والمنقطعين وبعض أرباب المذاهب. الأمر الذي ساهم في تنشيط حركة المجاورة بالمدينة^(٥)، وأضاف إليها أعداداً جديدة من السكان؛ فمن تلك الأربطة

(١) ربما يكون المقصود دار صغيرة.

(٢) ابن فرحون، نفسه ورقة ٣٠ ل أ.

(٣) كان المذكور يسكن في بيت فيه شباك يطل على الحرم النبوي ومعنى ذلك أن الحصن العتيق كان مجاوراً للمسجد، ابن فرحون، نفسه ورقة ٤٣ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٢ ل ب، ورقة ٨٤ ل أ، ويحد الحارة غرباً: المسجد النبوي، وشرقاً باب الجمعة، وجنوباً سور المدينة الجنوبي، وشمالاً البيوت المحاذية لطريق البقيع في طرفه الشمالي، انظر: في ذلك، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة (ط٣)، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ص ١٩٠ - ١٩١.

(٥) منى المشاري، للمجاورين، ص ٧٨.

التي استخدمت للسكنى رباط دكالة ويقال له رباط المغاربة^(١) الذي سكنه بعض طلبة العلم والصالحين والصوفية. فمن هؤلاء خلال القرن الثامن أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي المالكي، وقد سكن المذكور حجرة بالرباط تسمى حجرة الصالحين^(٢)، وشاركه في السكن في تلك الحجرة عبد السلام بن سعيد بن عبد الغالب القروي (ت ٧٦٦/١٣٦٤م)^(٣) كما سكن الرباط المذكور الشيخ عبد الواحد الجزولي^(٤)، وأبو محمد عبد الله البكري المغربي^(٥) وخلفه في حجرته بالرباط المذكور عز الدين الواسطي^(٦) كما سكن الحجرة المذكورة أبو العباس أحمد التلمساني^(٧)، وقاضي طنجة الشيخ أبو الغمر الطنجي^(٨).

ومن الأربطة الأخرى رباط الفاضل، الذي سكنه أحد الصوفية وهو عبدالرحمن الجبرتي^(٩)، الذي روى عنه ابن فرحون بعض الأحوال التي لا تجوز لمسلم كقوله «إنه كان من أرباب القلوب والكرامات» و«يخبر أحياناً بالمغيبات»^(١٠).

(١) السخاوي، التحفة، ٦٥/١.

(٢) (توفي سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٣ ل ب، ورقة ٧٤ ل أ، الفيروز آبادي، المعاني (خ)، ورقة ٢٣٩ ل ب، السخاوي، نفسه، ٤٩٤/١ - ٤٩٥.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٤ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤٧٥/٢، وذكره السخاوي بالقيرواني، نفسه، ٧/٣.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، الفيروز آبادي، نفسه، ورقة ٢٤٩ ل ب، السخاوي، نفسه، ١٠٤ - ١٠٥/٣.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٥ ل أ.

(٦) نسبة إلى واسط بالعراق، ياقوت، معجم البلدان، ٣٤٧/٥، وقد توفي المذكور سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٧ ل ب.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٠ ل أ.

(٨) (توفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥١ ل ب، ورقة ٥٢ ل أ.

(٩) الجبرتي نسبة إلى جيرة قرية من بلاد السودان، السخاوي الضوء، ١١/١٩٥.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل ب، السخاوي، الضوء، ٥٥٥/٢ - ٥٥٦.

ومن الأربطة التي سكنها بعض طلبة العلم رباط الاصفهاني^(١)، وقد سكنه أحد الصالحين، ويدعى الحسن العجمي^(٢). ومن سكن في حجرة الرباط حين قدومه للمدينة عز الدين يوسف بن الحسن الزرندي^(٣)، وكان الرباط المذكور قد اتخذ بعد فترة من وقفه منزلاً للنساء والفتيات، فعمل المذكور على إعمارهم ورده لاهله لتنفيذ الوقفية الخاصة به المتمثلة باقتصاره على الرجال دون غيرهم^(٤). كما سكن حجرة الرباط المذكور شهاب الدين القرمي^(٥). ومن المعلوم أن الرباط يتكون من عدة حجرات، غير أن حجرة الرباط في مقدمته تعد أكبرها. ومن الربط التي أوقفت على الفقراء الصوفية المجردين^(٦) رباط مراغه، وقد سكنه المغاربة وبعض الأفارقة الآخرين، من بينهم أبو عبد الله محمد الحصرياني^(٧)، وعثمان المحكي^(٨)، وموسى الغزاوي^(٩) «المغربي الأصل»، وقاسم التكروري^(١٠).

أما رباط الشيرازي، فقد سكنه من العلماء والصالحين أبو بكر الشيرازي^(١١).

(١) نسبة إلى وزير نور الدين زنكي، أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الاصفهاني له أعمال كثيرة في مكة والمدينة، ابن خلكان، وفیات ١٤٤/٥، المرافعي، تحقيق، ص ٧٦.

(٢) عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٥٠١/١.

(٣) توفي سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م. ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل ب، وانظر ترجمة، المذكور في ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٥.

(٥) (توفي سنة ٧٤٠هـ / ١٣٤٣م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل ب.

(٦) يقال رجل مجرد أي أخرج من ماله، ابن منظور، لسان، ٤٣٣/١.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل أ.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل أ.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل أ - ب.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ب.

(١١) (توفي سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٤ ل أ.

وسكن رباط التستري بعض العلماء وطلبة العلم؛ منهم أحمد الخراساني،
ومحمد وعمر الكازروني، والفيروزآبادي^(١).

كما أنشأ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامي رباطين هما رباطا السلامي
أحدهما أوقفه على الرجال والنساء، والآخر موقوف على الرجال فقط، كما
أوقف أيضاً داراً للسكنى، على الفقراء المجردين، وجميع ذلك على قرابته من
السلاميين فإن لم يوجد رجعت إلى الفقراء المجردين^(٢).

ومن الأربطة للسكنى، رباط السبيل ومن سكنه من طلبة العلم والصالحين
سليمان الونشريسي^(٣)، ولم تقتصر السكنى في تلك الأربطة على المجاورين
من العلماء وطلبة العلم، بل شمل بعض أصحاب الحرف؛ مثل يوسف الخولي
ومحمد المكناسي^(٤) المغربيين اللذين كانا يعملان في الزراعة في حدائق المدينة،
حيث ورد أنهما كانا يسكنان رباط دكاله، وربما جمع هذان الرجلان بين طلب
العلم والتكسب. أما رباط البطالين فهو لسكن العاطلين عن العمل من
الخدام^(٥).

ومن الأربطة الأخرى، البغدادي والبدل، البغلة، الجبرتي، والروض،
والزبالع والسميني، والصادر والوارد، والظاهري والعبيد، وعرفه، وابن
عليك، وغريسة والغارة، وقريش، وكرباجه، وكمرسوه، والمساسعة
والمكناسي، والهندي، وابن وهبان، وابن لحي^(٦).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٤ ل ب .

(٢) (توفي المذكور سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م)، ابن فرحون، نصيحة ورقة ٤٥ ل أ- ب .

(٣) (توفي سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)، ابن فرحون، نفسه ورقة ٤٨ ل ب، السخاوي، التحفة، ١٨٩ / ٢ .

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ .

(٥) السخاوي، نفسه، ٦٥ / ١ .

(٦) السخاوي، التحفة، ٦٥ / ١ .

ومما سبق يتضح أن الرباط يحتوي على غرف يطلق عليها مسمى بيوت^(١). أما مدخل الرباط، فيسمى حجرة^(٢). كما كان للرباط قيم أو وكيل أو وصي يطلق عليه شيخ الرباط^(٣).

كما استخدمت المدارس أيضاً للسكنى، وكان يطلق على غرفها بيوت. ومن أبرز تلك المدارس، المدرسة الشهابية^(٤). وباعتبار أن تلك المدرسة كانت أكثر المدارس شهرة واستمراراً في المدينة؛ فقد كانت أكثر المدارس استخداماً للسكنى. ومن سكنها لفترة أبو محمد عبد الله البسكري، وعبد السلام بن سعيد القروي السابق الذكر^(٥) والشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم المكي^(٦)، والشيخ على الواسطي^(٧)، وأبو الربيع سليمان الغماري^(٨)، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن حريث القرشي البلنسي ثم السبتي العبدري^(٩)، ويعقوب التونسي^(١٠)، ونور الدين حسن الأسواني المصري^(١١)، وأسعد

(١) ابن فرحون نصيحة، ورقة ٢٨ ل أ، وبيت الرجل داره، ابن منظور، لسان، ٢٩٢/١.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٧ ل ب، والحجرة التي ينزلها الناس وهو ما حوطوا عليه، ابن منظور، نفسه، ٥٧٢/١.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) تنسب هذه المدرسة للمظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر بن أيوب بن شادي صاحب ميافارقين، المطري، التعريف، ص ٤٣، السمهودي، خلاصة، ص ٣٥٢.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، ورقة ٧٤ ل ب.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٢ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢٧٩/٣.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب.

(٩) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٢ ل ب.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٦ ل أ.

(١١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل ب، وذكره، الفيروزآبادي، بعز الدين حسن، المغانم (خ) ورقة ٢٣٩ ل أ وانظر ابن حجر، الدرر، ١١٣/٢، السخاوي، التحفة، ٤٨٥/١.

الرومي^(١)، وأبو عبد الله محمد بن فرحون^(٢). والشيخ محمد الغرناطي^(٣).
ومن المدارس الأخرى التي اتخذت للسكن، المدرسة الشيرازية التي أقام بها
إبراهيم العريان الرومي قرابة خمسين عاماً، تولى خلالها الإشراف على المدرسة
حتى وفاته بها سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م)^(٤). ثم أعقبه في الإشراف عليها
والسكنى بها سليمان الونشريسي السالف الذكر^(٥).

ومن المدارس التي استخدمت للسكن، المدرسة الأركجية التي كان من سكانها
على الواسطي السابق الذكر، ولم يكن المذكور مقيماً بالمدينة بصفة دائمة بل كان
يتردد عليها بين الفينة والأخرى من بلده واسط بالعراق^(٦). وكان بعض العلماء
وأرباب الوظائف لهم دور يسكنون بها ومع ذلك فهم يرتادون بعض المدارس
للراحة لبعض الوقت، ومنهم المؤذن علي بن معبد المصري الشهير بالقدسي
الذي كان في ليلة نوبته للأذان بالمسجد لاينام إلا في المدرسة الشهاية لقربها من
المسجد^(٧)، مهما يكن من أمر، فإن مساكن المدينة قد وصفها الرحالة الإيطالي
دي فارتيمو الذي زار المدينة أواخر العصر المملوكي، وذكر أنها «تضم حوالي
ثلاثمائة منزل، يحيط بها سور من الطين، وشيدت جدرانها من الحجارة»^(٨).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٩ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٢ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٩ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل ب.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٨ ل أ.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢٧٩/٣.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٦٣/٣.

(٨) لودوفيكو دي فارتيمو، رحلة فارتيمو إلى الحجاز واليمن والهند، مجلة المقتطف، المجلد الثامن
والثلاثون (القاهرة يناير ١٩١١م) ص ٢٥، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لودوفيكو دي فارتيمو
«الحاج يونس المصري»: الرحالة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م
(مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع ج-٢، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٥٧٦-٥٧٧).

كما تحدث النابلسي عن المدينة وطرارها المعمارى وسككها بقوله: «وفي المدينة سكتان طويلتان إحداهما من الغرب قبالة باب القلعة مشتملة على بيوت وقصور وأسواق والسكة الأخرى من الشرق، من جهة الخارج من باب الحرم النبوي باب السلام إلى جهة الغرب إلى باب المصري وكلها مشتملة على حوانيت وبيوت وقصور وهناك عطفات أيضاً مشتملة على حوانيت وبيوت وقصور كثيرة. وفي المدينة أركة كثيرة يتشعب بعضها من بعض منها الأركة الضيقة جداً ومنها الواسعة كالعتاد في أركة غيرها من البلاد، وهذا كله داخل السور»^(١).

ثالثاً: الأطعمة

تعددت أنواع الأطعمة التي يتناولها سكان المدينة في العصر المملوكي ما بين أطعمة مطبوخة، وناشفة، وحلويات، وأشربة، وغيرها. كما تعددت أصنافها وطريقة إعدادها. وتحدثت بعض المصادر عن أنواع من تلك الأطعمة. فمن أصناف الأطعمة المطبوخة؛ الهريسة، وذكر العياشي^(٢) صفة طبخها بقوله: «أن يجعل اللحم في المطبخ، ويجعل معه القمح، ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم، فتزال العظام، ويبالغ في طبخ اللحم مع القمح، حتى يطيب القمح ويزلع فيأخذون عصياً شبه المقارف عراض الرؤوس، فيلوكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين، فيأخذوه في الأواني، ويصبوا عليه السمن» وهي في رأي العياشي من أشهر الأطعمة عند أهل الحجاز، إذا أكلها الإنسان لا يشتهي شيئاً من الطعام يوماً وليلة. ومن الطعام المطبوخ الإدام والباذنجان واللحم. وكان بعضهم يضع الإدام في قدر أو قديرة على كانون فحم ويطبخه^(٣).

(١) الرحلة، ص ٣٤٣.

(٢) الرحلة، ص ١٧٦.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة، ٣٢ ل أ، السخاري، التحفة، ٢ / ١٨٧.

كان اللحم مادة أساسية في طعام أهل المدينة. فيذكر العياشي^(١) أن أهل المدينة كان لهم «ولوع وغرام بأكل اللحم زاعمين أنهم يستضرون بتركه لحرارة أبدانهم ويسهوا، فيحصل لهم الترطيب به. فإذا أكلوا غيره، حصل لهم يبس في الطبيعة، حتى أن من نسائهم من لا يطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحماً». ومن أصناف اللحوم؛ قديد اللحم الذي يؤتى به من الشام^(٢). ومن أصناف الأطعمة البليلة، التي تؤكل في فترة الغداء وهي «حشالة، وحشف مدقوقان يجعلان في قدح، ويجعل عليه الماء ساعة فإذا ابتل قُدِّم»^(٣).

أما في فترة العشاء فتقدم الجشيشة^(٤) والحريرة^(٥).

ومن الأطعمة المطبوخة الأرز^(٦)، والبسلاء^(٧). وهناك ما يسمى بالرشدة^(٨) وهو طعام يصنع من الدقيق. كما كان أهل المدينة يصنعون الخبز من القمح^(٩). ومن طعام أهل المدينة السمك، الذي يعيش في تجمعات المياه القريبة من المدينة

(١) نفسه، ص ٢٢٦.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب. ويبدو أن الجشيشة هي الدشيشة يقول ابن منظور، «الدش: اتخاذ الدشيشة، وهي لغة في الجشيشة، قال الأزهري: ليست بلغة ولكنها لكنة» لسان، ١/ ٩٨٠، والدشيشة هنا حساء بهريسة القمح واللحم، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ص ٧٥.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب، ورقة ٥٢ ل ب، والحريرة الحسا من الدسم والدقيق، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن، ابن منظور، نفسه، ١/ ٦٠٦.

(٦) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل ب.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٠ ل أ.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٦ ل أ، ورقة ٣٠ ل ب.

كفجّل، والسد، حيث يتم صيده وطبخه^(١).

أما التمر فهو مادة أساسية في طعام أهل المدينة؛ نظراً لانتشار النخيل فيها وهو، إما رطب يؤكل في وقته، أو تمر يتم تخزينه ليؤكل طول العام^(٢).

وهو طعام الأغنياء والفقراء على السواء. ومن أشهر تمر المدينة في تلك الفترة البرني^(٣). كما ذكر النابلسي^(٤) أسماء تمر المدينة، وعد منها ما يقارب مائة وثلاثة عشر نوعاً، وذكر من بينها «نوعاً يسمى الحلوى كل واحدة مثل الخيارة الصغيرة يقطر العسل منها وهذا النوع يتهادونه ولا يكاد يباع في الأسواق، وهو أكبر من التمر الشلبي».

والى جانب التمر توجد الفواكه. وقد وصف العياشي^(٥) فواكه المدينة بأنها. في غاية الجودة خصوصاً عنبها ورطبها. ومن الخضار، الباذنجان^(٦)، والباسلاء^(٧)، والجزر، والبقلاء^(٨)، والملوخية، والبامية، والبصل واللفت^(٩). ومن البقوليات السلق، واللفت الذي يستعمل عشاء^(١٠). وأما الحلويات، فمنها الحلوى، والأطعمة المحلاة^(١١).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٨ ل ب، ورقة ١٩ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٩ ل أ.

(٤) الرحلة، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٥) الرحلة، ص ٢٢٤.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٣ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل ب.

(٨) العياشي، نفسه، ص ٢٢٤.

(٩) العياشي، نفسه، ص ٢٢٤.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب.

(١١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٦ ل ب.

كما كانوا يستعملون في طعامهم السمن^(١). على أنه ذكر، أن أهل المدينة لا يستعملون السمن القديم والشحم الغوي حيث إنه يسبب لهم ضرراً^(٢). كما استعمل أهل المدينة المخللات في طعامهم^(٣). على أننا لا نعلم أنواع الزيوت المستعملة في الطبخ، فهل كانوا يستعملون زيت الزيتون، أو زيت السمسم؟ غير أننا نميل، إلى استعمال زيت السمسم، نظراً لزراعته في تهامة. أما زيت الزيتون فربما يؤتى به من الشام ومصر.

مهما يكن من أمر؛ فإن أغلب سكان المدينة خلال القرن الثامن الهجري كما يذكر ابن فرحون^(٤) كانوا في سعة من العيش، فهو يصف الحالة المعيشية بقوله: «والناس اليوم ملوك أو كالمملوك ولا يشكرون الله تعالى بل غلب عليهم بطر النعمة حتى اشتغل بعضهم ببعض، وأهلك بعضهم بعضاً من شدة الحسد والبغضا». لقد وجد لدى أهل المدينة أنواع من الأطعمة والحلويات غير الأساسية في طعامهم مثل. المحمضات والحريقات والمكسرات^(٥).

رابعاً: اللباس

لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر شيئاً عن اللباس لدى أهل المدينة في العصر المملوكي. غير أنه بالربط التاريخي مع الفترتين السابقة واللاحقة؛ أي الأيوبية والعثمانية، وبالقياص لما كان عليه اللباس في مكة في نفس الفترة يمكن إعطاء بعض المؤشرات عن اللباس خلال تلك الفترة. ويمكن القول: إن أهل الحجاز ومن بينهم سكان المدينة كانوا على مر العصور يلبسون ثياباً بيضاء تصنع

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٢ ل.

(٢) العياشي، الرحلة، ص ٢٢٤.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب، ورقة ٤٦ ل ب.

في الغالب من الكتان، أو القطن في فصل الصيف^(١)، كما كان الناس يستعملون الحرير في لباسهم^(٢).

أما في فصل الشتاء فكانوا يلبسون الثياب الصوفية، ومن بين أنواع الملابس، العمامة، والبردة،^(٣) وجبة بيضاء من القطن تدعى قفطان^(٤)، وكان الأمراء يتعممون بكززية صوف بيضاء رقيقة^(٥). أما خطيب المسجد؛ فكان يلبس ثوباً أسود ويتعمم بعمامة سوداء، وكلاهما كان مرسوماً بالذهب^(٦). كما كان الناس يكثر من استخدام الطيب والأكحال، ويكتحلون، ويتسوكون بعيدان الأراك الأخضر^(٧). أما نساؤهم فكان يحبن التطيب، كما كن يستعملن الذهب بكثرة، ومنها الخلخال والخواتم^(٨). مهما يكن من أمر، فقد تبين واختلف اللباس لدى أهل المدينة حسب مكانة الشخص ومركزه الاجتماعي أو الوظيفي^(٩)؛ فكل له لباسه الخاص؛ ومن هؤلاء: الأمراء، والقضاة، والأئمة، والخطباء، ورؤساء المؤذنين، والوجهاء، وأصحاب الحرف والمهن المختلفة.

(١) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة بحفة النظاري هرايب الأمصار، تحقيق طلال حرب (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ص ١٦٨، جميل حرب، الحجار واليمن، ص ٢٤١.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

(٣) ابن جبير، نفسه، ص ١٨٠.

(٤) ابن بطوطة، نفسه، ص ١٧٠.

(٥) ابن جبير، نفسه، ص ٧٤.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٢.

(٧) ابن بطوطة، رحلة، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٨) ابن جبير، نفسه، ص ١٨٠.

(٩) عن اللباس أيضاً انظر عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجار في القرنين السابع والثامن الهجريين (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ص ٢٤٣، عائشة باقاسي، مكة والمدينة، ص ١٧٣، عبد الله فرج الزامل الخزرجي، المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها (ط ١، تهامة للنشر، جدة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)، ص ١٦، ١٧.

خامساً : العادات والتقاليد :

توافد على المدينة أعداد كبيرة من الناس من أجناس مختلفة؛ مما كان له تأثير على عادات وتقاليد البلاد؛ فمن بين العادات التي درج عليها أهل المدينة في استقبال زائريها، ما ذكره ابن رشيد^(١) من استقبال أهلها القادمين إليها خارج سورها مبشرينهم ومهثئينهم بسلامة الوصول «وجالين من تمر المدينة ما يتحفون به القادمين ملتسمين رفدهم، وقد صنعوا عصياً في أطرافها أوعية صغار، فيجعلون فيها شيئاً من التمر، ويناولونه أهل القباب المسترة من بين ستورها فيعطى كل أحد ما تيسر له من الرفد ويدفعون إلى الركبان والمشيان أيضاً من ذلك على حكم التحفة والهدية ، فيحسن كل على قدر وجده، ويقسمه الناس بينهم متبركين مستبشرين»^(١).

ومن العادات التي هي من البدع التي طرأت على مجتمع المدينة في عصور متأخرة الخروج في رجب وأيام الخميس وإذا نزل المطر لمقام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالقرب من جبل أحد للصلاة هناك والمبيت وكانوا يحملون معهم أصنافاً كثيرة من الأطعمة ويمدون الاسمطة بأنواع من تلك الأطعمة والحلوى التي يأكلون منها ويأكل معهم الفقراء الذين يتبعونهم^(٢) وقد استمرت هذه العادة خلال العصر المملوكي وامتدت إلى العهد العثماني^(٣). كما كان أهل المدينة يخرجون إلى ضواحي المدينة للتنزه وذكر أن الناس يخرجون

(١) ملء العيبة، ١٦/٥ .

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٦ ل ب، العياشي، الرحلة، ص ١٢٥ .

(٣) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦، الورثي، الحسين بن محمد، نزعة الأنظار في فضل علم التاريخ

والأخبار (ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٥٢٢ .

للزفة يومي الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ويسمون بها مقيال أو القائلة^(١).
ومن أبرز المنتزهات وادي العقيق ووادي قناة^(٢).

ومن العادات الدينية الغربية وغير المعهودة في صدر الإسلام أن النساء يتبعن الجناز كما حدث في جنازة الشيخ أبو الغمر الطنجي الذي توفي بالمدينة سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م وسار خلفها النساء^(٣).

ومن البدع والخرافات التي انتشرت في المدينة بدعة الجزعة التي كانت تقع في المحراب القبلي المقابل للمصلى في المسجد النبوي^(٤) ويظهر أنها الذي ذكرها ابن جبير^(٥) في رحلته بقوله: «وفي أعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أي شيء هو، ويزعم أيضاً أنه كان كأس كسرى». وذكر ذلك البلوي^(٦) بقوله: «ويلاء الجهة القبليّة عود يقال أنه مطبق على بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويتبركون بلمسها ومسح خدودهم فيها».

وذكر السمهودي^(٧) «أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء، ويقال: هذه خرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عالية لا تنال بالأيدي، فتقف المرأة لصاحبها حتى ترقى على ظهرها وكثفها حتى تصل

(١) العياشي، الرحلة، ص ١١٧، البتنوني، الرحلة، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢) العياشي، نفسه، ص ١٦٨ - ١٧٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٢ ل أ.

(٤) المطري، التعريف، ص ٣٥.

(٥) الرحلة، ص ١٧٢.

(٦) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، ج ١

(د. ط)، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المحمدية المغرب د. ت) ص ٢٨٦.

(٧) وفاة، ٣٧٣/١.

إليها، وربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها، وربما وقعتا معاً». فلما جاور ابن حنا المصري^(١) بالمدينة سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م «رأى ذلك، فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة، فقلعت»^(٢). ومن العادات والاحتفالات الدينية يوم الجمعة والمراسم المصاحبة له مثل استقبال خطيب الجمعة، والأعياد الرسمية الفطر والأضحى، والاحتفال بموسم الحج وبرؤية الأهلة وبحلول رجب ونصف شعبان، وشهر رمضان ويختتم القرآن الكريم^(٣) ويوم المولد النبوي، وكان أهل المدينة يحتفلون بهذا اليوم في شهر ربيع الأول وينفقون فيه أموالاً طائلة، فتمد الموائد للناس، وتجري فيه ممارسات بعيدة عن روح الدين الإسلامي فهو من البدع المحدثه، ومن كان يقوم بعمل المولد في المدينة مفتاح الهندي الذي وصف بأنه من «أرباب الكمالات والكرامات»^(٤).

ومن الأمور التي صاحبت المولد والاحتفال به القضايا المرتبطة برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام لدى بعض أهل المدينة وما يأمرهم به أن يفعلوه^(٥). ومن العادات السيئة في مجتمع المدينة انتشار الاعتقاد في الجان والعفاريت واستعمال التعاويذ في دفع الشر والضرر. ومن كان يمارس هذه الأعمال، نور الدين حسن الأسواني الذي ذكر أنه كان «يضع على باب بيته ورقة طويلة عريضة فيها من التعاويذ والأقسام وعزائم الجان أنواع وكان بين

(١) هو صاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي «كان فقيهاً ديناً رئيساً، وافر الحشمة» السخاوي، التحفة، ١/ ٢٤١.

(٢) السخاوي، نفسه، ١/ ٢٤١، السمهودي، وفاء، ١٠/ ٣٧٣، وقام المذكور بقلع بدعة العروة الوثقى بالمسجد الحرام بمكة، وكان يقال لها «سرة الدنيا»، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٣٣.

(٣) العياشي، الرحلة ص ١٩٧ - ٢٠٥.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٤ ل ١.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل ١.

المذكور وأحد شيوخ الصوفية المدعو محيي الدين الخوراني منافرة، نتيجة اتهام الأسواني له بأنه يسحره في كتبه وقدرته^(١). وعمن كان يمارس هذه الأعمال محمد السبتي الذي كان معلم صبيان غير أنه كان يعزم ويستحضر الجان واشتهر حجابيه كما يقال بالنفع فيأخذ ورقة على طول المصروع فيكتبها له ويعلقها عليه فيبرأ من حينه^(٢).

انتشر التصوف^(٣) في العالم الإسلامي وصاحبه بعض المعتقدات والممارسات الخاطئة البعيدة عن روح الإسلام، وتناقل الناس أخباراً عن أشخاص لهم قدرات خارقة للعادة نتيجة لتقواهم وتجردهم وتميزهم عن غيرهم. وكان التصوف قد انتشر بالمدينة خلال تلك الفترة وهو يعبر عن روح العصر من انتشار الخرافات والبدع والطرق الصوفية المتعددة. ومن هؤلاء من كان يطلق عليهم أصحاب الخطوة وهم أشخاص يعتقد البعض أن الأرض تطوى لهم فينتقلون من مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر في وقت وجيز، ومن هؤلاء الشيخ سعادة المغربي الذي أقام بين مكة والمدينة وكان كما يقول ابن فرحون^(٤): «من أرباب الخطوة، وعمن تطوى له الأرض كان يتأهب لصلاة الجمعة بمكة فيرى في المدينة يصلّيها ثم يرجع فربما أدرك الصلاة وربما يوافق دخوله المسجد خروج

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل ب، الفيروز آبادي، المغانم، ورقة ٢٣٩ ل أ - ب، السخاوي، التحفة، ٤٨٥/١ - ٤٨٧.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٤ ل ب.

(٣) قيل أن التصوف نسبة إلى الصفة التي كان يسكنها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقراء المسلمين المهاجرين في مؤخرة المسجد النبوي، محمد أحمد العقيلي، التصوف في تهامة (د. ط، دار البلاد للطباعة والنشر، جده د. ت) ص ١٩.

(٤) نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب، وانظر: ترجمته، في، الفاسي، العقد، ٥٣٠/٤، السخاوي، التحفة، ١٢٢/٢ - ١٢١/٢.

الناس من الصلاة»، كما ذكر أن بعض كبار الصوفية كانت له مكانة خاصة عند أمراء المدينة وشيوخها ومن هؤلاء الشيخ علي الواسطي، الذي قدم من العراق وسكن المدرستين الشهابية والأركجية. وكان أمراء المدينة من آل مهنا كما ذكر يعتقدون فيه ويتبركون بعصاه وثوبه^(١).

أما عادات الزواج، فلا تختلف عن غيرها في ديار الإسلام حيث يتقدم الرجل لأهل الزوجة طالباً الزواج فإذا تم قبوله، يتم عقد النكاح بالمسجد النبوي^(٢)، ثم يتم عمل حفل الزواج الذي يختلف من أسرة إلى أخرى حسب مستواها المعيشي، غير أن الزوج يذهب في الليلة الأولى إلى بيت أهل الزوجة وفي الليلة التالية تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج^(٣).

ومن المظاهر الاجتماعية في المدينة خلال تلك الفترة عادة ارتياد أهلها والقادمين إليها للحمامات العامة التي انتشرت في داخل المدينة وخارجها، بقصد الاستحمام والاسترخاء بها وذكر في هذا العصر عدد من تلك الحمامات فقد أوضح السمهودي^(٤)، أنه في أعقاب عمارة المسجد النبوي الشريف بأمر من السلطان المملوكي قايتباي على أثر الحريق الثاني للمسجد سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م شرع السلطان في عمارة حمام استأجرت أرضه من الناظر على الميضاة بباب السلام وذكر أنه «لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة» ويظهر من ذلك أنه لا ينفي وجود حمامات عامة قبل ذلك ولكنه يشير إلى عدم بناء حمامات منذ سنوات طويلة.

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) العياشي، الرحلة، ص ٢١٦، الورثيلاني، نزهة، ص ٥٠٩ - ٥١٠.

(٣) العياشي، نفسه، ص ٢١٧.

(٤) وفاء، ٢/ ٦٤٤.

إن وجود الحمامات العامة مظهر من مظاهر التغيير الذي حدث في مجتمع المدينة خلال تلك الفترة، وقد ذكر النابلسي^(١) وجود حمام يدعى حمام النبي يقع شرقي الحرم الشريف وصفه بأنه «حمام لطيف وقدره منيف وقد اطلقت فيه مباخر الطيب ولا أبدع لطيبه إذا زها عصفها الرطيب». على أن النابلسي^(٢) يشكك في نسبة الحمام إلى النبي ﷺ ويؤيد من يقول: أن النبي ﷺ لم يدخل الحمام، كما وذكر النابلسي^(٣) حماماً آخر خارج سور المدينة يقع إلى الغرب منها من جهة باب المصري، وأنه دخله بعد عودته إلى المدينة بعد أداء الحج .

سادساً : المصاهرات

تعد المصاهرات أهم أساس في مدى التمازج بين فئات المجتمع وتشابكه قرابياً ومصلحياً. ورغم أهمية المصاهرات في معرفة طبيعة الفئات والشرائح الاجتماعية في المدينة ومدى العلاقة بين أفرادها فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن المصاهرات في المدينة عدا ما يتعلق بالأسر العلمية خلال العصر المملوكي والتي ارتبطت فيما بينها بعلاقات مصاهرة واسعة. ويعود توفر معلومات عن هذه الشريحة الاجتماعية إلى توفر تراجم عن أفرادها. ودراسة المصاهرات بين الأسر العلمية يمكن اتخاذها مؤشراً على المصاهرات بين الفئات الأخرى، حيث يمكن تفسير توسع المصاهرات داخل الشريحة الاجتماعية الواحدة أكثر من امتدادها للشرائح الاجتماعية الأخرى لكون كل شريحة تماثل في مستواها الاجتماعي وترباط مصلحياً ولا يستبعد أن مساكنها كانت متقاربة كذلك.

(١) الرحلة، ص ٤٦٢ .

(٢) نفسه، ص ٤٦٢ .

(٣) نفسه، ص ٤٦٢ .

أما بالنسبة للأسر العلمية فيمكن فهم قيام مصاهرات واسعة بينها وذلك بسبب العلاقة الحميمة التي تنشأ بين الشيخ وتلاميذه أو بينه وبين زملائه الشيوخ والمعرفة العميقة لبعضهم البعض وقد يعود ذلك النسب العلمي إلى العلاقة القرابية ومعروف أن رجال العلم لم يكونوا يقتصرون على التعليم فحسب، بل كان بعضهم يشغلون وظائف دينية هامة في المجتمع مثل القضاء والخطابة، والإمامة، وهي وظائف سامية اجتماعياً ولها مردود مادي طيب، ومن ثم فالدوافع النفعية من وراء بعض المصاهرات واردة. والأسر المدنية التي توفر لنا قدر طيب من المعلومات عنها هي المطري، الزرندي، ابن صالح، ابن فرحون، الششتري أو التستري الكارروني، المراغي، الخجندي، السخاوي.

وكان لهذه الأسر صفة الاستمرار والبقاء في المدينة خلال العصر المملوكي، كما كان لها حظ وافر من العلم، وتبوأ بعض أفرادها وظائف دينية هامة مثل القضاء، والإمامة والخطابة، والحسبة والأذان، كما ارتبطت هذه الشريحة الاجتماعية بعلاقات جيدة مع باقي شرائح المجتمع. ومع بقية المجاورين وبخاصة العلماء وطلبة العلم، وخدام المسجد النبوي، وأصحاب المهن والحرف المختلفة.

أولاً: أسرة المطري

تعد من أقدم الأسر استقراراً بالمدينة في العصر المملوكي؛ فقد قدم مؤسسها أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي، العبادي الساعدي المطري^(١) من المطرية^(٢) إلى المدينة قبل سنة

(١) السخاوي، النخبة، ١/ ١٧٨.

(٢) من قرى مصر تقع جنوب عين شمس، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ١٤٩.

٦٧١هـ / ١٢٧٢م للعمل مؤذنًا بالمسجد النبوي^(١)، وتعاقب أبنائه وأحفاده على الأذان كما عمل بعضهم رئيساً للمؤذنين^(٢)، وتولى بعضهم الخطابة والإمامة والقضاء وهم جميعاً على المذهب الشافعي^(٣).

لقد صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر الأخرى، ومن خلال استعراض المصاهرات التي توصلت إليها، اتضح أنها انحصرت داخل الأسر العلمية فقط.

لقد تمت ثلاث مصاهرات مع أسرة الزرندي، ويعود ذلك في نظري لبروز مكانة تلك الأسرة من الناحية العلمية^(٤). لقد تبوأ أسرة الزرندي مكانة رفيعة في المدينة، فمنها عيّن أول قاضٍ حنفي^(٥). وباعتبار أن عمل أسرة المطري في بداية استقرارها كان الأذان في المسجد النبوي، الذي يعد أقل شأناً من وظائف القضاء والخطابة والإمامة فقد دفع ذلك أفراد الأسرة للتقرب من أسرة الزرندي بمصاهرتها في محاولة للرفع من شأن أسرتهم علمياً ووظيفياً. كما صاهرت الأسرة، أسرة المراغي التي تمتعت بمكانة طيبة في مجتمع المدينة^(٦). ويبدو أن للمكانة العلمية والاجتماعية دوراً في تلك المصاهرة حيث تنتمي

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/١٧٨، ٣/٤٦٦.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٦٢ ل ب، ابن حجر،

الدرر، ٣/٤٠٣ - ٤٠٤، السخاوي، التحفة ٣/٤٦٦ - ٤٦٩.

(٣) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/٦٢٧ - ٦٢٩ السخاوي، الضوء،

٧/٢٩٩ - ٣٠٠.

(٤) السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩، ٩/٢٢٥، السخاوي، التحفة، ٢/٥٢٩ - ٥٣١ الانصاري، تحفة،

ص ١١.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٥/٦٣، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٧١ - ٢٧٢، السخاوي، التحفة، ٣/

٢٦٨ - ٢٦٩.

(٦) السخاوي، الضوء، ٩/١٠١، ١٠٢.

الأسرتان لمذهب واحد هو الشافعي، كما أنه من الملاحظ أن أصل الأسرتين واحد وهو انتماؤهما إلى مصر، كما حدثت حالتا زواج مع أسرة السخاوي^(١).
وحيثما ننظر في أثر تينك المصاهرتين يتضح انتماء الأسرتين إلى مصر. كما حدثت حالة زواج واحدة مع أسرة ابن صالح، التي تلتقي مع أسرة المطري في الأصل والمذهب^(٢). كما صاهرت أسرة المطري أحد علماء المدينة وهو يحيى ابن عبد السلام بن مزروع البصري المدني^(٣). على أنني لم أعثر على حالات زواج تمت داخل أسرة المطري. إن الخلفية الاجتماعية للمصاهرات السابقة تبين انتماء ثلاث من الأسر المصاهرة للمطري لمصر فيما تعود واحدة إلى فارس^(٤).

ثانياً: أسرة الزرندي

تعد هذه الأسرة ثاني أقدم العائلات العلمية استقراراً بالمدينة قدم مؤسسها يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن الأنصاري^(٥) الذي ينتمي إلى مدينة زرنند^(٦) أواخر القرن السابع الهجري. وعند استعراضنا لحالات

(١) لم أجد أي أثر علمي لمصاهرة الأسرتين، أما الأثر المذهبي فالمطري شافعية والسخاوي مالكية وربما يكون لانتماء الأسرتين لأصل واحد وهو مصر أثر في المصاهرة، انظر السخاوي، الضوء، ٢٢٥/٩ - ٢٢٦، ١٩٨/١١ - ١٩٩، ٢٢٧.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢٢٧/١.

(٣) هو ابن العالم المشهور عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عرفة البصري المكي نزيل المدينة ومحدثها، السخاوي، التحفة، ١٧/٣، ٤٥.

(٤) السخاوي، الضوء، ٣٤/٨، ٢٢٥/١١، ٢٠٦.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٥.

(٦) زرنند، بليدة من أصبهان وسواة، وزرنند أيضاً مدينة قديمة من أعيان مدن كرمان، وقيل زرنند من عمل الري، ياقوت، معجم البلدان، ١٣٨/٣، ابن حجر، نفسه، ٢٢٨/٥.

المصاهرة من جانب هذه الأسرة اتضح أنها تمت مع أغلب الأسر العلمية في المدينة عدا أسرتي ابن فرحون والششتري. فقد حدثت ثلاث مصاهرات مع أسرة المطري، وحالة مصاهرة واحدة مع أسرة الخجندي^(١) وهنا نلاحظ الصلة العلمية لتلك المصاهرة.

وتنتمي الأسرتان إلى أصل اجتماعي متقارب هما فارس وبلاد ما رواء النهر. كما صاهرت أسرة الزرندي، أسرة الكارروني فقد تمت مصاهرتان من جانب أسرة الزرندي مع عالم المدينة وفتيها الجمال محمد بن أحمد بن محمد الكارروني الشافعي^(٢)، وكان للرابطة العلمية والتوافق المذهبي أثرهما في تينك المصاهرتين. كما صاهر آل الزرندي أسرة المراغي حيث تمت ثلاث حالات رواج^(٣) وكان للصلة العلمية والتوافق المذهبي أثرهما في تلك المصاهرات. كما صاهرت أسرة الزرندي أسرة ابن صالح^(٤).

ولم تقتصر مصاهرات آل الزرندي على الأسر العلمية في المدينة، بل تعدتها إلى بعض الأسر العلمية المكية؛ ومنها أسرة الحرازي^(٥) التي تنتسب إلى شهاب أبي العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر العمري

(١) هو نفس العام الذي تولى فيه نور الدين علي الزرندي قضاء الحنفية والتدريس والحسبة بالمدينة أيام السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٩.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/ ١١٠، ٤٩٨، ٥٠١ السخاوي، الضوء، ٥/ ١٠٨، ٧/ ٩٦-٩٧، ٩/ ١٦٦-١٦٧.

(٣) السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٥٢، ٢٥٣ ١٢/ ١٠٢، السخاوي التحفة، ٣/ ١١٠، ٦٥٨، الأنصاري، تحفة ص ١١.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٣، ١٢/ ١٥٥.

(٥) حرار، مخلاف باليمن قرب زبيد، الهمداني، صفة، ص ٢٢٨، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٣٤.

الحرازي اليمني الشافعي^(١). وظهر من هذه الأسرة عدد من العلماء^(٢). كما صاهرت أسرة الزرندي أسرة مكية أخرى هي الزمزمي^(٣) وحين نتساءل عن أسباب ودوافع تلك المصاهرة نجد أنها لا تتعلق بصلات علمية أو مذهبية أو اجتماعية بقدر ما تتصل بظروف عبد السلام الاجتماعية حيث أقام بمكة بعدما انتقل إليها من المدينة، ولم يتمتع المذكور بأي مكانة علمية أو وظيفية ونظراً لغربته وفقره فقد اضطر للزواج من أسرة الزمزمي التي لا ترقى من حيث المكانة العلمية أو الوظيفية لما كانت عليه أسرة الزرندي كما حصلت مصاهرتان داخل أسرة الزرندي^(٤).

ثالثاً: أسرة ابن صالح

تمتعت هذه الأسرة بمكانة طيبة في مجتمع المدينة، غير أن بداياتها في المدينة لم تكن علمية. فقد قدم جد الأسرة صالح بن إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن علي بن صالح الكناني الشافعي^(٥) من مصر، أواخر القرن السابع الهجري وعمل كما يذكر ابن فرحون «صانعاً مبيضاً متقناً... في الحرم الشريف»^(٦)، ولذلك صاهر المذكور أسرة من المؤذنين بالحرم النبوي الشريف،

(١) الفاسي، العقد، ١١٦/٣-١١٨، وذكر مولده سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م ووفاته سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، كما ترجم له ابن حجر، الدرر، ١/ ١٥٠، وذكر مولده سنة ٦٧٥هـ ببلدة حرار باليمن.

(٢) الفاسي، نفسه، ١/ ٣٦٥-٣٦٨، السخاوي، الضوء، ٢/ ١٣٧.

(٣) الزمزمي، نسبة لبثر زمزم بالحرم المكي الشريف، ويبدو أن الأسرة كانت تعمل في ملء الدوايق بالماء من البثر والإشراف على البثر نفسها، وانظر في النسبة، السخاوي، الضوء ص ١١/ ٢٠٥. وهي أسرة مارست السقاية من بثر زمزم ومن أفرادها والده المجد أبو طاهر إسماعيل وعمه البرهان إبراهيم وغيرهم انظر، السخاوي، الضوء، ١/ ٨٦، ٢/ ٣٠٢، ٣/ ١٥١.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٢٨، السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٥-٣٦.

(٦) نصيحة، ورقة ٣٥ ل ١.

تدعى أسرة الزجاج، فأنجبت له زوجته ولدين، هما محمد، وعلي^(١)، ثم رزقه الله بسطة من العيش مكنته من الحج ثماني عشرة مرة، كما اعتق ثلاثين مملوكاً، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م^(٢)، أما ولداه فقد نالا نصيباً من العلم والمكانة الوظيفية^(٣).

ورغبة في تقرب الأسرة من ذوي الشرف والمكانة العلمية والاجتماعية، فقد صاهرت الأسرة، أسرة ابن فرحون المالكية المذهب، المغربية الأصل، وهي أسرة معروفة في تونس والمدينة، وكان لتلك المصاهرة أثرها العلمي في ابنه من بعده، وهما عبدالرحمن ومحمد حيث تفقه الأول على يد جده لأمه، البدر بن فرحون، ونال المذكور مكانة علمية ووظيفية^(٤)، كما نال أخوه محمد أيضاً مكانة علمية ووظيفية بالمدينة^(٥). كما صاهرت الأسرة أسرة الزرندي كما ذكر سابقاً^(٦).

كما صاهرت الأسرة أسرة المطري ومن الملاحظ أن الأسرتين تشتركان في انتمائهما إلى المذهب الشافعي، كما أن أصل الأسرتين من مصر^(٧). ومن

(١) السخاوي، التحفة، ٥٥٥/٢، ٤٦٩/٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٧٦/٤، السخاوي، التحفة، ١٣١/٤-١٣٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ١٣١/٤-١٣٢.

(٥) الفاسي، العقد، ٢٩٣-٢٩٤، السخاوي، الضوء، ١٠٩/٥، ٨٦/٩، ولم أجد للعفيف عبدالله ابن محمد بن فرحون ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر، وربما يكون البدر أبو محمد عبد الله بن فرحون أو غيره، السخاوي، الضوء، ٥٥/٥-٥٦، السخاوي، التحفة، ٣٩٥/٢، ٤٠٩.

(٦) انظر مصاهرات أسرة الزرندي في السخاوي، الضوء، ١٠٣/٩، ١٥٥/١٢، السخاوي، التحفة، ١٥٦-١٥٧.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٠١/٩-١٠٤، ٢٢٧/١١.

العلماء الذين لهم صلة بأسرة ابن صالح علي بن موسى بن منصور المحلي المدني الشافعي^(١)، ويتضح التوافق الاجتماعي والمذهبي حيث ينتمي كلاهما إلى مصر، ومذهبهما الشافعي^(٢).

كما تمت مصاهرة مع أسرة التستري أو الششتري^(٣). ولم تشر المصادر إلى وجود صلة علمية وثيقة قبل المصاهرة، غير أن تلك المصاهرة كان لها تأثير في العلاقة بين الأسرتين، حين ناب أحمد بن محمد بن أحمد الششتري عن خاله فتح الدين محمد بن عبد الرحمن ابن صالح في خطابة المدينة وإمامتها^(٤). يضاف إلى ذلك أن التوافق المذهبي كان له تأثيره في تلك المصاهرة، باعتبار أن كلا الأسرتين على المذهب الشافعي. كما صاهرت الأسرة، أسرة ابن ربالة قضاة ينبع، وعلى رأسها قاضي ينبع محمد بن عبد الوهاب بن ربالة الشافعي^(٥) وواضح أن التوافق العلمي والمذهبي والاجتماعي^(٦) كان له أثره في المصاهرة.

رابعاً: أسرة ابن فرحون

من الأسر العلمية الكبيرة التي تعود بأصولها إلى تونس، واستوطنت المدينة

(١) المحلي نسبة للمحلة المدينة المشهورة بالغريبة بمصر، ياقوت، معجم البلدان، ٦٣/٥، السخاوي، الضوء، ٢٢٥/١١، وقد ولد المذكور بمصر كما ذكر السخاوي، الضوء، ٢٤/٦ - ٢٥، السخاوي، التحفة، ٢٥٨/٣ - ٢٦٠، أما ابن حجر، إنباء، ٣٦٥/٨ فذكر مولده ووفاته بالمدينة.

(٢) السخاوي، الضوء، ٣٤/٨ - ٣٥، ٣٥/١٢.

(٣) السخاوي، الضوء، ١٧١/٢، ١٩٥/٩.

(٤) السخاوي، الضوء، ١٩٥/٩، السخاوي، التحفة، ٢٤٦/١ - ٢٤٧.

(٥) هو محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الهواري الأصل القاهري ثم الينبوعي الشافعي ويعرف بابن ربالة، ولي قضاء ينبع بعد وفاة ابن عمه الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد، السخاوي، الضوء، ١٣٣/٨، السخاوي، التحفة، ٦٥٧/٣، السخاوي، الضوء، ١٦٤/١٢، وقيل أنه تزوج اخت محمد بن عبد الرحمن بن صالح، السخاوي، الضوء، ١٣٣/٨.

(٦) أي منصب القضاء، والمذهب الشافعي، وانتمائهم إلى مصر.

أسرة ابن فرحون، وقد تولى بعض أفرادها قضاء المالكية ابتداءً من سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م^(١)، إلا أنه رغم شهرة هذه الأسرة علماً ومكانة اجتماعية ووظيفية فلم أعثر لها إلا على ثلاث مصاهرات فقط، كانت الأولى زواج مؤسس الأسرة محمد من أسرة عبد الواحد الحسيني^(٢) رغبة في شرف المصاهرة بإلحاق أسرته بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣). كما صاهرت أسرة ابن فرحون، أسرة ابن صالح كما تقدم^(٤)، وقد أوضحت أسباب تلك المصاهرة.

خامساً: أسرة التستري^(٥) أو الششتري

صاهرت هذه الأسرة كلا من أسرة ابن صالح، والخجندي وقد تحدثت سابقاً عن مصاهرتهم لأسرة ابن صالح^(٦).

سادساً: أسرة الكازروني^(٧)

صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر العلمية المعروفة في المدينة مثل أسرة المراغي، والزرندي، والخجندي، وأخرى أقل أهمية وتأثيراً مثل الشامي المدني، والخشبي، والصبيبي.

(١) السخاوي، التحفة، ٤٠٣/٢ - ٤٠٩، ٧٠٦/٣ - ٧٠٩.

(٢) السخاوي التحفة، ١٦٧/٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ٤٠٤/٢، ٧٠٧/٣ - ٧١٠.

(٤) الفاسي، العقد، ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ١٣١/٤ - ١٣٢، ١٠٩/٥، ٨٦/٩.

(٥) نسبة إلى تستر، أعظم مدينة بخورستان، وهو تعريب شوشتر، ولذا يقال لمن ينتمي إليها تستري أو الششتري، السمعاني، الأنساب، ١/ ٤٦٥، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٩.

(٦) عن مصاهرتهم لأسرة ابن صالح انظر، السخاوي، الضوء، ١٧١/٢، ١٩٥/٩، السخاوي، الضوء، ٦/ ٣١٤ - ٣١٥، السخاوي، التحفة، ٤٦٩/٣ - ٤٧٢.

(٧) نسبة إلى كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز، وهي دمياط الأعاجم خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء، المقدسي، احسن، ص ٣٣١، السمعاني، الأنساب، ١٤/٥، ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٢٨.

كانت العلاقة العلمية بين أسرة الكارروني، والمراغي قوية، فقد تفقه الجمال محمد بن أحمد الكارروني على يد عالم المدينة أبي بكر بن الحسين المراغي^(١)، كما سار ابنه محمد على نهجه فأخذ عن أبي بكر المراغي^(٢) بعض علومه . وارتبط بعلاقة علمية بابنه أبي الفرج محمد بن أبي بكر المراغي، وتوجت تلك العلاقات بزواج محمد بن محمد بن أحمد الكارروني من ابنة أبي الفرج المراغي فاردادت العلاقة قوة بعد تلك المصاهرة^(٣). كما صاهر فرع آخر من أسرة الكارروني وهو فرع العز عبد السلام بن محمد^(٤)، كما صاهر آل الكارروني أسرة الخجندي^(٥) وكان للصلة العلمية أثرها في تلك المصاهرات ومن الأسر التي صاهرتها، أسرة الزرندي^(٦). وكان للصلة العلمية أثر في تلك المصاهرتين. كما حدثت مصاهرة واحدة داخل أسرة الكارروني^(٧).

(١) كان أبو بكر المراغي معجباً بالجمال الكارروني وقال عنه «أنه قام عنا بفرض كفاية لإقباله على الإقراء وشغل الطلبة» السخاوي، الضوء، ٩٧-٩٦/٧.

(٢) السخاوي، الضوء، ٤٤/٩.

(٣) السخاوي، الضوء، ٩٧/٩-١٩٨، ١١٣/١١، ١٢، ١٠٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩٠/١١، ١٠٦/٩، ١٢٣، السخاوي، التحفة، ٥٤٢/٣، السخاوي، الضوء،

٢٩/١١، ٣٦/١٢، السخاوي، التحفة، ٥٣٤-٥٣٦. وقد ورد خطأ أن أبي بكر بن الحسين

المراغي تزوج ابنة محمد بن التقي محمد الكارروني، فالكارروني عاش بين (٨١٣-٨٧٧هـ/

١٤١٠-١٤٧٢م) السخاوي، الضوء، ١٠٦/٩، فيما كانت وفاة أبي بكر المراغي سنة ٨١٦هـ/

١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ٣٠/١١، السخاوي، الضوء، ١٦١/٧-١٦٢، السخاوي،

التحفة، ١٢/٣-١٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ٥٧/٨، ٩٠/١١، السخاوي، التحفة، ١٣٤-١٣٥، ٤٧٠/٢، ٤٥٠/٣-

٤٥٢.

(٦) السخاوي، الضوء، ١٦٦/٩-١٦٧، السخاوي، التحفة، ١١٠/٣، ٤٩٨-٥٠١.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٥٥/١٠-١٥٦، ١٢٧/١١.

ومن أسر المدينة التي صاهرتها أسرة الكازروني، أسرة الخشبي^(١).

غير أنه يجدر بنا التنويه بوجود أسرة أخرى بمكة تدعى الكازروني لا تتصل بصلة نسب أو مصاهرة مع هذه الأسرة المدنية وقد عمل افراد تلك الاسرة بالاذان^(٢).

سابعاً: أسرة المراغي^(٣)

استقر مؤسس الأسرة أبو بكر بن الحسين المراغي الشافعي في المدينة قبل سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م واستوطنها لأكثر من خمسين عاماً حتى وفاته بها سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م^(٤) وقد صاهر المذكور أسرتين من الأسر المعروفة في المدينة وهما الكازروني والمدني^(٥). ويلاحظ أن التوافق المذهبي بين الأسرتين له أثر في تلك المصاهرات حيث كلاهما شافعية المذهب .

كما صاهرت أسرة المراغي، أسرة الزرندي^(٦) . وكان للصلة العلمية التي ربطت الأسرتين أثر في تلك المصاهرة.

ومن الأسر التي صاهرتها، أسرة الخجندي^(٧).

(١) تنسب هذه العائلة إلى العلامة الشمس محمد بن محمد بن يحيى بن سالم بن عبد الله الخشبي المدني الحنفي، ومن أبنائه علي، عبد السلام، غانم، والأخير عمل مؤذن بالحرم النبوي، والمحب محمداً والد أمانة المذكورة، انظر السخاوي، الضوء، ٢٠٧/٤٠، ٢٢/٦، ١٥٩، ١٦٣/٧.

(٢) عن هذه الأسرة المكية انظر، الفاسي، العقد، ٥/٢، ٦٩، ١٥٦، ٣/٨١-٨٢، ١٠٨، ٩٤/٤، ٢٦٣، ٥/٢١٢، ٢١٣، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٨٨، ٤٨٩ - ٦/١٨٣، ٢٣٣/ السخاوي، الضوء، ٢٠٦/٢ - ٢٦/٩، ١٤٦، ٢٤٦، ١١/١٠٦.

(٣) المراغي نسبة إلى المراغة من عمل أخميم في صعيد مصر، ياقوت، معجم البلدان، ١/١٢٣-١٥٤ السخاوي، الضوء، ٢٩/٩، السيوطي، لب اللباب، ٢/٢٤٨.

(٤) السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٥) السخاوي، الضوء، ٣٩/٤، ٧/١٦١-١٦٢، ١٢/٢٩، ٣٦، السخاوي، التحفة، ٢/٤٦٠-٤٦١، ١٣-١٢/٣.

(٦) السخاوي، الضوء، ٢٥٣/٧، ١٠٢/١٢، السخاوي التحفة ٣/٣١، الانصاري، تحفة، ص ١١.

(٧) السخاوي، الضوء، ٦٧/١، ٧٢/١١، السخاوي، التحفة، ١/٢١٩-٢٢١.

ومن الأسر المدنية التي صاهرتها أسرة البكري^(١).
كما صاهرت أسرة المراغي، أسرة المطري التي تلتقي معها في الأصل
والمذهب^(٢)، كما تمت مصاهرتان من أسرة الكارروني كما سبق^(٣).

ثامناً: أسرة الخجندي^(٤)

لقد صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر في المدينة ومن بينها أسرة
الزرندي^(٥)، والمراغي^(٦)، اللتان كانتا لهما صلة علمية مع مؤسس الأسرة
بالمدينة أحمد بن محمد بن محمد الخجندي، الذي قدم المدينة واستقر بها سنة
٧٦٦هـ / ١٣٥٨م^(٧).

كما حدثت مصاهرتان مع أسرة الكارروني^(٨).

كما صاهرت أسرة الششتري^(٩). كما تزوج إبراهيم بن الجلال أحمد
الخجندي من ابنة أحد المجاورين المغاربة ويدعى أحمد بن محمد بن عبد الله
الشهاب المالكي النفطي^(١٠). كما صاهر آل الخجندي أسرة ابن الريس أو ابن

(١) السخاوي، الضوء، ٣٦/٤، ١٩٠/٧، السخاوي، التحفة، ٢/٤٥١-٤٥٢.

(٢) السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩-٣٠٠، ٩/١٠١-١٠٢، ١١/٢٢٥-١٠٣، السخاوي، التحفة،
٣/٦٢٩.

(٣) السخاوي، الضوء، ١١/١٢٣، ٩/١٠٦، السخاوي، التحفة، ٣/٥٤٢.

(٤) نسبة إلى خجندة أو خجند، بلدة مشهورة فيما وراء النهر على طرف سيحون، السمعاني،
الأنساب، ٢/٣٢٧، ياقوت، معجم البلدان، ٢/٣٤٧، السيوطي، لب اللباب، ١/٢٧٤.

(٥) السخاوي، الضوء، ٢/١٩٩، السخاوي، التحفة، ١/٢٦١، ٣/٢٧٠.

(٦) السخاوي، الضوء، ٢/١٩٩، السخاوي، التحفة، ١/٢٦٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ١/٢٦٠.

(٨) السخاوي، التحفة، ١/١٣٤-١٣٥، ٣/٤٥٠-٤٥٢، السخاوي، الضوء، ١١/٦٥، ٩٠.

(٩) السخاوي، التحفة، ١/٤٣، ٣/٤٧١.

(١٠) كان أحمد المغربي «أميناً على حواصل الحرم، وخدام الحرم» الفاسي، المقد، ٣/١٤٧،
السخاوي، الضوء، ٢/١٣٩، السخاوي، التحفة، ١١/٢٣٩-٢٤٠.

الخطيب المؤذنين بالحرم النبوي^(١) كما تزوج أبو بكر بن محمد المراغي من ابنة أحمد بن محمد الخجندى^(٢)، كما حصلت مصاهرة واحدة داخل أسرة الخجندى^(٣).

تاسعاً: أسرة السخاوي^(٤)

تعد هذه الأسرة آخر الأسر العلمية استقراراً في المدينة في العصر المملوكي، فقد جاء جدهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن العيد السخاوي المالكي^(٥)، إلى المدينة من القاهرة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م متولياً قضاء المالكية عقب وفاة التاج عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب المدني، وصاهر بها أسرة المطري^(٦). كما صاهر حفيده محمد بن محمد بن محمد بن أحمد السخاوي أسرة المطري^(٧).

ومن الواضح أن زواج القاضي شمس الدين السخاوي وحفيده من أسرة المطري يعود للأصل الاجتماعي المشترك. أما خير الدين محمد بن محمد السخاوي فقد صاهر أسرة الزرندي^(٨). كما صاهر أخوه أسرة المرتضى الكنانى التي عملت بالآذان في المسجد النبوي منذ النصف الثاني من القرن السابع

(١) السخاوي، الضوء، ٩٠/٢، ٩٣/٧-٩٤، السخاوي، التحفة، ٢٢٨/١.

(٢) السخاوي، الضوء، ٧٢/١١، السخاوي، التحفة، ٢١٩/١-٢٢١.

(٣) السخاوي، الضوء، ٣١٤/٦، ١٩٩/١١-٢٠٠، السخاوي، التحفة، ١٤٣/١.

(٤) نسبة إلى سخا كورة بمصر، وقصبتها سخا بأسفل مصر، تقع غربي القسطنطينية، ياقوت، معجم

البلدان، ١٩٦/٣، السخاوي، الضوء، ٢٠٦/١١، السيوطي، لب اللباب، ١٣/٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ١١٠/٧، السخاوي، التحفة، ٥٠٨/٣-٥١١.

(٦) السخاوي، الضوء، ٣٠٤/٤، ١١٠/٧، السخاوي، التحفة، ٥٨/٣.

(٧) السخاوي، الضوء، ٢٢٥/٩-٢٢٦، ١٩٨/١١-١٩٩، ٢٢٧.

(٨) السخاوي، الضوء، ٤٧/٩-٤٨، الانصاري، تحفة، ص ١١.

الهجري^(١). ويتضح أن هذه المصاهرة تتصل بالأصل الاجتماعي لانتماء الأسرتين إلى مصر. كما صاهرت أسرة السخاوي إحدى الأسر المدنية الشريفة، وتدعى أسرة الحسيني^(٢). وليس لهذه المصاهرة الأخيرة خلفيات علمية واجتماعية وإنما يظهر أن أسرة السخاوي أرادت التشرف بهذه الأسرة الحسينية بمصاهرتها كما هو السائد في ذلك العصر^(٣).

النتائج العامة :

١- عبرت المصاهرات عن شريحة اجتماعية مهمة من شرائح مجتمع المدينة وهم العلماء وطلبة العلم.

٢- أعطت تلك المصاهرات مؤشرات حول الانتماء الاجتماعي للكثير من الأسر في المدينة والتي من خلالها اتضح أن كثيراً من العائلات تنتمي إلى أصول مصرية، وفارسية، وتركية وشامية ومغربية.

٣- أن كافة الأسر العلمية تنتمي إلى أصول اجتماعية من خارج المدينة، بل ومن خارج الجزيرة العربية قدمت المدينة ابتداءً من القرن السابع الهجري، واستمر وصولها حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري^(٤).

(١) السخاوي، التحفة، ١/٤٥٦-٤٥٨، ٣/٤٨-٥٠.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/٥٨ وورد اسمه عبد الكبير في السخاوي، الضوء، ٤/٣٠٤، ١١/١١٣.

(٣) كانت بعض العائلات وبخاصة العلمية منها التي تنتمي إلى أصول مختلفة تطمح في مصاهرة الأسر الحسينية أو الحسينية لشرفها والرفع من شأن أسرهم كما حدث مع أسرة ابن فرحون، وعبد الواحد الحسيني، السخاوي، التحفة، ٣/٧٠٧.

(٤) قدمت أول أسرة علمية في العصر المملوكي إلى المدينة وهي أسرة المطري قبل ٦٧١هـ / ١٢٧٢م السخاوي، التحفة، ٣/٤٦٦، أما آخر أسرة قدمت إلى المدينة فهي السخاوي، التي قدمت سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م، انظر: السخاوي، الضوء، ٧/١١٠.

- ٤- استمرت بعض الأسر في المدينة حتى العصر العثماني كأسرة الزرندي التي عرفت بالأنصاري^(١)، والحجندي^(٢)، والكارروني^(٣).
- ٥- أتضح أن المصاهرات انحصرت بشكل أساسي بين الأسر العلمية، ووجدت حالات قليلة من المصاهرات مع أسر وأفراد خارج نطاق تلك الأسر ممن تمتعوا بمكانة علمية^(٤)، أو اجتماعية^(٥)، أو وظيفية^(٦).
- ٦- صاهرت بعض الأسر المدنية أسراً مكية مثل ابن ظهيرة^(٧)، والحارزي^(٨) وهاتان الأسرتان كانت تتمتعان بمكانة علمية بارزة في مكة وتولى بعض أفرادها القضاء والخطابة والإمامة، وأسرة الزمزمي^(٩) التي تولت السقاية من بئر زمزم.
- ٧- صاهر بعض أفراد تلك الأسر المدنية في بداية استقرارها في المدينة أسراً أو أفراداً لا يتمتعون بمكانة علمية أو اجتماعية^(١٠).

(١) الأنصاري، تحفة، ٣٤/٧.

(٢) الأنصاري، نفسه، ص ٢٠٧-٢٠٩.

(٣) الأنصاري، نفسه، ص ٤١٠-٤١١.

(٤) مثل يحيى بن عبد السلام بن محمد بن مزروع الذي ينتمي إلى بيت علم، السخاوي، التحفة، ٤٥/٣.

(٥) مثل أسرة البكري المدني، السخاوي، التحفة، ٤٥٢/٢، وعبد الواحد الحسيني، السخاوي، التحفة، ٧٠٧/٣-٧١٠ وعبد الكافي الحسيني، السخاوي، التحفة، ٥٨/٣.

(٦) مثل أسرة المرتضى الكتاني المصري، السخاوي، التحفة، ٤٨/٣-٤٩، وأسرة النفطي، السخاوي، التحفة، ٢٣٩/٩-٢٤٠.

(٧) الفاسي، العقد، ١٢٣/٢، ٣٥٠/٨، السخاوي، الضوء، ١٤٥/١٢.

(٨) الفاسي، نفسه، ١١٦/٣-١١٨، ٢٩٥/٨-٢٩٦، ابن حجر، الدرر، ١٥٠/١، السخاوي، الضوء، ١٤٥/١٢.

(٩) السخاوي، الضوء، ٢٠٦/٤، ٣٢/١٢.

(١٠) مثل أسرة المؤذن، السخاوي، التحفة، ٥٥٥/٢، ٤٦٩/٣، ٦٤١-٦٤٢.

٨- انتشرت حالات الزواج بأكثر من واحدة في الأسر العلمية وهذا يرجع في نظري لمحاولة تلك الأسر توطيد العلاقات الاجتماعية والعلمية بين أفرادها^(١).

٩- تشكل الصلات العلمية بين أفراد الأسر العلمية سبباً لبعض المصاهرات حيث أن كثيراً من أفراد تلك الأسر يتلقون علومهم على أكثر من عالم وفي فترات متفاوتة إلا أن الاشتراك في الأصل الاجتماعي والمذهبي تبين من خلال الدراسة أنهما سببان أقوى من الصلة العلمية في المصاهرات بين الأسر العلمية.

١٠- بلغ عدد حالات المصاهرة بين تلك الأسر ٨٤ حالة ومن الناحية المذهبية شكل المذهب الشافعي نصف عدد حالات المصاهرة يليه المذهب الحنفي ١٨ حالة، ثم المذهب المالكي ٨ حالات، ثم المذهب الحنبلي حالة واحدة، والباقي غير محدد.

وفيما يختص بأصول أفراد تلك الأسر تنتمي ٣٣ حالة إلى أصل مصري يليها ٢٥ حالة تنتمي لفارس وبقية الحالات من أصول أخرى بنسب متفاوتة. ومن خلال ما سبق يمكن توزيع الانتماء الاجتماعي والمذهبي أي أصولهم الاجتماعية والمذهبية على النحو التالي:

(١) السخاوي، الضوء، ١٦٢/٧، ١٠٢/٩، ١٢ / ٣٥، ١٠٢، ٢٣٨ - ٢٣٩، السخاري، التحفة،

أولاً: حالات مصاهرة أسرة المطري ، شافعية المذهب، مصرية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٣	مصر	٤
المالكي	٢	فارس	٣
الحنفي	٢	البصرة، العراق	١
الحنبلي	١	غير محدد	١
غير محدد	١		
المجموع	٩	المجموع	٩

- أسرة المطري شافعية المذهب وحالات المصاهرة على هذا المذهب ٣ أي
الثلث.

- أغلب حالات المصاهرة مع أفراد ذوي أصول مصرية.

ثانياً: أسرة الزرندي : شافعية وأحناف / فارسية الأصل

العدد	الأصل	العدد	المذهب
٩	مصر	١٤	الشافعي
٤	فارس	٢	الحنفي
٢	مكة	١	المالكي
١	اليمن		
١	ماوراء النهر		
١٧	المجموع	١٧	المجموع

- شكل المذهب الشافعي الأغلبية في مصاهرات الأسرة.
- أغلب المصاهرات مع أسر ذات أصول مصرية وربما كان للعامل المذهبي أثره، نظراً لأن معظم تلك الأسر المصرية على المذهب الشافعي.

ثالثاً : أسرة ابن صالح : شافعية المذهب ، مصرية الأصل

العدد	الأصل	العدد	المذهب
٣	مصر	٦	الشافعي
٢	تونس	٢	المالكي
٢	فارس	١	الحنفي
١	الشام	٢	غير محدد
١	المغرب		
١	المدينة		
١	غير محدد		
١١	المجموع	١١	المجموع

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي الأغلبية ٦ من ١١ حالة .
- من حيث الأصل يحتل ذوي الأصول المصرية المركز الأول .

رابعاً : أسرة ابن فرحون : مالكية المذهب ، تونسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٢	مصر	٢
غير محدد	١	المدينة	١
المجموع	٣	المجموع	٣

خامساً : أسرة الكازروني : شافعية المذهب، فارسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	١٠	مصر	٤
الحنفي	٣	فارس	٤
		ما وراء النهر	٢
		المدينة	٢
		الشام	١
المجموع	١٣	المجموع	١٣

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي الأغلبية ١٠ من ١٣ حالة.

- هناك حالة من التوازن بين الأصول الفارسية والمصرية .

سادساً : أسرة التستري: شافعية المذهب، فارسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	١	مصر	١
الحنفي	١	ما وراء النهر	١
المجموع	٢	المجموع	٢

سابعاً : أسرة المراغي: شافعية المذهب ، مصرية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٦	فارس	٧
الحنفي	٤	ما وراء النهر	٢
الحنفي	٣	المدينة	٢
		اليمن	١
		مصر	١
المجموع	١٣	المجموع	١٣

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي ٦ من ١٣ .
- أغلبية المصاهرة مع الأسر ذات الأصول الفارسية حيث شكلت ٧ من ١٣ .

ثامناً: الخجندي : أحناف المذهب ، بلاد ما وراء النهر

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٦	فارس	٤
الحنفي	٢	مصر	٣
المالكي	١	ماوراء النهر	١
		المغرب	١
المجموع	٩	المجموع	١٧

- نظراً لكون المذهب الشافعي هو السائد في المدينة ، فقد شكلت مصاهرات هذه الأسرة على هذا المذهب الأغلبية ٦ من ٩ حالات .
- تشكل الأصول الفارسية الأغلبية في مصاهراتها ٤ من ٩ حالات .

تاسعاً : السخاوي: مالكية المذهب، مصرية الأصل .

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٤	مصر	٥
الحنفي	٢	المدينة	١
المالكي	١	فارس	١
المجموع	٧	المجموع	٧

- رغم أن أسرة السخاوي مالكية المذهب فقد شكلت مصاهراتها على المذهب الشافعي الأغلبية ٤ من ٧ علماً أن كثيراً من العائلات المدنية على المذهب الشافعي .

- علاقة الأسرة بأصولها المصرية كان عاملاً حاسماً في مصاهراتها خاصة أن مجيئها إلى المدينة كان متأخراً عن باقي الأسر .
وسنلاحظ أن المصاهرات التي تمت بين الأسر العلمية سيكون لها أثر واضح في تقليد بعض الوظائف الدينية .

الفصل الرابع

الأحوال الدينية

أولاً: المذاهب الفقهية .

ثانياً: الوظائف الدينية.

أ- الوظائف في المسجد النبوي.

١ - الأئمة ، والخطباء

٢ - خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة

٣ - المؤذنون

٤ - الفراشون والبوابون

٥ - السقاؤون

٦ - وظائف أخرى

ب- قضاة المدينة.

كانت المدينة وسائر الحجاز قد خضعت للنفوذ الفاطمي منذ أن دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(١) ولتأكيد سلطة الفاطميين عليها أنفذ المعز عسكراً وأحمال مال - عدتها عشرون حملاً - للحرمين، وعدة أحمال متاع» وذلك في ذي القعدة سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م^(٢) وبدأت الدعوة الفاطمية بالتغلغل في الحجاز منذ ذلك الوقت ففي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م دعى فيه للمعز الفاطمي بمكة والمدينة^(٣) وكان للتوافق المذهبي بين أمراء المدينة الحسينيين والخلفاء الفاطميين، أثره في ولاء أشراف المدينة للفاطميين، حيث كان أمراء المدينة على مذهب الشيعة الإمامية^(٤) فيما كان الفاطميون على المذهب الإسماعيلي^(٥). وفي العهد الأيوبي ظلت الأحوال الدينية المذهبية في المدينة على سابقتها في العصر

(١) ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله، كنز الدرر وجامع الغرر ج ٦، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، (د. ط، المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) ص ١٢٠.

(٢) المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، تعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ص ١٢٢.

(٣) المقرئزي، نفسه، ص ٢٢٥.

(٤) الشيعة الإمامية أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي شغلتهم ودارت حولها معظم عقائدهم وتعلقت بها أبحاثهم ويطلق على هؤلاء أيضاً الشيعة الاثنا عشرية بسوقهم الإمامة في اثني عشر إماماً بدءاً من علي بن أبي طالب وانتهاءً بمحمد المهدي بن الحسن الملقب بالمهدي المنتظر ولتفصيلات أكثر انظر د. أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين «الخوارج والشيعة» (ط ١)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص ١١٩ - ١٢٠.

(٥) يتنسب الإسماعيلية إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق. وقد تفرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد موت جعفر سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م إذ من تسموا بالإسماعيلية لم يعترفوا بإمامة موسى الكاظم الإمام السابع لاثنا عشرية، وساقوا الإمامة بدلاً عنه إلى إسماعيل أو ابنه محمد، أحمد محمد جلي، دراسة، ص ١٩٣ - ١٩٤.

الفاطمي دون تغيير يذكر، غير أن تغييراً أساسياً قد حدث في أحوال المدينة الدينية منذ أن تبوأ الماليك مقاليد السلطة في مصر وأصبح لهم الإشراف على الحرمين الشريفين، وستحدث عن تلك الأحوال في نقطتين أساسيتين هما:-

أولاً: المذاهب الفقهية

كان المذهب السائد المعمول به في الأحكام في المدينة، في العصرين الفاطمي والأيوبي، وأوائل العصر المملوكي؛ هو المذهب الجعفري أو الإمامي الاثنا عشري، غير أنه وردت إشارات إلى وجود بعض القضاة من أهل السنة في المدينة خلال تلك الفترة، ومن هؤلاء الحسين بن أحمد بن علي أبي النصر الحنفي قاضي الحرمين^(١) وعبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن الشيباني الطبري المكي قاضي الحرمين^(٢) وأحمد بن أبي بكر بن محمد الطبري المكي الشافعي قاضي الحرمين^(٣). ومن الواضح أن هؤلاء جميعاً كانوا أساساً قضاة في مكة ثم ندبوا لتولي القضاء في المدينة لفترة وأصبحوا قضاة للمدينتين في وقت واحد، وربما يدل ذلك على قلة أتباع مذاهب أهل السنة في المدينة خلال تلك الفترة.

لقد كان للتطورات السياسية في مصر أثر في انتشار المذاهب الشيعية في الحجاز؛ وبخاصة في مدنها الرئيسية مثل مكة والمدينة وينبع، فمنذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، استولى الفاطميون كما تقدم على مصر، وحاولوا مد نفوذهم السياسي والمذهبي على الحجاز، حينما قدم طاهر بن مسلم

(١) (توفي ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)، القرشي، عبدالقادر بن محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ج ٢ (د. ط، دار العلوم، الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ص ١٠٠. السخاوي، التحفة ١/ ٥٠٣.

(٢) (توفي بعد سنة ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)، الفاسي، العقد، ٥/ ٢٩٩٨، السخاوي، نفسه، ٢/ ٤٣٤.

(٣) (توفي سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، الفاسي، نفسه، ٣/ ٢١، السخاوي، نفسه، ١/ ١٧٣-١٧٤.

الحسيني من مصر إلى المدينة فولاه أهلها إمارة المدينة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م^(١) وفي فترة زمنية لاحقة أي في سنة ٣٦٤هـ بدأ يخطب للخليفة الفاطمي المعز لدين الله^(٢)، ولا نعرف إن كان ذلك بمبادرة من نفسه، أم كان إذعانا لطلب من الخليفة الفاطمي، وبدأ المذهب الشيعي الإمامي في الانتشار منذ تلك الفترة رغم أن الفاطميين كانوا إسماعيلية المذهب.

أدى قصر إسناد منصب القضاء والخطابة والإمامة على فقهاء من الشيعة إلى انتشار المذهب الإمامي الاثنا عشري - وهو المذهب الرئيسي من مذاهب الشيعة - خلال العصرين الفاطمي والأيوبي وخاصة بين أشراف المدينة والعامية من سكانها^(٣)، وقد تعززت مكانة هذا المذهب برعاية واهتمام أشراف المدينة وحث الناس على اعتناقه^(٤)، ووصلت قوة هذا المذهب ذروتها بقدم أسرة الفيشاني من العراق^(٥)، ورغم أن ابن فرحون لم يحدد الفترة الزمنية التي قدمت فيها أسرة القيشاني إلى المدينة، إلا أنه من الواضح أن فقهاء هذه الأسرة قد عملوا على تعزيز مكانة هذا المذهب بالترغيب والتقرب من قلوب العامة.

(١) كان والده مسلم واسمه محمد بن عبيدالله بن طاهر يدير أمر مصر أيام كافور ولما اختل وضعف أمر الدولة الإخشيدية دعا مسلم للمعز لدين الله بمصر، ابن حزم، جمهرة، ص ٥٥ . القلقشندي، صبح، ٢٩٨/٤، وفي تولية إمارة المدينة انظر ابن خلدون، تاريخ، ١٢/٤، محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م) ص ٢٢ .

(٢) المقرئزي، انعاظ، ص ٢٢٥، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٧ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ، وأغلب العامة فلاحون يطلق عليهم النخالة، انظر العباسي، الرحلة، ص ١٦، ٢١١-٢١٢ .

(٤) ساعد على تمادي أشراف المدينة في دعم المذهب الإمامي المكانة التي تمتعوا بها في العصر الأيوبي

وبخاصة مع صلاح الدين الأيوبي انظر السخاوي، التحفة، ٤ . ٤٠ .

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي التحفة، ٣/ ٣١٥ .

وفي العصر الأيوبي أدى انشغال السلطان نور الدين زنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي بأمر الجهاد ضد الصليبيين، إلى بقاء الوضع المذهبي على سابقه في العصر الفاطمي؛ من حيث انتشاره وتعزيز مكانته^(١)، وقد وضع مدى تحكم فقهاء الإمامية في أمور المدينة الدينية فيما ذكره ابن جبير^(٢)، الذي وصل إلى المدينة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م أي في عهد صلاح الدين الأيوبي وشاهد في المسجد النبوي أموراً منكراً يمارسها خطيب وإمام الحرم ووصفه بأنه على مذهب غير مرضي؛ ويقصد بذلك مذهب الشيعة الإمامية، ورغم سيطرة فقهاء الشيعة على أمور القضاء، والخطابة، والإمامة في المدينة خلال العصر الأيوبي؛ فقد ذكر أن لأهل السنة إماماً يصلي بهم الصلوات فقط وكان السلطان بعد ذلك يبعث مع الحاج شخصاً يقيم لأهل السنة الخطابة والإمامة إلى نصف السنة، ثم يأتي غيره مع الرجبية إلى ينبع^(٣).

كما كان في العصر الأيوبي فقهاء من السنة، مقيمون بالمدينة، من أسرة تدعي المجد، وكانت علاقة هذه الأسرة مع أشراف المدينة غير مستقرة على حال، فأحياناً تكون العلاقة وثيقة مثل علاقتهم بإمام الحرم من هذه الأسرة حيث كان «معظماً عند الشرفاء محبباً إليهم وقد ملك أملاكاً أصلهم من تمليكَة الشرفاء له كأثارب وغيرها»^(٤).

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب.

السمهودي، علي بن عبدالله، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م) ص ١٤٢.

(٢) الرحلة، ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣ / ٣١٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل ب .

ويتضح من ذلك أن أشراف المدينة أغدقوا على إمام الحرم من أهل السنة ومنحوه أملاكاً إلا أن العلاقة لم تلبث أن تغيرت مع ذريته أو أبنائه من الأئمة فيشير ابن فرحون^(١) إلى أنهم أقاموا في منصبهم مستضعفين يؤذون فارتحلوا بأولادهم وتركوا أملاكهم وكنت أسمع من كبار أهل المدينة، أن الشرفاء بعثوا إليهم وأمنوهم، أن يرجعوا إلى المدينة، فلم يفعلوا حتى أخذت أملاكهم وتملكت.

ومن تعرضوا لمضايقة أمراء المدينة من علماء السنة أيضاً أسرة النظام؛ الذين ملكوا أملاكاً بالمدينة غير أنهم اضطروا لتركها والارتحال عن البلاد نتيجة تعرضهم للمضايقات والاضطهاد على يد فقهاء المدينة والأشراف، وبالمدينة موضع - يسمى النظامية - منسوب إليهم^(٢).

غير أن هذه العلاقة المتذبذبة التي ربطت أشراف المدينة بفقهاء السنة يشير تساؤلاً حول قضية التشيع لديهم، فالسياسة العملية التي تحكم العلاقة بين أمراء المدينة من الأشراف والسكان وبخاصة أهل السنة هي، الإحسان إلى فقهاء السنة لإحداث نوع من التوازن في السياسة الداخلية.

وكانت الخطابة والقضاء بأيدي آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الوحادي المدني، وكان عبد الوهاب بن نميلة أول من تولى القضاء والخطابة من هذه الأسرة الحسينية^(٣)، وخلفه في منصبه في القضاء والخطابة ابنه شمس الدين سنان^(٤)

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب .

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب

(٣) السخاوي، التحفة، ١١٣/٣ .

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل أ، السخاوي، نفسه، ١٩٥/٢٠-١٩٦ .

وخلفه في مناصبه أبنائه، نجم الدين مهنا^(١) بن سنان ، وعلي بن سنان^(٢)، وعيسى بن سنان^(٣)، وقاسم بن سنان^(٤)، ومن فقهاءهم أيضاً حسن بن سنان قاضي الإمامية في إمارة طفيل بن منصور على المدينة (٧٢٨-٧٥٠هـ)^(٥). غير أن الأوضاع المذهبية في المدينة بدأت في التحول التدريجي لصالح أهل السنة ابتداءً من النصف الثاني من القرن السابع الهجري ففي سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، أخذت الخطبة من آل سنان خطباء وأئمة وقضاة الإمامية وأسند أمرها لأحد علماء السنة الذي قدم من مصر لهذا الغرض وهو الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري الدمنهوري الشافعي^(٦) وقد واجه في بداية توليه لمنصبه الأذى من فقهاء الإمامية والعامة فصبر واحتسب حتى تمكن من التغلب على تلك المصاعب بفضل حنكته وبعد نظره، فقد تزوج ابنة القيشاني، رئيس الإمامية وفقهائها، فكفوا أذاهم عنه، وتمكن بعد ذلك من بسط نفوذ أهل السنة، فانتزع القضاء من الشيعة، وأسندها لأهل السنة بأمر من السلطة المملوكية^(٧).

لقد بدأت مذاهب أهل السنة منذ أواخر القرن السابع الهجري تكتسب القوة نتيجة لدعم السلطة المملوكية في القاهرة، والقضاة، وبعض الفقهاء من داخل المدينة وخارجها، كما أن تزايد أعداد المجاورين والوافدين إلى المدينة من

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٦ ل أ،

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٢٢

(٣) السخاوي، نفسه، ٣/ ٣٨٢

(٤) السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٠٠.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل ب، الفيروزآبادي، المغام، (خ) ورقة ٢٤٥ ل ب . ٢٤٦ ل أ،

السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٨-٢٦٠.

(٦) (توفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، الأسنوي، طقات، ٢/ ٧٢، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤-٢٢٥،

السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٢-٣١٧.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ.

مختلف بقاع العالم الإسلامي؛ كان له أثره في تقوية مذهب أهل السنة وإضعاف تأثير المذهب الإمامي على الأوضاع الدينية والاجتماعية، رغم أن أمراء المدينة من الأشراف الحسينيين كانوا في أغلبهم على المذهب الإمامي، ثم أضيف للسراج القضاء بتقليد من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وظل آل سنان قضاة على أتباعهم من الشيعة فقط^(١).

ويتضح من دراسة مصادر تاريخ المدينة في العصر المملوكي، أن معظم المجاورين الذين وفدوا على المدينة، كانوا على مذاهب أهل السنة، وقد أخذ بعض هؤلاء المجاورين الذين وفدوا على المدينة بالتلمذ على علماء المدينة من أهل السنة، وأحياناً يكون مذهب التلمذ غير مذهب الشيخ، وهذا أدى ببعض الدراسين إلى التحول من مذهب إلى آخر؛ إما بسبب تأثير الشيوخ عليهم - أو لأسباب منفعية أخرى، أو لأسباب سياسية أو علمية أو مذهبية أو وظيفية، كـرغبة بعضهم في التدريس في الحرم النبوي أو إحدى المدارس أو الأربطة الموقوفة على بعض المذاهب، أو لتولي بعض الوظائف الدينية كـالقضاء والخطابة والإمامة، وما تحمله تلك الوظائف من طابع سياسي، ونتيجة لذلك نشطت الحركة العلمية نشاطاً كبيراً في المدينة، على أن المذهب الإمامي الذي انتشر في العهدين الفاطمي والأيوبي بين الأشراف والعامة، وبخاصة الفلاحين من أهل المدينة أخذ بالانحسار التدريجي، ابتداءً من أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي مع بقاء أتباعه ومعتنقيه دون نفوذ يذكر، ويعود الضعف كما أسلفت للإرادة السياسية لدولة المماليك، التي عملت على تعزيز مكانة أهل السنة في المدينة؛ بإرسال القضاة والخطباء والأئمة، بالإضافة إلى دور

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل ١، السخاري، التحفة، ٣ / ٣١٥.

القاضي السراج، نجد أن القاضي المصري شرف الدين أبي الفتح محمد الشافعي المعروف بابن الأميوطي^(١) قد تصدى للشيعة، وأضعف شوكتهم، وكان كما يقول ابن فرحون^(٢) فيه «شدة على الأشراف، له هيبة عظيمة، سقامهم المر وأذاقهم الصبر، وأما سطوته على الإمامية وتوبيخه لهم في المحافل، وسبهم على المنبر فأمر مشهور، لا يحتاج إلى وصف، ولا تكاد السنين تبيد ذكره، وكان إذا قام في الأمر لا يرجع عنه ولو خوف في عاقبته وكان متمسكاً بالسنة، يتبع أشدها ويحمل نفسه على أشقها» غير أن المذكور لم يستطع مع ذلك أن يعزل قضاة الإمامية عن منصب القضاء في المدينة^(٣). كما شارك بعض المجاورين في التصدي للذهب الإمامية، ومحاولة إضعافه، ومن هؤلاء صاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن حنا المصري^(٤)؛ الذي تصدى لفقهاء الشيعة وقضاتهم من آل سنان والقيشانيين فهابوا كما يقول ابن فرحون^(٥) «مكانه من السلطان، وأذعنوا، واستعملوا التقية، حتى رجعوا فيما رعموا كلهم سنية»، ويتضح من ذلك أن لهيبة الدولة المملوكية ونفوذ علمائها أثراً كبيراً في إضعاف شأن فقهاء الإمامية.

من دراسة الأحوال السياسية والمذهبية، يتضح أن أغلب الحسينيين في المدينة من أمرائها وأعيانها كانوا إمامية المذهب، غير أن بعضهم مال إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وعمل على إعادة النشاط إليهم وتمكينهم في بعض فترات ضعفهم، ومن هؤلاء أمير المدينة سعد بن ثابت بن جمار الذي تولى منصب

(١) (توفي سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)، ابن حجر، الدرر، ٤ / ٢٧٦.

(٢) نصيحة، ورقة ٩٠ - ٩١.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل أ.

(٤) (توفي سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م)، ابن حجر، نفسه، ١ / ٣٠٣.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨ ل ب، السهمودي، الوفاء، ص ١٤٣، السخاوي، التحفة، ١ / ٢٤١.

الإمارة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م فقد وصف بأنه «كان في دولته من أحسن الأمراء سيرة؛ شجاعاً، وافر الحشمة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة متخلقاً بذلك، مستجلباً رضى السلطنة»^(١)، كما منع آل سنان قضاة الإمامية من التعرض للأحكام وعقد الأنكحة، وفوض الأمر جميعه لقضاة من أهل السنة^(٢) ويتضح من ذلك؛ أنه إضافة لميل أمير المدينة لأهل السنة فإن تلك السياسة التي اتبعها كانت رغبة أيضاً في إرضاء السلطة المملوكية التي تدعم أهل السنة، وربما ينظر لهذا التوجه رغبته في الاحتفاظ بمنصبه، وارتباطه بعلاقة ودية مع السلطة المملوكية في القاهرة، كما نلاحظ اقتصار القضاء على شخص واحد هو القاضي الشافعي، وحتى عقود الأنكحة فوض أمرها لأهل السنة، خلافاً لما كان عليه الأمر حين مجيء السراج خطيباً وقاضياً أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، حيث كانت أحكام الشيعة وعقود أنكحتهم منوطة بفقهاءهم، حيث أمر الشريف سعد؛ بأن «ينادى في المدينة وأسواقها جهاراً نهاراً، أن لا يحكم في المدينة إلا القاضي الشافعي، ومن فعل فقد وطن جرفاً منهاراً. فبطل أمرهم ونهيمهم بالكلية وظهر على الكلية وهنهم ورهبهم»^(٣).

ومن الواضح أن حصر القضاء في القاضي الشافعي؛ كان القصد منه إرضاء السلطنة المملوكية أيضاً، والتي كان للقاضي الشافعي منزلة كبيرة لديها، في دار السلطنة المملوكية بالقاهرة، وربما كانت الأحكام منوطة بالقضاة الشافعية بمصر، غير أن هذا لا يعني عدم وجود قضاة وأتباع للمذاهب الأخرى.

(١) ابن فرحون، ن نفسه، ٤، ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب السخاوي، نفسه ٢/ ١٢٦.

(٢) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٢٢٨، السخاوي، نفسه، ٢/ ١٢٦.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢٦، ويقصد بعبارة فبطل بالكلية أمرهم أي أمر الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

ومن خلال الاطلاع على بعض المصادر المعاصرة في العصر المملوكي تبين لنا أن للمذهب الشافعي الغلبة في الانتشار في معظم فترات العصر المملوكي، وهذا يفسر لنا تعيين عدد كبير من القضاة والأئمة والخطباء في المدينة من فقهاء هذا المذهب. وقدم معظم أتباع هذا المذهب من مصر والشام وفارس، ويليهِ من حيث الكثرة المذهب المالكي، وقدم معظم أفرادهِ من المغرب والأندلس، ثم المذهب الحنفي، وقدم أتباعهِ من شمال العراق وبلاد الروم، وما وراء النهر، والهند، ثم المذهب الجعفري الإمامي الاثني عشري، ومعظم أتباعهِ ينتمون لأشراف المدينة الحسينيين وبعض سكان المدينة، وجماعات أخرى قدمت من العراق، يليهِ المذهب الحنبلي وهو أقل المذاهب من حيث عدد أتباعهِ في المدينة^(١).

ومن المعلوم أن المذهب الإمامي الاثني عشري كان الأكثر انتشاراً قبل العصر المملوكي، يتضح ذلك فيما أورده ابن فرحون عن شخصية أبي بكر بن يوسف المحوجب النجار^(٢)؛ فقد ذكر سبطه عبدالله بن عمر الخراز أن المذكور حين قدم المدينة لأول مرة سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، لم يكن بها من يتسمى باسم أبي بكر أو عائشة، فقرر أن يغير اسمه ثم عدل عن ذلك^(٣).

وهذا يدل على مدى انتشار مذهب الشيعة الإمامية خلال تلك الفترة؛ فمن المعلوم أن الشيعة يكرهون التسمي بأبي بكر وعائشة، والسؤال الذي يطرح نفسه هل انتشر المذهب الإمامي الشيعي خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بين بعض أهل المدينة وأشرافها فقط أم شمل بعض المجاورين الذين وفدوا إليها خلال تلك الفترة؟

(١) شمل ذلك الاطلاع على عدد من المصادر التاريخية مثل كتب التراجم والطبقات، أما الدراسة الإحصائية فشملت كتابي ابن فرحون، نصيحة المشاور، والسخاوي، التحفة اللطيفة .

(٢) هو أبو بكر بن يوسف المحوجب العسقلاني الأصل المصري، كان نجاراً ولد سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م، وقدم المدينة سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م مراسلاً من السلطان المملوكي الظاهر بيبرس ومعه المنبر المجدد للحرم النبوي توفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م تقريباً، ابن حجر، الدرر، ٥٠٣/١ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل ب، ورقة ٧١ ل أ.

مهما يكن من أمر، فإنه يمكن القول: إن الهجرات التي تمت أواخر العصر الأيوبي وأوائل العصر المملوكي إلى المدينة من مختلف البلدان الإسلامية، كان لها أكبر الأثر في زيادة نسبة السنة على حساب الشيعة.

لقد كان أفراد تلك الهجرات من خلفيات اجتماعية ومذهبية متعددة، إلا أنها تتفق في انتمائها لأهل السنة والجماعة، وكان لدعم السلطة المملوكية للسنة في المدينة بتقليد الوظائف الدينية المختلفة ومشیخة الحرم له أثره في إضعاف شوكة الشيعة بصورة متزايدة، وكان المذهب الشافعي أسبق مذاهب أهل السنة في الانتشار بالمدينة، وهذا يعود لكثرة فقهاء الشافعية بمصر، وتقليد بعضهم للوظائف بالمدينة كما سبق^(١)، على أن المذاهب الأخرى نالت حظاً وافراً من الانتشار، وعلى رأسها المذهب المالكي، فقد كان لبعض فقهاء دور في نشره في المدينة، خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري .

ومن المعلوم أن الإمام مالك بن أنس ظهر في المدينة، غير أن مذهبه انتشر بشكل أساسي في بلاد المغرب والأندلس، ثم ما لبث المذهب المالكي أن عاد إلى الحجاز، على يد عدد من فقهاء المغرب وعلى رأس هؤلاء أبو عبدالله محمد بن غصن (محسن) الأنصاري القصري^(٢)، والشيخ أبو عبدالله محمد ابن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمرى الجياني التونسي^(٣) .

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣ / ٢٢٤ .

(٢) من أهل تونس جاور بالمدينة ثلاث مرات (٧٠٩هـ / ٧١٨هـ / ٧٢٠هـ) عالم بالقراءات توفي بالقدس ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، ابن فرحون، نفسه، ٣٣ ل أ - ٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣ / ٧٠٢ - ٧٠٥ .

(٣) والد عبدالله بن فرحون، مؤلف كتاب نصيحة المشاور، ولد بتونس ونزح إلى المدينة، وكانت وفاته بها ٧٢١هـ / ١٣٢١م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل أ، ورقة ١١٣ ل أ - ١١٤ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣ / ٧٠٦ - ٧١٠ .

وقد أدى الخلاف حول تدريس الفقه المالكي بين القاضي عمر السراج والعالمين المذكورين إلى تعاظم نفوذ المذهب المالكي، ووجه الخلاف يتلخص حول قيام محمد بن فرحون بالتدريس للطلبة في المدرسة الشهابية، ومن هؤلاء طلبة مالكية وشافعية، مما أثار القاضي السراج وأغاضه، فضيق عليه وأخرجه من المدرسة، فأشار عليه أبو عبدالله محمد القصري بالتدريس في الحرم النبوي، كما تلقى دعم ومساندة شيخ الخدام بالحرم ظهير الدين، فكثرت أتباعه على مذهب مالك، وبعد وفاة محمد بن فرحون سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م ضعف شأن المالكية لفترة قصيرة؛ نتيجة توقف التدريس بهذا المذهب، وتدخل السراج لمنع فقهاء المالكية من تدريسه لكن تولي عبدالله بن محمد بن فرحون التدريس أعاد للمذهب المالكي نشاطه وانتشاره^(١). ويذكر البرهان إبراهيم بن فرحون^(٢) في طبقاته «أنه بهمة وسياسة عبدالله بن فرحون أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة فعزلت قضائهم، وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم»، ابتداءً من سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م «بعد أن سعى في عزل قضائهم فارتفع نتيجة لذلك شأن أهل السنة وعلا أمرهم»^(٣).

أصبح المذهبان الشافعي والمالكي هما السائدين من بين مذاهب أهل السنة حتى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م حينما جاء شمس الدين بن العجمي إلى المدينة، فأخذ عدداً من الطلبة الدارسين للمذهب الشافعي وأمرهم بدراسة مذهب أبي حنيفة^(٤)

(١) ابن فرحون، نصيحة، ٣٨-٣٩ ل أ. السخاوي، تحفة، ٤٠٥/٢.

(٢) ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدى أبو النور ج١، (د. ط.) دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٤٥٦.

(٣) ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٧.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٦ ل ب، ورقة ٣٧ ل أ.

فبدأ منذ تلك الفترة انتشار المذهب الحنفي في المدينة، على أن هذا المذهب كان له بعض الفقهاء في المدينة قبل ذلك التاريخ، ومن هؤلاء الشيخ عبدالله بن المبارك الهذلي المسعودي البستي المعروف بالنظام^(١)، والحسن بن يعلى العمري^(٢).

ويلاحظ من دراسة انتشار المذاهب في المدينة خلال العصر المملوكي من خلال الاطلاع على كتابي السخاوي؛ التحفة اللطيفة، والضوء اللامع أن المذهب الإمامي الاثنى عشري ربما كانت له الغلبة على بقية المذاهب، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري؛ أي قبل قيام الدولة المملوكية، غير أنه في النصف الثاني من ذلك القرن، نجد أن المذهب الشافعي بدأ يقوى على حساب المذهب الإمامي، فأصبح أتباع المذهب الشافعي يمثلون نسبة ٤٥٪ تقريباً، يليهم أتباع المذهب الإمامي ٤١٪ تقريباً ثم الحنبلي ٩٪ تقريباً ثم المالكي ٤,٥٪ تقريباً، ولم نجد للمذهب الحنفي أتباعاً خلال تلك الفترة.

أما في القرن الثامن الهجري فقد تعزز المذهب الشافعي، وازداد أتباعه على حساب المذاهب الأخرى، حيث أصبح يمثل نسبة ٤٢٪ تقريباً يليه المذهب المالكي ٢٧٪ تقريباً ثم المذهب الإمامي الاثنى عشري ١٤٪ تقريباً، ثم الحنفي ١١٪ تقريباً وأخيراً الحنبلي ٥٪ تقريباً.

ويلاحظ بدء انحسار نفوذ المذهب الإمامي خلال القرن الثامن الهجري نتيجة جهود السلطنة المملوكية، وفقهاء المذاهب الأخرى، والمجاورين، ابتداء من نزاع

(١) (توفي سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠-٧١، القرشي، الجواهر، ٢ / ٣٢٧.

(٢) (توفي سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م)، السخاوي، التحفة، ١ / ٤٩٩.

الوظائف الدينية منهم، وانتهاءً بنشر تدريس فقه مذاهب أهل السنة في المساجد والمدارس والأربطة، كما بدأ المذهب الحنفي في الانتشار ابتداء من العقد الثاني من القرن الثامن الهجري، ونتيجة لذلك لمجد تغييراً كبيراً لصالح مذاهب أهل السنة والجماعة، وفي القرن التاسع الهجري نجد استحواذ أتباع المذهب الشافعي على نسبة ٥٠٪ تقريباً يليهم المذهب المالكي ٢٠٪ تقريباً، ثم المذهب الحنفي ٢٠٪ تقريباً، ثم الإمامي ٨٪ تقريباً وأخيراً المذهب الحنبلي ٢٪ تقريباً، وفي النصف الأول من القرن العاشر الهجري الذي شهد انتهاء دولة المماليك شكل الشافعية نسبة ٤٤٪ تقريباً يليهم الأحناف ٢٨٪ تقريباً ثم المالكية ١١٪ تقريباً ثم الحنابلة ١١٪ تقريباً وأخيراً المذهب الإمامي ٦٪ تقريباً.

ويلاحظ مما تقدم أن المذهب الإمامي الاثنى عشري بدأ في الانحسار التدريجي منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ومع انتهاء دولة المماليك في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، نرى أن نفوذه قد ضعف وانحسر بصورة حادة، وربما اقتصر انتشاره بين العامة وخاصة الفلاحين.

إن هذه الدراسة المتواضعة تعطينا مؤشراً عن التكوين المذهبي لسكان المدينة، والوافدين إليها، خلال العصر المملوكي، ومدى انتشار المذاهب المختلفة خلال تلك الفترة وأسباب ذلك الانتشار، كما يمكن القول: إن المذهب الشافعي كانت له الغلبة طوال العصر المملوكي؛ بفضل دعم السلطنة المملوكية لهذا المذهب باعتباره المذهب الرسمي للدولة، وتشجيع تدريسه، ودعم فقهاءه، وقضاته مما يجعله المذهب شبه الرسمي في المدينة خلال العصر المملوكي.

البيانات الإحصائية للمذاهب الدينية وانتشارها في المدينة خلال العصر المملوكي من خلال كتابي السخاوي؛ التحفة اللطيفة، والضوء اللامع .

أولاً : أتباع المذاهب الدينية في العصر المملوكي

العدد	المذهب
٢٧٧	الشافعي
١٢٧	المالكي
٩٦	الحنفي
٢٠	الحنبلي
٦٦	الإمامي الاثني عشري
٥٨٦	المجموع

ثانياً : التوزيع حسب القرون الهجرية

القرن	الشافعي	المالكي	الحنفي	الحنبلي	الإمامي
السابع	١٠	١	-	٢	٠٩
الثامن	٨٥	٥٤	٢٣	١٠	٢٩
التاسع	١٧٤	٧٠	٦٨	٦	٢٧
العاشر	٨٠	٢٠	٥٠	٢	٠١
المجموع	٢٧٧	١٢٧	٩٦	٢٠	٦٦

ثانياً : الوظائف الدينية

أ- الوظائف في المسجد النبوي

١- الأئمة والخطباء

كانت الإمامة^(١) والخطابة^(٢) خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بيد الشيعة الإمامية^(٣)، وأول من تولى الخطابة في العصر الأيوبي منهم أسرة آل سنان بن عبد الوهاب الحسيني^(٤)، حيث توارثها الأبناء عن الآباء، وأول من تولاهم منهم عبد الوهاب بن غيلة الوحادي الحسيني^(٥)، ثم تلاه في منصبه ابنه شمس الدين أبو هاشم سنان الذي لم يعقب غيره، وقد أسهب ابن فرحون في الحديث عنه فقال: إنه كان «يخطب على المنبر ويترضى عن الصحابة، ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدق به»^(٦)، يفعل ذلك كل جمعة عقب الصلاة^(٧) ونلاحظ أن ذلك جزء من عقيدة الشيعة الإمامية، وهي التقية. كما أن كثيراً من المجاورين وهم من أهل السنة كانوا يحضرون صلاة الجمعة فكان الترضي عن الصحابة نوعاً من المداراة لهؤلاء. وقد ألجب المذكور عدداً من الأبناء وهم هاشم وبه يكنى، وعلي، وعيسى، وقاسم، والنجم مهنا، ويعقوب. كما ألجب هاشم حسناً ويوسف^(٨)، وقد تولى بعض أبنائه مناصب

(١) الإمامة من أمّ وآم بهم: تقدمهم، والإمام كل من اتهم به قوم، ابن منظور، لسان، ١/١٠١.

(٢) الخطابة من الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، ابن منظور، نفسه، ١/٨٥٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/٢٢٥.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/١١٣.

(٦) هذه العبارة فيها شيء من المبالغة.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل أ.

(٨) السخاوي، نفسه، ٢/١٩٦.

الإمامة والخطابة والقضاء، ومن هؤلاء نجم الدين مهنا بن سنان الذي كان على علاقة حسنة بالمجاورين^(١).

أما أهل السنة فكان لهم في العهدين الفاطمي والايوبي إمام يصلي بهم الصلوات فقط^(٢).

وفي أوائل العصر المملوكي كان هناك إمام شافعي المذهب يؤدي الصلاة بالناس أمام المحراب العثماني^(٣)، واستمر هذا الوضع حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري حين سعى طوغان شيخ الأحمدي في إحداث محراب للحنفية أثناء سلطة السلطان المملوكي الأشرف إينال غير أن خطوته تلك لم تحقق النجاح في البداية؛ بسبب معارضة أهل المدينة لتعدد أئمة المسجد النبوي، وقد ساند هذه المعارضة أحد وزراء الدولة المملوكية وهو جمال الدين يوسف ناظر الخاص، غير أن وفاة جمال الدين أضعف تلك المعارضة، فتمكن طوغان من الحصول على موافقة السلطان، فصدرت المراسيم السلطانية سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م بإحداث محراب للحنفية إلى جانب محراب الشافعية^(٤). ويرى السمهودي أن حالة تعدد الأئمة في الحرم النبوي قد انتقلت إليه من الحرم

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٦ ل أ، وذكر العاملي أنه كان حياً سنة ٧٢٠هـ، محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، تحقيق حسين الأمين، ج ١٠ (د. ط، دار المعارف للطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ١٦٨.

(٢) السخاوي، التحفة، ٥٣/١.

(٣) السمهودي، وفاء، ٦٨٣/٢.

(٤) السخاوي، التحفة، ٢٦٧/٢، وكان إحداث المحراب باقتراح من الأمين الاتصري على طوغان شيخ، السخاوي، الضوء، ٢٤٥/٦، أما الصيرفي، فيذكر أن إحداث محراب للحنفية تم سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م بمرسوم من السلطان المملوكي الملك الظاهر أبي سعيد بروق، نزهة ٤٩٣/١.

المكي^(١). وقد تولى إمامة المقام الحنفي عدد من الفقهاء، وبخاصة من أسرة الخجندي، فكان أول إمام حنفي هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي، واستمر في هذه الوظيفة حتى وفاته سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م^(٢). ثم خلفه في منصبه ابنه أحمد الذي استمر إماماً للحنفية حتى وفاته سنة ٨٨١هـ / ١٤٧٦م^(٣) ثم أعقبه أخوه البرهان إبراهيم، الذي تولى إمامة الحنفية في الصلاة حتى وفاته سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩١م^(٤)، ثم خلفه في الإمامة ابن أخيه محمد بن أحمد الخجندي^(٥)، وكان ينوب عن عمه في الإمامة في حياته^(٦). وشارك محمد في الإمامة أخاه علياً وبعد وفاة أبي البقاء محمد استمر علي إماماً لمقام الحنفية حتى وفاته، وهو في طريقه من مكة إلى المدينة سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م ودفن ببنيع^(٧).

على أنه خلال العصر المملوكي كان الإمام الأصلي للمسجد النبوي شافعي المذهب^(٨)، وكثيراً ما جمع إليه الخطابة أيضاً.

كانت الخطابة كما أسلفت بيد آل سنان، ثم نزعت منهم سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م في عهد السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي^(٩)

(١) وفاء، ٦٨٣/٢.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢٤٣/١، ٤٥٠-٤٥٢، السخاوي، الضوء، ٢٤٥/٦.

(٣) السخاوي، التحفة، ٢٢١/١، السخاوي، الضوء، ٦٧/٢.

(٤) السخاوي، التحفة، ١٣٤/١، السخاوي، الضوء، ١١٩/١.

(٥) كان موجوداً سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م انظر: السخاوي، التحفة، ٤٩٤/٣. السخاوي، الضوء، ٤٢/٧.

(٦) السخاوي، التحفة، ٤٩٤/٣، السخاوي، الضوء، ٤٢/٧.

(٧) السخاوي، التحفة، ٢١٧/٣، السخاوي، الضوء، ١٧٩/٥.

(٨) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ب، الأسنوي، طبقات، ٧٢/٢، ابن حجر، الدرر، ٢٢٥/٣.

(٩) السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي تولى السلطنة بين (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م) المقرئ، السلوك ٦٣٣/١-٨٥٧، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١٧٢/١.

وعين لها الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضري الشافعي، فقدم إلى المدينة من مصر وجمع بين الإمامة والخطابة، ثم عزل لفترة وجيزة، وعين مكانه شمس الدين الحلبي، ثم شرف الدين السنجاري، ثم أعيد السراج لمنصب الخطابة والإمامة واستمر بها قرابة أربعين سنة، ثم وافاه الأجل، وهو في طريقه إلى مصر للتداوي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ثم تولى الخطابة والإمامة بعد وفاة السراج البهاء بن سلامة المصري، واستمر في منصبه مدة سنتين، فاستعفى لكونه كما يقول السخاوي^(١) لم ير نفسه أهلاً لما شرطه الواقف من معرفة الفرائض والقراءات.

وخلفه في منصب الخطابة والإمامة شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم العثماني اللخمي الأميوطي الشافعي الذي عرف بشدته على الأشراف وبسطوته على الشيعة الإمامية وسبهم على المنبر كما منعهم من الصلاة أربعاً ظهر يوم الجمعة في المسجد؛ لاعتقادهم أنه لا يجوز إقامة الجمعة إلا خلف إمام معصوم وكانت وفاته سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م^(٢).

وقد شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولي عدد من الفقهاء من داخل المدينة وخارجها لمنصب الخطابة والإمامة ومن بينهم أفراد من الأسر العلمية كأسرة المطري، حيث تولى جمال الدين محمد بن أحمد المطري الإمامة والخطابة سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، نيابة عن الشرف الأميوطي حين غييبته بالقاهرة^(٣)، ومن أسرة ابن صالح تولى الإمامة والخطابة عبد الرحمن بن محمد بن صالح^(٤)،

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ٥٤/١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢٧٦/٤.

(٣) السخاوي، التحفة، ٤٦٧/٣.

(٤) (توفي سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)، السخاوي، الضوء، ١٣١/٤، السخاوي التحفة، ٥٣٣/٢.

كما ناب عنه أخوه محمد^(١)، ومنهم أيضاً أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح^(٢)، الذي أنجب أربعة أبناء كلهم عرف بمحمد تولوا الخطابة والإمامة في المسجد النبوي^(٣).

ومن أسرة الكازروني تولى محمد بن عبد السلام الكازروني (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م) منصبي الخطابة والإمامة في المسجد النبوي^(٤). ومن أئمة وخطباء المسجد النبوي أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني محمد بن صالح الكيلاني^(٥) ومن الملاحظ أن هناك ارتباطاً وتلازماً واضحاً بين منصبي الإمامة والخطابة، ويحتمل أن تكون الإمامة خاصة بصلوة الجمعة، فيما يتناوب عدد من الأئمة الصلاة بالناس الصلوات الخمس في سائر الأوقات. مهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن أغلب الأئمة في المسجد كانوا شافعية المذهب؛ يتضح ذلك أن عدداً كبيراً منهم ينتمون إلى الأسر العلمية المعروفة بالمدينة ومنها المطري، وابن صالح، والكازروني، وكلها أسر ينتمي علماءها وأفرادها إلى المذهب الشافعي، إضافة إلى الأئمة الأحناف الذين تولوا إمامة المقام الحنفي كما أسلفت، غير أنني لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر، ما يشير إلى وجود إمام للمالكية أو الحنابلة في المدينة، خلال العصر المملوكي.

(١) (توفي سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م)، الفاسي، العقد، ٢/٢٩٣-٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٩/٨٦.

(٢) (توفي سنة ٨٠٦هـ / ١٤٥٥م)، ابن فهد، معجم، ص ٢٣٢، السخاوي، الضوء، ٨/١٨٥، السخاوي، التحفة، ٣/٦٧٨.

(٣) السخاوي، الضوء، ٩/١٠٢-١٠٤.

(٤) (توفي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م)، ابن حجر، إنباء، ٧/٩٣-٩٤ السخاوي، الضوء، ٨/٥٧، السخاوي، التحفة، ٣/٦٤٢.

(٥) (توفي سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م)، الغزي، نجم الدين محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جيور ج ٢ (ط ٢)، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م ص ٣٧.

٢- خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة

تعد خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة من أجل الخدمات التي يطمح إليها الكثير من المسلمين، تقرباً إلى الله عز وجل.

وأصبح لهذه الخدمة تنظيم خاص، ابتداءً من العصر الأيوبي، وأصبح يطلق عليه في العصر المملوكي مشيخة الخدام، وعلى رئيسه شيخ الخدام^(١). وبالإضافة إلى الأهداف الدينية للمشيشة، فقد كان لها أهداف اقتصادية واجتماعية، كما كان لها بعض النفوذ السياسي. وعلى الرغم من أن الخدمة التطوعية في المسجد النبوي كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، إلا أن استخدام الخصيان للخدمة، لم يتم إلا في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان^(٢) أو ابنه يزيد^(٣). رغم أن هناك شكاً في أن يزيد قد استخدم الخدام لوجود اضطراب في عهده. وقد ظل العمل التطوعي إلى جانب الخدمة الرسمية. وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين بقوله: «إنما كان القائم بخدمة الكعبة الشريفة والحجرة المنيفة في أيام الخلفاء والدولة العباسية الفقهاء، والصوفية، وأهل العلم والفضل»^(٤).

(١) الميورقي، أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١)، د. ن، الطائف ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) ص ٣٤.

(٢) تولى الخلافة ما بين ٤١ - ٦٠ هـ/ ٦٦١ - ٦٨٠ م، الطبري، تاريخ، ٣٢٤/٥، الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحق، ج ١ (ط٣)، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) ص ٢٥٤، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط١)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م) ص ٢٠٠، الأنصاري، تحفة، ص ٥٣.

(٣) حكم يزيد بن أبي سفيان ما بين ٦٠ هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٣ م الطبري، تاريخ، ٤٩٩/٥، الأزرقي، نفسه، ٢٥٥/١.

(٤) الأنصاري، تحفة، ص ٥٤.

ومن هنا نطرح تساؤلاً عن مدى استمرار الخدمة في المسجد النبوي بعد معاوية ويزيد، فلا نعرف على وجه اليقين ما تم، فليس في المصادر ما يفيد وجود الخدمة الرسمية. غير أنه ابتداء من النصف الثاني من القرن السادس الهجري لدينا ما يفيد وجود خدام للحجرة الشريفة، يعتقد أنهم معينون من قبل السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي^(١). فقد ذكر أنه في سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م في إمارة القاسم بن مهنا الحسيني «وجد من الحجرة الشريفة رائحة منكرة، وكثر ذلك، حتى ذكره للأمير فأمرهم بالنزول إلى هناك، فنزل بيان الأسود الخصي أحد خدام الحجرة الشريفة»^(٢). وفي النص السابق وصف بيان الأسود الخصي بأنه أحد خدام الحجرة الشريفة.

ويعطي ابن فرحون^(٣) معلومات مخالفة لما ذكر سابقاً؛ حيث يقول: «إن السلطان صلاح الدين الأيوبي هو أول من ثبت قاعدة الخدام في الحرم النبوي، وأوقف عليهم الأوقاف، وكتاب الوقف موجود عندهم إلى اليوم وكان الموقوف عليهم نحو العشرين خادماً معينين ثم من بعدهم على خدام الحرم النبوي، ثم أوقف عليهم الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وقفاً آخر، ولهم اليوم منذ تقررروا في الحرم بالجامكية^(٤) نحو مائتي سنة» ويؤيده مؤرخ آخر بقوله «ولم يعهد مشيخة المسجد النبوي يليها منذ عهد السلطان صلاح الدين

(١) تولى السلطنة ما بين (٥٤١ - ٥٦٩هـ / ١١٥٦ - ١١٧٣م، ابن خلكان، وفیات، ٥ / ١٨٤ - ١٨٩.

(٢) ابن التجار، الدرّة، ٣٩٦/٢، السخاوي، التفتة، ٣٨٥/١.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٩ ل ب، ويقصد بنحو مائتي سنة أي حتى عصر المؤلف ابن فرحون (النصف الثاني من القرن السابع الهجري).

(٤) الجامكية جمع جوامك، وهي الرواتب عامة، القلقشندي: صبح، ٤٥٧/٣ محمد البقلي، التمريف،

يوسف بن أيوب إلا الخدم الطواشية»^(١).

ويعطي الأنصاري تفاصيل أكثر عنهم بقوله: «وهؤلاء الطواشية»^(٢) حادثون في آخر دولة الأكراد بني أيوب^(٣)، في أيام نور الدين الشهيد بواسطة بعض الخدام الطواشية الذين في خدمته. سعى في ذلك واستعان ببعض الوزراء فأجابه السلطان إلى ذلك وجعل اثني عشر طواشياً لا غير. وشرط أن يكونوا حفاظاً للقرآن العظيم وربيع العبادات، وأن يكونوا حبوشاً، وإن لم يكن فأرواماً، فإن لم يكن وعدموا فتكارة، وإن لم يوجد فهنود. واستمروا مدة ثم صار الشرط باطلاً حتى صار غالبهم من أخس الأجناس الهندية^(٤).

ويؤكد ابن إياس^(٥) الرايين السابقين بقوله: «إن أول من قرر الخدام الخصيان بالمدينة الشريفة، الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان سبب ذلك، أن بني حسن لما تغلبوا على الخلفاء الفاطميين، واستولوا على المدينة الشريفة، فلما آل الأمر إلى الناصر صلاح الدين، استمال بني حسن وأغدق عليهم بالمال الجزيل والهدايا، حتى مكنوه من المدينة الشريفة، فلما ملك أمرها، جعل فيها أربعة وعشرين خادماً خصياً، وجعل عليهم شيخاً من الخدام، يقال له بدر الدين الأسدي، وأوقف على مجاوري المدينة بلدين من أعمال الصعيد، وهما نقادة، وقبالة، وهما إلى الآن جارية في أوقاف الحرمين، واستمر من يومئذ

(١) ابن فهد، إتحاف، ٩٤/٤.

(٢) الطواشية، هم المعروفون بالخدام ومفردها الطواشي وهو المملوك الخصي المعين لخدمة بيوت السلطان وحريمه، القلقشندي، صبح، ٣/٣٧٧، محمد دهمان، معجم ص ١٠٩.

(٣) المقصود هنا بني زنكي.

(٤) الأنصاري، تحفة، ص ٥٤.

(٥) بدائع، ج ١ ق ١ ص ٢٤٣، انظر أيضاً، ابن دقماق، الانتصار، ج ٥ ق ٢ ص ٤٩.

شيخ الحرم النبوي من الخدام الخصي» إلا أن أقدم نص وصف الخدمة في المسجد النبوي في العصر الأيوبي ما ذكره الرحالة ابن جبير^(١) الذي زار المدينة سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، حيث تحدث عن الخدام في سياق وصفه للروضة بقوله «وفي الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع بيت بعض السدنة الحارسين للمسجد المبارك، وسدنته فتان أحاييش وصقالب ظراف الهيئات نظاف الملابس والشارات» .

على أن تنظيم الخدمة بالشكل الذي أصبحت عليه في العصر المملوكي، لم يبدأ إلا في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، حيث أصبح للخدام شيخ يأتمرون بأمره، ومشيخة تنظم شؤونهم. وقد وردت أول إشارة لشيخ الخدام في العصر المملوكي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، حين تحدث الميورقي^(٢) عن شيخ الخدام بدر الدين الشهابي، وفي السنة التالية ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م ورد أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس «قد أنعم على شيخ الخدام بالحجرة الشريفة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي بمائتي ألف درهم»^(٣)، وفي القرن الثامن الهجري نجد أن الصورة التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته عن خدام الحرم لم تتعد ما ذكره ابن جبير^(٤) وكان شيخ الخدام من الخصيان حتى أواخر القرن التاسع الهجري حيث أصبح شيخهم من الفحول المرسل من قبل السلطان المملوكي في مصر فيما ظل الخدام من الخصيان. وقد ذكر السخاوي^(٥) هذا التغير بقوله

(١) الرحلة، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) بهجة، ص ٣٤ .

(٣) المقرئزي، السلوك، ١ / ٥٨٠، المقرئزي، الذهب المسبوك، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٤) الرحلة، ص ٤١ .

(٥) التحفة، ١ / ٦١ .

«إنهم الآن أربعون فأزيد ما بين حبشي، ورومي، وتكروري، وهندي، وهو الأكثر، وشيخهم لم يزل منهم إلا في هذه الأزمان المتأخرة فكان يلي المشيخة الفحول».

نظام مشيخة الخدام في الحرم النبوي

يمكن حصر النظام المتبع في مشيخة الخدام في العصر المملوكي في النقاط الأساسية التالية:

أ - المراتب

ب- الوظائف أو الأعمال التي يمارسها العاملون في المشيخة

ج - طريقة التعيين والعزل .

أ - المراتب

ذكرنا سابقاً التطور على خدمة المسجد النبوي حتي العصر المملوكي حيث أصبح لها نظامها الخاص وأصبحت المشيخة تتميز بتنظيم دقيق ومكانة رفيعة في مجتمع المدينة .

وبالإضافة للخدام وشيخهم، ذكر السخاوي المباشرين وهم المسؤولون عما يدخل المسجد من مال، وقناديل وزيت، وشمع وآلات وغيرها وعددهم أربعة^(١)، والبطالين^(٢)، وهم الذين لا يعملون داخل المسجد وإنما يكلفون، «بالأعمال الممتنة ولا يجلسون مع الأكابر في الدكة إنما يجلسون خارجها»^(٣) وذكر آخر أن البطالين هم الذين «يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتنة»^(٤) ويظهر أن عملهم محصور في

(١) السخاوي، نفسه، ٦٣/١ .

(٢) السخاوي، نفسه، ٦٥/١ .

(٣) العياشي، الرحلة، ص ٢٣٠ .

(٤) الوردلاني، نزهة، ص ٥١٨ .

خدمة أوقاف الحرم ومنازل الأغوات وما إلى ذلك. ويطلق على الخدام الأربعين خبزياً^(١)، منهم ستة عشر بواباً للحجرة المطهرة، أما البطلون فعددهم أربعون أيضاً، كلما مات واحد من الأربعين الخبزية، جلس محله واحد من الأربعين البطلين^(٢).

ب - وظائف العاملين في المشيخة

أورد السخاوي^(٣)، الوظائف التي يقوم بها العاملون في مشيخة الخدام وهي «حفظ المسجد نهاراً، ومباشرة قفل أبوابه، والمبيت فيه لحراسته وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود، وغسلها أو مسحها، وإسراج ما يوقد منها سحراً، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل، لتفقد من يخشى من مبيته، ويرجعون عليه بالمنع، ولا يبيت فيه إلا الفراش لطفي القناديل وفتح الباب للمؤذن، وكنس المسجد، والروضة، والحجرة كل جمعة، وعلوة خاصة وفرش بساط أمير المدينة، ولبخور المسجد أيام الجمع خادماً يخصه». كما كان لا يسمح للخدام بالدخول من باب جبريل بل يجب أن يدخلوا من الباب الآخر المجاور له فدخولهم من هذا الباب يمكن الشيخ أو نائبه من معرفة الوقت الذي دخل فيه الشخص المكلف بأداء الخدمة من بينهم^(٤).

(١) لم أجد تعريفاً دقيقاً لهذه الكلمة إلا أنه يبدو أن المقصود أي الذين يأتيهم رزقهم ومؤرنتهم من بيت المال وربما يكون الخبز أهم ما يأتيهم فسمى الخادم خبزي، الورثاني، نفسه، ص ٥١٨.

(٢) الأنصاري، تحفة، ص ٥٦.

(٣) التحفة، ٦٣/١.

(٤) عاصم حمدان علي حمدان، حارة الأغوات (ط١)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م) ص ٢٢.

ج - طريقة التعيين والعزل :

نظراً لأهمية المشيخة؛ فإن تعيين شيخ الخدام في العصر المملوكي يأتي مباشرة من السلطان المملوكي في القاهرة، حيث يتم تعيينه بمرسوم منه. ويوضح القلقشندي^(١) الطريقة التي يتم بها التعيين بقوله: «وقد جرت العادة أن يكون له خادم من الخُصيان المعبر عنهم بالطواشية، يعين لذلك من الأبواب السلطانية، ويكتب له توقيع في قطع الثلث «المجلس السامي»^(٢).

وقد عبر أحد الرحالة عن السبب في اختيار وقف هذه الفئة لخدمة الحرم بقوله: «واختاروا وقف الخُصبي دون غيره، لكونه أظهر وأنزّه وأكثر فراغاً من الأشغال، إذ لا أهل له ولا ولد مشتغل بهم، وهو أبعد من دنس الجنابة ومباشرة النساء»^(٣).

د- علاقات المشيخة

تمتع بعض شيوخ الخدام بالهيبة والصلوة^(٤)، وارتبطت المشيخة بعلاقات مع مختلف القوى السياسية والاجتماعية داخل المدينة وخارجها.

١ - علاقة المشيخة بالسلطة المركزية بالقاهرة

تستمد المشيخة نفوذها وسلطتها واحترامها، علاوة على خدمتها للمسجد، وما لذلك من مكانة خاصة في نفوس المسلمين، من دعم السلطة المملوكية في القاهرة المتمثلة بالسلطان المملوكي ووزرائه وحاشيته. لقد تمتعت المشيخة وشيوخ الخدام على وجه الخصوص، بالاحترام والتقدير من جانب السلطان المملوكي

(١) صبح، ١٢ / ٢٦٠.

(٢) سترد شروط تقليد أحد الطواشية مشيخة الحرم من صبح الاعشى للقلقشندي في الملاحق.

(٣) العياشي، الرحلة، ص ٢٣٠.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٧ ل ١.

نظراً لخدمته لمسجد رسول الله ﷺ، فحينما قدم شيخ الخدام الطواشي جمال الدين محسن الصالحي للقاهرة سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م «أكرمه السلطان وضرب له خيمة بشقة»^(١). على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتي ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضي والجمال مع الركب الشامي، وجهاز من الكسوة لمكة والمدينة»^(٢).

ويشير مؤرخ آخر إلى مدى التقدير الذي يتمتع به شيخ الخدام بقوله «وكان إذا قدم على الملوك يقومون له، ويجلسونه إلى جانبهم، ويتبركون به، لقرب عهده من تلك الأماكن الشريفة»^(٣).

ومن شيوخ الخدام، الذين كانت لهم مكانة ووجاهة واحترام، لدى سلاطين المماليك، افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الخزنداري الرسولي، الذي تولى مشيخة الخدام سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م ذكر ابن فرحون^(٤) أنه كان «من المشايخ الرؤساء؛ لم يقم أحد بحرمة المنصب مثله، من أكمل الناس عقلاً، وأعظمهم حرمة، مع التدين، وعبادة، وورع، ذكر أنه خدم الملوك بالديار المصرية مدة خمس وعشرين سنة»، كما وصف أنه كان «من أعيان الخدام، له وجاهة في الدول وثروة كبيرة»^(٥).

(١) الشقة، قطعة من قماش الكتان أو شعر الماعز، توضع واحدة منها أو أكثر حول الخيمة أو على بابها لتمييزها عن سائر الخيمة، القلقشندي، صبح، ٢٠٩/٥ محمد البقلي، التعريف، ص ٢٠٣.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض، ص ٣٥٢-٣٥٣، المقرئ، السلوك، ١/٥٨٠، وكانت وفاة الطواشي محسن الصالحي سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، المقرئ، نفسه، ١/٥٨٨.

(٣) ابن إياس، بدائع، ج ١ ق ١ ص ٢٤٣.

(٤) نصيحة، ورقة ٢٠ ل ١.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ١١/٢٠٢، ولتفصيلات أكثر انظر، الفيروزآبادي، المغام (ح)، ورقة ٢٦٩ ل ١-ب، ابن حجر، الدرر، ١٨٤/٥.

وحيثما ننظر لطبيعة موقف السلطة المركزية من علاقات مشيخة الخدام بأمراء المدينة، نجد أن السلطة المملوكية تقف إلى جانب المشيخة، في أي خلاف مع أمراء المدينة؛ لأن شيخ الخدام يعد خادماً لدى السلطان المملوكي ومعيناً من قبله، ولأن للحرم النبوي أهمية ومكانة لدى المسلمين، وللسلطة المملوكية، ومثال ذلك:

ما حدث سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م، حينما دخل أمير المدينة مقل بن جمار في صراع مع أخيه منصور سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، مما أرقق مقبلاً اقتصادياً، فاضطر للاستعانة بخدام الحرم الخيرين - وكان عددهم أربعين من كل واحد منهم ألف درهم، فامتنعوا فعاقبهم، بأن أنزل بعضاً منهم في إحدى الآبار، مما أثار السلطان المملوكي، الذي أوعز لأمير الحاج المصري بالقبض على أمير المدينة، وإحضاره لمصر^(١).

٢- علاقة المشيخة بالأشراف

لم تكن العلاقة بين مشيخة الخدام وأشراف المدينة مستقرة، وثابتة، فتارة تكون حسنة، وطوراً تكون سيئة، تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية السائدة، غير أنه من الواضح أن بعضاً من شيوخ الخدام قد ارتبط بعلاقات ودية مع الأشراف، من الأمراء وغيرهم، ومن هؤلاء شيخ الخدام عزيز الدولة الملقب بالعزيزي^(٢)، كان كما وصف «يوالي الأشراف، ويحسن إليهم إحساناً كثيراً، حتى اتهم بمذهبهم، لاختلاطه بهم وقضاء حوائجهم»^(٣)، والمقصود اتهامه بمذهبهم أي اعتناقه لمذهب الأشراف الإمامي الاثني عشري.

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل ١.

(٢) (توفي سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، السخاوي، التحفة، ١٨٧/٣، الأنصاري، تحفة، ص ٥٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٥١ ل ١.

كما تمتع بعض شيوخ الخدام بالقوة والشجاعة، في مواجهة أمراء المدينة من الأشراف، ومن هؤلاء شيخ الخدام ظهير الدين مختار الأشرفي^(١)، الذي كانت له مواقف شجاعة مع أشراف المدينة، فقد «أدخل الرعب في قلوب الشرفاء والأمراء، واستخلص من أيديهم أوقافاً وأملا كما كانوا هم وآباؤهم فيها، كالمارستان اليوم، والفرن، والحوش الذي بإزائه، ودار المدرسة الشهابية، ونخيل، وغير ذلك، ولأجل هيئته عز المجاورون والخدام وقويت حرمتهم» ومن شيوخ الخدام أيضاً، الذين وقفوا في وجه الأشراف، وحاول منعهم من التعدي على أوقاف الحرم ومضايقة الناس، عز الدين دينار^(٢)؛ وقد وصف بشدته في الدين على الأشراف مع شدة على الرافضة وقيام في الأمور الشرعية» كما كانت له أعمال جليلة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

٣- علاقة المشيخة بسكان المدينة :

ارتبطت مشيخة الخدام بعلاقة حسنة مع سكان المدينة من أهلها والمجاورين؛ بل قدموا الدعم والمساعدة المادية والمعنوية لهم، فشيخ الخدام عزيز الدولة السابق الذكر، كان كما وصف «كثير الخير أوقف من النخيل شيئاً، وحرر من الأرقاء جمعاً غفيراً»^(٣).

كما كان شيخ الخدام شبل الدولة، كافور المظفري المعروف بالحريري^(٤) يهتم

(١) توفي سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م انظر : ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٧ ل أ.

(٢) توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٨ - ١٩، السخاوي، التحفة، ٢ / ٤٠ - ٤٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٥ ل ب.

(٤) توفي سنة ٧١١هـ / ١٣١١م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم، (خ) ورقة ٢٥٧ ل أ- ب، ٢٥٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣ / ٣٤٧.

بالمجاورين ويحسن إليهم ويقضي حوائجهم أما شيخ الخدام مختار الأشرفي^(١) فقد قويت في عهده شوكة المجاورين والخدام في مواجهة الأشراف.

كما أن لشيخ الخدام عز الدين دينار^(٢) مآثر عظيمة في المدينة، وله إسهاماته الاجتماعية الواضحة، فقد «جاهد نفسه بالصيام، والقيام، والصدقة والإحسان وأوقف أملاكاً ما بين نخيل ودور وأعتق خداماً وعبيداً وإماءً يزيد عددهم على الثلاثين، وعلق القناديل من خدامه في الحرم السبعة، وكفل أيتاماً وحرماً، ونعمهم بالمأكل والملابس والمساكن حتى كانوا يعدون من عياله» ولم تقتصر هذه المآثر على أهل المدينة بل شمل أيضاً المسجد النبوي والأوقاف التابعة له، فمن المآثر المعدودة لشيخ الخدام كافور المظفري المنارة التي على باب السلام التي قام بينها سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م كما منع الخدام والفراشين من استعمال الجريد شعلاً يطوفون بها في المسجد بعد صلاة العشاء لكي لا يسودوا المسجد. وجعل بدلاً منها الفوانيس^(٣). أما شيخ الخدام مختار الأشرفي؛ فقد اهتم بالأوقاف وتعميرها^(٤)، وسلك نهجه في تعمير الأوقاف شرف الدين مختص الديري^(٥).

ساهم رؤساء المشيخة في أوجه الأنشطة العامة في المدينة؛ فمثلاً انتزع شيخ

(١) توفي سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ، وذكر ابن حجر، أن مختار الأشرفي قام بالمشيخة أحسن قيام وتعصب لأهل السنة وقمع الرافضة وكثر في أيامه المجاورون، وعمرت الأوقاف، نفسه، ١١٤/٥.

(٢) توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٧ ل ب. الفيروزآبادي، المغنم، (خ)، ورقة ٢٤٠ ل ب، السخاوي، التحفة، ٤٠/٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٦ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم، ورقة ٢٥٧ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/٣٤٧، السخاوي، التحفة، ٣/٤٢٥.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٧ ل أ، ابن حجر، نفسه، ١١٤٥.

(٥) الفيروزآبادي، نفسه (خ)، ورقة ٢٧١ ل ب، ابن حجر، نفسه، ١١٣/٥.

الخدام مختار الأشرفي المارستان من أيدي الأشراف؛ لأنهم استخدموه في غير الغرض الذي بنى من أجله، كما انتزع منهم المدرسة الشهابية، وفتح أبوابها لتعليم طلاب العلم^(١).

وقد أوقف سلاطين المماليك الأوقاف الكثيرة؛ سواء على الحرم النبوي، أو على خدام الحرم. ومن أوقف على خدام الحرم، السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، الذي أوقف أملاكاً في نقادة وسنديس في مصر، وعين على تلك الأوقاف مباشراً، يشرف على تحصيلها وإرسالها للمدينة^(٢).

٣- المؤذنون

تعد وظيفة الأذان من الوظائف الأساسية؛ لكون الأذان إشعاراً بدخول الصلاة، ونظراً للأهمية الدينية للمسجد النبوي، فقد كان يتم اختيار القائمين بهذه الوظيفة اختياراً دقيقاً؛ فلا بد أن يكونوا من أهل التقى والصلاح ومن العارفين بكتاب الله والمواقيت.

وفي أوائل العصر المملوكي لم يكن بالمدينة كما يقول ابن فرحون^(٣) «من يوثق به في معرفة الأوقات، وتحريها، فبعثوا لها من مصر ثلاثة؛ أحدهم والد الشيخ جمال الدين أحمد بن خلف، والثاني الشيخ إبراهيم والد محمد بن إبراهيم، والثالث عز الدين المؤذن» ويمكن أن نفهم من ذلك أن الثلاثة كانوا يتناوبون الأذان بالمسجد النبوي، أو يؤذن كل منهم بإحدى منارات المسجد، أما الأول فهو أحمد بن خلف بن عيسى الأنصاري الخزرجي، العبادي، الساعدي، المطري نسبة للمطرية من مصر، كان والده خلف من الطور فانتقل

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل ١.

(٢) السخاوي، التحفة، ٦٣/١.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل ١-ب.

منها إلى المطرية فولد له بها أحمد المذكور، ثم انتقل أحمد إلى المدينة وصار رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي^(١). أما الثاني فهو إبراهيم بن محمد بن مرتضى الكتاني العسقلاني ثم المصري، الذي أصبح أيضاً رئيساً للمؤذنين^(٢). وفي رواية أخرى أن الذي انتقل من مصر إلى المدينة هو محمد بن مرتضى والد المذكور^(٣). أما الثالث فهو عز الدين المؤذن الذي استمر في وظيفته في الأذان حتى كبر في السن^(٤).

واستمرت وظيفة الأذان في أسرتي المطري، والمرتضى الكتاني، يتولاها الأبناء عن الآباء؛ فخلف أحمد بن خلف المطري في رئاسة الأذان ابنه أبو عبدالله جمال الدين محمد الذي كان من أحسن الناس صوتاً، وناب كذلك في الحكم والخطابة^(٥).

وخلفه في رئاسة الأذان، ابنه أبو السيادة عفيف الدين عبد الله المطري وقيل: إنه كبر بالحرم خمسين سنة، وأضاف إلى هذه الوظيفة مشيخة الحديث والصوفية بالمدينة ومكة^(٦). ثم تولى بعده وظيفة الأذان أخوه أبو الحرم عبدالرحمن المطري^(٧) ثم أعقبه في رئاسة الأذان ابنه أبو حامد محمد المطري

(١) السخاوي، نفسه، ١/١٧٨.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/١٤٣.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/٤٩.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل ب.

(٥) توفي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل أ- ب، ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم (خ)، ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/٤٠٣ - ٤٠٤، السخاوي، التحفة، ٣/٤٦٦ - ٤٦٧.

(٦) توفي سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، السبكي، طبقات، ٦/١٠٣ - ١٠٤، الفيروزآبادي، نفسه، رقة ٢٤٨ ل أ- ب، ابن حجر، نفسه، ٢/٣٩١، السخاوي، نفسه، ٢/٣٨٧.

(٧) توفي سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ- ب، ابن حجر، نفسه، ٢/٤٤٩، السخاوي، نفسه، ٢/٥٣٠.

وقد أضيف إليه في سنة وفاته قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها^(١)، وقد ناب ابنه المحب محمد المطري عنه في رئاسة الأذان، والقضاء، والخطابة، والإمامة في حياته، ثم خلفه في رئاسة الأذان، وبقية وظائفه، بعد وفاته واستمر فيها حتى وفاته سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م^(٢).

أما أسرة المرتضى الكناني فقد تعاقب أفرادها على وظيفة الأذان في المسجد النبوي، فبعد وفاة إبراهيم بن محمد بن مرتضى^(٣) تولى رئاسة الأذان مكانه ابنه الشمس أبو عبد الله محمد^(٤) وكان كما وصف، حسن الصوت^(٥) كما كان أمين الحكم^(٦) أثناء ولاية سراج الدين عمر بن أحمد السويدي القضاء بالمدينة^(٧). وبعد وفاته استقر في رئاسة الأذان ابنه الجمال أبو محمد عبد الله^(٨) وقد أثنى عليه ابن فرحون^(٩)؛ وذكر أن له واجهة عند آل جمار أمراء المدينة فانتفع الناس بشفاعته. خلفه في وظيفة الأذان ابنه شهاب الدين أبو العباس

(١) توفي سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م، السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠، السخاوي، التحفة، ٢/ ٦٢٩ - ٦٢٧.

(٢) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠١ - ١٠٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ١/ ١٤٣.

(٤) توفي سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٥٨.

(٦) ربما يكون المقصود كاتب القاضي فهو الأمين على كتابة أحكامه.

(٧) توفي سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم (خ)، ورقة ٢٦٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٢ - ٣١٧.

(٨) توفي في سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٨٩، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب.

أحمد المدني الحنفي الذي تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة^(١) كما وصف بأنه من «أعيان جماعة المؤذنين»^(٢) وتولى رئاسة الأذان بعده ابنه عبد الغني^(٣). ثم أعقبه في هذه الوظيفة ابنه أحمد بن عبد الغني المدني الحنفي^(٤). وفي سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م تولى عبد الغني بن أحمد بن عبد الغني بن المرتضى الكناني رئاسة الأذان، مشاركاً لأسرة بني الخطيب المصرية؛ التي بدأ أفرادها في تولي وظيفة الأذان أوائل القرن التاسع الهجري^(٥)، وعند ما عجز عبد الغني عن منصبه ناب عنه سعد النفطي ثم الشمس الخياط^(٦).

أما الرجل الثالث الذي قدم من مصر للأذان بالمسجد النبوي وهو عز الدين المؤذن فيظهر أنه توفي سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م من غير عقب^(٧).

وقد تحدث ابن فرحون عن أسرة مدنية؛ مارست وظيفة الأذان منذ النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وتنسب هذه الأسرة إلى أحمد بن قاسم المعروف بابن القطان المدني الشافعي، وقد ألحج ولدين هما حسن وأحمد مارسا الأذان في المسجد النبوي^(٨)، كما ألحج حسن ولدين، أحدهما حسين استقر في وظيفة أبيه، وكان كما ذكر ابن فرحون «صيتاً حسن الأذان»^(٩)، وقد

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل أ.

(٢) السخاوي، التحفة، ١٩٣/١.

(٣) السخاوي، التحفة، ٤٨/٣، وذكره باسم عبد الغفار والأصح أن اسمه عبد الغني انظر السخاوي، التحفة، ٥٢/١.

(٤) السخاوي، التحفة، ١٩١/١.

(٥) سيرد ذكر لهذه الأسرة لاحقاً.

(٦) السخاوي، التحفة، ٤٩/٣، السخاوي، الضوء، ٢٤٥/٤.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل ب، ٦٣ ل أ.

(٨) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٦ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢١٢/١، ٢٨٢، ٥٠١-٥٠٢.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، وكان موجوداً في النصف الأول من القرن الثامن الهجري.

وانظر: أيضاً السخاوي، التحفة، ٥٠٥/١.

خلفه في وظيفته ابنه عبد الرحمن، الذي مارس إضافة إلى ذلك التدريس والإقراء^(١). أنجب عبد الرحمن عدداً من الأبناء؛ هم إبراهيم وعلي ومحمد، مارس بعضهم وظائف أيهم في الأذان والتدريس^(٢).

كما مارس الأذان أفراد من أسر أخرى، كانت لهم مهن متعددة، كأسرة مشكور المكية الأصل، التي كانت تعمل في العطارة، فقد عمل عبدالرحمن بن مشكور مؤذناً^(٣).

وأسرة الشكيلي أو الكجار المكية الأصل أيضاً، التي مارست العطارة والتجارة والزراعة؛ وبرز عدد من المؤذنين أبرزهم حميدان بن محمد بن مسعود الكجار، الذي أصبح رئيساً للمؤذنين بالحرم النبوي، ومحمد بن حسن بن مسعود الشكيلي الكجار المؤذن بالحرم النبوي وأحمد بن محمد بن حسن الكجار^(٤). أما أسرة بني الخطيب فلم تشارك في وظيفة الأذان إلا في أوائل القرن التاسع الهجري بتقرير من السلطان المملوكي الناصر فرج^(٥).

وتعود أصول هذه الأسرة إلى القاهرة بمصر، وأول من تولى رئاسة الأذان من هذه الأسرة؛ الشمس محمد بن محمد بن محمد القاهري ثم المدني وعرف

(١) توفي ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٨٢ - ٤٨٤، السخاوي، الضوء، ٤/ ٧٥.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ١٢٢، ٣/ ٢٣٨ - ٢٤٠، ٦٢٠، السخاوي، الضوء، ١/ ٥٧ - ٥٨، ٥/ ٢٣٥.

(٣) توفي سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٤٢، ٣/ ١٣٨.

(٤) توفي حميدان سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، أما محمد بن حسن فقد توفي سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٩، ٢/ ٥٣٤.

(٥) تولى السلطنة ما بين (٨٠١هـ - ٨١٥هـ / ١٣٩٩ - ١٤١٢م) المقرئ السلوك، ص ٩٥٩/٣ - ٢٤٣/٤.

بابن الرئيس^(١)، ثم تلاه في رئاسة الأذان ابنه الشهاب أبو العباس أحمد^(٢)، ثم تولّى رئاسة الأذان بعده ابنه الشمس أبو السعادات محمد^(٣) وشاركه في الوظيفة أخوه إبراهيم^(٤) وهناك عدد كبير من المؤذنين الآخرين، منهم أبو عبدالله محمد ابن محمد الغرناطي^(٥)، والشيخ على بن معبد المصري الشهير بالقدسي^(٦)، وسراج الدين عمر بن الأعمى^(٧) وإبراهيم بن محمد الجنابي الذي أصبح رئيساً للمؤذنين^(٨)، ومحمد بن عبد الرحمن المؤذن^(٩) الذي تسلم هذه الوظيفة عن والده وجده^(١٠).

٤- الفراشون، والبوابون :

الفراشون هم القائمون على نظافة المسجد وفرشه، وقد حدد السخاوي^(١١) عددهم في المسجد النبوي في عصره بأربعين شخصاً، كما حدد وظائفهم التي تتضمن «فرش الروضة، وجهة باب السلام شتاء وصيفاً. وتزاد الروضة أيام

(١) كان موجوداً أوائل القرن التاسع الهجري، السخاوي، التحفة، ٥٢/١ .

(٢) توفي ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، السخاوي، الضوء، ٢٠١/٢، السخاوي، التحفة، ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) توفي سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، السخاوي، التحفة، ٥٠٦ - ٥٠٨، السخاوي، الضوء، ٩٣ - ٩٤ .

(٤) توفي سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م، السخاوي، التحفة، ١٠٧/١، السخاوي، الضوء، ٢٥/١ .

(٥) توفي سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٥ ل ب، ٦٦ ل أ، الفيروزآبادي،

المغانم، (خ)، ورقة ٢٦١ ل أ- ب، ابن حجر، الدرر، ٣٥٥/٤ .

(٦) توفي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٦٣/٣ .

(٧) توفي سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٨) السخاوي، نفسه، ١٤٥/١ .

(٩) توفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، الفيروزآبادي، نفسه (خ)، ورقة ٢٦٥ ل أ، السخاوي، التحفة،

٦٤٢ - ٦٤١/٣ .

(١٠) السخاوي، التحفة، ٥٥٥/٢ .

(١١) التحفة، ٦١/١ .

الجمع، ونصب الستائر على الأبواب الأربعة للحجرة، وللمحرابين النبوي والعثماني والمنبر، وكذا لأبواب المسجد، لكن في المهمات خاصة؛ كقدوم أمير المدينة، وفرش بساط شيخ الخدام، وحمل السناجق ونصبها، وإخراج الشمع في كل ليلة، ويزاد في رمضان. وقمّ داخل المسجد وخارج أبوابه كل جمعة، وتعمير القناديل نهاراً، وإسراجها مع المغرب، وأطفائها صباحاً ومساءً، وإخراج الزيت من الحاصل وإدخاله له، وفتح أبواب المسجد سحراً يتضح من النص السابق أن الفراشين لهم مهمات كثيرة وعديدة داخل المسجد النبوي، ويعدون في أعمالهم مكملين لخدام المسجد النبوي، وهناك بعض المهام التي يقومون بها ضمن أعمال خدام المسجد النبوي كتعمير القناديل وإسراجها^(١) ويمكن القول إن الفراشين فئتان؛ فئة بأجر تمارس العمل من خلال وظيفة، وفئة تمارس العمل تطوعاً، وربما يأخذ بعض الأجر على عمله ولكن ليس بصورة دائمة أو مستمرة.

وفي القرن الثامن الهجري تحدث ابن فرحون عن اثني عشر فراشاً مارسوا الخدمة تطوعاً وبعضهم من طلبة العلم مثل علي الحجار الفراش والشيخ عبدالله الخضري، وأحمد الأميني، وعلي بن ميمون، وسعيد الهندي، وعمير السوارقي، وعمر الفراش ويوسف الصعيدي الذي كان يلبس خطيب المسجد النبوي ثوب الخطابة^(٢). ومن الفراشين الآخرين أيضاً عبد الوهاب بن مسعود المخلص، وبردة الحاج، وريحان، وأبو الفتح، ومحمد بن عمر الحلبي^(٣)، ومن الفراشين القائمين على إيقاد القناديل والسرّج علي بن محمد الحجار^(٤).

(١) السخاوي، نفسه، ٦١/١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٢ ل ب، ٨٣ ل أ-ب.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣٦٦/١، ٧٢/٢، ٤٤١، ١١٣/٣، ٢٦٥، ٦٩٥.

(٤) ابن حجر، الدرر، ١٩٨/٣.

وللفراشين شيوخ أو رؤساء، يشرفون على تنظيم العمل في المسجد، وتحديد المهام التي يقوم بها كل شخص، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الوهاب بن كرباجة، وعبد السلام بن أحمد المريس، الذي خلفه في مشيخة الفراشين محمد بن ضرغام السابقي، ثم خلفه في المشيخة محمد عمير الهلالي، والشهاب الحبيشي، وجميعهم في القرن التاسع الهجري^(١).

وللفراشين أوقاف معلومة، يصرف ريعها عليهم، وكان وقفهم أواخر القرن التاسع الهجري تحت نظر شخص من مصر شافعي المذهب^(٢).

أما البوابون فهم القائمون على خدمة أبواب المسجد ومراقبة دخول وخروج المصلين منه، ومن هؤلاء عبد الله الزيلعي الذي كان بواب باب الرحمة أحد أبواب المسجد النبوي^(٣). وسليمان البواب بباب السلام^(٤)، وأحمد بن محمد اليماني ثم المدني البواب^(٥).

٥- السقاؤون :

هم القائمون على تزويد المسجد النبوي بالماء اللازم للشرب سواء من السقايات الموجودة داخل المسجد أو خارجه^(٦)، وكان السقاؤون يملؤون الدوايق بالماء ويضعونها أمام المصلين، ومن هؤلاء محمد السقا^(٧)، الذي لم يكن يأخذ

(١) السخاوي، نفسه، ٦١/١، ١٩٧، ٥/٣، ٥٨٨، ٧٠٠.

(٢) السخاوي، نفسه، ٦١/١.

(٣) السخاوي، التحفة، ٤٤١/٢.

(٤) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، السخاوي، نفسه، ١٩١/٢.

(٥) توفي سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م، السخاوي نفسه، ٢٦٧/١.

(٦) ابن النجار، الدرّة، ٣٧٧/٢، السمهودي، وفاء، ٦٧٨/٢ - ٦٧٩.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٣ ل ب.

أجراً على عمله، ومن هؤلاء أيضاً حسين بن علي بن رستم الشيرازي^(١) وابناه حسن^(٢)، ومحمد^(٣) اللذان خلفا أباهما في مهنة السقاية، ومن عمل أيضاً بمهنة السقاية بالحرم عبد الرحمن بن مبارك بن سعيد^(٤) ومحمد بن حسين العجمي^(٥).

٦- وظائف أخرى:

لقد جمع بعض الأشخاص بين أكثر من منصب في شؤون الحرم النبوي ومن هؤلاء شاهين الجمالي^(٦) الذي عينه السلطان الملك الأشرف برسباني سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م متولياً عمارة المسجد النبوي، بعد عزله لمتولي العمارة، لما لاحظ منه من استعماله مؤناً غير صالحة، ثم أضاف إليه مشيخة الخدام في نفس العام، ونظر المسجد النبوي، ونظر السماط^(٧)، كما أنيط به مهمة ترميم حصن أمير المدينة، وبعض السور المحيط بها، كما فوض بعمارة القبة التي على الحجرة النبوية^(٨).

ومن جمع بين أكثر من وظيفة علي بن محمد الحجار، الذي جمع بين وظيفة الفراش، والوقاد لقناديل المسجد النبوي^(٩).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ٥١٢/١.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، نفسه، ٤٧٨/١.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤ / ٤٨ السخاوي، نفسه، ٥٦٠ - ٥٦١.

(٤) كان موجوداً سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م، السخاوي، نفسه، ٥٢٨ / ٢ - ٥٢٩.

(٥) السخاوي، نفسه، ٥٦١ / ٣.

(٦) هو الأمير شجاع الدين شاهين الجمالي الرومي ثم القاهري الحنفي أحد الأمراء العشروات ولد سنة

٨٣٨هـ / ١٤٣٤م وملكه الجمالي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م، وعمل في وظائف متعددة بالمدينة ونائباً

في جلة وناظر على عمارة المسجد الحرام والنبوي وعلى المقام الحنفي وسقيا العباس بمكة، ابن فهد،

إنحاف، ٤ / ٤٨٢ - ٤٨٣، السخاوي، الضوء، ٣ / ٢٩٣، السخاوي، التحفة، ٢ / ٢١٠ - ٢١٣.

(٧) السمهودي، وفاء، ٢ / ٦٤٦.

(٨) السخاوي، التحفة، ٢ / ٢١٢.

(٩) السخاوي، التحفة، ٣ / ٢٦١.

ومن الوظائف الأخرى المهمة في المسجد النبوي، ناظر الحرم النبوي، الذي تولاهما كما سبق شاهين الجمالي، على أن المسجد النبوي كان له ناظر خاص متفرغ للوظيفة مثل محمد بن أحمد الجبرتي^(١). وأحمد الشهاب السندوبي^(٢) الذي خلفه في وظيفته محمد بن أبي بكر بن أيوب المحرومي المحرق^(٣).

ومن الوظائف الأخرى بالحرم النبوي أمين حواصل الحرم وهو ما يدخل المسجد من أموال وأدوات، ومن تولى هذه الوظيفة أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي^(٤)، وأحمد بن محمد بن عبد الله الشهاب النفطي المدني الذي كان أميناً على حواصل الحرم النبوي، وخدام الحرم^(٥) كما كانت هناك وظيفة ناظر كسوة الحرمين والمقصود بها كسوة الكعبة المشرفة، والحجرة الشريفة، ومن تولاهما الأمير علاء الدين بن الطبرلاوي استادار خاص الخاص سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م ويظهر أن المذكور كان مقيماً بالقاهرة، وغير متفرغ للوظيفة فقد تولى إلى جانبها نظارة الأوقاف إضافة إلى ما بيده «من الحجوبية والتحدث في الولاية»^(٦). وأما كسوة الحجرة الشريفة فأول من بدأ بوضعها الحسين بن أبي الهيجاء وزير الفاطميين^(٧). ثم استمرت كسوتها تأتي من العراق ومصر حتى العصر المملوكي حيث أصبحت تصل بصورة دائمة من مصر. وفي عهد

(١) توفي سنة ٧٦٥هـ / ١٣٩٤م، ابن حجر، الدرر، ٤١٦/٣، السخاوي، التحفة، ٤٧٦/٣.

(٢) توفي سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م، السخاوي، التحفة، ٢٧٧/١ وذكره السخاوي في موضع آخر باسم الهاب أحمد السيدوني، التحفة، ٥٣١/٣.

(٣) السخاوي، التحفة، ٥٣١/٣ الذي ذكر أن المحرق نسبة إلى المحرقية قرية بالجيزة بمصر.

(٤) توفي سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل ب، ٦٦ ل أ، الفيروآبادي، المغام (خ) ورقة ٢٦١ ل أ - ب.

(٥) توفي سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م، السخاوي، الضوء، ١٣٩/٢، السخاوي، التحفة، ٢٣٩/١.

(٦) ابن قاضي شعبة، تاريخ، ٥٧٤/٣.

(٧) السهمودي، وفاء، ٥٨١/٢.

السلطان المملوكي الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون^(١)، اشترى قرية يقال لها سنديس بنواحي القاهرة في طرف القليوبية وأوقفها على كسوة الكعبة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي في كل خمس سنين مرة^(٢) وذكر السمهودي^(٣) أن «عادتهم إذا وردت كسوة جديدة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم، ويحمل إلى السلطان بمصر منها جانباً».

ب- قضاة المدينة :

كان القضاء^(٤) في المدينة قبل العصر المملوكي بأيدي الشيعة الإمامية من بني سنان، وتولى القضاء كما هي الخطابة عدد من أفراد هذه الأسرة؛ من بينهم جد الأسرة عبد الوهاب بن ثميلة السابق الذكر^(٥) وخلفه في منصبه ابنه سنان^(٦). كما تولى بعض أبناء سنان منصب القضاء، ومن بينهم علي الذي لم يكن أحد

(١) تولى الملك الصالح إسماعيل السلطنة بين (٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م) المقرئ، السلوك، ٦١٩/٢ - ٦٨٠ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١٧٣/٢ - ١٧٥.

(٢) الفاسي، شفاء، ١٢٣/١، السخاوي، التحفة، ٣١٩/١ - ٣٢٠، السمهودي، وفاء، ٥٨٤/٢. وذكر المقرئ، أن السلطان الملك الصالح إسماعيل قد أوقف في سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م «ثلاثي ناحية سنديس من القليوبية على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادماً» السلوك، ٦٣٣/٢.

(٣) وفاء، ٥٨٤/٢.

(٤) القضاء: الحكم... والجمع الأقضية... قال أهل الحجاز القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور، ابن منظور، لسان، ١١١/٣.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢٢٥/٣، السخاوي، التحفة، ١١٣/٣.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ١٩٦/٢.

من أهل السنة يجسر على عقد نكاح، ولا يفصل في خصومة إلا بعلمه، ويعد أن يعطى بعض المال نظير موافقته على ذلك فيكتب لأحد فقهاء السنة بأن يعقد نكاح فلان على فلانة^(١). ومن تولى من أبناء سنان القضاء أيضاً عيسى^(٢)، وقاسم^(٣)، ولحم الدين مهنا^(٤)، الذي ذكر ابن فرحون^(٥)، أنه «كان هو القاضي في الحقيقة من بين ساير قرابته، وبه يئط الحل والعقد، وإليه ترجع محاكمات الشيعة وأنكحتهم وعقودهم». واستمر القضاء في أيدي الشيعة الإمامية من بني سنان حتى أواخر القرن السابع الهجري أي في الفترة الأولى للعصر المملوكي وفي سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠هـ تولى مشيخة الخدام بالحرم النبوي شبل الدولة كافور المظفري المعروف بالحريري وكان يوالي المجاورين ويحسن إليهم ولأجل هيئته عز المجاورون وقويت حرمتهم كما كثر عددهم^(٦)، فكتبوا إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بأن يكون لأهل السنة قاض يحكم بينهم على مذاهب أهل السنة والجماعة، فأصدر السلطان المملوكي تقليده لسراج الدين عمر السويدي الشافعي خطيب المسجد النبوي، مع خلعة وألف درهم^(٧). غير أن السراج لم يتولى هذا المنصب إلا بعد موافقة أمير المدينة منصور بن جمار.

غير أن صلاحيات القاضي الجديد كانت محدودة ومحصورة في الفصل في

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢٢٤/٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣٨٢/٣.

(٣) السخاوي، نفسه، ٤٠٠/٣.

(٤) توفي سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغاتم، ورقة ١٢٦٧ ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٦ ل أ، انظر: أيضاً، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٧ ل أ.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٦ ل ب، ورقة ١٧ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣١٥/٣.

الأحكام بين أهل السنة، فيما بقيت أمور الحبس وغيرها بيد آل سنان، بل إن قضاة الشيعة يحكمون بين أهل السنة ممن يتقدمون إليهم^(١). وتولى القضاء بعده شرف الدين محمد بن محمد الأميوطي، الذي رغم شدته على الأشراف والشيعة لم يستطع أن يتعرض لقضائهم بل كانوا يحكمون بين رعاياهم كما كان القاضي الأميوطي يحبس في نفس الحبس الذي يحبس فيه الشيعة في ساحة القلعة^(٢). وخلف الأميوطي في منصب القضاء تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد المؤمن بن عبد الملك الهوريني القاهري الشافعي، إلا أنه لم يستمر في منصبه سوى ثلاث سنوات فعزل سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ثم أعيد إلى منصبه سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م^(٣)، وبين فترة عزله وإعادته إلى منصبه، تولى القضاء البدر حسن بن أحمد القيسي، ثم تولى بعده شمس الدين محمد بن عبدالمعطي الكنانى العسقلاني المصري المعروف بابن السبع، حتى عودة القاضي الهوريني إلى القضاء^(٤)، وكان القاضي المذكور يستنيب في غيابه البدر عبد الله ابن محمد بن فرحون، ففي سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م سافر الهوريني إلى مصر ليقدح عينيه فأناوب عنه البدر بن فرحون، فسار في منصبه سيراً حسناً، مما أدى إلى ابتعاد الناس عن قضاة الإمامية، الذين كانوا يأخذون مالاً من الأخصام ليحكموا بينهم، كما شدد على الإمامية في نكاح المتعة، ونكل بفاعلها، وحمل الناس كما يقول «على مذهب مالك، وأخمدت نار البدعة، وأظهرت نور السنة، وعزرت من تكلم في الصحابة فلم يزد الناس إلا طاعة وإقبالاً»^(٥).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل أ، السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٥.

(٢) توفي سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٠ ل ب، ٩١ ل أ

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل أ، ورقة ٢٤٧ ل أ- ب السخاوي، نفسه، ٢/ ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٤) السخاوي، التحفة، ٥٥/ ١، ٦٠٨/ ٢ - ٥١٠.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٢ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢/ ٥٠٩.

وبعد وفاة القاضي الهوريني سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م^(١)، تولى القضاء محمد بن عثمان الصرخدي الكركري الشافعي^(٢). واستمر في منصبه حتى سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م^(٣) حيث عزل وتولى منصب القضاء شمس الدين محمد بن سليمان الحكري المصري الشافعي^(٤).

إن أغلب من تولى القضاء خلال تلك الفترة باشر الإمامة والخطابة أيضاً، كما أن جميع من تولى القضاء جاءوا من مصر وكانوا على المذهب الشافعي، واستمر القضاء يتولاه قاضٍ واحد حتى سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م، حيث تتحدث المصادر عن تولى نور الدين علي بن يوسف الزرندي قضاء الحنفية والتدريس بها مع الحسبة وقيل بل تولى القضاء سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م^(٥)، وهو كما يقال أول قضاة الحنفية بالمدينة^(٦). ثم خلفه في قضاء الحنفية ابنه فتح الدين أبو الفتح محمد الذي استمر في قضاء الحنفية حتى سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م حين توفي القاضي المذكور، فخلفه في منصب قضاء الحنفية أخوه أبو الفرج عبد الرحمن

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٥ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٥ ل ب، ٩٦ ل أ، ابن حجر، الدرر ٤/ ١٦٥، السخاوي، نفسه، ٢/ ٥١٠، ٣/ ٦٦٣-٦٦٦.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٦ ل ب، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٦٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ١٦٥.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٦ ل ب، الفيروز آبادي، المغام (خ) ورقة ٢٦٥ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٧١، ابن حجر، إنباء، ٢/ ٤٠، السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٨٠-٥٨١.

(٥) توفي سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م تقريباً، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢١٧.

(٦) الفيروزآبادي، المغام (خ) ورقة ٢٥٥ ل أ- ب، المقرئ، السلوك، ٣/ ١٩٣، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٨-٢٧٢.

ابن علي مع حسبة المدينة^(١)، وفي رواية أخرى أن ولايته للقضاء كانت سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م^(٢) ثم عزل عنها سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١م ، وأعيد إليها بعد ذلك حتى وفاته سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م^(٣) فتولى قضاء الحنفية بعده النور أبو الحسن علي بن محمد بن علي الزرندي^(٤)، ثم تولاه أخوه النجم يوسف^(٥). ثم اعتزل، فخلفه ابن عمه فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الوهاب بن علي ابن محمد بن علي الزرندي^(٦)، ثم خلفه ابنه سعد الدين سعد^(٧)، ثم أخوه الجمال سعيد^(٨)، ثم ابنه النور علي بن سعيد^(٩). كما أضيف منصب الحسبة إلى هؤلاء القضاة. ومن تولى قضاء الحنفية يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخجندي^(١٠).

أما قضاء المالكية فأغلب من تولاه أفراد من أسرة ابن فرحون، وأول من تسلمه البدر عبدالله بن فرحون، الذي ناب في قضاء المدينة عن التقي عبدالرحمن بن عبد المؤمن الهوريني، كما أسلفت، ثم استقل بقضاء المالكية

(١) ابن حجر، إنباء، ٨١/٢، السخاوي، التحفة، ٥١٩/٢.

(٢) ابن حجر، نفسه، ١٥٦/٧، السخاوي، التحفة، ٥١٩/٢.

(٣) السخاوي، التحفة، ٥٢٠/٢، السخاوي، الضوء، ١٠٥/٤.

(٤) توفي سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، السخاوي، الضوء، ٣٢٧/٥، السخاوي، التحفة، ٢٥٠/٣ - ٢٥١.

(٥) توفي سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م، السخاوي، التحفة، ٥٨/١، السخاوي، الضوء، ١٠/٣٣٢.

(٦) توفي سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م، السخاوي، التحفة، ٦٥٨/٣، السخاوي، الضوء، ٨/١٣٥.

(٧) توفي سنة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م، السخاوي، التحفة، ١٣٧/٢، السخاوي، الضوء، ٣/٢٥٣.

(٨) توفي سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م، السخاوي، التحفة، ١٥٦/٢ - ١٥٧، السخاوي، الضوء، ٣/٢٥٦.

(٩) توفي سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤م، السخاوي، التحفة، ٢٢٢/٣ - ٢٢٣، السخاوي، الضوء، ٥/٢٢٤.

٢٢٥.

(١٠) الغزي، الكواكب، ص ٢٥٨.

سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م حتى وفاته سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م^(١). خلفه في منصبه في قضاء المالكية ابنه المحب أبو عبد الله محمد بن فرحون، واستمر في منصبه فترة طويلة، عزل في أثنائها عدة مرات، وكانت وفاته وهو في طريقه إلى القاهرة سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م^(٢). واستقر بعده في قضاء المالكية أخوه الشهاب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن فرحون، وكان بمصر، فقدم إلى المدينة وتولى القضاء، غير أنه لم يستمر في منصبه سوى فترة قصيرة، فقد توفي سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م^(٣)، وظل المنصب شاغراً لفترة قصيرة ثم تولاه إبراهيم بن علي بن فرحون سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م حتى وفاته سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م^(٤).

ومن فقهاء هذه الأسرة الذين تولوا قضاء المالكية في المدينة أبو اليمن محمد ابن إبراهيم بن علي بن فرحون^(٥) وناصر الدين أبو البركات محمد بن محمد ابن عبد الله بن فرحون^(٦) والبدر أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون^(٧) ومن خارج أسرة ابن فرحون تولى قضاء المالكية محمد بن علي بن معبد القدسي المعروف بالمديني، وكان مؤذناً بالمسجد النبوي، ولي قضاء المالكية مرتين؛ الأولى سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، والثانية بعد ذلك، ثم عزل سنة

(١) الفيروزآبادي، المفانم (خ)، ورقة ٢٥٢ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٤٠٦/٢ - ٤٠٧ السخاوي، التحفة، ٤٠٤/٢.

(٢) السخاوي، التحفة، ٦١٢/٣.

(٣) السخاوي، التحفة، ١٩٤/١ - ١٩٥.

(٤) ابن حجر، الدرر، ٤٩/١، إنباء، ٣٣٨/٣، السخاوي، التحفة، ١٣٢/١.

(٥) توفي سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م، السخاوي، الضوء، ٢٦٤/٦، ١٢٧/٩، السخاوي، التحفة، ٤٥٦/٣.

(٦) توفي سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، السخاوي، الضوء، ١٢٧/٩.

(٧) توفي سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م، السخاوي، الضوء، ٥٥/٥، السخاوي، التحفة، ٣٩٥/٢.

٨١٦هـ / ١٤١٣م^(١)، ويبدو أن تعيينه في هذا المنصب نتيجة خلوه من أفراد يتولونه من أسرة ابن فرحون المالكية المذهب.

كما تولى قضاء المالكية أيضاً كل من الجمال يوسف البساطي، وأحمد الأموي^(٢) إلا أنه في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ظهرت في المدينة أسرة مالكية المذهب هي أسرة السخاوي، تقلد بعض أفرادها منصب القضاء وتنسب هذه الأسرة إلى شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السخاوي^(٣) ويعرف بابن القصبي، وقد انتقل المذكور من القاهرة إلى المدينة سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م متقلداً منصب قضاء المالكية بها^(٤). وبعد إصابته بالفالج خلفه في منصبه ابنه خير الدين محمد سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م^(٥)، أما قضاء الشافعية فقد تولاه عدد كبير من الفقهاء، وأغلبهم من الأسر العلمية بالمدينة، فمن أسرة المطري محمد بن عبد الرحمن المطري^(٦).

ومن أسرة الزرندي تولى قضاء الشافعية محمد بن محمد بن علي الزرندي الذي ولي قضاء الشافعية بالمدينة سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م^(٧) وتعد أسرة

(١) القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي، (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٢١٥، بابا التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة (ط١)، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٩م) ص ٢٨٦.

(٢) كان موجوداً أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، القرافي، توشيح، ص ٢١٥.

(٣) توفي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م، السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠ - ١١١.

(٤) السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠ - ١١١، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠٨ - ٥١٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٩/ ٤٧.

(٦) توفي سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م، الفاسي، العقد، ٢/ ١٠٥ - ١٠٦، إنباء ٦/ ١٢٨ - ١٣٠،

السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٢٧ - ٦٢٩.

(٧) توفي سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩، ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/ ١٦٧.

ابن صالح أكثر الأسر العلمية في المدينة تقلداً لوظيفة قضاء الشافعية، ومن هؤلاء عبدالرحمن بن محمد بن صالح الذي تقلد هذا المنصب نائباً عن قاضي الشافعية ثم استقل به سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م^(١) كما ناب عنه أخوه محمد بن محمد بن صالح في قضاء الشافعية^(٢). ومن تولى أيضاً قضاء الشافعية من هذه الأسرة أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الذي ناب أولاً عن والده في هذا المنصب، ثم استقل به سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م^(٣) ثم تنازل لأخيه عن هذا المنصب سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م^(٤). كما تقلد صلاح الدين محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن صالح منصب قضاء الشافعية سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م^(٥).

ومن أسرة الكارروني تولى قضاء الشافعية الجمال محمد بن أحمد الكارروني (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م الذي تقلد هذا المنصب أكثر من مرة^(٦)). كما ناب عنه في القضاء ابن عمه محمد بن عبد السلام الكارروني^(٧).

ومن أسرة المراغي؛ تولى قضاء الشافعية مؤسس الأسرة بالمدينة أبو بكر بن الحسين المراغي، الذي تقلد هذه الوظيفة سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م، ثم عزل عنها سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م^(٨)، كما ناب عنه ابنه أبو اليمن الشمس محمد في

(١) توفي سنة ٨٢٦هـ / ١٤١٩م السخاوي، الضوء، ١٣١/٤، السخاوي، التحفة، ٥٣٣/٢.

(٢) توفي سنة ٨١٤هـ / ١٤١١هـ، الفاسي، العقد، ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٨٦/٩.

(٣) توفي سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م، ابن فهد، معجم، ص ٢٣٢، السخاوي، الضوء، ٣٤/٨ - ٣٥، السخاوي، التحفة، ٦٣٢/٣.

(٤) السخاوي، الضوء، ٣٦/٨، السخاوي، التحفة، ٦٣٣/٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ١٠٣/٩.

(٦) توفي سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م، السخاوي، الضوء، ٩٦/٧، السخاوي، التحفة، ٥٠٠/٣.

(٧) توفي سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م، السخاوي، الضوء، ٥٧/٨، السخاوي، التحفة، ٦٤٢/٣.

(٨) توفي سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

قضاء الشافعية (١).

أما قضاء الحنابلة بالمدينة فكانوا قلة، وأول من تولى هذا المنصب القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الحسني الفاسي المكي، تقلد منصب القضاء بها سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م إضافة إلى قضاء الحنابلة بمكة (٢). ويظهر من ذلك أن عدد الحنابلة بالمدينة كان في تلك الفترة قليلاً، كما اتضح من دراسة انتشار المذاهب في المدينة خلال العصر المملوكي، مما لا يسمح بتعيين قاض مستقل لهم (٣).

ويظهر أنه بعد وفاة القاضي سراج الدين عبد اللطيف لم يعين قاضٍ للحنابلة بالمدينة، إلا في سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠هـ، حين تم تقليد المحيوي عبد القادر بن عبد اللطيف الفاسي ابن القاضي السابق، واستمر في منصبه حتى وفاته بالمدينة سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م (٤). وخلفه في منصبه أحمد بن علي بن أحمد الشيشيني الأصل، القاهري، الحنبلي، الذي تقلد منصب قضاء الحنابلة في سنة ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م، وكانت إقامته بمكة، ويتردد في أثناء السنة إلى المدينة، واستمر قاضياً للحنابلة بالحرمين حتى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، حيث عين قاضياً للحنابلة بالقاهرة حتى وفاته بها سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م (٥).

إضافة إلى قضاة المذاهب الأربعة فقد كان هناك منصب قاضي القضاة وقد

(١) توفي سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م السخاوي، الضوء، ١٦٢/٧، السخاوي، التحفة، ٥٣٣/٣.

(٢) ابن فهد، إتحاف، ٢٩١/٤، السخاوي، الضوء، ٣٣٣/٤، السخاوي، التحفة، ٦٠/١، ٦٨/٢ - ٦٩.

السخاوي، التبر، ص ٢٨١، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) يذكر السخاوي، أن قضاة المدينة كلهم مقيمون إلا القاضي الحنبلي لكون قضاء مكة معه فيورع

إقامته بين المدينتين التحفة، ٦٠/١.

(٤) السخاوي، الضوء، ٢٧٢-٢٧٣، السخاوي، التحفة، ٥١/٣ - ٥٢.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢٠٠-٢٠٢.

تولاه عدد من القضاة والفقهاء؛ ومن هؤلاء الزين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الكردي، المصري، الشافعي، ويعرف بالعراقي الذي ولي قضاء المدينة سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م واستمر في منصبه حتى سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م حيث عزل^(١)، وأصدر السلطان المملوكي المنصور قلاوون تقليداً للقاضي شمس الدين السرسني، الشافعي، وولاه منصب قاضي القضاة بالمدينة^(٢). وبعد ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح أول من تقلد منصب قاضي القضاة من أهل المدينة^(٣)، يقول في ذلك السخاوي^(٤) «وكان أول من ولي القضاء الأكبر من أهل المدينة».

ويلاحظ أن بعض القضاة كانوا يواجهون معارضة من بعض أهل المدينة؛ فقد أدى عدم رضا بعض أهل المدينة عن قاضيها الشمس محمد بن عبد المعطي الكنانسي العسقلاني المصري المعروف بابن السبع^(٥)، إلى ذهابهم لمصر يشكونه إلى السلطان المملوكي، مما أدى إلى عزله سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م^(٦) وتقليد

(١) السخاوي، الضوء، ١٧٤/٤، السخاوي، التحفة، ٥٦٣/٢ - ٥٦٤.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، مج ٩ ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) توفي سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ذيل الدرر

الكامنة، تحقيق عدنان درويش (د. ط، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص

٢٩٣، ابن حجر، إنباء، ٣٠ / ٨، ابن تغري بردي، النجوم، ١١٦ / ١٥، السخاوي، التحفة،

٥٣٤ / ٢، السخاوي، الضوء، ١٣١ / ٤.

(٤) التحفة، ٥٣٣ / ٢.

(٥) ولد ابن السبع بالقاهرة سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م وتولى القضاء والخطابة والإمامة بالمسجد النبوي سنة

٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وعزل سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م وأعيد إليها سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م حتى سنة ٧٥٩

هـ / ١٣٥٧م حين عزل للمرة الثانية، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٣ ل أ-ب، الفيروزآبادي، المغنم

(خ) ورقة ٢٦٣ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١٤٩ / ٤، السخاوي، التحفة، ٦٥٤ / ٣ - ٦٥٧.

(٦) السخاوي، التحفة، ٥٥ / ١، ٦٥٧ - ٦٥٤ / ٣.

بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشاب^(١) عوضاً عنه، غير أن القاضي الخشاب اشترط عدم الإقامة بالمدينة سوى سنة واحدة، وأن تبقى وظائفه بالقاهرة بيد نوابه، فأجيب إلى طلبه وتولى قضاء المدينة^(٢).

(١) ولد بدر الدين الخشاب سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م وولي القضاء بحلب، ثم بالمدينة سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م وكانت وفاته بمصر سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٣٤ ل ب، ورقة ٢٣٥ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١/١٣، ابن حجر، إنباء، ١/٨٣، السخاوي، نفسه، ١/١٠٢ - ١٠٤.

(٢) المقرئ، السلوك، ٢/٧٩٢.

الفصل الخامس

الحركة العلمية

أ- مراكز التعليم في المدينة المنورة

١ - التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب.

٢ - نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي.

٣ - المدارس.

٤ - المنازل والأربطة .

ب- العلماء وأثرهم العلمي .

جـ - الأسر العلمية.

د- الرحلات العلمية.

هـ- العلوم والمؤلفات العلمية.

و - المكتبات أو خزائن الكتب.

ز - الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم.

١ - الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا

٢ - مهن طلبة العلم

أ- مراكز التعليم في المدينة المنورة

١- التعليم الأولي في المكاتب والكتاتيب

واكبت الإسلام منذ ظهوره حركة علمية أظلت بلاد العرب وغيرها من البلاد، ولأن تعليم الصبية هو اللبنة الأولى لنظام التعليم؛ فقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده على إرساء قاعدة التعليم على أرض صلبة، بالاهتمام بهؤلاء. ومن الأمثلة على ذلك، ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم عرض على أسرى بدر أن يفترقوا من يرغب منهم نفسه بتعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة^(١)، ثم اتخذت بعد ذلك أماكن لتعليم الصبيان القرآن، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، وأطلق على تلك الأماكن الكتاتيب؛ وهو جمع كتاب، ويعني المكان الذي يتعلم فيه الصبيان، ومن اللغويين من يقول أن الكتاب هم الصبيان أنفسهم^(٢).

أما المكان الذي يتعلم فيه الصبية فهو المكتب، ويقال لصبيان المكتب الفرقان أيضاً^(٣).

وقد وردت إشارات عن وجود الكتاب منذ عهد الرسول ﷺ فقد ورد في بعض كتب الحسبة، أنه لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد؛ «لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها، وينجسون

(١) ابن سعد، الطبقات، ٢/٢٦، سامي الصقار، لمحات، ٢/٤٠، ٥٦.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جوهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي ج ١ (ط١)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م ص ٢٥٦، الزمخشري، جار الله ابن القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحمن محمود (د. ط)، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٣٨٦ الفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة (ط٢)، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص ١٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان، ٣/٢١٧.

أرضها، إذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات. بل يتخذون للتعليم مواضع شرحة من أطراف الأسواق، ويمنعون أيضاً من التعليم في بيوتهم»^(١) على أن هناك من يرى أن الكتاتيب لم تبدأ إلا في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٢)، وقيل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان أول من أمر ببناء بيوت المكاتب، ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم^(٣). ومن شواهد النهي عن استخدام المساجد لتعليم الصبية: عند ما سئل مالك^(٤) عن ذلك فقال: «لا أرى ذلك يجوز لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة»^(٥).

وقد اشترطت في تعلم الكتاب شروط ذكرت في كتب الحسبة^(٦). وقد حددت تلك الشروط آداب المؤدب وما يأمر به المؤدب الصبي من الآداب وما يجري داخل المكتب والموضوعات التي تدرس^(٧).

ومنذ العصر الإسلامي المبكر لم يكن تعليم القرآن مقتصرًا على الصغار فقط بل شمل الكبار أيضاً^(٨). مهما يكن من أمر فقد استمر الكتاب يؤدي دوره

(١) ابن الأخوة، محمد بن محمد القرشي، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطبعي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م) ص ٢٦٠.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٠٧.

(٣) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، التراتيب الإدارية (د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت د. ت) ص ٢٩٤.

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن عامر، إمام دار الهجرة توفي بالمدينة سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م ابن سعد، الطبقات، القسم المتعم ص ٤٣٣ - ٤٤٤.

(٥) ابن سحنون، محمد، آداب المعلمين (د. ط، د. ن، تونس د. ت) ص ٨٣.

(٦) ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٧) لتفصيلات عن هذا الموضوع انظر، ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، المدخل ج ٢ (د، ط، دار الحديث، القاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٣٠٥ - ٣٣٤.

(٨) ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص ٦.

التعليمي عبر العصور الإسلامية؛ ففي العصر المملوكي نجد أن الكتاب في المدينة يمثل المرحلة الأولى التي تهيم الصبي للانتقال إلى نظام الحلقة في المسجد النبوي أو إلى مؤسسات التعليم الأخرى كالرباط والمدرسة. وكان يقوم بتعليم الصبية شخص يدعى المعلم أو المؤدب. إن الهدف من إنشاء معظم الكتاتيب في العصر المملوكي كان تعليم الأيتام. لهذا السبب أقبل الخيرون على إقامتها وحبس الأوقاف عليها، وأطلق عليها مكاتب السبيل أو مكاتب الأيتام، وقد وجدت إشارات عديدة حول وجود الكتاب لتعليم الصبيان ومنها المكتب الذي أنشأه السلطان المملوكي قايتباي ضمن مرافق أخرى قام ببنائها في المدينة حول المسجد النبوي بعد إعادة إعمارها في أعقاب الحريق الذي حصل له سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م^(١).

ومن أبرز معلمي الكتاب في المدينة في العصر المملوكي، محمد بن عبد الله السبتي^(٢) - الذي يعد من طلبة أبي عبد الله محمد بن غصن القصري عالم القراءات في عصره بالمدينة - وقد ذكر أن بكتابه أكثر من مائة متعلم؛ ما بين صبي يفاع وصغير يراع. وكان له نظام خاص في هذا الكتاب، فقد رتبهم على شكل مجموعات، حسب المستوى العقلي والعمر، وجعل على كل مجموعة عريفاً، وكانت له فراسة وقدرة على التعامل مع الصبيان، كما استخدم الشدة في معاملتهم بالتخويف والتهديد وقد تخرج على يديه عدد كبير من المجاورين^(٣).

(١) السخاوي، التحفة، ٤١٠/٣، المسهوي، وفاء، ٦٤٤/٢، حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ص ٥١.

(٢) توفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، السخاوي، نفسه، ٦١٧/٣، والسبتي نسبة إلى سبتة وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، مقابل جزيرة الأندلس، ياقوت، معجم البلدان، ١٨٢/٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٤ ل ب ٧٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٦١ (ب) - ٢٦١ ل أ، السخاوي، التحفة، ٦١٦ - ٦١٧.

ورغم النهي عن تدريس القرآن في المسجد، فقد استمر تدريسه في المسجد النبوي، بل أن بعض المعلمين قاموا بتدريس القرآن للكبار والصغار على السواء، ومن هؤلاء عبد الحميد بن علي الموغاني^(١) حيث كانت له حلقة لتدريس القرآن في الحرم النبوي لمختلف الأعمار. ومن درس القرآن في الحرم النبوي يحيى القسطنطيني^(٢). ومن كان له كتاب لتعليم الصبيان سراج الدين عمر بن الأعمى الذي درس الخط لأولاد المجاورين احتساباً^(٣)، وإبراهيم بن أحمد بن غنائم البعلي المدني المقرئ، الذي وصف بأنه مؤدب الأبناء ومقرئ، وكان يؤذن بالمسجد النبوي أيضاً^(٤).

ويظهر أن وظيفة إبراهيم البعلي الأساسية كانت الأذان بالحرم النبوي، مع قيامه بتعليم خاص لأبناء الأمراء والأشراف والوجهاء من أهل المدينة؛ فيمكن القول إنه كان معلماً خاصاً لهؤلاء. كما تحدثت بعض المصادر عن عدد آخر من المؤدبين من بينهم عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي المغربي^(٥). وصالح بن مسعود بن محمد التميمي العثمي الشافعي المؤدب^(٦) وإبراهيم بن عبد الله بن أحمد النفطي المؤدب^(٧) وأيوب بن سليمان المغراوي المؤدب^(٨).

(١) الصواب موقان بطبرستان، ياقوت، معجم البلدان، ٥/٢٢٥، وقيل موقان بأذربيجان، الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/٤٥٨ - ٤٥٩، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٥٨ - ٥٠ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة، ٦١ ل أ.

(٣) توفي سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥٢ ل أ، السخاوي التحفة، ٣/٣٦٥ - ٣٦٦.

(٤) كان موجوداً سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م، السخاوي، الضوء، ١/٢٢، السخاوي التحفة، ١/١٠٤.

(٥) كان موجوداً سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م، ابن حجر، الدرر، ٣/٢٤٢، وذكر اسمه عمر بن سالم بن بدر الداريلي المغربي، وفي هامش الدرر ذكرت وفاته سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م وانظر أيضاً السخاوي، التحفة، ٣/٣٣٠.

(٦) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٢/٢٣٥.

(٧) كان موجوداً في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ١/١٢٤.

(٨) كان موجوداً سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م، السخاوي، الضوء، ٢/١٣١، السخاوي، التحفة، ١/٣٦١.

٢- نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي

أ- حلقات العلم في المسجد النبوي.

تمثل مكة والمدينة مركزين هامين من مراكز العلم في الدول الإسلامية. ويعد الحرمان الشريفان أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين. كانت حلقات العلم في المسجد النبوي تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمي في المدينة، فقد أدت تلك الحلقات دوراً بارزاً في إثراء الحركة العلمية ليس في المدينة فحسب بل في الحجاز وبقية أنحاء الجزيرة.

ونظام الحلقة هي تلك التي يتحلق فيها الطلاب حول شيخهم، وتعود بداياتها لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم^(١). واستمرت حلقات التدريس في المسجد النبوي بعد ذلك عبر العصور الإسلامية؛ ففي العصر المملوكي كانت حلقات العلم مزدهرة، فكان لكل عالم حلقة، ويصف ابن فرحون^(٢) الحرم الشريف وما يدور فيه من حركة علمية بقوله «كان للحرم الشريف أبهة عظيمة ومنظر بهي، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصت بالمشايخ» ويذكر ابن رشيد^(٣)، أنه تلقى العلم على يد اثنين من أصحاب تلك الحلقات؛ وهي حلقة أبي محمد وأبي القاسم الزجاجيين وكان

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه (د.ط، د.ت، القاهرة ١٩٧٧م) ص ٢٨٣-

٢٨٤، ولتفصيلات أكثر انظر د. سامي الصقار: لمحات عن نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر

الإسلام دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث ج ٢ (ط١)، جامعة الملك سعود،

الرياض: ١٤١١هـ / ١٩٨٩م) ص ٥٤-٥٥، عبد العزيز صالح الهلايلي، الحركة الثقافية في الجزيرة

العربية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث ح ٢

(ط١)، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ص ٧-٨ .

(٢) نصيحة، ورقة ٨٢ ل أ- ب .

(٣) ملء العيبة، ٥ / ٢٦ .

موضع حلقتهما «حد الجدار الجوفي الأصلي قبل الزيادة من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم». ويفهم مما قاله ابن رشيد أنه يمكن أن تكون لبعض الحلقات العلمية أكثر من شيخ.

أما البلوي^(١) فيتحدث عن إحدى حلقات الحرم النبوي، وهي حلقة أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي^(٢). حيث سمع منه كتابه المسمى «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» وأجاز له وأذن له في روايته.

ولم يقتصر التدريس في تلك الفترة على الحرم بل شمل جهات أخرى مثل المنازل، فقد تحدث ابن فرحون^(٣)، عن أحد علماء عصره وهو بهاء الدين عمر ابن محمد الهندي الحنفي^(٤)، الذي كان منقطعاً للتدريس في المسجد النبوي غالب النهار، وكان من حرصه على تلاميذه أنه كان يبعث للطلاب إذا تأخر عن الحضور، كما كان يقرأ عليه بعض الطلبة في بيته بالليل. ومن كان يقضي معظم نهار اليوم في المسجد للتدريس أيضاً إبراهيم التلمساني الذي كانت له حلقة في المسجد النبوي لتدريس الفقه الشافعي، وكان لا يدخل بيته إلا وقت الوضوء^(٥).

(١) البلوي، تاج المشرق، ١/٢٩١-٢٩٣.

(٢) هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، «صاحب المصنفات الكثيرة والنظم الكثير» توفي بمكة سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ (ط٢)، دار المعرفة، بيروت، د. ت/ ص ١٠٣ ابن، حجر، الدرر، ٢٥/٢٤٧، الفاسي، العقد، ٥/١٠٤-١١٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب.

(٤) عمر بن محمد بن أحمد بن منصور بهاء الدين الهندي الحنفي نزير الحرم النبوي، كان عالماً بالفقه والأصول، جاور بالمدينة مدة، توفي سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٣ ل ب، الفاسي، العقد، ٦/٣٥٤-٣٥٥، السخاوي، التحفة، ٣/٣٥٦-٣٥٧.

(٥) توفي سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧١ ل أ.

على أن ابن بطوطة^(١) الذي زار المدينة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م ذكر أن حلقات العلم تستمر ليلاً في ضمن المسجد بعد أن يوقدوا الشموع .

لقد اجتذبت تلك الحلقات أعداداً كبيرة من طلاب العلم من داخل المدينة وخارجها، فكان الحجاج والزائرون والرحالة وطلاب العلم يتلقون علومهم في تلك الحلقات التي كانت تعقد يومياً .

ب- طريقة التعليم :

كانت طريقة التعليم في الحرم النبوي تقوم كما أسلفنا على نظام الحلقات، فكان الشيخ هو الذي يقرر الموضوعات التي يرغب في تدريسها، والطريقة الملائمة للتعليم، كما كان الطالب يختار الشيخ الذي يريد، والموضوع الذي يرغب فيه، وربما ينتقل من حلقة إلى أخرى حسب رغبته، حتى يستقر به الأمر في النهاية مع الاتجاه والموضوع والشيخ الذي يلائم استعداداته وميوله^(٢) . كان الشيخ وطلبه يجلسون ببساطة على حصيرة في جو علمي وديني، ويستمع خلالها الطلبة بكل إنصات وهدوء إلى شيخهم، الذي بعد أن ينهي حديثه يبدأ النقاش بين الأستاذ وطلبه، وتستخدم في الدراسة طريقة الإملاء والقراءة^(٣) . لقد تعددت الموضوعات التي تدرس في الحرم النبوي ومنها الحديث^(٤) ، والتفسير وعلم القراءات والفقه والأدب وعلوم العربية والتصوف^(٥) . بل إن بعضاً من علماء الحرم برع في علوم أخرى؛ كالفرائض والحساب والجبر والمقابلة

(١) الرحلة : ص ١٤٦ ، وهذا يؤكد أن المسجد النبوي لم يكن يغلق ليلاً في تلك الفترة .

(٢) عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة (د. ط، دار الشروق، جدة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٣٧ .

(٣) سليمان مالكي، بلاد الحجاز، ص ١٨٨ .

(٤) العبدري، الرحلة، ص ٢٠٧ .

(٥) البلوي، تاج المفرق، ٢٩٢/١ - ٢٩٣، السخاوي، التحفة، ٣٧/٢ - ٣٨ .

والمنطق^(١). ومن طرق التعليم الأخرى بالمسجد النبوي .

- مجالس السماع ومنها ما سمعه ابن رشيد على عالم المدينة عفيفي الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بالحرم النبوي جميع ثلاثيات البخاري، وصحيح مسلم وغيرها^(٢).

ونتوقع وجود مجالس للأمالي بحيث يملئ الشيخ على تلاميذه بعض علومه .

ج- الإجازات^(٣) العلمية:

لقد لاحظنا فيما سبق، كيف أن الطلبة ينتظمون في حلقات الدرس حول معلمهم، ويحرصون على حضور تلك الدروس، ولم يكن الطلاب يحصلون على شهادات دراسية جماعية، بل كانوا يحصلون على إجازات علمية فردية كما هو الحال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان علماء الحرم يتبعون في منح هذه الإجازات التقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة^(٤)، فإذا ما تحقق الشيخ من استيعاب الطالب للعلم، كتب له شهادة على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب الذي قام بدراسته معه؛ تفيد بأنه قرأ الكتاب على شيخه، وأتقن ما فيه، وتلك الشهادة تعد دليلاً على أن الطالب قد استوعب موضوع الكتاب وأنه مجاز بتدريسه وروايته للآخرين وتسمى تلك الشهادة «إجازة». ولم تكن تمنح تلك الإجازات إلا بعد التحقق من كفاءة الدارسين. ويشترط أن يكون المجيز عالماً، متقناً لغته، ثقة في دينه،

(١) الفاسي، العقد، ٣٠٩/١، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ٤٨٥ .

(٢) ملء العيبة، ٦٠/٥ - ٦١ .

(٣) مفرداً إجازة وتعني «إذن» من الأستاذ بتلميذه أن يروي عنه مروياته ومسموعاته أو بعضاً منها، عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، (ط٢)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٦م ص ٨٢ .

(٤) محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني (ط١)، دار العلوم، مكتبة النهضة الرياض ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٨ - ١٩ .

وأن يكون المستجيز من أهل العلم^(١). وغالباً ما يحصل الطالب على أكثر من إجازة من عدة شيوخ، وفي موضوعات مختلفة.

وفي ظل هذا النشاط العلمي في المسجد النبوي كثرت الإجازات العلمية التي تمنح طلبه العلم ومن أمثلتها الإجازة التي أعطاها أحد علماء المدينة وهو محمد بن أحمد التونسي المعروف بالوانوغي أحد علماء ومؤرخي مكة، وهو الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، فقد روى الفاسي أن الشيخ المذكور قد أذن له في تلك الإجازة بالإفتاء والتدريس في المذهب المالكي/ كما يبدي الوانوغي في إجازته إعجابه بالفاسي ويعلمه وفضله حيث يقول «فإني لم أر في فقهاء المالكية بالحجاز من يقاربه في جميع ما ذكر» ثم يختم إجازته بقوله «وقد أجزت له من ذلك أن يروي عني جميع ما يصح لي روايته من مروي ومصنف بشرطه، قاله وكتبه العبد المسمى أوله محمد بن أحمد الوانوغي المالكي نزيل الحرمين الشريفين بتاريخ ثاني ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة»^(٢).

وكان للنساء نصيب في الحركة العلمية والتدريس ومنح الإجازات العلمية، كما يتضح من الإجازة العلمية التي حصل عليها الرحالة ابن رشيد من امرأة تدعى أم الخير فاطمة البطانحي^(٣). ولم تكن المذكورة مقيمة في المدينة بل أتها رائرة حين قدمت للحج فجلست في المسجد النبوي وتصدت للتدريس فيه وأجازت عدداً من طلبه العلم ومنهم ابن رشيد^(٤).

(١) طرفة العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ) ص ٨٣.

(٢) العقد، ٣١٣/١ - ٣١٥.

(٣) هي فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطانحي، ولدت سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م «وسمعت الصحيح من ابن الزبيدي، وسمعت من غيره، وحدثت قديماً» توفيت سنة ٧١١هـ / ١٣١٠م، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣٠١، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/ ٢٨.

(٤) ملء العيبة، ٢١/٥.

٣ - المدارس :

ساهمت المدينة كغيرها من المدن والخواضر الإسلامية بنصيب وافر في الحركة العلمية؛ حيث أنشئت بها العديد من المدارس، التي ساهم في إنشائها الملوك والأمراء والوجهاء والتجار، وكان معظمها يقع بالقرب من المسجد النبوي. ومن أبرز المدارس التي قامت في المدينة، المدرسة الشهابية؛ التي أنشأها الملك المظفر شهاب الدين غازي^(١). وأوقفها على المذاهب الأربعة، ورغم أننا لا نعلم بالتحديد تاريخ إنشائها إلا أنه من المؤكد أن ذلك تم في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ووقف عليها أوقافاً بميفارقين^(٢)، ووقفاً بدمشق، كما أوقف عليها نخلاً بالمدينة^(٣). ويتضح أن الهدف من تلك الأوقاف أن تكون للمدرسة موارد مستمرة للصرف منها على المدرسين، والطلبة وترميم المدرسة، وتزويدها بما تحتاجه من أدوات ومستلزمات، وبالمدرسة قاعتان: كبرى، وصغرى^(٤).

وقد أوقفت بها الكثير من الكتب^(٥)، ومن ضمن من أوقف عليها من الكتب يحيى بن زكريا المعروف بابن زكري^(٦)، وإبراهيم بن حماد^(٦). لقد

(١) هو الملك المظفر غازي بن أبي بكر العادل بن أيوب صاحب ميفارقين وخلاط والرها وإربل، من ملوك الدولة الأيوبية كانت وفاته سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م، المقرئ، السلوك، ٢١٥/١، ٣١١، ٣٣٢، وقيل سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٢٣٣/٥.

وانظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ٢٥٥/٦، ٢٥٧، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٥ (ط ٥)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م) ص ١١٢.

(٢) ميفارقين، أشهر مدينة بديار بكر، ياقوت، معجم البلدان، ٢٣٥/٥.

(٣) السهمودي، وفاء، ٢٦٥/١، ١٢٩٨/٤، خلاصة، ص ٣٥٢.

(٤) السهمودي، وفاء، ٢٦٥/١.

(٥) السخاوي، التحفة، ٦٤/١، السهمودي، وفاء، ٢٦٥/١.

(٦) الفاسي، المعقد، ٤٣٥/٧ الذي ذكر وفاته سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، ويعرف أيضاً بمحيي الدين الحوراني، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، وحوار «كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار» ياقوت، معجم البلدان، ٣١٧/٢.

(٧) السخاوي، نفسه، ١١٣/١ - ١١٥.

استخدمت المدرسة الشهابية لغرضين؛ فقد كان الهدف الأساسي من إنشائها التعليم، ثم استخدمت للسكن وخاصة طلاب العلم، والوافدين إلى المدينة من المجاورين، الذين لا مسكن لهم، حيث يقيم بعضهم في الأربطة والمدارس، حتى يهيئوا لهم مكاناً للإقامة، وبعضهم يقيم في تلك الأربطة والمدارس حتى عودته أو وفاته^(١). ونظراً لشهرة المدرسة الشهابية وأهميتها؛ فلم يكن تعيين مدرس للتدريس بها أمراً سهلاً، بل يتطلب الأمر موافقة السلطان المملوكي، فقد سعى علي بن فرحون لدى قاضي القضاة بمصر لإصدار أمر بتعيينه بوظيفة مدرس بالمدرسة، فلم تتم الموافقة على ذلك إلا بعد إثبات أهليته لذلك المنصب فصدر له مرسوم من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون^(٢). ويتضح من ذلك أن السلطنة المملوكية كان لها حق الإشراف في تلك الفترة على المدرسة فيتم تعيين المشرف عليها، والمدرسين، من قبل السلطان المملوكي.

ولم تقتصر الأوقاف التي أوقفت على المدرسة على وقفيات المظفر غاري، بل كان لبعض أهل الخير دور هام فيها، فبعضهم اقتصرت أوقافه على بعض المذاهب، مثل يعقوب التونسي، الذي أوصى بإخراج خمسمائة دينار من ماله لشراء وقف بالمدينة يصرف ريعه على من بالمدرسة الشهابية من الطلبة المالكية والشافعية^(٣)، كما أوقف شمس الدين بن العجمي حديقة تسمى غشاوة على الطلبة الحنفية بالمدرسة^(٤).

ومن درس بالمدرسة الشهابية شخص يدعى عبد المنعم، يعتقد أنه كان وزيراً

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ، ٣١ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٤ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٦ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٧ ل أ.

لأمير المدينة يروى أنه «كان يجلس للتدريس والسيف معروض بين يديه»^(١). كما ذكر أن مدرس الفقه المالكي في المدرسة يدعى أبا اسحاق^(٢). ومن مدرسي الشهابية الحسن بن علي الأسواني^(٣) وأخوه شرف الدين الزبير^(٤). وكان للمدرسة بواب يقوم على خدمتها ومن هؤلاء شخص يدعى سعيداً^(٥).

ومن المدارس التي أنشئت في المدينة خلال تلك الفترة المدرسة الشيرازية ويظهر أن مؤسسها من أهل شيراز، غير أن المصادر لم تحدد فترة إنشائها، إلا أنه من الواضح أنها كانت موجودة أوائل القرن الثامن الهجري، وكان المشرف والقائم عليها الشيخ إبراهيم العريان؛ الذي أقام بها مدة خمسين سنة، وأسهم في ترميمها وعمارتها، كما اشترى نخلاً أوقفه عليها^(٦)، وبعد وفاته خلفه في إدارتها الشيخ سليمان الونشريسي^(٧).

ومن المدارس التي أسهم في إنشائها سلاطين وأمراء الهند المدرسة البنجالية التي أنشأها السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه صاحب بنجالة في

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب.

(٣) هو الحسن بن علي بن سيد الكل، العز الأسواني، جاور بالمدينة نحو العشرين سنة. ابن حجر، الدرر، ١١٣/٢، السخاوي، التحفة، ٤٨٥/١.

(٤) الزبير بن علي بن سيد الكل الأسواني أبو عبد الله المصري، ولد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م وتوفي بالمدينة سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ابن حجر، نفسه، ٢/٢٠٥ - ٢٠٦، السخاوي، نفسه، ٧٦/٢ -

٧٨، وعن تدريس المذكورين في الشهابية انظر، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ - ٤٠.

(٥) السخاوي، نفسه، ١٦٤/٢.

(٦) توفي بالمدينة سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٧ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ١٥٤/١.

(٧) توفي سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل ب، السخاوي، نفسه، ١٨٩/٢.

الهند^(١) وكان موقعها بمكان يقال له الحصن العتيق^(٢) عند باب السلام^(٣)، وقيل عند باب الرحمة^(٤) وهما من أبواب الحرم «ورتب بها مدرسين وطلبة، وجعل لها وقفاً»^(٥). كما أنشأ السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه^(٦) سلطان كليجة بالهند مدرسة بالمدينة قرب باب الرحمة سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م وذكر أن السلطان المذكور بعث مالا جزيلاً ليعمر له مدارس بمكة والمدينة والقدس^(٧).

ومن المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي؛ المدرسة الأشرفية التي أمر بإنشائها السلطان المملوكي الأشرف قيتباي ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الذي أصابه سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، وكان موقعها بين بابي السلام

(١) هو أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين غياث الدين أبي المظفر السجستاني الأصل «كان حنفياً ذا حظ من العلم والخير محباً في الفقهاء والصالحين شجاعاً كريماً جواداً» مات سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م، الفاسي، العقد، ٣/ ٣٢٠-٣٢١ المقرزي، تقي الدين أحمد بن علي، در العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، دراسة وتحقيق محمد كمال الدين علي، ج ٢ (ط ١)، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص ٥٠٩، السخاوي، الضوء، ٢/ ٣١٣، السخاوي، التحفة، ٣٣٣/١.

(٢) هذا المكان أحد أحياء المدينة في العصر المملوكي سبق ذكره في الفصل الثالث.

(٣) الفاسي، العقد، ٣/ ٣٢٢، السخاوي، الضوء، ٢/ ٣١٣، التميمي، تقي الدين بن عبد القادر، الطبقات السنية، في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ج ٢ (ط ١)، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣٣٣/١.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣٣٣/١ وذكر أن إنشاءها تم حوالي سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م.

(٦) «أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شاه بن بهمن شاه شهاب الدين المغازي صاحب كليجة وما ولاها من بلاد الهند .. مات في رجب ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م» المقرزي، السلوك، ٤/ ٧٧٥، السخاوي، الضوء، ١/ ٢١٠.

(٧) ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٦٤٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤، ٢٧٧.

والرحمة، وأرسل إليها السلطان خزانة كبيرة وكتباً، كما ألحق بها بعض المرافق والمؤسسات التعليمية الأخرى، ومنها مكتب للأيتام، وسبيل، ويظهر أن السلطان أراد من إلحاق المكتب أو الكتاب بالمدرسة أن يواصل الطالب تعليمه في المدرسة بعد تخرجه من الكتاب^(١)، وقد استمرت المدرسة حتى العهد العثماني. وقد وصفها النابلسي^(٢) بأنها «على شكل قاعة بأربعة أرواين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبائيك الكبار من النحاس الأصفر وفي وسطها الميدان المقروش بالبلاط المنقوش مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط وشبائيكها مطلة على داخل الحرم النبوي من جهة الغرب قبالة الحجرة وفيها الخلوات للمجاورين، ولها شباك مطل على باب السلام».

ومن المدارس، المدرسة الباسطية التي أنشأها الزيني عبدالباسط^(٣)، والمدرسة الاركجية^(٤)، والمدرسة المزهرية للزيني كاتب السر^(٥)، والمدرسة السنجارية المقابلة لباب النساء^(٦)، ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن تلك المدارس إلا أنه من المحتمل أن يكون بناؤها ونظام التعليم فيها مشابهاً للمدارس الأخرى.

(١) السخاوي، الضوء، ٢٠٧/٦، السخاوي، التحفة، ٤١٠/٣ - ٤١١ السمهودي، وفاء، ٦٤٣/٢، السمهودي، خلاصة، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ابن إياس، بدائع، ٣/٣٢٩.

(٢) النابلسي، الرحلة، ص ٣٣٥ وقد أصبحت في عصر النابلسي (القرن الثاني عشر الهجري) محكمة.

(٣) ربما يكون عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الزين الدمشقي ثم القاهري ولد سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م بدمشق وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م دخل في سلك وظائف الدولة المملوكية ولا زال يترقى إلى أن أئثرى، وعمر الاملاك الجليلة ومنها مدارس بالقاهرة ومكة والمدينة، السخاوي، الضوء، ٢٤/٤ - ٢٧ السخاوي، التحفة، ٤٤٣ - ٤٤٨.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣١ ل ب، وقد استمرت المدرسة إلى أوائل القرن العاشر الهجري انظر السخاوي، التحفة، ٦٤/١.

(٥) السخاوي، التحفة، ٦٤/١.

(٦) السخاوي، التحفة، ٦٤/١.

والمدرسة الجوبانية التي ابتناها جويان بن تدوان نائب السلطان المغولي^(١) سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م، وجعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين جدار الشباك والحصن العتيق، على أمل أن يدفن فيها بعد وفاته، لكن لم يتم له ذلك لامتناع أمير المدينة عن دفنه فيها^(٢). إلا أنه من خلال الاطلاع على المصادر التي تحدثت عن مدارس مكة، كالبنجالية والقلبرجية التي بني مثل لها في المدينة، يمكن القول إن المدارس في المدينة إما أن تكون أربطة سابقة، أو منازل هدمت وأعيد بناؤها في موضعها، ليتناسب وأغراض المدرسة، وتقع أغلب تلك المدارس بجوار المسجد النبوي، وربما تتكون في الغالب من طابقين، يسكن الأعلى منها الطلبة، والأسفل المدرسون والمسؤولون عنها، ويكون في المدرسة في العادة قاعة كبيرة، أو قاعتان، كما هو الحال في المدرسة الشهابية، وذلك في الطابق الأسفل، وتخصص القاعة الكبيرة لإلقاء الدروس، فضلاً عن بعض المرافق الأخرى كالخلاوي وصهاريج المياه^(٣).

أما عن الموضوعات التي تدرس في تلك المدارس فتشمل القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه، والعقائد، والتصوف^(٤). يضاف إلى ذلك وجود مدارس تختص بمذاهب معينة، فمنها مدرسة للشافعية بناها الأمير

(١) جويان بن تروان نائب القان أبو سعيد بن خريندا، قتل على يد أبي سعيد سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م، الفيروآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٨ ل أ، ب ورقة ٢٣٩ ل أ، الفاسي، العقد، ٤٤٦/٣ - ٤٤٨، ابن حجر، الدرر، ٧٨/٢ - ٧٩ ابن فهد، إتحاف، ١٨٥/٣، السخاوي، التحفة، ٤٣١/١ - ٤٣٢.

(٢) السمهودي، وفاء، ٧٠٢/٢.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر، الفاسي، العقد، ١١٨/١، الفاسي، شفاء، ٣٣٠/١، ابن فهد، إتحاف،

٤٣٣ - ٤٣٢، ٣٧٢ / ٤، ٥٤، ٤٣٣.

(٤) ابن جابر الوادي آش، شمس الدين محمد بن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آش، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، جامعة أم القرى، تونس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٤٩.

خيرى بك^(١)، وعهد إلى أحد فقهاء الشافعية بالمدينة وهو علي بن عبد الله السهمودي بالتدريس فيها^(٢). ومن المدارس الحنفية المدرسة التي «بناها ياركوج»^(٣) أحد أمراء الشام، وعمل له فيها مشهداً نقل إليه من الشام^(٤). ومن الجدير بالذكر أن العطلات الدراسية كانت الثلاثاء والجمعة^(٥).

٤- المنازل والأربطة :

تعد المنازل من المراكز الهامة لطلب العلم في مختلف العصور الإسلامية وفي المدينة تلقى بعض طلبة العلم بعض علومهم على العلماء في منازلهم ومن هؤلاء الرحالة ابن رشيد الذي قرأ على الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى الفاسي في داره بالمدينة سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م^(٦).

ويحكم أن الأربطة يسكنها بعض من جاؤوا لطلب العلم، وانقطعوا إليه فنتوقع أن يكون فيها بعض الدروس سواءً للسالكين، أو لمن يأتي إليهم ويتدارس معهم في علم أو فن من الفنون^(٧).

(١) لم أتوصل إلى المعرفة الأكيدة لشخصية خيرى بك، فقد وردت عدة شخصيات بهذا الاسم جميعهم أمراء عشرات في دولة المماليك خلال القرن التاسع الهجري وهم خير بك بن حنثيث، السخاوي، التحفة، ٢٨/٢، السخاوي، الضوء، ٢٠٧/٣، خير بك الأشرفي برسباي، السخاوي، الضوء، ٢٠٨/٣، خير بك الأشرفي اينال، السخاوي، الضوء، ٢٠٨/٣، خير بك الظاهري خشقند، السخاوي، الضوء، ٢٠٨/٣-٢٠٩، خير بك القصري، وخير بك المؤيدي، السخاوي، الضوء، ٢٠٩/٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢٣٣/٣.

(٣) لم أتوصل إلى معرفة شخصيته فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) السهمودي، وفاء، ٦٩٢/٢، وفي السهمودي، خلاصة، ص ٣٤١، ياركوش، وفي هامش الصفحة ياركوج.

(٥) العياشي، الرحلة، ص ٢٠٤.

(٦) ابن رشيد، ملء العيبة، ٣٧/٥.

(٧) عن الأربطة انظر: الفصل الثالث، الحياة الاجتماعية، السكن.

ب- العلماء وأثرهم العلمي

لقد شهدت المدينة في العصر المملوكي حركة علمية واسعة؛ نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم إليها من مختلف أقطار العالم الإسلامي إما للإقامة الدائمة فيها، أو للمجاورة لفترة من الزمن، أو لتلقي العلم بها، كما مر بها عدد من العلماء والرحالة الذين قدموا للحج والعمرة والزيارة، يضاف إلى ذلك قدوم عدد من العلماء لتولي وظائف دينية أو إدارية. ساهم هؤلاء جميعاً في إثراء الحركة العلمية في المدينة. وعلى هذا يمكن القول إن المدينة بحكم موقعها وأهميتها الدينية، تعد من المراكز العلمية الهامة في العالم الإسلامي خلال تلك الفترة، وكان لتعدد مؤسسات التعليم بها من أبرز العوامل التي دفعت طلبة العلم للقدوم إليها؛ ومن أهمها المسجد النبوي بما يحتويه من حلقات العلم، والمدارس والأربطة بما تحويه من خزائن كتب وبما تضمه من مدرسين.

من أبرز العلماء الذين ساهموا بنصيب وافر في الحركة العلمية الإمام العلامة سراج الدين عمر بن أحمد بن ظافر بن طراد بن أبي الفتوح الحضري الأنصاري الشافعي المعروف بالسراج^(١). وقدم المدينة من مصر سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م متولياً الخطابة، وكانت الخطابة قبل ذلك ومنذ أن تولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م بأيدي آل سنان، ولم يلبث أن أضيف له القضاء، كان السراج يجلس في المسجد النبوي لإلقاء دروسه على طلبة العلم وقد وصفه ابن فرحون؛ بأنه «كان رحمه الله فقيهاً مجيداً أصولياً نحويّاً متقناً في علوم جمّة»^(٢) كما أثنت مصادر أخرى عليه وذكرت براعته في الفقه والأصول^(٣).

(١) توفي سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٤.

(٢) نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، ورقة ٨٧ ل أ.

(٣) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٧٢/٢ وأشار إليه بالسراج السويدي، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة

٢٤٨-٢٤٩، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤-٢٢٥ السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٢-٣١٧.

ومن علماء المدينة أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين محمد ابن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المالكي الذي درس الفقه المالكي في المدرسة الشهابية، والمسجد النبوي^(١)، وخلفه في علمه والتدريس ابنه البدر عبد الله^(٢) وقد أدى الخلاف بين السراج ومحمد بن فرحون وابنه عبدالله على التدريس في المدرسة الشهابية والمسجد إلى تعزيز الفقه المالكي، وانتشار المذهب المالكي في المدينة. وقد عبر عن ذلك ابن فرحون بقوله «ومن يومئذ استمر حال المالكية وظهر أمرهم وقوي مذهبهم وكثرت جماعتهم وأولادهم فقرؤوا الكتب المطولة وفقهوا»^(٣).

ومن العلماء الذين كان لهم تأثير واضح في الحركة العلمية في المدينة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري الخزرجي العبادي المعروف بالمطري^(٤)، الذي وصفه ابن فرحون «بالإمام العلامة أقضى القضاة... كان إماماً في الحديث والتاريخ والفقه والمشاركة في العلوم»^(٥).

وقد تولى رئاسة الأذان بالمسجد النبوي، ثم نيابة القضاء والخطابة والإمامة، وكانت له مشاركة في كثير من العلوم ومنها التاريخ حيث صنف كتاباً في

(١) توفي سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل ب - ٣٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٧٠٦/٣ - ٧١٠.

(٢) توفي سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٤ - ٤٥٩ وقد وصفه بأن «كان من أكابر الأئمة الاعلام ومصاييح الظلام عالماً بالفقه والتفسير وفقه الحديث ومعانيه».

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل أ.

(٤) توفي ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٦٧.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل أ.

تاريخ المدينة^(١). وقد التقى به الرحالة البلوي^(٢) بالمسجد النبوي وسمع عليه الكثير من أحاديث الرسول ﷺ، ووصفه بأنه «من أعظمهم رياسة وأكرمهم سيادة وسياسة».

ومن العلماء الذين استقروا في المدينة لبعض الوقت، وكان له تأثير في علمائها وطلبة العلم بها، عفيف أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي^(٣) وصفه ابن فرحون^(٤) بأن «مناقب الشيخ وكراماته وأحواله وعلومه ومصنفاته ومجاهداته لا يحصرها حد ولا تنتهي بالعد». وقد صنف في التصوف وأصول الدين^(٥).

ومن العلماء الذين جاؤوا بالمدينة لأكثر من خمسين سنة، وأصبحت لهم مكانة علمية بها الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري، ثم المدني الحنبلي^(٦) الملقب بالتمار، وقد التقى به الرحالة العبدري في المدينة فاستجازه فأجازه لفظاً في كل ما يحمل من العلم^(٧). كما لقيه ابن رشيد في رحلته إلى المدينة فاستجازه فأجازه وأسمعه بعض الأحاديث وشيئاً من شعره^(٨)، وتعدده بعض المصادر محدث المدينة خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري^(٩).

(١) الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ، ابن حجر الدرر، ٤٠٣/٣ - ٤٠٤.

(٢) تاج المفرق، ٢٩٤/١.

(٣) نفسه ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م، السخاوي، التحفة، ٢٩٦/٢.

(٤) نصيحة، ورقة ٥٧ ل ب، ٥٨ ل أ.

(٥) السبكي، طبقات، ١٠٣/٦، الاسنوي، طبقات، ٥٧٩/٢ ابن قاضي شبة، تاريخ، ٩٥/٣ - ٩٦.

ابن حجر، الدرر، ٣٥٢/٢ - ٣٥٤ السخاوي، نفسه، ٢٩٤/٢ - ٢٩٧.

(٦) توفي سنة ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م، السخاوي، التحفة، ١٧/٣ - ١٨.

(٧) الرحلة، ص ٢٠٧.

(٨) ملء العيبة، ٦٠/٥ - ٦٣.

(٩) الفاسي، العقد، ٤٢٩/٥ - ٤٣٠، السخاوي، نفسه، ١٧/٣ - ١٨.

ويعطي ابن فرحون^(١) صورة عن الحركة العلمية في المسجد النبوي، حيث تحدث عن ازدهاره بالعلماء وبخاصة في الروضة الشريفة، وتعدد حلقات العلم، وقد ذكر ما يقرب من ٢٥٠ عالماً وطالب علم عاصرهم وسمع منهم وذكر السخاوي^(٢) أعداداً من العلماء وطلبة العلم في المدينة خلال العصر المملوكي. أما الفاسي^(٣) فرغم أنه خصص كتابه العقد الثمين لتراجم أعيان وعلماء مكة، فقد ترجم لبعض علماء المدينة ممن لهم صلة بمكة، أو طلبه علم وعلماء مكين وفدوا إلى المدينة، حيث ذكر ما يصل إلى خمسين ترجمة بينهم امرأتان^(٤) أسهمت في الحركة العلمية في المدينة. كما ذكر أكثر من عشرين قاضياً تولوا القضاء في المدينة خلال تلك الفترة، كما أشار في كتابه الآخر ذيل التقيد^(٥) إلى عدد من علماء المدينة أو ممن وفد إليها.

ومثل هذا العدد الوفير من العلماء الذي أوردته تلك المصادر وغيرها، لا بد أن يكون له تأثير بالغ في الحركة العلمية، ورغم الفروق الزمنية التي تفصل بين ابن فرحون والفاسي، والسخاوي؛ فإن هناك استمرارية في العطاء العلمي للحركة العلمية في المدينة. كما ازدهرت حركة التأليف، ونمت المؤسسات التعليمية الأخرى، كالمدارس والأربطة والمكتبات، وعزز ذلك كله مكانة المدينة العلمية بين أقرانها من المدن الإسلامية.

(١) نصيحة ورقة ٨٢ ل أ - ب.

(٢) من خلال كتابيه التحفة اللطيفة، والضوء اللامع.

(٣) سبق ذكر بعضهم وسيرد ذكر البعض الآخر لاحقاً.

(٤) هما أم ريم بنت علي بن ثاقب، القرشية السهمية المكية، الفاسي، العقد، ٣٤٢/٨ وأم الخير، عائشة بنت القاضي شهاب الدين الطبري، الفاسي، العقد، ٣٣٨/٨.

(٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، ذيل التقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق محمد صالح المراد ج ١ (ط ١)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ٥٧ - ٥٨، ٦٧، ٧٩، ٨٨ - ٨٩، ٢٢٢، ٢٨١ - ٢٨٢.

ج - الأسر العلمية

نظراً للمكانة الدينية والعلمية للمدينة؛ التي تقوم على وجود المسجد النبوي بالدرجة الأولى، ثم رعاية سلاطين الممالك بما خصصوه من أوقاف للحرم النبوي، والمدارس، والأربطة والمرافق الاجتماعية الأخرى، فقد اجتذبت أعداداً كبيرة من الناس الذين تولى بعضهم وظائف دينية وإدارية، وتلقى البعض الآخر العلم على يد علمائها، فاستقر البعض منهم فيها وتزوجوا وتناسلوا، فعدوا من أهلها فبرز في أبنائهم وأحفادهم علماء وفقهاء، تولى بعضهم مناصب دينية رفيعة في المدينة، ومهر أبنائهم وأحفادهم من بعدهم فأصبح لهم شأن في مختلف العلوم والفنون، وساهموا بنصيب وافر في إثراء الحركة العلمية في المدينة، فتكونت نتيجة لذلك أسر علمية وضع أثرها في العصر المملوكي واستمر الأثر العلمي والاجتماعي لبعضها حتى العصر العثماني ومنها:

١ - أسرة المطري :

تنسب هذه الأسرة إلى أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري^(١).

وفي أوائل العصر المملوكي لم يكن بالمدينة «من يوثق به في معرفة الأوقات وتحريها». فبعثوا لها ثلاثة من المؤذنين من بينهم أحمد بن خلف فقطن المدينة وصار رئيس المؤذنين بها^(٢). وولد له سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م^(٣) ابنه محمد فنشأ نشأة دينية صالحة، وخلف والده في رئاسة المؤذنين بالمسجد النبوي، وكان كما وصف «إماماً في الحديث والتاريخ والفقه والمشاركة في العلوم»^(٤). أنجب

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ.

(٢) السخاوي، التحفة، ١٧٨/١.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغام (خ)، ورقة ٢٦٢ ل أ، ٢٦٣ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٤٠٣/٣، السخاوي، نفسه، ٤٦٦/٣ - ٤٦٩.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، وقد سبق الحديث عن علمه ووظائفه وسيرد لاحقاً عن مؤلفاته.

محمد بن أحمد عدداً من الأبناء من بينهم الشيخ الإمام العلامة أبو السيادة عفيف الدين عبد الله، وقد ولد بالمدينة سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م وذكر أنه زاد على والده «بالمشيخة في الحديث ولقاء الشيوخ»^(١) فقد رحل إلى العراق ومصر والشام وكثير من الأقاليم. وأصبح إماماً في علمي الرجال والحديث، وانتهت إليه مشيخة الصوفية بمكة والمدينة^(٢). وقد التقى الرحالة ابن بطوطة^(٣) به وبوالده وأثنى عليهما. وكان أحد المؤذنين بالمسجد النبوي ثم أصبح رئيساً للمؤذنين^(٤). وكان على درجة كبيرة من العلم والتأليف في كثير من الفنون من بينها الفقه والحديث والتاريخ^(٥).

كانت وفاته بالمدينة سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م ولم يعقب^(٦).

ومن أفراد هذه الأسرة ممن كان لهم مكانة علمية محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف المطري ابن أخي العفيف عبد الله السابق الذكر، وقد ولد بالمدينة سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، ولي رئاسة المؤذنين بالحرم النبوي، كجده وعمه، كما تولى قضاء المدينة وخطابتها، وحدث ودرس وأفتى، وقد تتلمذ على يديه فقهاء ومحدثون ومؤرخون منهم التقي بن فهد، والتقي الفاسي، كانت وفاته بمكة سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م^(٧).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، السخاوي، نفسه، ٣٨٨/٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٤٨، ل أ- ب.

(٣) الرحلة، ص ١٤١.

(٤) السخاوي، نفسه، ٣٨٧/٢.

(٥) ابن حجر، نفسه، ٣٩١/٢.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم، ورقة ٢٤٨ ل ب.

(٧) ابن حجر، إنباء، ٦ / ١٢٨ - ١٣٠، السخاوي، الضوء، ٢٩٩/٧ - ٣٠٠، السخاوي، التحفة،

٦٢٧ - ٦٢٩، وذكر الفاسي، أن لعبد الرحمن بن محمد ولدين باسم محمد، أحدهما يلقب

بالشمس كان رئيس المؤذنين بالحرم المدني وتوفي بمكة سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م والآخر يلقب بالرضي،

كان قاضي المدينة وخطيبها وإمامها توفي بمكة سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨هـ العقد، ١٠٦ / ١٠٥.

٢- أسرة الزرنندي:

تنسب هذه الأسرة إلى عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبد الله الزرنندي^(١).

ولد سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م ورحل في طلب العلم إلى بغداد والشام ومصر وغيرها. ثم استقر به المقام في المدينة وسكن رباط الأصهباني، وتصدى لتدريس الحديث في المسجد النبوي، وكانت وفاته بطريق العراق سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م^(٢).
أنجب يوسف ثلاثة أبناء أصبحوا من كبار العلماء وهم: شمس الدين محمد، وشهاب الدين أحمد، ونور الدين علي^(٣). ولد أكبرهم شمس الدين محمد بالمدينة سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م وتعلم بها، ثم درس الحديث والفقه بالحرم النبوي، وله مؤلفات عديدة^(٤) وقد ارتحل إلى شيراز^(٥) فتولى بها القضاء «وكان فيها علماً يشار إليه». اتفقت المصادر على وفاته بشيراز واختلفت في سنة الوفاة^(٦).

(١) ابن حجر، الدرر، ٥/ ٢٢٨.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٥/ ٢٢٨.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٥/ ٦٣، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١ (د. ط، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٦هـ) ص ٧٤٧ علي السيد علي، الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين الماليك (ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص ١٦٨.

(٥) شيراز بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٨٠.

(٦) ذكر ابن فرحون، نفسه، وفاته سنة ٧٤٧هـ / أو ٧٤٨هـ / ١٢٤٩ أو ١٢٥٠ م أما الفيروزآبادي، فذكر وفاته سنة ٧٥٩هـ / ١٢٦٠م، المغام (خ)، ورقة ٢٦٢ ل أ، وذكر ابن حجر، وفاته في بضع وخمسين وسبعمائة، نفسه ٥/ ٦٣.

خلف شمس الدين محمد عدداً من الأبناء أكبرهم سراج الدين عبد اللطيف المكي أبو أحمد، درس الحديث في الحرم بعد وفاة والده كما حدث بتاريخ المدينة للمطري، وكانت وفاته بها سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م^(١). وخلف من الأبناء، أبا طاهر أحمد، وأبا الفضل محمد، أما الأول فلم أعثر له على ترجمة، أما أبو الفضل محمد فقد كان طالب علم تتلمذ على أحد علماء المدينة وهو الجمال محمد بن أحمد الكارروني^(٢).

خلف محمد ابناً اسمه عبد اللطيف وقد ولد بالمدينة سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م ودرس على كبار علمائها كأبي الفرج والزين المراغي والجمال الكارروني وغيرهم، مات مقتولاً في اللجون^(٣) بدرب الشام بعد سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤١م^(٤). وخلف ابناً هو الشمس محمد الذي ولد سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤١م وتلقى العلم في المدينة^(٥). مما سبق يتضح أن كلا من أبي الفضل محمد وابنه عبد اللطيف وحفيده محمد لم تكن لهم مكانة علمية واضحة في المدينة ولم يتولوا وظائف دينية فيها بل كانوا طلاب علم فقط.

أما الابن الثاني لمؤسس الأسرة فهو شهاب الدين أحمد بن يوسف ولد بالمدينة سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م^(٦)، ولقب بالبرهان القراري الشمس أبي العباس ابن العز الأنصاري الزرندي المدني الصوفي رحل في طلب العلم إلى بغداد والقاهرة، ووصف بالشيخ الإمام العالم العامل المرحوم، أنجب ولدين أحدهما

(١) السخاوي، التحفة، ٧٢/٣ - ٧٣.

(٢) السخاوي، الضوء، ٧٨/٨.

(٣) اللجون، بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، ياقوت، معجم البلدان، ١٣/٥.

(٤) السخاوي، الضوء، ٣٣٦/٤، السخاوي، التحفة، ٧٢/٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ٧٨/٨، السخاوي، التحفة، ٦٥٣/٣.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٧٢/١ - ٢٧٣.

عبد الله الذي حوى كما يذكر ابن فرحون^(١) «كل العلوم المتداولة بين الناس وحفظ اثني عشر كتاباً في فنون متعددة، سافر به والده إلى دمشق فرأس وبرع واشتهر وولي الوظائف الجليلة» وقد توفي شهاب الدين أحمد وابنه عبد الله في الطاعون بالشام سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م^(٢). أما الابن الثاني لشهاب الدين أحمد فهو محمد، فقد سافر لطلب العلم إلى العراق ومصر والشام، «وتصوف واشتغل بالعلم ولا سيما علم الفرائض»^(٣). ودرس بالمدينة بعد وفاة والده ثم رحل إلى شيراز وأقام مع عمه محمد بن يوسف حينما كان بها قاضياً وبعد وفاة عمه ارتحل إلى كازرون، وبها توفي بعد ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م^(٤).

أما الابن الثالث لمؤسس الأسرة فهو نور الدين علي بن يوسف ولد بالمدينة واختلف في عام مولده ما بين سنة ٧٠٣هـ و ٧١٠هـ و ١٣٠٣م و ١٣١٠م^(٥) وصفه ابن فرحون^(٦) «أنه حاز من العلوم ما لم يحزه أخواه» أي محمد وأحمد، وأصبح إماماً في علم اللغة والحديث والرجال، وولي قضاء الحنفية والحسبة بالمدينة سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م^(٧). وقيل ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م^(٨)، وصفه

(١) نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٧٣/١.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤٦٢/٣.

(٤) السخاوي، نفسه، ٥١٣/١ - ٥١٤.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢١٧/٣، السخاوي، نفسه، ٢٦٨/٣.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ.

(٨) ابن حجر، الدرر، ٢١٧/٣، السخاوي، التحفة، ٢٦٩/٣، وما ذكره ابن فرحون هو الأصح لمعاصرتة للمذكور وذكر السخاوي، أن المذكور تولى القضاء والحسبة سنة ٧٦٦هـ أيام الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور التحفة، ٢٦٩/٣ أي أن هذا التاريخ وما بعده يوافق سلطنة الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني الذي تولى السلطنة بين ٧٦٤هـ - ٧٧٨هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٧م، =

أبو حامد محمد بن عبد الرحمن المطري^(١) «بالشيخ الإمام العلامة المحدث قاضي قضاة الحنفية». هو أول قضاة الحنفية بالمدينة كان شافعيًا فتحول فصار حنفيًا^(٢). كانت حياته حافلة بالعلم والعمل والتأليف، توفي بالمدينة سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م^(٣).

ألحج نور الدين علي عددًا من الأبناء بينهم عبد الرحمن، الذي ولد بالمدينة سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م، اشتغل بالفقه وولي قضاء الحنفية بالمدينة سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م كما تولى حاسبة المدينة أيضًا^(٤)، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م^(٥).

وفي أوائل القرن التاسع الهجري برز من أفراد هذه الأسرة محمد بن محمد بن علي الزرندي الشافعي الذي ولي قضاء المدينة وخطبتها سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ومات بالطاعون في القاهرة سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م^(٦)، ومن علماء الأسرة أيضًا علي بن يوسف بن محمد بن علي الزرندي الذي ولي حاسبة المدينة عوضاً عن قريبه قاضي الحنفية علي بن سعيد وكانت وفاته سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م^(٧).

= ابن إياس، بدائع، ٣/١، بينما كانت سلطنة ناصر الدين حسن الأولى بين ٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م، والثانية بين ٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦١م لين بول، الدول الإسلامية، ١/١٧٣.

(١) السخاوي، الصفحة، ٣/٢٧٠.

(٢) ابن إياس، بدائع، ١/٩٤.

(٣) الفيروآبادي، المغام، (خ) ورقة ٢٥٥ ل ب، وذكر كل من ابن حجر، والسخاوي، وفاته سنة ٧٧٢هـ الدرر، ٣/٢١٧، الصفحة، ٣/٢٧٠.

(٤) ابن حجر، إنباء، ٧/١٥٦، وفي السخاوي، الضوء، ٤/١٠٦، الصفحة، ٢/٥١٨-٥١٩ أنه ولي القضاء سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م.

(٥) ابن حجر، إنباء، ٧/١٥٦.

(٦) ابن حجر، إنباء، ٧/٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/١٦٧.

(٧) السخاوي، الصفحة، ٣/٢٧٣ كما سبقت الإشارة إلى عدد من أفراد الأسرة الآخرين ممن تبوؤوا وظائف دينية مثل محمد بن عبد الوهاب الزرندي وأبنائه/ سعد وسعيد، وعلي بن سعيد، ومحمد ابن سعيد.

٣- أسرة ابن فرحون

قدمت هذه الأسرة - كما تقدم - من تونس، وتنسب إلى أبي عبد الله محمد بن الفضل أبي القاسم فرحون بن محمد اليعمري الأبدى الجياني التونسي. ولد في تونس ونشأ بها واشتغل بالعلم على شيوخ بلده، وبرع في الفقه والأصول والعربية وشارك في علوم عديدة، ثم استوطن المدينة قبل سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وتزوج بها، فرزق خمسة ذكور، وشارك مشاركة فعالة في الحركة العلمية في المدينة فدرس بالمسجد النبوي والمدرسة الشهابية، وكان له أثر كبير في نشر المذهب المالكي بالمدينة، وكانت وفاته سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م^(١). خلفه في علمه وفقهه ابنه الأكبر البدر عبد الله، فقد ولد بالمدينة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وتفقّه على والده، كما تلقى العلم على كثير من علماء المدينة وفقهائها وصفه ابن أخيه البرهان إبراهيم^(٢) في طبقاته بقوله «كان من أكابر الأئمة الاعلام، ومصابيح الظلام، عالماً بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه... وكان بارعاً في علم العربية، وتأليفه فيها شاهدة له بذلك... وكانت مشاركته في أصول الدين مشاركته حسنة، وحدث ودرس وأفاد، وإليه انتهت الرئاسة بالمدينة، أقام مدرساً للطائفة المالكية، ومتصديراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد، فلم يكن في المدينة أعلى سناً وسنداً منه، وكان صبوراً على السماع والأشغال، وكان كهفاً لأهل السنة، يذب عنهم، ويناضل الأمراء والأشراف» هذا الوصف البليغ لهذه الشخصية العلمية، يدل على علو مكانته ومنزلته عند أهل المدينة، وما أداه من دور في مجتمع المدينة خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري؛ من دفاعه عن

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١١ - ١١٤.

(٢) الديباج، ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥.

عقيدة أهل السنة في وجه مناوئها من الأشراف وقضاة الإمامية المتنفذين، فكان دوره كبيراً في إضعاف شأن القضاة الإمامية ثم عزلهم كليةً عن القضاء بعد أن ناب في القضاء ابتداءً من سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م^(١) وله مؤلفات كثيرة أوردتها بعض المصادر^(٢)، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م^(٣).

أما الابن الثاني نور الدين علي بن محمد بن فرحون فقد ولد سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م في المدينة، وتعلم على والده، كما أخذ العلم على عدد من فقهاء، ثم ارتحل لطلب العلم إلى القدس ودمشق ومصر والمغرب، وعاد بعد ذلك إلى المدينة فتصدى لتدريس الفقه والعربية في المسجد النبوي واشتغل في آخر عمره بالنظر في كتب التصوف، وقد ذكره أخوه ابن فرحون^(٤) بقوله «أخي نور الدين أبو الحسن علي واسمه من العلو والدين مع ما حوى من علمي الفقه والأصول والعربية والحديث واللغة والمعاني والبيان مع المشاركة العظيمة في سائر العلوم» ويبدو أن له مكانة عند أمراء المدينة من الأشراف فقد ذكر صاحب الديباج^(٥) أنه «كانت له وجاهة عظيمة عند أمراء المدينة، وكان مقصداً للشفاعات إليهم فلا ترد له شفاعته في غالب الأمر»^(٦) وقد توفي في المدينة سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م.

(١) ابن فرحون، نصيحة، ٤٥٦/١ - ٤٥٧، الفيروزآبادي المغانم (خ) ورقة ٢٥٢ ل ب الفاسي، العقد، ٢٩٤/٢ ابن حجر، الدرر، ٤٠٦/٢ - ٤٠٧، السخاوي، التحفة، ٤٠٧/٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ٤٥٧/١، السخاوي، نفسه، ٤٠٨/٢.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ٤٥٩/١، السخاوي، نفسه ٤٠٤/٢ محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٠٣، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ج ١ (د. ط، مكتبة المثنى - بغداد د. ت) ص ٤٦٧.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٤ ل ب.

(٥) ابن فرحون، الديباج، ١٢٥/٢.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٥ ل أ، ابن فرحون، الديباج، ١٢٦/٢ ابن حجر، الدرر، ١٩١/٣، السخاوي، التحفة، ٢٥٣/٣، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٠٣.

خلف علياً من الأبناء إبراهيم الذي يعد من أبرز علماء هذه الأسرة، وقد ولد في المدينة نحو سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م^(١)، ونشأ بها وقرأ على علمائها، ولي قضاء المالكية في المدينة، في الفقه والطبقات وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م^(٢).

إضافة إلى ذلك أنجبت هذه الأسرة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين علماء وقضاة آخرين بينهم أحمد بن عبد الله بن فرحون، الذي ولد بالمدينة وتفقه على يد علمائها ثم رحل إلى مصر وأقام بها، صدر قرار بتعيينه قاضياً للمالكية بالمدينة مكان أخيه المحب أبي عبد الله، وتوفي سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م^(٣).

ومن علماء الأسرة أبو اليمن محمد بن إبراهيم بن علي بن فرحون قاضي المدينة المتوفى سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م^(٤)، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن فرحون قاضي المدينة أيضاً للمالكية المتوفى سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م^(٥).

٤- أسرة الخجندي :

تنسب هذه الأسرة لأحمد بن محمد بن محمد الخجندي، ولد المذكور سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م بسرى بركة بما وراء النهر وارتحل لطلب العلم إلى سمرقند وبخارى وخوارزم والقرم ودمشق ومكة والخليل وبيت المقدس وبغداد، ثم حط

(١) ابن حجر، إنباء، ٣/٣٣٨، السخاوي، نفسه، ١/١٣١.

(٢) ابن حجر، الدرر، ١/٤٩، ابن حجر، إنباء، ٣/٣٣٨، السخاوي، التحفة، ١/١٣٢، بابا التنبكتي، نيل، ص ٣٤-٣٥، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/٣٥٧، حاجي خليفة، كشف، ١/٧٦٢، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٢٢.

(٣) ابن حجر، الدرر، ١/١٩٦، ابن حجر، إنباء، ٣/٣٧، السخاوي، التحفة، ١/١٩٤.

(٤) السخاوي، الضوء، ٦/٢٦٤.

(٥) ابن حجر، ذيل الدرر، ص ٢٧٤، ابن حجر، إنباء، ٧/٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/١٢٧، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/١٥٨.

الرحال أخيراً في المدينة واستوطنها سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م^(١)، وأقام بها أكثر من أربعين سنة، يحدث ويدرس ويفتي فانتفع بعلمه الناس، وصنف كتباً عديدة، وكانت له مكانة علمية كبيرة في المدينة توفي بها سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م^(٢).

وقد أنجبت هذه الأسرة عدداً من الفقهاء؛ بينهم عز الدين طاهر بن أحمد ابن محمد الخجندي، الذي ولد بالمدينة سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، وتفقّه على يد والده وشيوخ عصره، وقد حدث ودرس بالمسجد النبوي وبمنزله، وتولى مشيخة المدرسة الكلبرجية^(٣) بعد إنشائها بشرط واقفها وجعلها لذريته أيضاً^(٤) توفي بالمدينة سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م^(٥). أما أخوه إبراهيم بن أحمد فقد ولد بالمدينة سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م، ونشأ بها، وتلمذ على شيوخها، «وبرع في العربية ومعاني الأدب. وجمع لنفسه ديواناً، وأنشأ عدة رسائل بحيث انفرد في طيبة بذلك... كما درس وحدث بالبخاري وغيره»^(٦) وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م^(٧).

خلف إبراهيم ابناً اسمه محمد الذي ولد بالمدينة سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م. وبها نشأ، ودرس على شيوخ عصره، وحينما اقترح الأمين الأقصري على

(١) السخاوي، التحفة، ٢٥٣/١-٢٦٤.

(٢) ابن حجر، إنباء، ١٥٤/٤، السخاوي، الضوء، ٢ / ١٩٤، وفي التميمي أن وفاته سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، الطبقات ٨٩/٢.

(٣) سبق ذكرها وهي للشهاب أحمد صاحب كلبرجة بالهند، السخاوي، التحفة، ٦٤/١.

(٤) السخاوي، التحفة، ٢٥٦/٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٣/٤، التميمي، نفسه، ١٠٥/٤-١٠٦.

(٦) السخاوي، التحفة، ١٠٥/١-١٠٦.

(٧) السخاوي، الضوء، ٢٥/١، التميمي، الطبقات، ١٧٦/١-١٧٧.

طوغان شيخ سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م إحداث إمام للحنفية بالمدينة تقرر أن تكون بين المذكور ومحمد بن علي بن محمد بن علي الزرندي، غير أن الزرندي لم يباشرها، فقام بها محمد الخجندي حتى وفاته سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م^(١).

ومن علماء الأسرة الخجندية محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي ولد بالمدينة سنة ٨٧٣ / ١٤٦٨م، ونشأ بها، ودرس على شيوخ عصره؛ ومنهم علي بن عبد الله السمهودي فقيه المدينة وعالمها^(٢)، ورحل إلى مصر لطلب العلم، ثم أصبح بعدها إماماً لمقام الحنفية بالمسجد النبوي خلفاً لعمه البرهان إبراهيم، وشاركه في الإمامة أخوه علي^(٣)، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاة محمد الخجندي أما أخوه علي فقد درس وأفتى وناب في القضاء، وكانت وفاته بينبع سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م^(٤).

٥- أسرة ابن صالح

تنسب هذه الأسرة إلى صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الكناني المصري الأصل ثم المدني، الذي كان يعمل صانعاً مبيضاً بالحرم النبوي الشريف^(٥)، غير أن أبناءه وأحفاده حرصوا على طلب العلم، فبرز منهم علماء، تولى بعضهم وظائف دينية مختلفة. ألحج المذكور ولدين أحدهما يدعى علياً كان رجلاً صالحاً خدّم في مشهد حمزة بن عبد المطلب بالقرب من جبل أحد^(٦).

(١) السخاوي، الضوء، ٢٤٥/٦، السخاوي، التحفة، ٤٥٠-٤٥٢.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢٢٧/٣-٢٣٥.

(٣) السخاوي، التحفة، ٤٩٤/٣.

(٤) السخاوي، التحفة، ٢١٧/٣.

(٥) السخاوي، نفسه، ٢٢٨/٢-٢٢٩.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٥ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢٢٤/٣.

أما الآخر فهو محمد الذي ولد بالمدينة سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ونشأ وتعلم بها وصفه ابن حجر^(١) بأنه «كان عارفاً بالقراءات فاضلاً خطب بالمسجد النبوي وأم به» وذكره السخاوي بقوله «كان فاضلاً خيراً عارفاً بالقراءات ذا خبرة، شيخ القراء بطيبة، بل وصفه بعضهم بالشيخ المسند». ويتضح مما ذكرته المصادر أنه كان من شيوخ القراءات بالمدينة، وقد انتفع بعلمه أهلها والقادمون إليها. كما ناب في الخطابة والإمامة بالحرم الشريف، وله مؤلف في تاريخ المدينة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م^(٢).

ومن علماء هذه الأسرة عبد الرحمن بن محمد بن صالح، ولد^(٣) ونشأ بالمدينة، وتفقه على علماء المدينة من بينهم جده لأمه البدر عبد الله بن محمد ابن فرحون، وناب في القضاء الشافعي بالمدينة ثم استقل به منذ سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م^(٤) كما ناب في الإمامة والخطابة ثم وليها سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م، غير أن ابن حجر^(٥) وصفه بأنه «كان مزجي البضاعة»^(٦)، إلا أن غيره وصفه بالفضل^(٧)، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م^(٨).

أما أخوه محمد، فقد ولد في المدينة سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، ونشأ بها، وقرأ علومه على فقهاءها، ومن بينهم بدر الدين بن الخشاب قاضي المدينة،

(١) ابن حجر، الدرر، ٧٦/٤.

(٢) ابن حجر، إنباء، ١٥١/٢، السخاوي، نفسه، ٥٨٥/٣ ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٢٨٩/٦.

(٣) لم تحدد المصادر عام مولده.

(٤) السخاوي، الضوء، ١٣١/٤، السخاوي، التحفة، ٥٣٣/٢.

(٥) ذيل الدرر، ص ٢٩٣، إنباء، ٣٠/٨.

(٦) «المزجي البضاعة أي قليل البضاعة» ابن منظور، لسان، ١٣/٢.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٣١/٤ - ١٣٢.

(٨) السخاوي، التحفة، ٥٣٤/٢.

الذي سمع عليه الحديث وناب عن عبد الرحمن في القضاء، والخطابة والإمامة ووصف بالنباهة في الفقه وغيره، وكانت وفاته بمكة سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م^(١).

ومن أفرادها محمد بن علي بن صالح، الذي خلف أباه في خدمة مشهد حمزة بن عبد المطلب، وكان له حظ من العلم، فقد ورد أنه «أجار للتقي بن فهد ويض لترجمته»^(٢)، ومن علماء هذه الأسرة أبو الفتح فتح الدين محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن صالح، ولد في المدينة سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ونشأ بها، وسمع من والده، ومن علماء المدينة والقادمين إليها، ونال مناصب دينية رفيعة، فقد ناب عن والده في القضاء والخطابة والإمامة، ثم استقل به سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م وفي نظر المسجد النبوي، ورغم أنه ترك وظيفة القضاء لأخيه أبي عبد الله محمد سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م؛ إلا أن «أخاه في القضاء لم يكن إلا صورة» توفي في المدينة سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م^(٣).

أما أخوه أبو عبد الله محمد فقد ولي القضاء وشارك في الخطابة، والإمامة، وكان «جيد الخطابة» وكانت وفاته سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م^(٤).

أما الابن الثالث لعبد الرحمن بن محمد بن صالح فهو عبد الله الذي ولد سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م^(٥)، ونشأ وتعلم بها، غير أن حظه من العلم كان قليلاً، فقد ذكر أنه لم يختم القرآن، ولا عرف الخط، بل قيل أنه عامي^(٦)، ويظهر أن المذكور كانت له خبرة في أمور الدنيا، ومصالح أسرته، فكان والده يقول له

(١) الفاسي، العقد، ٢/٢٩٣-٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٨٦/٩.

(٢) السخاوي، الضوء، ٨/١٨٥، السخاوي، التحفة، ٣/٦٧٨.

(٣) ابن فهد، معجم، ص ٢٣٢، السخاوي، الضوء، ٨/٣٤-٣٥ السخاوي، التحفة، ٣/٦٣٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٨/٣٦، السخاوي، التحفة، ٣/٦٣٣.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢/٣٤٧، وقيل ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م السخاوي، الضوء، ٥/٢٣.

(٦) السخاوي، الضوء، ٥/٢٣، السخاوي، التحفة، ٢/٣٤٧-٣٤٨.

«أنت ولدي وأبو الفتح - يعني أخاه - ولد نفسه، وأبو عبد الله - يعني أخاهم - ولد الشيطان»^(١) ويلاحظ أن تفضيل والده له راجع إلى اشتغاله بخدمته، والنظر في مصالحه^(٢)، غير أن السخاوي^(٣) خلافاً للآخرين وصفه بأنه «كان خاتمة مسندي المدينة» توفي بها سنة ٨٨٤هـ / ١٤٣٠م^(٤).

أنجب فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن أربعة أبناء، كلهم عرف بمحمد، كان لهم جميعاً حظ وافر من العلم، أولهم زكي الدين محمد، ولد بالمدينة سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م، ونشأ وتعلم بها، وتقلد منصبى الخطابة والإمامة والنظر في المسجد النبوي، وناب في القضاء حين سافر أخوه صلاح الدين محمد إلى اليمن سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، سافر إلى كل من القاهرة وبلاد الروم، اغتيل سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م عند باب المسجد النبوي^(٥). أما أخوه صلاح الدين محمد فقد ولد بالمدينة سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م، ونشأ وتعلم بها، ثم سافر لطلب العلم إلى مكة والقاهرة وبيت المقدس، وخطب وأم الناس بالمسجد الأقصى بالقدس، ثم سافر إلى الخليل، وعاد بعدها إلى المدينة ليتولى بها قضاء الشافعية بعد استعفاء عمه ولي الدين أبي عبد الله محمد، كما شارك بقية إخوته وولده في الخطابة والإمامة في المسجد النبوي، والنظر فيه، كما قرره الأمير خير بك في تدريس الشافعية بالمدينة^(٦).

(١) هذه العبارة لا تطابق واقع وحياة وعمل كل من أبي الفتح محمد، وأبي عبد الله محمد كما اتضح سابقاً، حيث كان لهما حظ وافر من العلم وتقلداً وظائف دينية، السخاوي، الضوء، ٨ / ٣٥.

(٢) السخاوي، الضوء، ٥ / ٢٣.

(٣) هذا لا يتفق مع ما ذكر عنه سابقاً أنه كان عامياً.

(٤) السخاوي، الضوء، ٥ / ٢٤، السخاوي، التحفة، ٢ / ٣٤٨.

(٥) السخاوي، الضوء، ٩ / ١٠٢ - ١٠٣.

(٦) السخاوي، الضوء، ٩ / ١٠٣.

أما الأخ الثالث فهو مجد الدين محمد بن محمد، ولد سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م، وشارك إخوته في الخطابة والإمامة للشافعية بالمسجد النبوي، سافر لطلب العلم إلى الشام ومصر والروم^(١). أما الأخ الرابع فهو شمس الدين محمد بن محمد، الذي شارك إخوته في الخطابة والإمامة، لكنه لم يباشر ذلك. سافر لطلب العلم إلى الشام ومصر والروم واليمن وغيرها. وقد وصف بأنه كان «ذكياً شهماً كريماً» توفي سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م^(٢) ألحج زكي الدين محمد ابن محمد بن عبد الرحمن ابناً اسمه محمد، والملقب بأبي الفضل وأبي العز، ولد ونشأ بالمدينة، وقرأ على علمائها، كما قرأ على المؤرخ السخاوي سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، سافر إلى الشام والعراق وبلاد الروم، كما شارك أعمامه في الخطابة والإمامة^(٣).

أما ابن عمه محمد بن شمس محمد بن محمد بن عبد الرحمن، فقد ولد ونشأ وتعلم في المدينة، ويظهر أنه ناب في الإمامة والقضاء للشافعية بالمدينة كما سافر لطلب العلم إلى القاهرة واليمن^(٤). وللإخوة الأربعة السابقين أبناء أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح أخ خامس يدعى إبراهيم هو أكبرهم، غير أنه ليس شقيقاً لهم، ولد بالمدينة سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م، ونشأ وتعلم بها، وأجاز له جماعة من الفقهاء، وسافر لطلب العلم إلى القاهرة، والروم، والشام، وحلب، واليمن، وأم الناس لصلاة التراويح في رمضان بالمسجد النبوي، كما ناب في الخطابة أيضاً^(٥).

(١) وقد ذكر أنه كان بالشام سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م السخاوي، نفسه ١٠٤/٩.

(٢) السخاوي، نفسه، ١٠٤/٩.

(٣) السخاوي، نفسه، ٢٢٦/٩.

(٤) السخاوي، الضوء، ٢٢٦/٩.

(٥) السخاوي، الضوء، ١٤٨/١ - ١٤٩، السخاوي، التحفة، ١٤٠/١ - ١٤١.

٦- أسرة الكازروني :

تنسب هذه الأسرة إلى محمد بن روزبة بن محمود بن أحمد الكازروني، الملقب بالشمس أبي الأيادي بن الجمال أبي الثناء، المدني الشافعي، أثنى عليه ابن فرحون، وكان قد صحبه لفترة طويلة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م^(١) أنجب محمد بن روزبة الكازروني عدداً من الأبناء منهم أبو الصفي أحمد والد العالم الشهير جمال الدين محمد بن أحمد الكازروني، والعز عبد السلام، وعبد الله.

يعد أبو الصفي أحمد أكبر أبناء محمد الكازروني، ولد سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م بالمدينة، ونشأ وتعلم بها، ثم ارتحل لطلب العلم إلى دمشق أكثر من مرة، وبعد عودته جلس للتدريس، كما كان كثير العبادة «بحيث لم يتفرغ للتصنيف»^(٢). أثنى عليه وعلى أخيه عبد السلام ابن فرحون، فقال «إنهما درساً بالحرم الشريف»^(٣) كانت وفاة الصفي أحمد في المدينة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م^(٤).

أما أخوه عبد السلام فقد ولد بالمدينة سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م ونشأ وتعلم بها، على شيوخ عصره، ثم اتجه للتعليم فحدث ودرس، كما كان له باع في الفتيا. كانت وفاته بمكة سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م^(٥).

على أن أبرز شخصية علمية في هذه الأسرة تبوأ مكانة علمية في المدينة،

(١) نصيحة، ورقة ٤٥ ل ب . وانظر أيضاً، السخاوي، التحفة، ٥٦٧/٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢٣١-٢٣٣.

(٣) نصيحة، ورقة ٤٥ ل ب، ورقة ٤٦ ل أ.

(٤) السخاوي، نفسه، ٢٣٤/١.

(٥) الفاسي، العقد، ٢٢٨/٥ - ٤٢٩، السخاوي، نفسه، ١١/٣ - ١٢.

وتقلدت عدة وظائف علمية ودينية هي: شخصية محمد بن أحمد بن محمد ابن روزبة الملقب بجمال الدين، فهو كما يتضح حفيد مؤسس الأسرة. ولد المذكور في بيئة علمية سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ومات أبوه وهو صغير فكفله عمه العز عبد السلام الذي خلف أخاه أحمد في التدريس بالحرم النبوي، نشأ جمال الدين محمد وتعلم في المدينة، على يد علمائها والقادمين إليها، غير أنه لم يرض بهذا القدر من التعليم بل شد الرحال لطلب العلم فسافر إلى مصر والشام وغيرهما، فأجازه كثير من العلماء، ثم عاد إلى بلده، «فدرس وحدث وأفتى، وانتفع به الفضلاء، وكثر الآخذون عنه من أهل بلده القادمين إليها»^(١) لصار فقيه المدينة وعالمها ومدار الفتيا بها^(٢). ثم تولى قضاء الشافعية أكثر من مرة انقطع بعدها للعبادة حتى وفاته بالمدينة سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م^(٣).

ومن تلقى العلم على يديه من المدينة أبو الفرج المراغي^(٤)، ومن مكة التقى محمد بن فهد، وابنه النجم عمر؛ وهما من كبار مؤرخي مكة^(٥). ومن فقهاء هذه الأسرة عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد الكازروني مارس التدريس في المسجد النبوي^(٦). أما أخوه محمد بن عبد السلام فقد ناب في القضاء والخطابة والإمامة عن ابن عمه الجمال الكازروني^(٧)، وقد ولد المذكور في

(١) السخاوي، الضوء، ٩٦/٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠٠.

(٢) ذكر ابن حجر أنه «قد انتهت إليه رئاسة العلم بالمدينة ولم يبق هناك من يقاربه. إنباء، ١١٧/٩.

(٣) السخاوي، الضوء، ٩٧/٧، الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج٢- (د. ط، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د. ت) ص ١٢١.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠١.

(٥) ابن فهد، معجم، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٦) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤٢.

المدينة سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م ونشأ وتعلم بها، ووصفه أبو الفتح المراغي بالفقيه العالم أقضى القضاة^(١)، وذكر ابن حجر^(٢) أنه كان نبياً في الفقه، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م^(٣). وممن اهتم بالأدب من هذه الأسرة، أحمد ابن مسدد بن محمد الكازروني ولد بالمدينة سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م مارس النظم والنثر وله بعض المؤلفات فيها^(٤).

٧- أسرة المراغي :

تنسب هذه الأسرة إلى زين الدين أبي بكر الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن محمد بن عبد الرحمن الأموي العثماني المراغي^(٥). ثم المصري الشافعي^(٦).

ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م^(٧)، ونشأ وتعلم بها، ثم ارتحل إلى الحجاز واستوطن المدينة نحو خمسين سنة، وخلال إقامته الطويلة تلقى المراغي العلم على يد علمائها والقادمين إليها، وبعد أن اكتملت أهليته للتدريس جلس للتدريس بالحرم النبوي وتفرغ لذلك، ويظهر أن تفرغه للتدريس كان نتيجة قيام بعض أهل الخير بالإنفاق عليه وعلى أهله، يقول ابن حجر^(٨) في ذلك «ثم تحول إلى المدينة الشريفة فسكنها وحصل بها بعض جهات تقوم بحاله» وقد

(١) السخاوي، الضوء، ٥٧/٨.

(٢) إنباء، ٩٣/٧ - ٩٤.

(٣) السخاوي، الضوء، ٥٧/٨ السخاوي، التحفة، ٦٤٣/٣.

(٤) السخاوي، الضوء، ٢٢٥/٢، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٥) ابن حجر، ذيل الدرر، ص ٢٢٨، ابن قاضي شعبة، طبقات، ٧/٤.

(٦) ابن حجر، نفسه، ص ٢٢٩، السخاوي، نفسه، ٢٨/١١.

(٧) ابن حجر، نفسه، ص ٢٣٠، المقرئ، درر، ١٧١/١.

(٨) ابن حجر، نفسه، ص ٢٣٠.

أصبح نتيجة تصديده للتدريس لفترة طويلة شيخاً للحديث، فهو كما وصف «شيخها المشار إليه»^(١) و«الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل مفتي المسلمين»^(٢) في سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ولي قضاء المدينة للشافعية، والخطابة والإمامة ثم عزل عن تلك المناصب سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م^(٣). جاور بمكة بين عامي ٨١٤-٨١٥هـ / ١٤١١-١٤١٢م وحدث بها^(٤)، ثم عاد إلى المدينة حيث كانت وفاته بها سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م^(٥).

خلف أبو بكر المراغي أربعة أبناء كلهم حمل اسم محمد وهم:

- أبو اليمن الشمس^(٦) محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م أو التي بعدها، ونشأ وتعلم وتفق على يد والده وعلماء عصره بالمدينة وأجازه بعضهم^(٧)، كما رحل إلى القاهرة، لطلب العلم فأخذ عن ابن حجر العسقلاني، ثم عاد إلى بلده وناب عن والده في القضاء والخطابة والإمامة. كان «إماماً عالماً، كثير التواد. ظريف المحاضرة والمحادثة بارعاً في الأدب»^(٨). قتل في طريق الشام سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م على يد بعض اللصوص وقتل معه ابنه أبو الرضا محمد، وأبو عبد الله الحسين^(٩).

(١) السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٢) السخاوي، الضوء، ٣٠/١١.

(٣) السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٤) ابن قاضي شعبة، طبقات، ٨/٤، ابن حجر، ذيل الدرر، ص ٢٣٠، السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٥) ابن قاضي شعبة، نفسه، ٨/٤، ابن حجر، نفسه، ص ٢٣٠، السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٦) السخاوي، الضوء، ١٦١/٧، وقد ذكر له القاباً أخرى هي البدر، والنبه، والجمال.

(٧) السخاوي، الضوء، وذكر السخاوي أيضاً، ان بعضهم لم يجزه، التحفة، ٥٣٢/٣.

(٨) السخاوي، التحفة، ٥٣٣/٣.

(٩) السخاوي، الضوء، ١٦٢/٧.

- أبو الفتح الشرف محمد بن أبي بكر^(١)، وهو الابن الثاني لمؤسس الأسرة ولد بالمدينة أواخر عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، ونشأ وتعلم بها على شيوخها والقاديين إليها، ثم رحل في طلب العلم إلى مكة والقاهرة، كما رحل إلى اليمن مراراً، فحدث ودرس بها «وبنى لأجله بعض ملوكه بها مدرسة، وجعل له فيها معلوماً كان يحمل إليه بعد انتقاله عنها برهة»^(٢) وتردد على مكة مراراً وحدث بها، ثم استقر في مشيخة الخانقاه الزمالية بها، بعد موت شيخها أحمد الوسيط سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م^(٣).

ثم عينه الجمال الخاص في مشيخته سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل^(٤)، كانت وفاته بمكة سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م^(٥).

- الابن الثالث هو أبو الفضل الكمال محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ونشأ واشتغل بالعلم بها، ثم رحل لطلب العلم إلى مصر ثم استقر في المدينة، ودرس بها، ومن روى عنه النجم بن فهد^(٦). مات مقتولاً بالعوالي قرب المدينة سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م^(٧).

- الابن الرابع هو أبو الفرج ناصر الدين محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م، ونشأ ودرس على يد عدد من فقهاء الشافعية والحنفية

(١) السخاوي، التحفة، ٥٣٥/٣، وقد كناه بعض طلبة أبيه بفتح الدين أبو الفتح، الشوكاني، البدر، ١٤٦/٢.

(٢) السخاوي، الضوء، ١٦٤/٧.

(٣) السخاوي، التحفة، ٥٣٧/٣، وفي السخاوي، بعد موت شيخها أحمد الواعظ، الضوء، ١٦٥/٧.

(٤) تتلمذ على يديه النجم عمر بن فهد، انظر ابن فهد، معجم، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ١٦٥/٧، السخاوي، التحفة، ٥٣٨/٣.

(٦) معجم، ص ٢٢٢.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٦٢/٧، السخاوي، التحفة، ٥٣٤/٣.

والمالكية بها، ثم رحل لطلب العلم إلى مكة والقاهرة^(١)، وبعد عودته للمدينة تصدى للتدريس في المسجد النبوي، فأخذ عنه أهل بلده من طلبة العلم ومن الوافدين إليها، «وصار شيخ المدينة النبوية ومسندها دون مدافع»^(٢). وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م^(٣).

ومن علماء هذه الأسرة أبو بكر بن ناصر الدين أبو التفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، حفيد مؤسس الأسرة ويدعى أيضاً محمداً، ولد في المدينة قبل سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م، ونشأ وتعلم بها واشتغل بالعلم قليلاً، لكن علمه لا يرقى إلى ما وصل إليه جده ووالده وأعمامه، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م^(٤).

كما ألحيت هذه الأسرة علماء وطلبة علم آخرين، ومن هؤلاء محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، ولد بالمدينة سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م عام وفاة والده ونشأ وتعلم بها ثم ارتحل إلى عدة بلدان من بينها الهند، وعاد إلى بلاده، ليتولى وظيفة في أوقاف الحرم، فسافر إلى بلاد الروم لقبض حاصل أوقافها الموقوفة على الحرم المدني غير أنه توفي في إحدى رحلاته إليها سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م^(٥)، وخلف عبد الحفيظ الذي ولد ونشأ في المدينة وسافر إلى القاهرة، وتقلد بها عدة وظائف، وتوفي بها سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م^(٦).

(١) السخاوي، التحفة، ٥٣٩/٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ٥٤١/٣.

(٣) السخاوي، الضوء، ١٦٧/٧.

(٤) السخاوي، الضوء، ٧٢/١١.

(٥) السخاوي، الضوء، ١٩٠/٧.

(٦) السخاوي، الضوء، ٣٦/٤ وقد ذكر أن المذكور سمع منه بالمدينة. وانظر أيضاً السخاوي، التحفة،

٤٥١/٢ - ٤٥٢.

٨- أسرة السخاوي.

ليس لهذه الأسرة دور كبير في تاريخ الحركة العلمية في المدينة، مقارنة بالأسر الأخرى، إلا أن بعض أفرادها كان لهم نشاط علمي، كما تقلد البعض الآخر منصب القضاء، وتنسب هذه الأسرة إلى الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد السخاوي ويعرف بابن القصبي، ولد المذكور سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م ببلدة سخا، ونشأ ودرس بها، ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م، وأقام بها أكثر من سبع سنوات، درس خلالها على يد عدد من فقهاؤها والقادمين إليها، ثم عاد إلى بلده سخا واستمر بها إلى سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م، حين عاد مرة أخرى إلى القاهرة، حيث التقى خلالها بعدد من فقهاء المذاهب.

وفي سنة ٨٦٠هـ انتقل إلى المدينة متقلداً منصب قضاء المالكية بها، ثم أصيب بالفالج، فاستقر مكانه في منصبه ابنه خير الدين محمد، الذي وصفه السخاوي بأنه كان «أفضل منه وامتن تديراً ورأياً في القضاء»^(١)، وقد توفي الشمس محمد السخاوي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م^(٢).

أما ابنه خير الدين محمد، فقد ولد سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م، ونشأ ودرس على يد شيوخها، كما تتلمذ في القاهرة على علماء الشافعية والمالكية، كما رحل إلى القدس والخليل لطلب العلم، ثم استقر في الفيوم نائباً للقضاء، وانتقل بعدها مع والده إلى المدينة، واستقر مكانه سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م في منصب القضاء^(٣). أما أخوه أحمد بن محمد الشمس فلم ينل حظاً وافراً من

(١) السخاوي، الضوء، ١١٠/٧ - ١١١،

(٢) السخاوي، التحفة، ٥٠٨/٣ - ٥١٢.

(٣) السخاوي، الضوء، ٤٧/٩.

العلم، ومن سمع منه المؤرخ السخاوي الذي ذكر أنه كان «يصلح بين الأخصام»^(١)، وكانت وفاته سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م^(٢).

وقد رزق بعدة أولاد أبرهم عبد المعطي وعبد الحفيظ، أما عبد المعطي فقد ولد سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م بالمدينة، ونشأ وتعلم بها، ولارم المؤرخ السخاوي فترة، ثم تصدى للتدريس في الروضة الشريفة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م^(٣).

٩- أسرة الششتري أو التستري.

ينسب إلى تستر كثير من العلماء والفضلاء، أما الأسرة التي ستحدث عنها فتنسب إلى أحمد بن عثمان بن عبد الغني التستري أو الششتري. ويتضح فيما ذكره ابن فرحون وغيره أن المذكور كان متصوفاً، صحب الشيخ أبا بكر الشيرازي، الذي كان من أصحاب السيد أبي العباس المرسى تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والأخيران من أصحاب الطرق الصوفية المعروفة في مصر، غير أن أحمد التستري لم يترك أثراً علمياً واضحاً، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م^(٤). خلف المذكور ابناً اسمه محمد ولد بالمدينة سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م ونشأ ودرس على يد علمائها، ثم ارتحل لطلب العلم، وأجاز له كثير من العلماء، ثم استقر بحلب فترة فحدث بها سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م^(٥). أثنى عليه ابن فرحون^(٦) بقوله «شمس الدين محمد بن أحمد التستري على خير

(١) السخاوي، التحفة، ١٠ / ٢٣٠.

(٢) السخاوي، الضوء، ٩١ / ٢، السخاوي، التحفة، ١ / ٢٣٠.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣ / ٧٧.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٤ ل ب.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٣ / ٤٢٨.

(٦) ابن فرحون، نصيحة ورقة ٤٤ ل ب.

وعفة وصلاح واشتغال بالعلم وسماع الحديث، سافر وارتحل، وله بالمدينة آثار حسنة، ومعالم مستحسنة، ومن ذلك رباط^(١) بالقرب من المسجد الشريف، وهو عش الصالحين نفع الله به، كانت وفاته بالمدينة سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م^(٢).
المحب شمس الدين محمد التستري ابناً يدعى أحمد، كان طالب علم، ذكر أنه تلقى علومه في المدينة، فدرس على العفيف المطري سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م الجزء الذي خرج له الذهبي^(٣).

ويتضح مما سبق، أن اهتمام هذه الأسرة بالعلم كان قليلاً، كما لم يتسلم أي من أفرادها وظيفة هامة. ومن غير أفراد تلك الأسرة ممن استقر بالمدينة ويتسبب إلى تستر أحمد بن الجمال عبد الله محمد الششتري المدني، كان له إمام بالقراءات^(٤)، كان موجوداً وإبراهيم بن محمد بن محمد الششتري المدني صهر الشمس محمد بن الجلال أحمد الخجندي المدني السابق الذكر^(٥)، كان المذكور طالب علم أثنى عليه بعض العلماء^(٦) وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م^(٧).

ومن هؤلاء إبراهيم بن مبارك الششتري، كان موجوداً سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م^(٨) ومنهم أحمد بن علي بن عقيل بن راجح بن مهنا الششتري المدني

(١) هو المعروف برباط الشمس الششتري، انظر، السخاوي، التحفة، ١/٦٥.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد، ١/٩٨٨، ابن حجر، الدرر، ٣/٤٢٨، ابن حجر، إنباء، ٢/١٥٠-١٥١، السخاوي، التحفة، ٣/٤٧٨، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/٢٨٨-٢٨٩.

(٣) السخاوي، نفسه، ١/٢٢٦.

(٤) كان موجوداً سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، السخاوي، الضوء، ١/٣٧٠، السخاوي، التحفة، ١/١٩٥.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/٤٧١.

(٦) السخاوي، الضوء، ١/١٦٥، حيث ذكر الثناء عليه من صاحبه ابن العماد وغيره.

(٧) السخاوي، التحفة، ١/١٤٣.

(٨) السخاوي، التحفة، ١/١٣٤.

وصفه السخاوي^(١) «بالعلامة السيد»، استقر بكازرون فترة وحدث بها، كان موجوداً سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م^(٢).

من العرض السابق يتضح أن الأسر العلمية في المدينة كانت أساساً أسراً وفدة، تنتمي إلى أصول مختلفة، فابن صالح والسخاوي والمطري والمراغي مصرية الأصل، والزرندي والكازروني والتستري فارسية الأصل، والحجندى تركية الأصل، وابن فرحون مغربية الأصل.

وإلى جانب تلك الأسر كانت هناك أسر علمية مقيمة بمكة بعضها له مكانة علمية ووظيفية بها فتقلد بعض أفرادها القضاء والإمامة والخطابة والحسبة ومنها القسطلاني، وبنو ظهيرة والفاسي، والنوري، والطبري، والعسقلاني وغيرهم^(٣). وقد قدم بعض أفرادها أو انتقل إلى المدينة لتولي بعض الوظائف، أو لتلقي العلم على يد علمائها، فمن أسرة النوري ابن الكمال أبو الفضل محمد بن أحمد عبد العزيز الهاشمي النوري، تولى المذكور القضاء والخطابة بمكة، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء الشافعية بالأقطار الحجازية، قدم المدينة أكثر من مرة وجاور بها، توفي في مكة سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م^(٤).

ثم ابنه قاضي الحرمين محب الدين أحمد بن محمد النوري، خال تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، صاحب العقد انتقل محب الدين إلى المدينة قاضياً، وصحب معه ابن أخته تقي الدين، الذي تلقى العلم في صغره بالمدينة^(٥).

(١) السخاوي، التحفة، ٢٠٢/١.

(٢) ابن حجر، الدرر، ٢٣١/١.

(٣) لتفصيل أكثر عن تلك الأسر المكية، انظر الفاسي، العقد.

(٤) ذكر الفاسي، أن المذكور خطب بالمسجد النبوي لبعض الوقت نيابة عن ابنه القاضي محب الدين النوري، العقد، ٣٠٤/١، وانظر أيضاً ابن حجر، الدرر، ٤١٥-٤١٦، السخاوي، التحفة، ٤٧٤-٤٧٦.

(٥) الفاسي، نفسه، ٣٣١/١، ١٢٣-١٢٦، السخاوي، نفسه، ٤٨٨-٤٩٢.

ومن أسرة الفاسي المكية تردد على المدينة وجاور بها أحمد بن علي بن محمد الفاسي وابنه التقي محمد السالف الذكر^(١).

ومن أسرة القسطلاني^(٢)، أحمد بن علي بن محمد القسطلاني المالكي، نزلت أسرته من المغرب إلى مصر، ثم جاور المذكور بمكة، وتردد إلى المدينة، وله بها مآثر جمّة؛ منها إطعامه ثمانين فقيراً كل يوم، توفي بمكة سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م^(٣). وخلف المذكور ابناً يدعى محمد، ولد بمصر سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وانتقل مع والده إلى مكة سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، ورحل في طلب العلم إلى أقطار كثيرة، وتردد على المدينة لطلب العلم بها، فقرأ على أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي، توفي بمكة سنة ٦٨٠هـ/ ٢١٢٨م^(٤).

ومن أسرة الطبري^(٥) المكية التي استقر بعض أفرادها بالمدينة محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد الطبري، المكي، الشافعي، الملقب بمسند مكة، ولد في المدينة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، ونشأ وتعلم بها، ثم انتقل إلى مكة، ودرس بمدارسها وخاصة المدارس الرسولية، توفي في مكة سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م^(٦).

(١) الفاسي، العقد، ١٠٩/٣ - ١١١، السخاوي، التحفة، ٢٠٦/١ - ٢٠٨.

(٢) نسبة إلى قسطلية مدينة بأفريقية تدعى أيضاً تور، ياقوت، معجم البلدان، ٥٧/٢ - ٥٨، ٣٤٨/٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ١٩٠/١.

الذهبي، العبر، ٢٢٦/٣، الفاسي، نفسه، ١٠٥/٣ - ١٠٨، بابا التنبكتي، نيل، ص ٧٨، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ١٧٩/٥ وفيها أن أهل المدينة أجدبوا فاتفق رأيهم أن يستسقوا يوماً والغرياء يوماً، فاستسقى أهل المدينة فلم يسقوا، ثم عمل هو طعاماً للضعفاء واستسقى مع المجاورين فسقوا، وانظر أيضاً، محمد مخلوف، شجرة، ص ١٦٩.

(٤) الفاسي، نفسه، ٣٢١/١ - ٣٢٣، السخاوي، نفسه، ٤٨٧/٣.

(٥) نسبة إلى طبرستان وهي أمل وولايتها تتبع جنوب بحر الخزر (قزوين) السمعاني، الأنساب، ٤٥/٤، ياقوت، نفسه، ١٣/٤ - ١٦ السيوطي، لب اللباب، ٨٧/٢، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام (ط١)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ٢١٧ خريطة ١١٠ د.

(٦) الفاسي، العقد، ٣٦٨/١ - ٣٧١، ابن حجر، إنباء، ٩٠/٧، السخاوي، الضوء، ٤٦/٧، السخاوي، التحفة، ٤٩٦/٣ - ٤٩٧.

د - الرحلات العلمية :

لقد حرص المسلمون في مختلف العصور والأقطار على الارتحال في طلب العلم، وكانوا يتكبدون المشاق في سبيل ذلك، غير أن الحجاز تمتع بميزة أخرى، تجعله أكثر جذباً للعلماء وطلاب العلم، بحكم مكانته الدينية، فأكثر من يقدم للحج أو العمرة أو الزيارة يقيم فترة للمجاورة فيهما، وللتزود ببعض العلوم الشرعية، ولقاء علماء البلدان الذين لا يتيسر لقاءهم في غير الحجاز، وربما يطيب له المقام، فيستقر فترة من الزمن، قد تطول أو تقصر، وفي هذه الحالة يعد مجاوراً، فيستفيد من اتصاله بالعلماء، كما يفيد غيره من علمه، وهنا يمكن أن نصنف الذين قاموا بهذه الرحلات إلى نوعين.

- نوع قاموا بالرحلة لطلب العلم والإفادة من علماء عصرهم.

- والنوع الآخر ممن نال حظاً وافراً من العلم فارتحل إلى أقطار أخرى فأفاد بعلمه الآخرين؛ بالتدريس والإفتاء وتولى الوظائف العلمية والدينية.

لقد جذبت المدينة بحكم مركزها الديني والعلمي عدداً من العلماء، وطلبة العلم الذين قدموا إليها لتلقي علومهم، ومن هؤلاء المؤرخ الحسن بن عمر بن حبيب صاحب كتاب "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه" الذي قدمها سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م والتقى بعدد من علمائها ومنهم الشيخ أبو البركات أمين بن محمد بن محمد بن محمد السعدي الأندلسي^(١).

ومن هؤلاء المؤرخ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي مؤرخ مكة، الذي قدم المدينة صغيراً برفقة خاله قاضي الحرمين محيي الدين النوبري، ثم عاد إليها

(١) ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ج ٢ (د).

ط، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م ص ٢٤٣-٢٤٤، ٢٥٧.

لطلب العلم سنة ٧٩٠هـ / ١٢٨٨م حيث سمع على قاضي المدينة إبراهيم بن علي فرحون «تاريخ المدينة» للمطري، كما قرأ على عدد من العلماء في فقه الإمام مالك. وكانت رحلته تلك ضمن عدة رحلات قام بها إلى جهات مختلفة منها مصر والشام^(١).

ومنهم مؤرخ مكة النجم عمر بن فهد، الذي رحل في طلب العلم إلى أقطار عديدة، فرحل إلى القاهرة والشام، وتلقى العلم في المدينة على عدد من شيوخها^(٢). أما العلماء وطلبة العلم الذين قاموا برحلات من المدينة إلى غيرها من الأقطار، للإفادة بعلمهم، أو لطلب العلم، فقد حفلت المصادر بتراجم للعديد منهم.

ومن هؤلاء الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي عالم الحديث في وقته بالمدينة - لقد رحل المذكور من المدينة إلى شيراز ببلاد فارس بنية العودة، لكنه استقر بها وتولي القضاء. ومن أسرته الذين رحلوا لطلب العلم حفيده عبد الله بن محمد بن يوسف الذي حوى كما يقال «كل العلوم المتداولة بين الناس ورحل مع والده إلى دمشق»^(٣) وأخوه محمد الذي «كان متصوفاً، سلك طريق الصوفية في الاستفادة بالعلم ورحل في طلب ذلك إلى العراق ومصر والشام»^(٤).

(١) الفاسي، العقد، ١/ ٣٣١ - ٣٣٤.

(٢) انظر شيوخ ابن فهد في المدينة في معجم شيوخه، من الرجال ص ٣٨، ٧٨، ١١٨ - ١١٩، ١١٩، ١٥٣ - ١٥٤، ١٥٨، ١٩٠، ٢١٧ - ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٦٧، ومن النساء، ص ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة، ٤١ ل ب، ابن حبيب، تذكرة، ٤٨/٢.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ.

ومن العلماء المرتحلين في طلب العلم؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أمين ابن معاذ بن سعاد الأقشهرى، ولد بأقشهر^(١) سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م، وارتحل لطلب العلم إلى مصر، ثم إلى المغرب والأندلس، فأخذ عن علمائها، وجمع رحلته في كتاب من عدة أجزاء^(٢)، ثم استقر أخيراً معجوراً في المدينة حتى وفاته بها سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م^(٣). ومن أهل المدينة ممن ارتحل في طلب العلم جمال الدين محمد بن أحمد ابن خلف المعروف بالمطري، صاحب «تاريخ المدينة» الذي رحل إلى مصر لطلب العلم بها^(٤). ونلاحظ أن اتجاه الرحلات العلمية شمل أقطار العالم الإسلامي الرئيسية؛ مثل العراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس، وقد استفاد العلماء وطلبة العلم من رحلاتهم تلك بالاتصال بعلماء تلك الأقطار، والأخذ عنهم، ومناقشتهم، والاستفادة منهم، وقد أعطينا تلك الرحلات صورة طيبة عن الحركة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي.

وهناك رحلات قام بها رحالة، جابوا خلالها أقطار العالم الإسلامي، بقصد الاطلاع والاستزادة من المعرفة العلمية، وزيارة البقاع المقدسة في مكة والمدينة، وكان لهذه الرحلات أثرها الواضح في التعرف على مظاهر الحركة العلمية في

(١) أقشهر تابعة لقونية في بلاد الروم «وهي من أنزه المدن وبها بساتين كثيرة وفواكه مفضلة عن قونية» انظر، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٤١٥، وعن أقشهر أو آق شهر انظر ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٧١، أبي الفداء، تقويم، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) لا يزال مفقوداً.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل ب، الفيروآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ. الفاسي، العقد، ١/٢٨٦، الفاسي، ذيل التقييد، ١/٥٧-٥٨ ابن حجر، الدرر، ٣/٣٩٨، السخاري، التحفة، ٣/٤٦٠.

(٤) السخاري، التحفة، ٣/٤٦٧.

الحجاز خلال تلك الفترة، وتعد الرحلات المغربية والأندلسية مصدراً هاماً من مصادر الحركة العلمية في الحجاز بصفة عامة والمدينة خاصة خلال العصر المملوكي^(١).

ومن أولى تلك الرحلات رحلة العبدري (ت بعد ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)، الذي وصل المدينة أواخر سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م، وعلى الرغم أنه لم يقيم بالمدينة سوى يوم وبعض يوم فقد وصف الحركة العلمية بها بالخمود، حين قال «ولم أر بالمدينة مع شدة البحث، وإلحاح الطلب، وتكرار السؤال، من هو بالعلم موصوف ولا من هو بفن من فنونه معروف»^(٢)، غير أن العبدري التقى خلال إقامته القصيرة تلك بأحد علماء العراق المجاورين بالمدينة، وهو عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري التمار، فاستجاره فأجاره، ونقل عنه أحاديث عن النبي ﷺ^(٣).

وفي القرن الثامن قام عدد من الرحالة المغاربة بزيارة المدينة ووصفوا الحركة العلمية بها واستفادوا من علمائها ومن هؤلاء ابن رشيد (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) الذي زار المدينة سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، والتقى خلالها بعدد من العلماء؛ منهم الإمام الفقيه النحوي عفيف الدين عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الزجاج، وابن أخيه أبو القاسم عبد الحميد بن أحمد بن محمد بن أحمد الزجاج، قدما من بغداد حاجين^(٤)، وأم الخير أم محمد فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطائحي^(٥)، والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى

(١) عن أهمية الرحلات المغربية والأندلسية انظر، عواطف نواب، الرحلات، ص ٢٦٠ - ٣١٦.

(٢) الرحلة، ص ٢٠٦.

(٣) العبدري، الرحلة، ص ٢٠٧.

(٤) ابن رشيد، ملء العيبة، ٥/٥، ١٠، ٢٦.

(٥) ابن رشيد، نفسه، ٢١/٥ - ٢٥.

ابن محمد بن يحيى الفاسي^(١)، وعفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري ثم المدني الحنبلي^(٢)، وعماد الدين يوسف الشقاري^(٣)، وأحمد بن عثمان بن عمر الشافعي المصري^(٤).

أما البلوي (ت بعد ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م) فقد ذكر في رحلته، أنه التقى ببعض العلماء، وعلى رأسهم أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني الشافعي، فسمع وروى عنه^(٥)، كما التقى بعالم المدينة ومؤرخها جمال الدين محمد بن أحمد المطري، حيث أخذ عنه بعض الأحاديث^(٦).

أما ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) فقد تحدث في رحلته التي زار خلالها المدينة سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) عن عدد من العلماء والمجاورين بها ووصف الحركة العلمية. وإن لم يذكر أنه استفاد من علمائها علماً أو إجازة^(٧).

ومن النساء اللاتي رحلن في طلب العلم أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسية، فقد زارت المدينة وحدثت بها، وكانت وفاتها سنة ٧٢٢هـ^(٨).

أخيراً يمكن القول: إن الرحلات العلمية من وإلى المدينة من الروافد الأساسية للحركة العلمية، فقد عمقت صلة المدينة العلمية بغيرها من الأقطار الإسلامية.

(١) ابن رشيد، ملء العيبة، ٣٧/٥ - ٣٨.

(٢) ابن رشيد، نفسه، ٤١/٥ - ٦٣، وسبق ذكره في رحلة العبدري.

(٣) ابن رشيد، نفسه، ٦٥/٥ - ٦٧.

(٤) ابن رشيد، نفسه، ٦٩/٥ - ٧٠.

(٥) تاج المفرق، ٢/٢٩١.

(٦) البلوي، نفسه، ٢/٢٩٣.

(٧) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٤٢.

(٨) ذكر كل من المقرئ، السلوك ٢/٢٣٩، وابن حجر، الدرر، ٢/٢١٠، أنها توفيت عن أربعة وستين سنة، أما ابن عماد الحنبلي، شذرات ٦/٥٦، فقد ذكر أنها توفيت عن أربع وتسعين سنة.

هـ - العلوم والمؤلفات العلمية

ربما يتبادر إلى الذهن أن الحركة العلمية في المدينة كانت مقتصرة على العلوم الشرعية، بحكم كون مركزها المسجد النبوي، ومعظم رجالها من المجاورين، إلا أن دراسة تراجم علماء المدينة، أو أولئك الذين جاؤوا فيها لبعض الوقت، وعلموا فيها، يكشف أن تحصيلهم العلمي يتجاوز العلوم الشرعية إلى العلوم النقلية والعقلية، وقد يبرز عالم في علم من العلوم ويشتهر به، كالفقه أو النحو أو التفسير، إلا أن علماء ذلك العصر يمكن وصفهم بعلماء شموليين؛ فعلى سبيل المثال أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي الشهير بمكشوف الرأس (ت ٧٠١هـ / ١٣٠١م) كان كما يقال «من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المجدين، المطلعين على علوم الأولين من حكمة ومنطق، وهندسة، وفلسفة» إلى جانب قيامه بجمع الكتب المختلفة في التفسير والفقه والحديث والشعر والتاريخ والطب والمنطق والحكمة^(١).

ومنهم محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م)، وكان ذا معرفة بالتفسير، والأصلين، والمنطق، والعربية، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة. كما جمع كتباً كثيرة.

كما أن له إلماماً بالنحو والفقه، وقد أثنى عليه المؤرخون فوصفه الفاسي^(٢) بـ «العلامة، المفتن، البارع»، وذكر ابن حجر^(٣) أنه «عني بالعلم وبرع في الفنون مع

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٧ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٤٧ ل ب، ٢٤٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣١٠-٣١١.

(٢) العقد، ١/ ٣٠٨.

(٣) إنباء، ٧/ ٢٣٩.

الذكاء المفرط وقوة الفهم والمروءة التامة والبأو الزائد» كما أن له بعض المؤلفات^(١). ومنهم أحمد بن يونس بن سعيد الحميري القسنطيني المغربي المالكي (ت ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م)، كان كما يقول السخاوي^(٢) «إماماً في العربية والحساب والمنطق، ومشاركاً في الفقه والأصلين والمعاني والبيان والهيئة، مع إلمام بشيء من علوم الأوائل».

وعلى الرغم من إلمام بعض العلماء وطلبة العلم بكثير من العلوم النقلية والعقلية، غير أن العلوم الأساسية التي تشتمل عليها الحركة العلمية هي العلوم الشرعية؛ المشتملة على القرآن الكريم وعلومه وتفسيره، والعقيدة، والفقه على المذاهب الأربعة إضافة إلى الفقه الجعفري. كما يشتمل النشاط العلمي على اللغة العربية وعلومها. كما كان البعض يدرس علم الحساب، لحاجة الناس إليه في المعاملات من بيع وشراء.

ورغم أن بعض العلماء كان متخصصاً في علم بعينه من العلوم الشرعية، أو اللغوية فقد وجد - كما أسلفت - عدد من العلماء ممن كان له إلمام بعدة علوم، ومن هؤلاء الشيخ أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي الذي كان «إماماً في مذهب مالك، برع في العربية وفي أصول الدين، وأصول الفقه، وتعلم علم الحساب والفرايض، مشاركاً في اللغة، وغيرها، متصدياً للاشتغال، انتفع به الطلبة من جميع المذاهب»^(٣).

(١) السخاوي، التحفة، ٤٧٩/٣، السخاوي، الضوء، ٣/٧-٤ وانظر أيضاً، ابن القاضي، أبي العباس أحمد بن محمد الكناسي، درة البحال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمد بن أبي النور جـ ٢ (ط١)، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١) ص ٣٨-٣٩، بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٤٨٥، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٤٣.

(٢) الضوء، ٢٥٢/٢، التحفة، ٢٧٦/١.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب، ٧٤ ل أ، الفيروآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٣٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٤٩٤/١ - ٤٩٥.

أولاً : العلوم النقلية

١ - علم القراءات

يعد هذا العلم من العلوم الأساسية المختصة بالقرآن الكريم، وقد تحدثت المصادر عن عدد من علماء القراءات في المدينة في تلك الفترة، ففي القرن الثامن الهجري ذكر أن أبا فارس عبد العزيز بن ركنون التونسي (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) «كان من المشايخ الصلحاء القدماء في المجاورة بالحرمين. فاضلاً في علم القراءات»^(١).

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محصن القصري الأنصاري (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) كان «عالم زمانه بالقراءات»^(٢). ومن كبار علماء القراءات في تلك الفترة أبو عبد الله الوادي أشي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) «كان من القراء المجودين» ألف كتاباً في علم القراءات أسماه «اختصار الكافي في القراءات» ورغم أن الكتاب صغير الحجم لكنه كان ذا فائدة عظيمة لطلبة العلم في عصره^(٣).

ومن علماء القراءات الشيخ عبد الواحد الجزولي (ت نحو ٧١٦هـ/ ١٣١٦م)^(٤). ومنهم محمد العقيلي المقرئ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، كان أحد شيوخ عصره بدمشق في القراءات، وجاور بمكة، ثم بالمدينة فتصدر للإقراء

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٤٧٩/٢ وقد وصفه بـ «شيخ القراءة بها اقرأ بالروايات»، السخاوي، نفسه، ٢٤/٣ - ٢٥.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ- ب، ٣٥ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٤ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، ٢٧ ل أ، ١١٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغام (خ) ورقة ٢٥٠ ل أ. السخاوي، التحفة، ١٠٤/٣.

وعد إماماً في القراءات^(١).

ومن هؤلاء أيضاً شرف الدين الزبير بن علي الأسواني (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) كان إماماً في علم القراءات، جاء إلى المدينة وجاور بها حتى وفاته^(٢).

كما برز في علم القراءات في تلك الفترة إبراهيم المكناسي (ت ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)^(٣)، ومن كبار علماء القراءات خلال القرن الثامن محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني المدني، الذي درس على أبي عبد الله محمد القصري القراءات السبع فأثقنها، كما أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله السبتي المغربي. ذكر ابن فرحون أنه «انتفع به أهل المدينة وغيرهم من الواردين»^(٤) وسلك ابنه محمد منهجه في دراسة القراءات، حيث درس على يد والده الروايات السبع في قراءة القرآن، وإذن له في الإقراء بها^(٥).

وفي القرن التاسع الهجري يبرز اسم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي الحسيني (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)، تصدى للإقراء بالحرمين الشريفين، وكان أحد شيوخ القراءات العشر، وهو أحد الخدام بالحجرة النبوية^(٦).

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦١ ل ب، ٦٢ ل ب. ٦٢ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٠ ل ب، الأسنوي، طبقات، ١٦٩/١، الفيروزآبادي، المعجم (خ) ورقة

٢٣٩ ل أ- ب، ابن حجر، الدرر، ١١٣/٢، السخاوي، نفسه، ٧٦/٢ - ٧٨.

الأدقوي. أبو كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي، الطالع السعيد، الجامع أسماء نجباء الصعيد. (د).

ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م) ص ٢٤٨.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ١٥٥/١.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ، ابن حجر، الدرر ٧٦/٤، السخاوي، التحفة، ٥٨٤/٣.

(٥) الناسي، العقد، ٢٩٣-٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٨٦/٥.

(٦) السخاوي، الضوء، ١٤/١ - ١٥، السخاوي، التحفة، ١٠١/١ - ١٠٢.

٢- علم الحديث

يعد هذا العلم، من أقدم العلوم، التي نشأت في المدينة منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث حُثَّ الصحابة على سماع الحديث ثم تدوينه، ولذا فإن ازدهار هذا العلم في المدينة في العصر المملوكي يعد أمراً طبيعياً، وقد شارك في هذا الازدهار الأسر العلمية، وطلبة علم، وعلماء قدموا إلى المدينة وجاوروا بها، وساهموا بنصيب وافر في إبراز هذا العلم تدريجاً وتأليفاً، فمن الأسر العلمية، التي برز بعض أفرادها في علم الحديث أسرة ابن فرحون التي ظهر منها البدر عبد الله بن محمد^(١) وأخوه علي^(٢).

ومن أسرة المطري، عفيف الدين أبو السيات محمد بن أحمد^(٣)، ومحب الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن عبد الرحمن^(٤)، ومن أسرة المراغي شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن الحسين^(٥)، ومن أسرة الخجندي برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد^(٦)، وأحمد بن محمد بن محمد بن محمد^(٧)، ومن العلماء الآخرين الذين استقروا في المدينة وتميزوا بالبراعة في علم الحديث والتأليف فيه أبو عبد الله الوادي آشي الذي له مقدمة في الحديث^(٨).

(١) ابن فرحون، الديباج، ٤٥٤/١-٤٥٥، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٢ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٤ ل ب، ابن فرحون، الديباج، ١٢٥/٢-١٢٦.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣٨٨/٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ١٠١/٩-١٠٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ١٦٢/٧-١٦٣، السخاوي، التحفة، ٥٣٥/٣-٥٣٩.

(٦) السخاوي، الضوء، ٢٥/١، السخاوي، التحفة، ١٠٥/١-١٠٦.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٩٤/٢-٢٠١، السخاوي، التحفة، ٢٥٣/١-٢٦٤.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ.

والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأمين الأتشمري الأخطاوي، ذكره ابن فرحون بقوله: «قد يسر الله عليه تدوين الحديث والعلم فلا تسأله عن شيء من علم الحديث ورجاله إلا وجدت عنده منه طرفاً جيداً، صنف تصانيف كثيرة واختصر مطولات كثيرة»^(١) وأثنى عليه الفيروزآبادي بقوله: «قد فتح الله عليه في مقدمة الحديث باباً سهلاً عليه فدخل، فعلم الحديث وتدوينه محطة ومرحلة، وصنف فيه تصانيف، وجمع وألف فيه تأليف ونفع»^(٢).

ومن أبرز علماء الحديث الذين جاؤوا بالمدينة محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي الشافعي (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م)، وقد أثنى عليه الفاسي^(٣) بقوله «وتقدم كثيراً في الحديث لجودة معرفته بالعلل وأسماء المتقدمين، والمتأخرين، المرويات والعالي والنازل، مع الحفظ لكثير من المتون، ولم يكن له في ذلك نظير بالحجاز... وخرج لنفسه أربعين حديثاً متبينة الإسناد والمتون، وكلها موافقة لأصحاب الكتب الستة».

كما أثنى على تمكنه من علم الحديث ابن حجر^(٤)، والسخاوي^(٥)، وله بعض المؤلفات أكمل بعضها مثل مختصر الحديث^(٦).

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب.

(٢) الفيروزآبادي، المغام (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ.

(٣) العقد، ٣٦٤-٣٦٥، ٣٦٧.

(٤) إنباء، ٤٠١/٧-٤٠٣، وفي ذيل الدرر، ص ٢٨٢ ذكر وفاته سنة ٨٢٤هـ-١٤٢١م.

وانظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات، ١٦١/٧-١٦٢.

(٥) الضوء، ٥٦/١٠-٥٨.

(٦) السخاوي، نفسه، ٥٧/١٠.

٣- علم الفقه

نال هذا العلم اهتماماً من علماء المدينة والوافدين إليها، وبرع كثير من أفراد الأسر العلمية وطلبة العلم الآخرون في هذا العلم. كما كان لانتشار المذاهب الفقهية بالمدينة أثر في تدريس الفقه.

فمثلاً من أبرز علماء الفقه المالكي الشيخ شمس الدين محمد بن فرحون^(١) وابنه عبد الله^(٢) وحفيده إبراهيم بن علي^(٣) والآخر ألف كتاباً في الأحكام أسماء «منضدة الحكماء» وآخر في طبقات المالكية، «والغواص في أوهام الخواص»، وإرشاد السالك إلى المناسك، «وذكر أن له كتاباً بعنوان «التبصرة في أدب القضاء». ومن علماء الفقه المالكي أبو الربيع سليمان الغماري، الذي أثنى عليه ابن فرحون، ووصفه بأنه «فقيه المدينة ومفتيها على مذهب مالك»^(٤)، «كان إليه مرجع الفتيا على مذهب مالك».

ومن فقهاء المالكية أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي تلميذ محمد بن فرحون السابق الذكر، اشتغل بالتدريس في مذهب مالك، وأصول الفقه، وقد انتفع به الطلبة من جميع المذاهب^(٥). ومن علماء الفقه المالكي أيضاً خلف بن أبي بكر بن أحمد الزين التحريري المالكي، الذي درس عليه تقي الدين محمد

(١) توفي سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٧١٠/٣.

(٢) توفي في سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، ابن فرحون، الديباج، ٤٥٥/١.

(٣) توفي ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م، ابن حجر، الدرر، ٤٩/١، السخاوي، نفسه، ١٣٢/١، القرافي، توضيح الديباج، ص ٤٥-٤٦ ابن قاضي شعبة، تاريخ، ٦٢٣/٣.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٢ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٤٢ ل أ.

(٥) توفي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب، ٧٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٣٩ ل ب.

ابن أحمد الفاسي^(١). وفي الفقه الشافعي يبرز محمد بن عيسى الأزدي الدوسي اليمني الشافعي (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) الذي ألف كتاباً في الفقه سماه «المقتضب»^(٢).

أما عالم المدينة أبو بكر بن الحسين المراخي فله مؤلفات عديدة في الفقه منها «الحمد في شرح الزيد» و«مرشد الناسك إلى معرفة المناسك» كما أكمل شرح شيخه الأسنوي للمنهاج سماه «الوافي بتكملة الكافي»^(٣) وفي الفقه الحنبلي ألف أحمد بن محمد الشوبكي الحنبلي حين مجاورته المدينة كتاب «التوضيح»، جمع فيه بين المقنع لابن قدامة والتنقيح للمراذي^(٤).

وفي الفقه الحنفي شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي^(٥) الذي درس الفقه بالحرم النبوي، وشهاب أحمد بن عبد الله بن حمد بن إبراهيم المصري، الذي تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وصار إماماً فيه^(٦). كما روى الموطأ عن الوادي آشي^(٧).

٤- علم التفسير

من علماء التفسير في المدينة أواخر العصر المملوكي عبد المعطي بن أحمد بن

(١) الفاسي، العقد، ٣٣٣/١، السخاوي، الصفحة، ١٩/٢.

(٢) الفاسي، نفسه، ٢/٢٤٥ - ٣٦٥.

(٣) توفي سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م، الفاسي، نفسه، ٢/٣٦٤ - ٣٦٥، السخاوي، الضوء، ١١/٣٠.

(٤) كان موجوداً في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، الغزي، الكواكب، ٢/٩٩.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٦١ ل ب، ٢٦٢ ل أ، ابن

حجر، الدرر، ٥/٦٣.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/١٩٣.

(٧) السخاوي، نفسه، ١/١٩٤.

محمد السخاوي المدني^(١)، وصفه بابا التنبكتي^(٢) بقوله «الفقيه العالم المصنف الجامع»، ألف كتاباً في التفسير سماه «فتح الحميد» في ستة أجزاء^(٣).

٥- علم التاريخ

إن للتاريخ نصيباً في العلوم التي ازدهرت في المدينة خلال تلك الفترة، نظراً لوجود المسجد النبوي وما تحويه المدينة من معالم وآثار لها صلة بالسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي بشكل عام مما حفز الكثير من المهتمين بالتاريخ على الكتابة فيها، غير أنه يلاحظ أن كثيراً من تلك المؤلفات الخاصة بالمدينة يغلب عليها التطرق للفضائل والمعالم وقليل منها يتعرض للحوادث التاريخية، كما أن بعضها يترجم لرجال ونساء المدينة أو ممن حل بها خلال العصور الإسلامية المختلفة.

اشتدت عناية العلماء من أهل المدينة وخارجها بالكتابة عن تاريخها؛ فمن المؤلفات التاريخية المتصلة بتاريخ المدينة «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» لمحمد ابن محمود بن الحسن بن هبة الله بن النجار البغدادي^(٤)، وهو في أخبار المدينة، وفضائلها، وآثارها، ومعالمها، حتى عصر المؤلف، أما عن قيمته التاريخية فهو اعتماده على كتب مفقودة، لم تصلنا مثل «كتب أخبار المدينة» لمحمد بن الحسن بن زبالة (ت حوالي ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) وكتاب المدينة وأخبارها لعبد الله ابن سعيد الوراق، كما اعتمد على كتاب ابن النجار المؤرخون الذين جاءوا بعده وكتبوا في تاريخ المدينة كالمطري والمراغي والسمهودي والعباسي وغيرهم.

(١) كان موجوداً سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م، حاجي خليفة، كشف ١/٤٥٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٦ (د. ط، مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) ص ١٧٦.

(٢) بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٢٨٧.

(٣) بابا التنبكتي، نفسه، ص ٢٨٧.

(٤) توفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م، السبكي، طبقات، ٥/٤١، الزركلي، الاعلام، ٧/٨٦.

ومن ألف في تاريخ المدينة في القرن السابع الهجري أبو اليمن عبد الصمد ابن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي، ثم المكي^(١)، له كتاب «إتحاف الزائر، وإطراف المقيم السائر» يتعلق بتاريخ المدينة، وقد ذكره ابن رشيد^(٢) في رحلته. وفي القرن الثامن الهجري ظهر عدد من المؤرخين أبرزهم محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ الآقشهري^(٣) المجاور بمكة والمدينة، ألف «الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية»^(٤)، في التراجم ذكر فيه أسماء من دفن في البقيع من الصحابة والتابعين إلى عصره، وقد انتهى من تأليفه سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م. وقد حدث بكتابه في المدينة، ثم بمكة سنة ٧٣٣هـ / ١٣٢٢م^(٥).

ومن المؤلفات الهامة في تاريخ المدينة كتاب «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» لجمال الدين محمد بن أحمد المطري^(٦)، وهو يتطرق لأهمية المدينة والمسجد النبوي، وفضائله، وآثار المدينة ومعالمها^(٧)، ويعد الكتاب ذيلًا لكتاب ابن النجار، الدرة الثمينة السابق الذكر^(٨) ولابنه عفيف الدين عبد الله المطري مؤلف في

(١) توفي سنة ٦٨٦هـ / ١٣٨٤م، الفاسي، العقد، ٥/٤٣٢-٤٣٣.

(٢) ملء العيبة، ٥/١٤٥-٢٣١.

(٣) توفي سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ الفاسي، العقد، ١/٢٨٦-٢٨٧، ابن حجر، الدرر، ٣/٣٩٨.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/٤٦٣.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/٣٦٤، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الخشت (د. ط، مكتبة الساعي، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ص ١٦٢.

(٦) توفي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ.

(٧) السخاوي، نفسه، ٣/٤٦٧.

(٨) الفيروزآبادي، المغنم (ط) المقدمة ص، ط.

تاريخ المدينة هو كتاب «الإعلام فيمن دخل المدينة من الإعلام»^(١).

أما عالم المدينة وقاضيه؛ البدر عبد الله بن محمد بن فرحون فله كتاب «نصيحة المشاور وتعزية المجاور»^(٢)، وهو في التراجم، حيث ترجم لعدد كبير من العلماء، والفقهاء، والقضاة، والمؤذنين، والصلحاء، والقائمين على خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة، المعروفين بالخدام، كما تحدث عن أمراء المدينة من الأشراف، ووزرائهم، والكتاب يعطي صورة عن الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في المدينة في عصر المؤلف، وعن العلاقات بين فئات المجتمع المختلفة. كما ألف أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري، المرجاني المدني كتاب «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار» صنّفه في المدينة سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م^(٣).

ومن الكتب المفقودة والهامة في تاريخ المدينة في العصر المملوكي، ما ألفه محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني المدني، المعروف بابن صالح المسمى «تاريخ المدينة»، نقل منه السخاوي كثيراً، وذكر أنه تحدث فيه «عن جماعة ممن رآه وعرفه من العلماء الصالحين والقضاة، وخدام الحرم، وعوام المسلمين المتدينين وغيرهم»^(٤)، وهو في هذا يشبه كتاب نصيحة المشاور لابن فرحون، ويمن له اهتمام بالتاريخ أيضاً عبد العزيز بن ركنون التونسي^(٥).

(١) توفي سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، الفيروزآبادي، المغنم (خ) ورقة ٢٤٨ ل ١- ب ابن حجر، الدور،

٣٩١/٢، السخاوي الإعلام، ص ١٦٣، السخاوي، التحفة، ٣٨٧/٢.

(٢) توفي سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م، الفيروزآبادي، المغنم (خ)، ورقة ٢٥٢ ل ب، ابن حجر، الدور،

٤٠٦/٢-٤٠٧، السخاوي، التحفة، ٤٠٣/٢.

(٣) كان موجوداً سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، السخاوي، التحفة، ٣٥٤/٢.

(٤) توفي سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م، السخاوي، التحفة، ٥٨٤/٣.

(٥) توفي سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل ب.

كما ألف محمد بن موسى بن علي المراكشي المجاور بالمدينة كتاباً يتعلق بتاريخ المدينة^(١).

ومن المؤلفات في تاريخ المدينة كتاب «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة»، لزين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي، فرغ من تأليفه في المدينة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م^(٢)، وهو تلخيص لكتابي ابن النجار والمطري السابق الذكر^(٣). ثم جاء محمد بن يعقوب الفيروزآبادي فألف كتاب المغانم المطابة في معالم طابة^(٤).

ووصلت المؤلفات في تاريخ المدينة ذروتها بما كتبه محمد بن عبد الرحمن السخاوي^(٥)، فألف كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»^(٦)، ترجم فيه لكل ما وصل إلى علمه من أهل المدينة والوافدين إليها، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصره، كما نجد جملة من تلك التراجم وغيرها في كتابه الآخر «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ورغم أن كتاب التحفة وصلنا ناقصاً، إلا أن ما لدينا يعطينا صورة طيبة عن بعض نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

وجاء في عصر السخاوي مؤرخ آخر هو نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، صاحب المؤلفات العديدة في تاريخ المدينة، وغيرها، وأهمها كتابه

(١) توفي سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م، السخاوي، الضوء، ٥٧/١٠.

(٢) توفي سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (ط) المقدمة ص، ي.

(٤) توفي سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م، الفاسي، العقد، ٣٩٤/٢، الفاسي، ذيل التقييد، ٤٧١-٤٧١.

السخاوي، الضوء، ٨٢/١٠.

(٥) توفي سنة ٩٠٢هـ / ١٣٩٦م، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ١٥/٨.

(٦) السخاوي، الضوء، ١٧/٨، السخاوي، التحفة ٢٢/١.

«الوفا بما يجب لحضرة المصطفى»، وما يسمى أيضاً «اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى»^(١)، وقد احترق هذا الكتاب قبل اتمامه في حريق المسجد النبوي سنة ١٤٨١هـ / ١٨٨٦م حين كان المؤلف بمكة^(٢)، ثم ألف كتاباً وسيطاً سماه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، لخص فيه ما أطلع عليه من تواريخ المدينة في مؤلفات ابن رباله، وابن شبه، وابن النجار، والمطري، والفيروزآبادي، والمراغي. والكتاب في أخبار المسجد النبوي والحجرة الشريفة، ومعالم المدينة وآثارها، ويقدم الكتاب صورة طيبة عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأحوال العمرانية للمسجد النبوي، وما يحيط به، وما طرأ على تلك المعالم من تغيير خلال العصر المملوكي، كما أن له كتاب «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»^(٣).

وفي أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني ألف عبد المعطي بن محمد السخاوي المدني كتاب «تاريخ المدينة»^(٤).

وهناك مؤلفات عديدة في العهد العثماني؛ أبرزها كتاب «عمدة الأخبار في مدينة المختار» تأليف أحمد بن عبد الحميد العباسي^(٥) عده الشيخ حمد الجاسر تلخيصاً لكتاب «خلاصة الوفاء» للسهمودي^(٦).

(١) توفي سنة ٩١١هـ / ١٥٠٦م، السخاوي، الضوء، ٢٤٦/٥، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٥١/٨.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢٣١/٣.

(٣) انظر: مقدمة السهمودي في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ١-٢. الشوكاني، البدر، ٤٧٠-٤٧١ / ١.

(٤) كان موجوداً سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م، بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ص ٢٨٧، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٧٩.

(٥) لم أستدل إلى ترجمة للمؤلف فيما اطلعت عليه من مصادر أو مراجع كما أن ناشر الكتاب لم يد لنا على أية معلومات عن المؤلف وكتابه.

(٦) مقدمة كتاب، الفيروزآبادي، المغام (ط)، ص، ك.

رغم شدة عناية العلماء من أهل المدينة وخارجها بالكتابة عن تاريخها، إلا أن حظ هذا العلم كان قليلاً في مجال التدريس، فقد وجدت إشارات حول تدريس تاريخ المدينة بصفة خاصة في المسجد النبوي، ومنها ما سمعه علي بن يوسف الزرندي على الجمال المطري، وكافور الخضري سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م من «تاريخ المدينة» لابن النجار^(١). أما علي بن محمد بن موسي بن منصور المحلي فقد سمع على الزين أبي بكر بن الحسين المراغي سنة ٧٧٩هـ / ١٣٤٨م كتابه «تاريخ المدينة»^(٢).

٦- الشعر:

يعد الشعر مرآة تعكس شخصية الإنسان، وتعبّر في بعض الأحيان عن البيئة التي يعيش فيها، وقد اهتم العرب منذ الجاهلية بالشعر، حتى ليقال: الشعر ديوان العرب.

والمدينة كغيرها من المدن والأمصار الإسلامية، حفلت عبر عصورها بعدد كبير من الشعراء، كانت لهم اهتمامات مختلفة ومتعددة، فتنوعت أغراض الشعر لديهم، وبعض هؤلاء كانت اهتماماتهم منحصرة في الأدب وحده؛ من شعر ونثر، أما البعض الآخر فكانت لهم بالإضافة إلى الأدب اهتمامات علمية مختلفة منها العلوم الشرعية.

تعددت الأغراض الشعرية لدى هؤلاء الشعراء؛ من مدح وثناء وحكمة وغزل ووصف وغيره. فمن شعراء المدينة أوائل العصر المملوكي الذين كانت

(١) توفي سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م، السخاوي، التحفة، ٢٦٨/٣.

(٢) توفي سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م، انظر ترجمته في ابن شاکر الکتبی، محمد شاکر، فوات الوفیات،

تحقیق إحسان عباس ح ٣ (د. ط، دار صادر، بیروت ١٩٧٤م) ص ٣٦-٣٧.

لهم اهتمامات أدبية، وبخاصة في مجال الشعر؛ أبو البركات أيمن بن محمد السعدي التونسي المالكي ولد بتونس سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م، ونزح إلى المدينة وجاور بها، ورغم أنه جمع ديواناً كبيراً، يشتمل على مدائح نبوية، إلا أن له شعراً كثيراً طرق فيه مختلف أغراض الشعر المعروفة من مدح وثناء وحكمة وغزل ووصف وغيره^(١).

فمن شعره في الحكمة^(٢):

لعمرك أن العمر يوم وليلة يكران والدنيا مناخ لراكب
وله أيضاً في الحكمة:

إذا طال عمر المرء سر وساءه على أي حال كان فقد الحبايب
وفي نفسه إن مات قبل انتهائه مصيبته فالمرء رأس المصائب
وكانت وفاته في المدينة سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م^(٣).

ومن الشعراء الذين استقروا في المدينة، وكانت لهم اهتمامات مختلفة، محمد بن أحمد الآقشهري، الذي اشتهر برحلاته، كما ألف في تاريخ المدينة، نظم الشعر وبخاصة في الوصف، والمدائح، فمن قوله في حريق المسجد النبوي^(٤).

أئينا الحجار عشية وإذا الزخارف التي فيه محرق

(١) السخاوي، التحفة، ٣٥٢/١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٨ ل أ- ب، الفيروزآبادي، المغام (خ) ورقة ٢٣٤ ل أ- ب، السخاوي، التحفة، ٣٥٣/١.

(٣) ابن حجر، الدرر، ٤٦٢/١.

(٤) توفي سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٤ ل ب، السخاوي، نفسه، ٤٨١/٣، وذكر ابن حجر، ولادته سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م نفسه، ٤٢٩/٣.

ومن الشعراء الذين جاؤوا بالمدينة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري نسباً، الأندلسي مولداً ومنشأً، ولد بالمرية بالأندلس سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م^(١)، ورحل مع أبي جعفر أحمد بن يوسف ابن مالك الغرناطي إلى دمشق سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م ثم إلى حلب، ثم جاور الهواري بعد ذلك في المدينة، وله ديوان شعر في مجلدين، فكان اهتمامه منصباً على الشعر.

فمن قصيدته في وصف المدينة^(٢):

بطيبة انزل ويم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

توفي بالبيرة في الشام سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م^(٣).

أما صاحبه وصديقه أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي، فقد ولد بغرناطة سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م، واهتم بالأدب، ورافق أبا عبد الله محمد بن أحمد الهواري السالف الذكر إلى الشام، ثم جاؤا بالمدينة، وكان يشارك بعض الشعراء المكفوفين على أن يكتب والأعمى ينظم الشعر توفي سنة ٧٧٩هـ / ١٣٤٨م^(٤).

ومن شعراء المدينة محمد بن محمد الأنصاري الزموري، ولد بزمورة في أقصى المغرب سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م نشأ بها ثم رحل إلى المدينة واستوطنها،

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٤٨١/٣، وذكر ابن حجر، الدرر، ٤٢٩/٣ ولادته سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٣ ل ب، السخاوي، نفسه، ٤٨١/٣.

(٣) ابن حجر، نفسه، ٤٣٠/٣.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٣ ل ب، ٥٤ ل أ- ب ابن حجر، نفسه، ٣٦١-٣٦٢ السخاوي، نفسه، ٢٧٤/١.

وكان عالماً بالفقه والعربية وله شعر منه قوله في مدح المدينة^(١).

لا كالمدينة منزل وكفى بها شرفاً حلول محمد بفناها
حظيت ببهجة خير من وطئ الثرى وأجلهم قدراً فكيف تراها
توفي بمكة سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م^(٢).

كما برز من الأسر العلمية في المدينة عدد من علمائها من كان له إلمام بالشعر ونظمه، فمن أسرة ابن فرحون الشيخ عبد الله بن محمد بن فرحون له قصيدة في فضل المدينة والتشويق إلى سكنائها والإقامة بها ومنها قوله^(٣).

مدينة خير الرسل مهبط وحيه سقاها الهي ماطر بعد ماطر
ومن أسرة الخجندي الشيخ أبو الفتح محمد بن إبراهيم الخجندي إمام مقام الحنفية وقد ورد له بعض الشعر أغلبه في الحكمة ومنها قوله^(٤).

أمل يطول وفي آجالنا قصر والدهر ينكي وفي الأيام معتبر
والنفس في غفلة عما يراد بها والقلب من قسوة كأنه حجر
ومن أسرة المراغي، أبو بكر بن الحسين المراغي له في الحكمة أيضاً^(٥).
حمدت إلهي على فضله وتجديد أنعامه كل عام
بلغت الثمانين وبضعاً لها امثال عصري قضوا بالحمام

(١) بابا التنبكتي، نيل الابتهاج ص ٥٢١، المذكور في السخاوي، الضوء، ٢٥٢/٧، والقرافي، توشيح الديباج ص ٢٠٥، إلا أن اسمه في الكتابين محمد بن سعيد بن محمد الزموري، مع اتفاقهما في مولده مع ما ذكره بابا التنبكتي غير أنهما يثيران إلى استيطان المدينة بدل مكة وليس له إلمام بالشعر.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢٥٢/٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٧ ل ب.

(٤) توفي سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م، السخاوي، الضوء، ٢٤٦/٦، السخاوي، التحفة، ٣٥٢/٣.

(٥) توفي سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ٣١/١١.

ثانياً العلوم العقلية

١- الطب :

يحسن بنا قبل الحديث عن الطب أن نذكر أن أول بيمارستان^(١) «مستشفى» أنشئ في المدينة كان سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م^(٢)، حيث أمر بتشيد الخليفة العباسي المستنصر بالله أبو جعفر المنصور^(٣)، ثم جدده السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٢م^(٤). غير أنه ليس لدينا ما يشير إلى طبيعة النشاط العلاجي، والعلمي، في المارستان، وعن الأطباء والمشرفين عليه، وعن مدة بقائه مكاناً لعلاج المرضى، إلا أنه وردت إشارات في النصف الأول من القرن الثامن الهجري إلى وجود مارستان في المدينة^(٥)، واستخدام جانب منه لتخزين تمر الأوقاف، فهل كان هو المارستان الذي أنشئ في القرن السابع الهجري؟ وهل كان يستخدم للعلاج في تلك الفترة؟ أم أن أمره آل إلى الخراب فاستخدم المبنى مستودعاً للتمور! غير أنه ثبت وجود مارستان للعلاج في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، فقد ذكر وفاة أحد الأعلام به في ربيع الآخر سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٧م^(٦).

(١) البيمارستان، مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أي مريض، وستان أي محمل أي دار المرضى، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام (د. ط، دمشق ١٩٣٩هـ / ١٩٣٩م) ص ٤.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/٦٥، السمهودي، وفاء، ٢/٦٩٥.

(٣) تولى الخلافة ما بين (٦٢٣ - ٦٤٠هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢م) الذهبي، سير، ٢٣/١٥٥ - ١٦٨. ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/٣٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ٧/١٩٤.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٥ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/٤٨٤.

(٦) ابن فهد، لمجم الدين عمر بن محمد، الدرر الكامين بديل المعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (مخطوطة مصورة برقم ٣٣٢، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٦٩ ل ب.

ومن أبرز الأطباء في المدينة خلال تلك الفترة محمد بن حسين بن علي بن رستم ذكره ابن فرحون^(١) بقوله «وهو الفقيه الفاضل، اشتغل بالطب، ورحل إلى الشام، وخالط الصوفية». ومن له إسهام في مهنة الطب أبو علي الحسن الحجام^(٢)، ومن ذلك يتضح أن مهنته الأساسية كانت الحجامه، كما كان يختن الأطفال، ويعمل أيضاً بمهنة الحلاقة، ويمارس مهنة الخياطة ويسقي الماء في المسجد النبوي احتساباً. وشهاب الدين مرشد الغادي^(٣)، ومحمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي^(٤)، وأبو علي بن فرخوص التلمساني المغربي^(٥). وقياساً للمارستان الذي أنشأه السلطان الأشرف شعبان بمكة، فيحتمل أنه خصص للمارستان بالمدينة أطباء وممرضين وفراشين كما زود بالأدوية والأدوات ويصرف للعاملين مرتبات شهرية^(٦).

٢- الكيمياء

عمل بعض أفراد الأسر العلمية في المدينة في الكيمياء، فمثلاً من أسرة المطري تحدثت بعض المصادر أن الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطري قد عمل بالكيمياء، فكان في الأصل فقيهاً صوفياً، عارفاً بعلم الصوفية، وربما دفعه تفكيره في دقائق الأمور إلى البحث في الكيمياء والاهتمام بها^(٧).

(١) نصيحة، ورقة ٨٤ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤٨/٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٥٠٠.

(٣) كان موجوداً سنة ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٣ ل أ - ب.

(٤) كان موجوداً سنة ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م، السخاوي، الضوء، ٨/ ١٦٦ - ١٦٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٧٤.

(٥) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٤٥.

(٦) راشد سعد راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين (د. ط، مكتبة الملك فهد

الوطنية، الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م). ص ١١٢ - ١١٥.

(٧) توفي سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٦٥، السخاوي، الضوء، ١/ ٣٣٣،

السخاوي، التحفة، ١/ ١٨٤، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/ ١٥٤.

ومن كانت له اهتمامات ببعض العلوم أبو علي الحسن بن فرخوص التلمساني المغربي السابق الذكر، الذي أخذ كما يذكر ابن فرحون^(١) من كل علم بطرف وبينها علم الكيمياء.

وبرهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسين بن حسن بن قاسم المدني الشافعي الذي اشتغل بالكيمياء، لكنه لم يحقق نتائج من عمله^(٢).

٣- الرياضيات

هي من العلوم التي ازدهرت في المدينة في تلك الفترة، وبرع فيها بعض العلماء وطلبة العلم؛ لما لها من فائدة في حياة الإنسان وبخاصة الحساب. فمن أبرز من امتاز بهذا العلم محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي، المعروف بالوانوغي، فكان ضمن ما اهتم به علوم الحساب والجبر والمقابلة^(٣).

أما أحمد بن يونس القسطنطيني المغربي المالكي، فقد وصف بأنه كان إماماً في الحساب والمنطق^(٤).

ومع أواخر العصر المملوكي، وأوائل العصر العثماني، برز عبد العزيز المغربي المكناسي؛ الذي كان مهتماً بعلوم مختلفة، بينها الرياضيات التي ألف فيها كتاب «نزهة الألباب في الحساب»^(٥).

(١) نصيحة، ورقة ٦٩ ل أ، وانظر أيضاً، السخاوي، التحفة، ٢٤٥/٣.

(٢) توفي سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م، السخاوي، الضوء، ٥٧/١ - ٥٨، السخاوي، التحفة، ١٢٢/١.

(٣) توفي سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م، الفاسي، العقد، ٣٠٩/١، ابن حجر، إنباء، ٢٣٩/٧، السخاوي،

التحفة، ٤٧٩/٣، السخاوي، الضوء، ٤/٧، القرافي، توشيح الديباج، ص ١٧٣، بابا التنبكتي،

نيل الابتهاج، ص ٤٨٥.

(٤) توفي ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م، السخاوي، الضوء، ٢٥٢/٢ - ٢٥٣، السخاوي، التحفة، ٢٧٤/١ -

٢٧٦.

(٥) توفي سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م الغزي، الكواكب، ١٦٩/٢، ابن عماد الحنبلي، شلوات، ٣٤٢/٨.

٤ - الفلك

يعد الفلك أقل العلوم ممارسة في المدينة في تلك الفترة، فمن بين من اهتم بالفلك محمد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي الغرناطي، وصف بأنه كان «عارفاً بالنحو وعلم الفلك»^(١).

و - المكتبات أو خزائن الكتب

باعتبار أن المسجد النبوي يعد مركزاً علمياً هاماً للحركة العلمية، فقد وجدت فيه عدد من خزائن الكتب؛ التي أوقفت من قبل الوجهاء والعلماء والصالحين، وجد بعضها في العصر المملوكي، ويعود البعض الآخر للعصر الأيوبي، فقد أشار ابن جبير^(٢) إلى وجود «خزانتين كبيرتين محتويتين على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك» كذلك أشار الرحالة ابن رشيد^(٣) إلى وجود عدد من خزائن الكتب داخل الحرم النبوي الشريف.

ومن بين من أوقف كتباً في المسجد النبوي، إبراهيم بن رجب بن حماد العاري السلماني الشافعي الذي كانت له كتب نفيسة وقفها بالمسجد النبوي^(٤). كما نالت المدارس الموجودة بالمدينة نصيبها من وقف الكتب فيها، فقد أوقف محيي الدين بن زكريا الحوراني خزانة عظيمة من الكتب بالمدرسة الشهابية^(٥).

(١) توفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٥م، الفاسي، العقد، ٢/ ٢١٨-٢١٩، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٢١٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٨٤.

(٢) الرحلة، ص ١٧١.

(٣) ملء العية، ٥/ ٣٤-٣٥.

(٤) توفي ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١/ ٨٢، السخاوي، التحفة، ١/ ١١٣-١١٤.

(٥) توفي سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، الفاسي، العقد، ٧/ ٤٣٥.

ز - الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم :

يشكل النشاط العلمي في المدينة جزءاً أساسياً من الحياة العامة لأهل المدينة والوافدين إليها، وقد اتضح لدينا أن المجاورين هم الركيزة الأساسية لذلك النشاط، وقد تفرغ البعض منهم للعلم، وقام البعض الآخر بممارسة وظيفة، أو مهنة تدر عليه دخلاً للإنفاق على شؤونهم، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الموارد المالية لهذه الفئة تأتي من:

- الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا.

- الوظائف، والمهن.

١- الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا.

تشكل هذه القنوات من الموارد، أهمية أساسية للإنفاق على المساجد وبخاصة الحرم النبوي، والمدارس والأربطة، التي أمر بها سلاطين المماليك ووزراؤهم. ففيما يتعلق بالأوقاف التي أوقفها سلاطين المماليك على الحرم فقد أنقسمت إلى أقسام ثلاثة.

١- أوقاف يستغل ريعها للصرف المباشر والمستمر على عمارة وموظفي الحرم والعاملين به.

٢- أوقاف تستغل ريعها في الخدمات العامة في المدينة.

٣- أوقاف يستغل ريعها لإصلاح الطرق التي يسلكها الحجاج وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق^(١).

(١) عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٢٥١، راشد القطحاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ص ٣١.

والنوع الأول هو الذي يهمننا، لأنه يركز على الدروس المختلفة التي كانت موجودة بالمسجد النبوي، وأنواع العلماء، ومخصصات كل منهم سنوياً؛ ومنها وثيقة السلطان المملوكي الأشرف شعبان^(١) التي تنص على:

- تعيين ستة من القراء الحافظين لكتاب الله تعالى، وخصص لهم مبلغ ألف وثمانمائة درهم راتباً سنوياً.

- وقارئ الجمعة وراتبه سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً.

- والمادح وراتبه ثلاثمائة وستون درهماً سنوياً.

- ومدرس الحديث وراتبه ألف ومائتا درهم سنوياً.

- ومدرسو المذاهب الأربعة، مدرس الشافعية والحنفية والمالكية ألف ومائتا درهم سنوياً لكل منهم، أما مدرس الحنابلة فيصرف له سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً.

والمؤدب لعشرة من أيتام المسلمين وراتبه سبعمائة وعشرون درهماً.

- وهناك شخص وظيفته أقرب للوعظ والإرشاد يسمى متصدر العلم ومرتبته السنوى خمسمائة درهماً سنوياً.

كما يصرف لطلبة العلم نفقة سنوية^(٢).

كما شكلت المساهمات الأخرى من الأغنياء وأهل الخير مورداً هاماً لتلك المؤسسات التعليمية؛ فممن أنفق على بعض الأربطة بالمدينة عبدالعزيز بن عبدالسلام الزرندي (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)، كانت له ثروة أنفقها في أعمال

(١) السلطان الأشرف شعبان حكم بين (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٣-١٣٧٧م) المقرئ، السلوك، ٨٣/٣-

٢٨٢، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١/١٧٣.

(٢) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ص ١١٧-١٢٠.

الخير، فكانت لديه مزرعة حيث خصص لكل رباط بالمدينة عائد نخلة من نخيل مزرعته^(١).

أما المدارس، فقد أوقف إبراهيم العريان الرومي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) نخلاً على المدرسة الشيرازية^(٢). ومن الأوقاف على المدرسة الشهابية نخل يسمى المملوكي أو البصة، وكان عائد النخل المذكور في أحد الأعمام (أوائل القرن الثامن الهجري) مائتين وثمانين صاعاً، أعطي منها محمد بن فرحون (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) وجماعته من الطلبة المالكية في المدرسة الشهابية ثمانين صاعاً، وأخذ السراج قاضي المدينة وطلبة الشافعية بالمدرسة الباقي^(٣).

أما الوصايا فهي ما يوصي به الشخص في حياته وتنفذ بعد وفاته ومنها ما أوصى به رجل لعبد الله بن فرحون من مال لشراء نخيلات تكون وقفاً على رباط السبيل^(٤). ويفهم من ذلك أن عائد إنتاج تلك النخيلات من التمر، يورع على ساكني الرباط، أو يمكن بيع بعض إنتاج النخيل من التمر وصرف عائدها على الرباط.

وقد تختص بعض الوصايا بأصحاب مذاهب معينة، فمثلاً أوصى يعقوب الشريف التونسي (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) «بخمسمائة دينار لوقف يشتري بالمدينة، يصرف ريعه على من في المدرسة الشهابية من المالكية والشافعية. وقد فسر ابن فرحون هذا الإجراء من جانب يعقوب الشريف بأن المدرسة الشهابية مستقرة ولم تتعرض للتغيير. كما أن المذهبين الشافعي والمالكي كانا مذهبي

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٧ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/ ١٥٤.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٨ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٨ ل ب.

الأغلبية من أهل المدينة السنة، وقد اشتملت الوقفية أيضاً على حديقة (مزرعة) تسمى غشاوة، يصرف عائدها على طلاب المدرسة^(١).

٢- مهنة طلبه العلم.

تعد المهنة أو الحرف مورداً أساسياً لبعض طلبه العلم، فرغم أن الكثير من هؤلاء كانوا منشغلين بطلب العلم ويعيشون على ما يأتيهم من عائدات. الوقفيات، والصدقات، والوصايا، والهبات، إلا أن البعض الآخر يكون صاحب مهنة سابقة، قبل قدومه للمدينة أو اشتغاله بالعلم، أو امتهن حرفة تعينه على معيشته وقد أوضحت لنا مصادر تلك الفترة بعضاً من تلك المهنة أو الحرف التي ساهمت في النشاط الاقتصادي للمدينة، ومن بينها الزراعة التي مارسها كثير من أهل المدينة والوافدين إليها ومن بينهم المجاورون من طلبه العلم، غير أنه نظراً لبعد المزارع عن المسجد النبوي، ومراكز العلم المحيطة به، فلم تشر المصادر إلا إلى القليل من طلبه العلم، الذين عملوا في الزراعة، نظراً لاهتمام تلك المصادر بالحركة العلمية بالمسجد النبوي، والمنطقة المحيطة به.

فمن طلبه العلم الذين عملوا بالزراعة أمين الله خالص البهادي الذي كان «يتعاني الفلاحة... وكثر ماله، حتى أوقف الأوقاف، وله رباط بباب البقيع، وله عتقاء من عبيد وإماء، وغرس في الحرم»^(٢) ومن اشتغل بالزراعة من المجاورين جماعة من المغاربة (أوائل القرن الثامن الهجري) سكنوا رباط دكالة منهم يوسف الحلوي، ومحمد المكناسي اللذان عملا في الحدائق^(٣).

ومن المعلوم أن النشاط الزراعي من أهم الأنشطة الاقتصادية في المدينة

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٦ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٤ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ- ب.

باعتبار أنها تضم عدداً كبيراً من المزارع، التي تحتوي على النخيل، وأنواع المحاصيل الزراعية الأخرى، لهذا فقد جذب هذا النشاط أعداداً كبيرة من العاملين من أهل المدينة والقادمين إليها.

ومن مهن طلبة العلم النساخة أي نسخ كتب العلم، فمن بين من اتخذها مهنة أساسية يتكسب من خلالها، أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن عيسى المكي الأصل (٨٥١هـ / ١٤٤٧م) الذي «تكسب بالنساخة»^(١)، ونظراً لخطه الجيد، وبراعته في الحساب؛ فقد عين كاتباً على عمارة الحرم النبوي بعد وقوع الحريق به سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م^(٢). إلا أن بعض طلبة العلم لم يكن يتكسب من النساخة بل كان يقوم بهذا العمل احتساباً، ومنهم عبد الواحد الجزولي الذي «كان من العلماء الزهاد... مكباً على نسخ العلم عالماً بالحديث والقراءات له كتب كثيرة بخطه أوقفها وفرقها قبل موته بقليل»^(٣).

ويتصل بمهنة النساخة مهنة أخرى، هي تجليد الكتب التي تحفظ الكتاب من الضياع والتلف، ومن بين من اتخذها مهنة يتكسب منها الشيخ محمد التلمساني (ت ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م) «كان من أهل الخير والصلاح مكباً على الاشتغال بالفقه... وكان يشتغل بتجليد الكتب»^(٤).

كما ظهر في أسرة ابن فرحون أشخاص امتهنوا حرفة التجليد، وكانوا من طلبة العلم ومن هؤلاء علي بن محمد بن محمود بن علي بن محمد بن فرحون وابنه عبد العزيز وقد عرف كلاهما بالمجلد^(٥).

(١) السخاوي، الضوء، ١/ ٢٩٠.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ١٧٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٥ ل ب، ٢٦ ل أ، الفيروزآبادي. المغام (خ) ورقة ٢٤٩ ل ب، ٢٥٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٠٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة ورقة ٧٥ ل ب، ٧٦ ل أ.

(٥) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٢٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٣-٣٤.

ومن المهن التي عمل بها بعض طلبة العلم العطارة، وقد تخصصت أسر في هذه المهنة، وتوارثها الأبناء عن الآباء، ومنها أسرة المشاكير، والشكليين، وكلا الأسرتين قدمتا من مكة.

أما أسرة المشاكير فينتسبون إلى قبيلة قريش، جدهم اسمه مشكور خلف ذرية، أقبل بعضهم على العلم، واهتم به، وكان غالبهم يمتنون العطارة^(١). أما أسرة الشكليين التي كان كثير من أفرادها طلبة علم امتهن بعضهم الزراعة والتجارة مثل جد الأسرة مسعود الكجار، وابنه مبارك^(٢)، كما امتن ابنه الآخر عليان العطارة^(٣)، وكان غالبهم يمتن العطارة^(٤).

ومن المهن التي تتصل بالعلم بصفة مباشرة معلم الكتاب والمؤدب، وقد تحدثنا سابقاً عن عدد من هؤلاء المعلمين والمؤدبين الذين يأخذ بعضهم أجراً نقدياً أو عينياً على عمله.

ومن المهن الأخرى التي امتنها طلبة العلم وتحدثنا عن بعضها في الفصل الثاني مهنة الدهان^(٥)، والنجارة^(٦)، والخرازة^(٧) والسقاية^(٨)، والبناء^(٩)،

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٧ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢٦٩/١، ٤٩٩، ٥٤٢/٢، ٢٦٢/٣.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣٠ / ٢١١.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٦٩/١، ٤٩٩.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٥ ل أ، ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢٢٨/٢.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٢ ل ب، ٧٠ ل ب، ٧١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٥٠٣/١.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل أ- ب، السخاوي، التحفة، ٣٥٤/٣، ٤٥٩.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل أ- ب، ابن حجر، إنباء، ١٦٣/٤ - ١٦٤، السخاوي، التحفة،

١٩٠ - ١٩١.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ١٥٢/١، ١٥٥.

والخياطة^(١)، والخطابة^(٢)، والقبان^(٣) ومن المهن الغريبة ملقن الأموات الذي يحضر عندما يكون الإنسان في التزع الأخير ليلقنه الشهادة وقد احترف هذه المهنة من أسرة الشكليين السابقة الذكر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن مبارك بن مسعود الشكيلي (ت ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م)^(٤).

ومن طلبة العلم من امتن حرفة حفار القبور ومن بينهم أبو قميص وغيره^(٥).

* * *

(١) ابن فرحون نفسه، ورقة، ٧٦ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٨ ل أ، ٦٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ١٥٣/١ - ١٥٤.

(٣) «القبان الذي يوزن به» ابن منظور، لسان، ١٤/٣ - ١٥، السخاوي، التحفة، ٢٣١/١، ٥٢٩.

(٤) السخاوي، التحفة، ٢٢١/١، السخاوي، الضوء، ٧٠/٢.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل أ-ب.

الخلاصة

بعد هذه الدراسة عن المدينة في العصر المملوكي، نستطيع أن نوجز أبرز النتائج التي توصلت إليها.

- لقد كشفت الدراسة أن الصراعات بين أشرف المدينة الحسينيين للسيطرة على السلطة في المدينة، كانت سمة بارزة صبغت الأوضاع السياسية في تلك الفترة، وأدت إلى تعاقب عدد كبير من الأمراء على حكم المدينة خلال العصر المملوكي، وقد استغلت السلطنة المملوكية تلك الصراعات للتدخل في تعيين والعزل، مما كان له أثره في توطيد النفوذ المملوكي في المدينة، كما قام سلاطين المماليك أواخر العصر المملوكي، وفي محاولة لضبط الأوضاع في المدينة تم تفويض أمير مكة باعتباره نائب السلطنة في الحجاز، بتعيين أمير المدينة، مما أدى إلى تعاظم نفوذه في الحجاز. ويظهر أن السلطنة المملوكية أرادت أن تتخلص من عبء التدخل في الصراعات بين أشرف المدينة. كما نلاحظ أن القبائل لم يكن لها تأثير حاسم في تغيير الأوضاع السياسية في المدينة، فيما عدا بعض الإشارات حول دعم قدمته بعض القبائل لأفراد من أشرف المدينة في ظل الصراع على السلطة والنفوذ، فيما تركزت جهود كثير من القبائل على مهاجمة المدينة ونهبها مستغلة حالة الضعف والتشتت في أحوال المدينة السياسية التي حدثت في بعض فترات الدراسة.

- لم يكن النشاط الاقتصادي واضح المعالم خلال تلك الفترة نظراً لمحدودية

النشاط الزراعي، بل إن المدينة تعتمد في كثير من حاجاتها الغذائية على مصادر تموين خارجي من مصر والشام وغيرها. أما النشاط التجاري فلم يكن واسعاً حيث ركز الممالك اهتمامهم على مكة وجدة وخاصة بعد محاولتهم دعم ميناء جدة لتحويل التجارة إليه من ميناء عدن من أجل الحصول على الضرائب، وإنعاش حركة التجارة في موانئ السلطنة المملوكية، وقد أدى ذلك إلى انتعاش النشاط التجاري في مكة لقربها من بندر جدة، فيما كان النشاط التجاري في المدينة محدوداً، إلا أن بروز ميناء ينبع في بعض فترات العصر المملوكي كبديل لميناء جدة، قد أدى إلى تحسن في الأحوال الاقتصادية للمدينة التي يعد ميناء ينبع منفذها التجاري البحري وبخاصة مع مصر واليمن. لقد كان لتحويل التجار لتجارتهم من ميناء جدة إلى ينبع نتيجة لزيادة الضرائب عليهم أثر إيجابي على المدينة، فيما انعكس سلباً على حركة التجارة في مكة وجدة، إلا أن هذا الازدهار الذي شهده ميناء ينبع كان محدوداً لفترات قصيرة. واستمر النشاط التجاري في المدينة قائماً على التبادل التجاري المحلي وإن تعداه في بعض الفترات إلى تبادل السلع مع أقاليم أخرى داخل وخارج الجزيرة العربية. كما نلاحظ أن بعض أوجه النشاط الاقتصادي ومنها الحركة التجارية يرتبط إلى حد كبير بدعم السلطنة المملوكية، والأوقاف، والمساعدات التي تقدم للحرم النبوي ولأهل المدينة.

مهما يكن من أمر، فإنه يمكن القول: إن النشاط التجاري في المدينة أقل منه في مكة لارتباط مكة بمواسم الحج، وقربها من جدة التي كانت عصب الحركة التجارية في البحر الأحمر.

- شهدت المدينة تحولات في بنيتها الاجتماعية خلال العصر المملوكي من

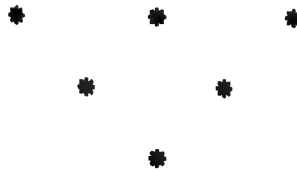
خلال توافد أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم ومن يرغب في الجوار بها، وقد قدم هؤلاء من أقاليم مختلفة، مما كان له أثره على التركيبة السكانية، كما كان لتلك الهجرات آثارها الاجتماعية المختلفة في العادات، والتقاليد، والطعام، واللباس، كما أثر التمازج بين العناصر الوافدة والمستقرة، في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الشرائح الاجتماعية المختلفة. ومما يلاحظ أن العناصر الوافدة خلال تلك الفترة كانت لها الغلبة العددية على العناصر الأصلية؛ مما كان له أثره على الأوضاع العامة في المدينة.

- شهد العصر المملوكي تحولات واضحة في المذاهب الدينية، فقد كان المذهب الإمامي الاثنا عشري من مذاهب الشيعة، مقدماً على أهل السنة في المدينة خلال العصرين الفاطمي والأيوبي، غير أن نفوذه بدأ بالضعف مع استقرار أعداد كبيرة من الوافدين القادمين من أقطار مختلفة والمنتمين لأهل السنة. ومع قيام السلطنة المملوكية بنزع الوظائف الدينية؛ وبخاصة الخطابة والقضاء من الشيعة وتقليدها لأئمة وقضاة من أهل السنة، أصبحت الغلبة للسنة فازداد عددهم نتيجة لازدياد نفوذ السلطنة المملوكية السنية، مع العلم أن كثيراً من أمراء المدينة وأشرافها كانوا على المذهب الإمامي إلا أن تأثير هؤلاء على أوضاع المدينة المذهبية قد ضعف مع مجيء السلطنة المملوكية ودعمها لأهل السنة، مما كان له أثر كبير في هذا التحول. وكان لمشيخة الخدام في المسجد النبوي - التي تتلقى دعماً مباشراً من السلطنة المملوكية - أثر على الأوضاع العامة في المدينة، وبخاصة في دعم المجاورين ضد أمراء المدينة وفي بعض أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومن الأمور البارزة في تلك الفترة تعدد الأئمة في المسجد النبوي، كما تعدد القضاء أيضاً فأصبح لكل أهل مذهب

قاضي واستحدث منصب قاضي القضاة.

- نظراً للأهمية الدينية للمدينة فقد استقطبت أعداداً كبيرة من الوافدين الراغبين في طلب العلم بها، فاستقر بعضهم وساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحركة العلمية، مما كان له نتائج طيبة على النشاط العلمي وتنوعه، فبرز في تلك الفترة عدد كبير من العلماء في مختلف فنون المعرفة العلمية، وازدهرت حركة التأليف، ولم يقتصر تأثير هذا النشاط العلمي على المدينة وحدها بل تعداها إلى أقاليم وأقطار أخرى بفضل الرحلات العلمية، وانتقال المعرفة والمؤلفات العلمية من المدينة وإليها، مما جعلها مركزاً علمياً هاماً.

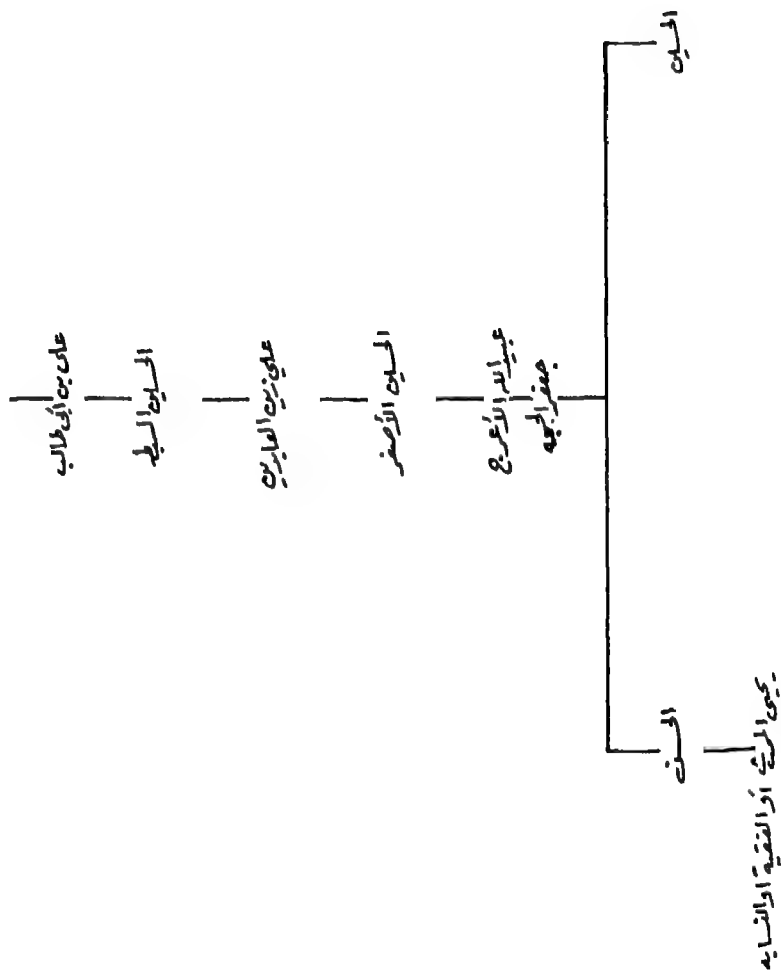
ومن النتائج البارزة لتلك الحركة بروز عدد من الأسر العلمية التي ساهمت بنصيب وافر في النشاط العلمي، فظهر عدد من الفقهاء من داخل تلك الأسر، تولوا وظائف دينية متعددة مثل القضاء والخطابة والإمامة والحسبة، فأصبحت كثير من تلك الوظائف يعين عليها أشخاص من أهل المدينة، بعد أن كان يرسل من مصر أوائل العصر المملوكي من يتولى تلك المناصب؛ لافتقار المدينة للموهلين لتوليها. كما شهد بداية العصر المملوكي إرسال عدد من الأشخاص لتولي الأذان في المسجد النبوي لافتقاره إلى من هو على دراية بالمواعيت.



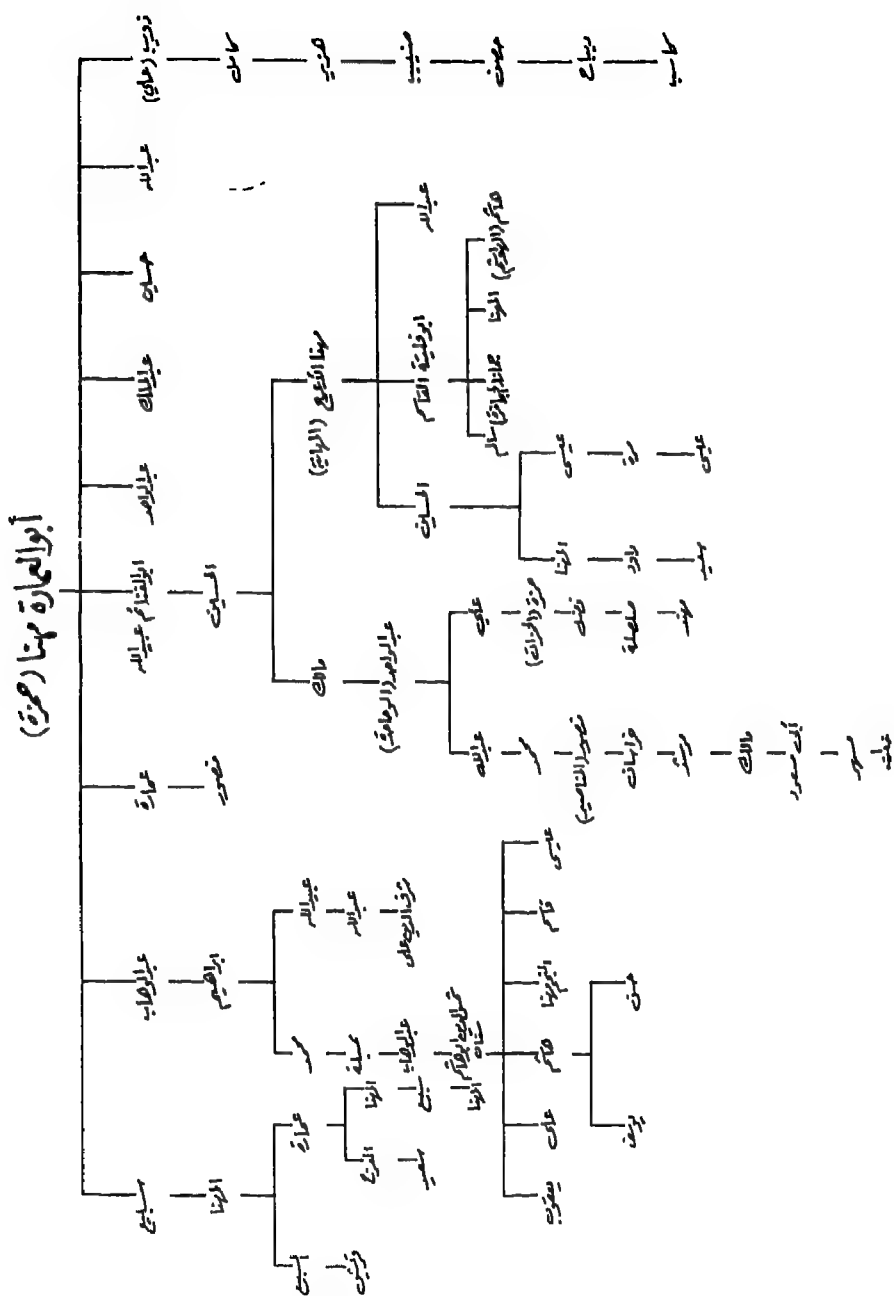
الملحقات

- ١ - شجرة نسب أشرف المدينة.
- ٢ - قائمة أمراء المدينة منذ القرن الرابع الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي.
- ٣ - قائمة أمراء المدينة في العصر المملوكي.
- ٤ - نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية.
- ٥ - نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية.
- ٦ - قائمة شيوخ خدام الحرم النبوي في العصر المملوكي.
- ٧ - نسخة تفويض مشيخة خدام الحرم الشريف النبوي.
- ٨ - الخرائط.
- شكل رقم (١) خريطة تقريبية للكيانات السياسية في جزيرة العرب في العصر المملوكي.
- شكل رقم (٢) التطور التاريخي للنمو العمراني للمدينة المنورة.
- شكل رقم (٣) المعالم العمرانية في المدينة المنورة.

نسب أشرف المدينة

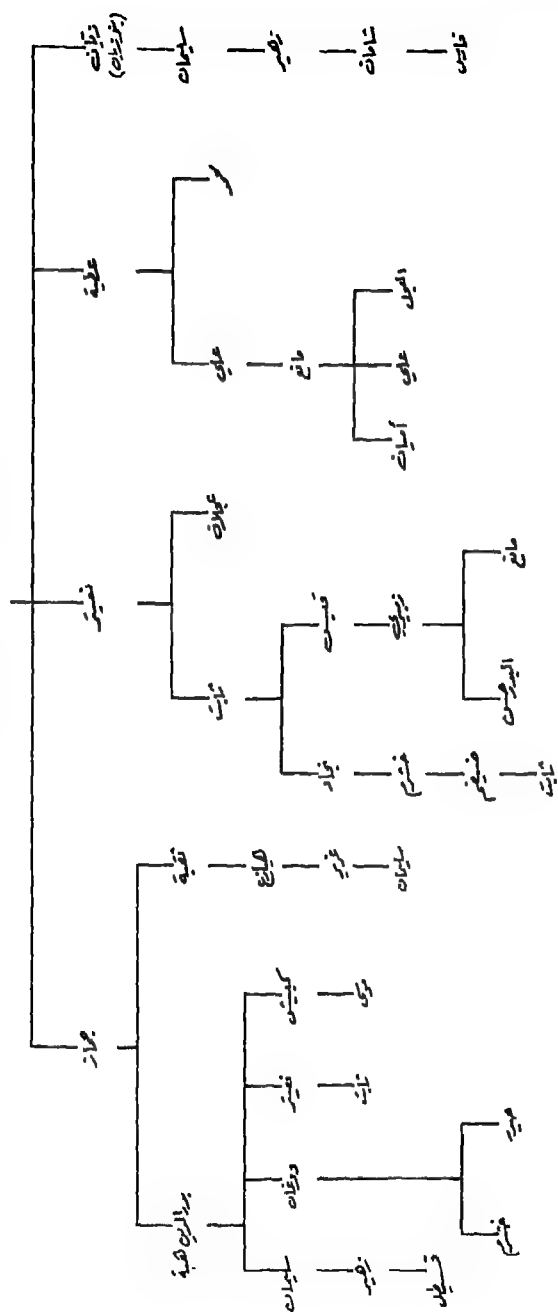








أبو عامر مضمود بن جهماز



ملحق رقم (٢)

قائمة أمراء المدينة منذ القرن الرابع الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي

- ١- طاهر بن مسلم بن عبيد الله بن طاهر (٣٦٦-٣٨١هـ / ٩٧٦-٩٩١م).
- ٢- الحسن بن طاهر بن مسلم بن عبيد الله بن طاهر (٣٨١-٣٩٧هـ / ٩٩١-١٠٠٦م).
- ٣- داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر (٣٩٧-.....هـ / ١١٠٦-١٠٠٠م).
- ٤- أبو عمارة المهنا بن داود بن قاسم (ت ٤٠٨هـ / ١٠١٧م).
- ٥- أبو الغنائم عبيد الله بن المهنا بن داود بن قاسم (ت ٤٠٨هـ / ١٠١٧م).
- ٧- الحسين بن المهنا بن داود (كان أميراً للمدينة سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م).
- ٨- مهنا بن الحسين بن المهنا بن داود.
- ٩- مالك بن الحسين بن المهنا بن داود.
- ١٠- منصور بن عمارة بن المهنا بن داود (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م).
- ١١- ابن المنصور بن عمارة بن المهنا بن داود.
- ١٢- الحسين مخيط بن أحمد بن الحسين بن داود.
- ١٣- الحسين بن المهنا بن بن الحسين بن المهنا.
- ١٤- قاسم بن المهنا بن الحسين المهنا (٥٥٨-٥٨٣هـ / ١١٦٢-١١٨٧م).
- ١٥- جمار بن قاسم بن المهنا بن الحسين بن المهنا (٥٨٣هـ -...هـ / ١١٨٧-...م).
- ١٦- سالم بن قاسم بن المهنا (ت ٦١٢هـ / ١٢١٥م).

-
- ١٧- قاسم بن جمار بن قاسم بن المهنا (٦١٢ - ٦٢٤ هـ / ١٢١٥ - ١٢٢٦ م).
١٨- شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٢٤ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٩ م)
للمرة الأولى.
١٩- عمير بن قاسم بن جمار بن قاسم بن المهنا (٦٣٩ - ... هـ - ١٢٤١ م).
٢٠- شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (... - ٦٤٧ هـ / ... - ١٢٤٩ م)
للمرة الثانية.
٢١- عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٧ - ٦٤٩ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥١ م).

ملحق رقم (٣)

قائمة أمراء المدينة في العصر المملوكي

- ١- عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٧ - ٦٤٩ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥١ م).
- ٢- منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٩ - ٦٥٩ هـ / ١٢٥١ - ١٢٦٠ م).
- ٣- جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٥٩ - ٧٠٠ هـ / ١٢٦٠ - ١٣٠٠ م).
- ٤- منصور بن جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٧٠٠ - ٧٢٥ هـ / ١٣٠٠ - ١٣٢٤ م).
- ٥- كبش بن منصور بن جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٢٥ - ٧٢٨ هـ / ١٣٢٤ - ١٣٢٧ م).
- ٦- طفيل بن منصور بن جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٢٨ - ٧٣٦ هـ / ١٣٢٧ - ١٣٣٥ م) للمرة الأولى.
- ٧- ودّي بن جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٣٦ - ٧٤٣ هـ / ١٣٣٥ - ١٣٤٢ م).
- ٨- طفيل بن منصور بن جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٤٣ - ٧٥٠ هـ / ١٣٤٢ - ١٣٤٩ م) للمرة الثانية.
- ٩- هميان بنت مبارك بن مقبل بن جمار بن شيحة (٧٥٠ - ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ - ١٣٤٩ م).
- ١٠- سعد بن ثابت بن جمار بن شيحة بن هاشم (٧٥٠ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٩ - ١٣٥١ م).

-
- ١١- فضل بن قاسم بن قاسم بن جمار بن شيعة (٧٥٢- ٧٥٤هـ / ١٣٥١- ١٣٥٣م).
- ١٢- مانع بن علي بن مسعود بن جمار بن شيعة (٧٥٤- ٧٥٩هـ / ١٣٥٣- ١٣٥٧م).
- ١٣- جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٥٩- ٧٥٩هـ / ١٣٥٧- ١٣٥٧م).
- ١٤- عطية بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٦٠- ٧٧٣هـ / ١٣٥٨- ١٣٧١م) للمرة الأولى.
- ١٥- هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٧٣- ٧٨٣هـ / ١٣٧١- ١٣٨١م).
- ١٦- عطية بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٨٣- ٧٨٣هـ / ١٣٨١- ١٣٨١م) للمرة الثانية.
- ١٧- جمار بن هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٨٣- ٧٨٥هـ / ١٣٨١- ١٣٨٣م) للمرة الأولى.
- ١٨- محمد بن عطية بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٨٥- ٧٨٩هـ / ١٣٨٣- ١٣٧٨م) مشاركاً لابن عمه جمار.
- ١٩- جمار بن هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٨٩- ٧٩٨هـ / ١٣٨٧- ١٣٩٥م) للمرة الثانية.
- ٢٠- ثابت بن نعيم بن منصور بن جمار بن شيعة (٧٩٨- ٨٠٥هـ / ١٣٩٥- ١٤٠٢م) للمرة الأولى.
- ٢١- جمار بن هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٠٥- ٨١١هـ / ١٤٠٢- ١٤٠٨م) للمرة الثالثة.

-
- ٢٢- ثابت بن نعيم بن منصور بن جمار بن شيعة (٨١١-٨١١هـ / ١٤٠٨-١٤٠٨م) للمرة الثانية.
- ٢٣- عجلان بن نعيم بن منصور بن جمار بن شيعة (٨١١-٨١٦هـ / ١٤٠٨-١٤١٣م) للمرة الأولى.
- ٢٤- غريب بن هيارع بن ثقبه بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٨١٦-٨٢٤هـ / ١٤١٣-١٤٢١م).
- ٢٥- عجلان بن نعيم بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٢٤-٨٢٩هـ / ١٤٢١-١٤٢٥م) للمرة الثانية.
- ٢٦- ثابت بن نعيم بن هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٢٩-٨٢٩هـ / ١٤٢٥-١٤٢٥م).
- ٢٧- خشرم بن دوغان بن هبة بن جمار بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٢٩-٨٣١هـ / ١٤٢٥-١٤٢٧م).
- ٢٨- مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٣١-٨٣٩هـ / ١٤٢٧-١٤٣٥م).
- ٢٩- أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جمار بن شيعة (٨٣٩-٨٤٢هـ / ١٤٣٥-١٤٣٨م) للمرة الأولى.
- ٣٠- سليمان بن غريب بن هيارع بن هبة بن جمار (٨٤٢-٨٤٦هـ / ١٤٣٨-١٤٤٢م).
- ٣١- موسى بن كبش بن هبة بن جمار بن منصور (٨٤٦-٨٤٧هـ / ١٤٤٢-١٤٤٣م).
- ٣٢- ضيغم بن خشرم بن لجناد بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٤٧-٨٥٠هـ / ١٤٤٣-١٤٤٦م) للمرة الأولى.

-
- ٣٣- أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جمار بن شيحة (٨٥٠-
٨٥٥هـ / ١٤٤٦-١٤٥١م) للمرة الثانية.
- ٣٤- زيري بن قيس بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٥٥-٨٦٥هـ / ١٤٥١-
١٤٦٠م) للمرة الأولى .
- ٣٥- رهير بن سليمان بن هبة بن بن جمار بن منصور (٨٦٥-٨٦٩هـ /
١٤٦٠-١٤٦٤م) للمرة الأولى .
- ٣٦- ضيغم بن خشرم بن لجاد بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٦٩-٨٦٩هـ /
١٤٦٤-١٤٦٤م) للمرة الثانية.
- ٣٧- رهير بن سليمان بن هبة بن جمار بن منصور (٨٦٩-٨٧٠هـ / ١٤٦٤-
١٤٦٥م) للمرة الثانية .
- ٣٨- ضيغم بن خشرم بن لجاد بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٧٠-٨٧٠هـ /
١٤٦٥-١٤٦٥م) للمرة الثالثة.
- ٣٩- رهير بن سليمان بن هبة بن جمار بن منصور (٨٧٠-٨٧٤هـ / ١٤٦٥-
١٤٦٩م) للمرة الثالثة.
- ٤٠- ضيغم بن خشرم بن لجاد بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٧٤-٨٨٣هـ /
١٤٦٩-١٤٧٨م) للمرة الرابعة.
- ٤١- قسيطل بن رهير بن سليمان بن هبة بن جمار (٨٨٣-٨٨٧هـ / ١٤٧٨-
١٤٨٢م).
- ٤٢- زيري بن قيس بن ثابت بن نعيم بن منصور (٨٨٧-٨٨٨هـ / ١٤٨٢-
١٤٨٣م) للمرة الثانية.
- ٤٣- حسن بن زيري بن قيس بن ثابت بن نعيم (٨٨٨-٩٠١هـ / ١٤٨٣-
١٤٩٥م).

٤٤- فارس بن شامان بن زهير بن سليمان بن ريان بن منصور (٩٠١-

٩٠١هـ / ١٤٩٥-١٤٩٥م).

٤٥- مانع بن ربيري بن قيس بن ثابت بن نعيم (٩٠١-٩١٩هـ / ١٤٩٥-

١٥١٣م).

٤٦- ثابت بن ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت (٩١٩-هـ /

١٥١٣-م).

ملحق رقم (٤)

نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية

كتب به للأمير بدر الدين ودي بن جماز، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله^(١).

الحمد لله، الذي صرف أمرنا في أشرف البقاع. وشرف قدرنا بملك ما
انعقد على فضله الإجماع. وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من
ثنيات الوداع. وأمدنا بوادي صغر للتحجب، وإلا فهو وادٍ متدفق الأجراع.
نحمده على نعمه التي أغنت مهابط الوحي عن ارتقاب البرد للسماع،
وارتقاء النظر مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع. ونشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، شهادة نحمد من الضلال ما شاع، ومن البدع ما
استطار له في كل أفق شعاع؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أشرف
من أنفت به حمية الامتناع، وألفت بنا سنته أن ترعى الأهل ولا تراع،
وعصفت ريحها بمن يمالي دينه فمال إلى الابتداع. صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه، الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع. وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرة اليمنة
كرامة صدفها؛ والكمامة بشمرها، والغمامة بمطرها، والهالة بما يجلو الدجى من
قمرها؛ والمدينة الشريفة النبوية، لولا ساكنها، ما عاجت إليها الركائب، ولا
ناجت حدائقها غر السحائب، ولا وقفت بتأرج شذا الروضة الغناء بها
الجنائب، ولا بكى متيم دمن العقيق بمثله من دم ذائب؛ ولا هاج إليها البرق
متألقاً، ولا هام صب فيها بظبيات سلع والنقا؛ ولكنها مشوى النبوة ترابها،

(١) القلقشندي، صبح، ٢/٢٤٢-٢٤٧.

ومهوى الرسل جنابها، ومأوى كتاب الله الفسيح رحابها. دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقهها، وتوالت سحب الهدى من بين أيسرقها. وهي ثانية مكة المعظمة، في فضلها إلا ما ذهب إليه في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نواره كل نور، وشعاع كل قبس. وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبقي دارية، وأعلى سماء حوت ثلاثة أعمار منه ومن جارية.

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحامل، لا يجوز معه من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام؛ حتى إنه فيما مضى، لما كثر منهم على بغض الصاحبين - رضي الله عنهما - الإصرار، واشربوا في التظاهر بسبهما إلى هتك الأستار؛ دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبت لها حمية الغضب إلا أن يظهر ما سنته أيدي الروافض بالنار؛ فلما اتصل بنا الآن أن منهم بقايا وجدوا آباءهم على أمة، واقتدوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراه الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة، وحضر المجلس العالي الأميري، الأصلي، الكبيرى العادلي، المجاهدي، المؤيدي، الزعيمى، المقدمى، الذخري، الكافلي، الشريفي، الحسيني، النسيبي، الأوحدي، البدرى: عز الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء في العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين؛ جمال العترة الطاهرة، جلال الأسرة الزاهرة، طراز العصاة العلوية، كوكب الدرية الدرية، خلاصة البقية النبوية، ظهير الملوك والسلطين، نسيب أمير المؤمنين؛ ودي بن جمار الحسيني - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة الأربعة الحكام، وننم بأن مع طلوع بدره المنير، لا تبقى ظلامه ولا ظلام؛ وتكفل لأهل السنة بما أشهدنا الله به عليه ومن

حضر، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم عليه: النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أبو بكر، ثم عمر، فما اختصهما الله بجواره، إلا ليثبت لهما على غيرهما إفضالا، وليجعل قبورهما في معرفة أقربهم منه درجة مثالا؛ لما تواترت به الأحاديث الشريفة في فضائلهما، مما هو شفاء الصدور، ووفاء بعهده إذ يقول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليداً يحو بحده ما حدث من أحداث البدع، ويجدد من عهد جده نبينا صلى الله عليه وسلم في معرفة حق أصحابه رضي الله عنهم ما شرع؛ وثوقاً بأنه من بيت كان أول هذا الدين الحنيف من دله، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أثلته ومثله في سلفه الشريف بأقارب متصله، وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام، المحدث عن كرم الجدود بما لا يحقر له جوار أو يخفر ذمام المشرق من الأسرة العلوية بدرجة تماماً، المحقق به من الكواكب العلوية ما يظن به أباً تسمى وابناً تسامى، المنتخب من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع، وحفظ من حسهم الكريم ما أوشك أن يضيع، واستضاء بلامعة من هدى سلفه السابق، وهامعة من ذى ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق، تهتز بمقدمه المدينة سرورا، وتفتر رباها منه نسب كان على نسبه من شمس الضحى نورا؛ ويتباشر ما بين لا بتيها بمن يحمي حماها، ويحيى محياها، وتتشوق منه ربا كل ثنية إلى ابن جلاها، وطلاع ثناياها؛ مع مالا يجحد من رن له فيها من أبيه حق الوراثه، وأنه لما كان هذا ثاني المسجدين احتاج إلى ثاني اثنين تعظيماً للواحد، وفراراً من الثلاثة، ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين، كلتاهاما تقبل الأخرى، وأذنين، كلتاهاما توعى درا؛ وعينين، ما منهما إلا ما يدرك أمرا بعيداً، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهما فريداً، وقمرين لا يغلب أحدهما

على الآخر في التسمية بالقمرين، وعمَّرين، وكفى شرفاً أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين.

فرسم بالأمر الشريف العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني - راد الله به المواطن شرفاً، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف الإمرة بالمدينة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، شريكاً للأمير سيف الدين ابن أخيه، ورسيلاً معه فيما يليه، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه، هذا له بر الولد، وهذا له حرمة الوالد؛ لأن ابن الأخ ولد وعم الرجل صنو أبيه؛ فتقسم الإمرة بينهما نصفين، وتوسم جباه الكتب الصادرة عنهما لهما باسمين.

والوصايا، تمد من عنانها، وتعد من أعيانها؛ فأولها تقوى الله؛ فإنها من شعائر القلوب، وبشائر الغيوب، وأماثر لنجاح كل مطلوب، والاعتصام بالشرعية الشريفة؛ فإنها الحبل الممدود، والجبل الذي كم دونه من عقبة كؤود؛ والانتهاء إلى ما نص عليه الكتاب والسنة والإجماع، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الاطماع، وتلقى وفد الله الزائر بما ألفه نزيل هذا الحمى من كرامة الملتقى، وتوقى المذمة فإنها دنس لا يحمد مثله نقاء هذا النقاء؛ ونعني بالمذمة ما نسب إلى الروافض من البدع التي لا تطهرها غر السحاب، ولا يستبيح معها لدخول المسجد الطاهر من قنع بمقامه حوله التيمم بالتراب، ولا يدع أحداً من هذه الفرقة الضالة بعلي ولا يعيره بما يكون به مثله، ولا يشبه قلبه من محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء امتلأ ماء ولم تبق فيه فضله.

ولا يظن جاهل منهم؛ أن علياً - كرم الله وجهه - كان على أحد من

الصاحبين معاتباً أو عائباً، أو أنه تأول في خلافتهما معتقداً، أن أحدا منهم غاصب؛ فما تأخر عن البيعة الأولى قليلاً، إلا لاشتغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المصائب، وإلا فقد اتخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضي الله عنه لا كما يدعيه كل كاذب، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته أم كلثوم وأقام بأمره الحدود وناب عنه وهو غائب، فيكيف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون في الموافقة بناره، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره؛ ولا يدع للإمامية إماماً يقتدي به منهم قوم شرار، ولا قاضياً يقضي بينهم: فإنه إنما يقطع لمن قضى له أو عليه، قطعة من نار، ولا عالماً يرفع له علم؛ ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم فم، حتى ولا ما يتحرك به في فم الدواة القلم.

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم، وليمط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف من تجسهم؛ وسكان هذا الحرم الشريف، ومن أقام عندهم من المجاورين، أو خالطهم من زمر المقيمين والسائرين؛ يحسن لأموالهم الكفالة، ولا يتعرض لأحد منهم بما يؤذي نفسه ولا يناله؛ فهم في جوار نبينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته، وكل منهم نزيل حرمه، ومكثر سواد جماعته. وحقهم واجب على كل مسلم، فكيف على حامي ذلك الحمى، بل من له إلى نسبه الشريف منتهى.

واصحب رفيقك بالمعروف؛ فإنكما مفترقان، والسعيد من لا يذم بعد فراقه، ومستبقان إلى كل مورد لا يدري أيكما المجد في سباقه، ومتفقان على فرد أمر، وأفضلكما من داوم صاحبه على إرفاقه، وصحبه على وفاقه. وأما ما للمدينة الشريفة من تهائم، ونجود مضافة إليها، ومستظلة يجدرها أو

متقدمة في الصحراء عليها، فهي ومن فيها: إما أن توجد بقلوبهم، فهم أعوان، وإما أن تنفر، فهم أشبه شيء بالإبل، إذا نفرت تعلق بذنب كل بعير شيطان؛ فأقربهما إلى المصلحة تقربهم، وتأليفهم بما يقرب به بعيلهم، ويزداد قريى قريهم. والركبان التي تتقد بهم جمرات الأصباح والعشايا، ويعتقد كل في معاجه إلي المدينة الشريفة أن تمام الحج أن تقف عليها المطايا؛ فهم هجود سرى، ووفود قري، وركود في أفق الرحال خلعت مقلهم على النجوم الكبرى؛ ومعهم المحامل الشريفة التي هي ملتف شعابهم، ومحتف ركابهم؛ وهي من أسرتنا المرفوعة، ومبرتنا المشروعة، فعظم شعائر حرمانها، وقبل أمام منابرها الممثلة مراكز راياتها، وأكرم من جاء في خفارتها، ومن جال في دجى الليل لا يستضىئ إلا بما يبدو من إشارتها، وقد أشهدنا عليك من هو لك يوم القيامة خصيم، وأنت وشأنك فيما أنت به عليم.

وباقى الوصايا أنت لها متفطن، وعليها متوطن، وما ينتفع الشريف بحسبه، إن لم يكن عمله بحسبه، ولا يرتفع بنسبه، إن لم يتجنب مكان نسبه، والله تعالى يمتع بدوام شرفه، ولا يضيع له أجر حال عمله الصالح وسلف، والاعتماد...

ملحق رقم (٥)

نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية^(١):

الحمد لله الذي جعل الشرع الشريف دافق السيول، وفي طيبة له الأصول؛ ومنها نشأ وتفرع فُلَّهُ في البسيطة عموم وشمول، وكل قطر به مشمول، وكل ربع به مأهول، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر الدهور لا يزول.

نحمده، وحمده يطول. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمرت [بها] طول، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف رسول، وأكرم مأمول، وأفضل مستول، ومهند من سيوف الله مسلول، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبي الفروع والأصول، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الشرع الشريف، معدنه في أرض ثوى خير الرسل فيها، ومنشأه في بلد ملائكة الله تحميها، فلا يلي أقضية الناس، إلا من طالت ذوائب علمه، وأشرقت ثواقب فهمه، وبنيت على الأصول قواعد حكمه، وتحلى بالورع، فتَجَلَّى في سماء النجاة كنجمه.

ولما كان فلان، هو الذي جذبته السعادة إلى مقرها، وخطبته المغفرة إلى موطن برها، وأهله الأقدار إلى جوار مَنْ هو خاتم الأنبياء وفتح أمرها؛ وأصبح للحكم في المدينة، مسحاً لما فيه من سكينة، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم كان الله معينه.

فلذلك رسم أن يستقر

فليباشر منصباً جليلاً في محل جليل، وليعلم أن سائر الأمصار تغبطه

(١) الفلفشندي، صبح، ٢٥٨/١٢ - ٢٦٠ .

وتحسده، وما لمنصبه من مثيل، أين يوجد سواه في كل سبيل؟ من قاض هو
بسيد المرسلين نزيل، ومن يصبح ويمسى جاراً للمستجير في المحشر الطويل.
فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل، وتحرير في تحرير وتحليل، واتق الله
في كل فعل وقيل، واستقم على الحق، حذار أن تميل، فصاحب الشرع أنت
منه قريب، والنبي من الله قريب وحبيب و خليل، وماذا عسى أن نوصيه وهو
بحمد الله تعالى كالنهار لا يحتاج إلى دليل.

وأما الخطابة: فارق درج منبرها، وشنف الأسماع من ألفاظك بدرها؛ وحرر
ما تقوله من المواعظ؛ فإن صاحب العظات يسمعك، وتواضع لله؛ فإن الله
يرفعك. وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأُمى سيد الثقلين، ومن بعده الخليفتان
قرتا العين، ومن بعدهما عثمان ذو النورين، وعلى رضي الله عنه أبو
الحسين؛ فاخشع، عند المطلع، واصدع، بما ينفع؛ وانظر لما تقوله؛ فإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم هناك يسمع، وقاضي المدينة وخطيبها يرجو أن ليس
للشيطان فيه مطمع، والله تعالى يجوز له الخير ويجمع؛ بمنه وكرمه.

ملحق رقم (٦)

قائمة شيوخ خدام الحرم النبوي في العصر المملوكي

- ١- بدر الدين الشهابي (كان موجوداً سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م).
- ٢- جمال الدين محسن الصالحي (كان موجوداً سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م).
- ٣- عزيز الدولة الملقب بالعزيمي (ت ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م).
- ٤- شبل الدولة كافور الصيفي الحريري (٧١١هـ / ١٣١١م).
- ٥- سعد الدين الزاهدي (عزل سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م).
- ٦- ظهير الدين الأشرفي (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م).
- ٧- ناصر الدين نصر عطاء الله (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م).
- ٨- عز الدين دينار بن عبد الله الطواشي (٧٢٧هـ - ٧٤٧هـ / ١٣٢٦ - ١٣٤٦م).
- ٩- شرف الدين مختص الديري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- ١٠- شرف الدين الخازنداري (عزل سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م).
- ١١- عز الدين دينار للمرة الثانية (٧٥٢ - ٧٥٨هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٦م).
- ١٢- افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الرسولي (٧٥٨ - ٧٨١هـ / ١٣٥٦ - ١٣٧٩م).
- ١٣- شبل الدولة كافور الزمردى (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م).
- ١٤- زين الدين مقيل الرومي (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١م).
- ١٥- بشير التيمي (ت ٨٣٩هـ / ١٤٢٥م).
- ١٦- المولوي ابن قاسم المحلي (٨٣٩ - ٨٤٢هـ / ١٤٣٥ - ١٤٣٨م).
- ١٧- فارس الأشرف الرومي (عزل سنة ٨٤٥هـ / ١٤٣٥ - ١٤٣٨م).
- ١٨- قيرقر الركني (ت ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م).

-
- ١٩- جواهر التمراري (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م).
- ٢٠- فارس الأشرف الرومي للمرة الثانية.
- ٢١- سرور الطربائي.
- ٢٢- مرجان التقوي.
- ٢٣- إينال الاسحاقي.
- ٢٤- قاسم الفقيه.
- ٢٥- الأمير شجاع الدين شاهين الجمالي الرومي الشجاعي (٨٩١-٨٩٥هـ / ١٤٨٦-١٤٨٩م).
- ٢٦- إياس الأشرفي الأبيض (٨٩٥-٨٩٦هـ / ١٤٨٩-١٤٩٠م).
- ٢٧- شاهين الجمالي الرومي الشجاعي للمرة الثانية (٨٩٦-٩١٣هـ / ١٤٩٠-١٥٠٧م).
- ٢٨- الأمير سنقر (٩١٣-٩٢٩هـ / ١٥٠٧-١٥٢٢م).

ملحق رقم (٧)

نسخة تفويض مشيخة خدام الحرم الشريف النبوي

وقد جرت العادة أن يكون له خادم من الخصيان المعبر عنهم بالطواشية، يعين لذلك من الأبواب السلطانية، ويكتب له توقيع في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتتحاً بـ «الحمد لله».

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك^(١):

الحمد لله الذي شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من اختاره لذلك من المهاجرين والأنصار، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية، تهجر لبلوغها الأوطان والأوطار، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوؤ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار.

نحمده على نعمه، التي أكملها خدمة نبيه الكريم، وأفضلها التوفر على مصالح مجاوري قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأجملها الانتظام في سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم التنظيم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مزلفة لديه، مقربة إليه، مدخرة ليوم العرض عليه. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من بعث إلى الأسود والأحمر، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين فخرت الحبشة بهجرتهم الأولى، ونجا النجاشي بما اتخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى، وأولى بلاد لهم من سبق إلى خدمة أشرف الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل ما

(١) الفلشندي، صبح، ١٢/٢٦٠-٢٦٢.

يولى، صلاة لا يزال شهابها مرشداً، وذكرها في الآفاق مغيراً ومنجداً، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد ، فإن أولى ما اعتمد عليه من أفاء الله عليه من نعمه ، وأفاض عليه من ملابس كرمه، وشرف قدره بأن أهله لخدمة سيد الرسل، بل لمشيخة حرمة، وخصه برتبة، هي أسنى الرتب الفاخرة، وأجمع الوظائف لشرف الدنيا والآخرة - من رجحه لذلك الدين المتين، وورعه المكين، وزهده الذي بلغ به إلى هذه الرتبة التي سيكون بها - إن شاء الله تعالى - وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

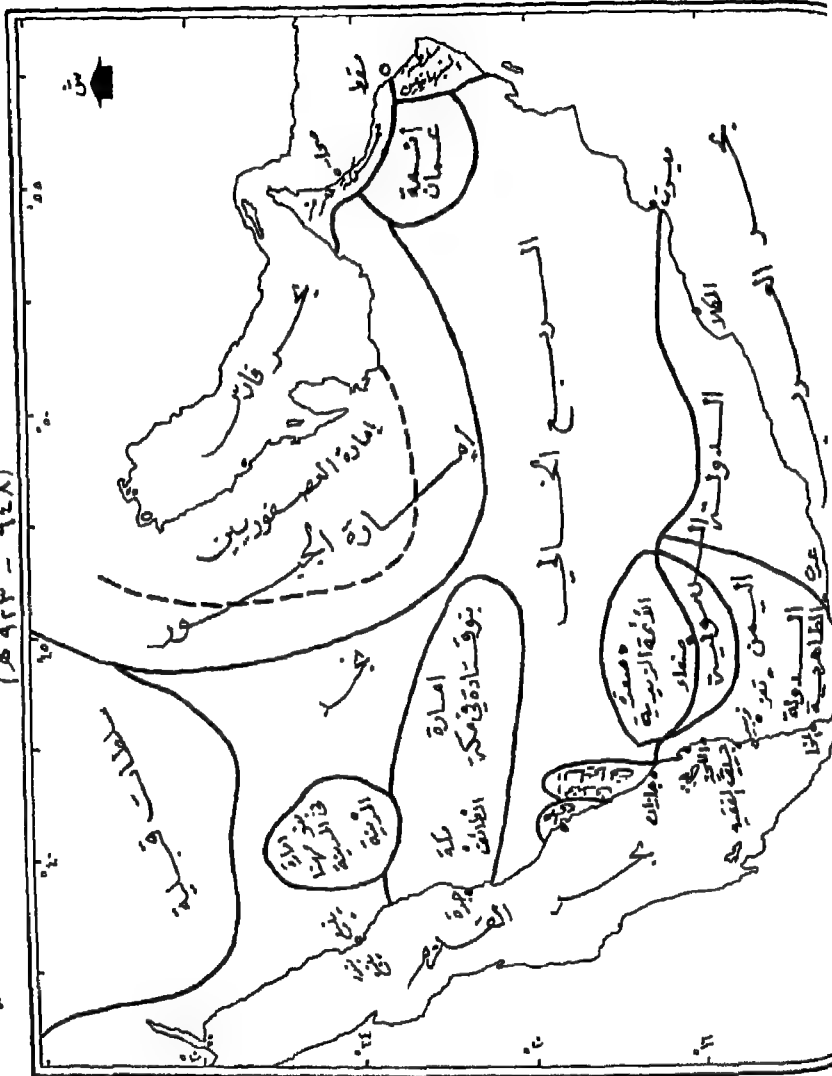
ولما كان فلان، هو الذي أدرك من خدمة سيد الرسل غاية سوله، وزكت عند الله هجرته التي كانت على الحقيقة إلى الله ورسوله؛ وسلك في طريق خدمته الشريفة أحسن السلوك، وانتهت به السعادة إلى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرض بجوهرها الأعلى عن عرض خدمة الملوك، وفاز من مجاورة الحجرة الشريفة، بما عظمت عليه [به] المنه، وحل به مما بين القبر والمنبر في روضة من رياض الجنة، وأقام في مقام جبريل، ومهبط الوحي والتنزيل، يتفياً ظلال الرحمة الوارفة، ويتفياً من تلك النعمة بالعارفة بعد العارفة - تعين أن يكون هو المحلى بعقود مشيخة ذلك الحرم، والمتولى لمصالح هذه الطائفة التي له في التقدم عليه أثبت قدم.

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العامل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك الوظيفة: من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع؛ والزاهد الذي أثر جوار نبيه على ما سواه، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول

في زمرة من خدمة في حياته: «ولكل أمرئ ما نواه».

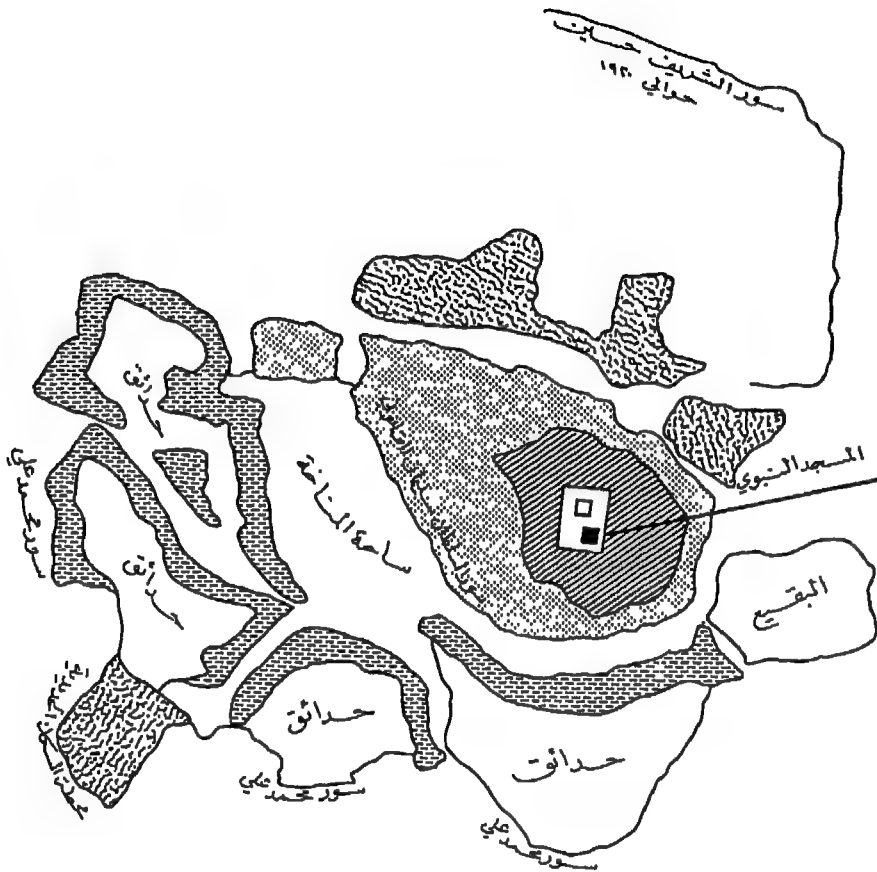
فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائما بآدابها، مشرفا بها نفسه، التي تشبثت من خدمته الشريفة بأهدابها، سالكا في ذلك ما يجب، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجتنب، قاصداً بذلك وجه الله، الذي لا يخيب لراج أملاً، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً؛ ملزماً كلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى، ويضاعف الحسنه الواحدة سبعين ضعفاً؛ هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل، مبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل. وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الموصايا، وتجديد القضايا، والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل، بمنه وكرمه.

خريطة تقريبية للكيانات السياسية في جزيرة العرب في العصر المملوكي
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ)



شكل رقم (١)

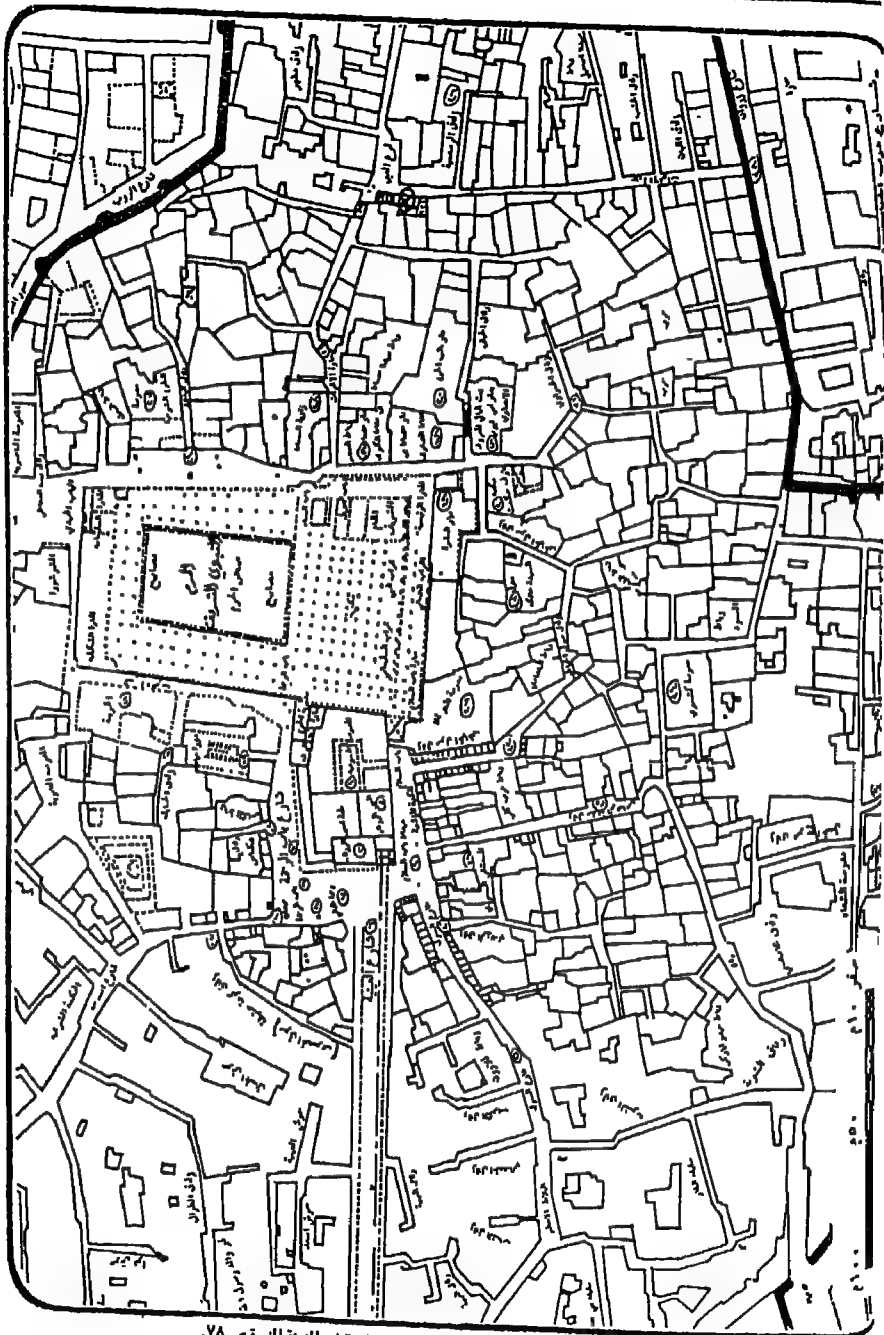
التطور التاريخي للنمو العمراني للمدينة المنورة *



- العصر العباسي ٨٨٨-٨٩٣ هـ / ٢٨٧٧-١١٦٣ م
- العصر العباسي المماليك العثماني ٨٨٨ هـ - ٩٤٨ هـ / ١١٦٣ م - ١٥٤٢ م
- العصر العثماني ٩٤٨ هـ - ١٣٣٦ هـ / ١٥٤٢ م - ١٩٠٨ م
- العصر العثماني بداية العصر السعودي ١٣٣٦ هـ - ١٣٤٤ هـ - ١٩٠٨ م - ١٩٢٦ م

* المصدر: صالح لعي مطهر - المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري

المعالم العمرانية في المدينة المسون *



* المصدر: ياسين أحمد الحياوي، صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ص ٧٨.

شكل رقم (٣)

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة

- ابن إياس : محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).
(١) نشق الأزهار في عجائب الاقطار (مخطوطة مصورة برقم ف ١/٣٥٢ ،
قسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود ، الرياض).
ابن شجاع : إبراهيم (كان موجوداً ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م).
(٢) منازل الحجاز (مخطوطة مصورة برقم ف ٨٠٩ معهد إحياء
المخطوطات العربية ، القاهرة) .
ابن شدقم : علي بن الحسين بن شدقم الحمزي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م)
(٣) نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشرف المدينة (مخطوطة مصورة برقم
٢١١٧ تاريخ ، معهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة) .
ابن ضياء : أبو البقاء محمد بن أحمد (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) .
(٤) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة (مخطوطة مصورة
برقم ٢٢٦ ص ، قسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود ، الرياض).
الطبري : محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م) .
(٥) انحف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن (مخطوطة مصورة برقم ٣١٤٣ ،
معهد إحياء المخطوطات العربية ، القاهرة) .
العطار : محمد بن محمد (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م).
(٦) منازل الحج الشريف (مخطوطة مصورة برقم ف ٢/١٦٣٨ ، جامعة
الملك سعود ، الرياض).

-
- ابن عنه : جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م).
- (٧) بحر الأنساب (مخطوطة مصورة برقم ١٤١٨ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).
- الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٣٨م).
- (٨) تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام (مخطوطة مصورة برقم ١٣٨١٣ بدار الكتب المصرية، القاهرة).
- ابن فرحون : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م).
- (٩) نصيحة المشاور وتسليية المجاور (مخطوطة مصورة برقم ٥ ، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).
- ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- (١٠) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مخطوطة مصورة برقم ٢٧٩٧/٢، أحمد الثالث طوبقابوسراي، إستانبول، أصدرها فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، فرانكفورت ألمانيا، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ابن فهد : عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م).
- (١١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري (مخطوطة مصورة برقم ف ٧٣/١، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).
- ابن فهد : نجم الدين عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).
- (١٢) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (مخطوطة مصورة برقم ٣٠٣٢، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).

-
- الفيروز آبادي: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).
(١٣) المغانم المطابة في معالم طابه (مخطوطة مصورة برقم ٣١٩، قسم
المخطوطات، جامعة الملك عبد العزيز، جدة).
مؤلف مجهول : (ت بعد ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م).
(١٤) سبك الذهب في علم النسب (مخطوطة مصورة برقم ١٧١٣ تاريخ،
معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة

- ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
(١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (د.
ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
(٢) الكامل في التاريخ (د. ط، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢م).
ابن الأخوا : محمد بن محمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م).
(٣) معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق
أحمد عيسى المطبعي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
١٩٧٦م).
الإدريسي : أبو عبد الله محمد (٥٥٦هـ / ١١٦٠م).
(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور
سعيد، مصر د. ت).

-
- الأدفي : أبو كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
- (٥) الطالع السعيد الجامع أسماء لنجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن (د.ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م).
- الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠هـ / ٨٦٨م).
- (٦) أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحق (ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).
- الأسنوي : جمال الدين عبد الرحمن (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م).
- (٧) طبقات الشافعية، تحقيق عبدالله الجبوري (د.ط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م).
- (٨) المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العلا الحسيني، محمد شفيق غربال (د.ط، دار القلم، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م).
- الأصفهاني : الفتح بن علي بن محمد البنداري (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).
- (٩) تاريخ دولة آل سلجوق (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م).
- الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) .
- (١٠) مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر (د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م).
- الأنصاري : عبد الرحمن (ت ١١٢٤هـ / ١٧١٢م).
- (١١) نخبة المحبين والأصحاب في معرفة مال للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي (د.ط، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٧٠م).

-
- ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).
- (١٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- ابن أبيك الدواداري: أبو بكر بن عبدالله (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م).
- (١٣) كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد (د.ط، المعهد الألماني للأثار، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).
- بابا التنبكتي: أبو العباسي أحمد باب بن أحمد (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م).
- (١٤) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبدالله الهرامة (ط١، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م).
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).
- (١٥) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).
- (١٦) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي (ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م).
- البقاعي: إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).
- (١٧) إظهار العصر لأسرار أهل العصر «تاريخ البقاعي»، تحقيق محمد بن سالم بن شديد العوفي (ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

البكري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .

(١٨) جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق ودراسة عبد الله

يوسف الغنيم (د. ط، دار السلاسل ، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

(١٩) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا

(ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

(٢٠) أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله (د. ط، دار

المعارف، القاهرة ١٩٥٩م).

الجزء الثالث، تحقيق محمد باقر المحمودي (د. ط، دار التعاون، بيروت

١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

البلوي : خالد بن عيسى (ت بعد ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)

(٢١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح (د.

ط، صندوق احياء التراث الإسلامي، المحمدية المغرب د. ت).

التجيبى : القاسم بن يوسف السبتي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩).

(٢٢) مستفاد الرحلة والاعترا ب (د. ط، الدار العربية للكتاب، تونس

١٩٧٥م).

ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاس يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

(٢٣) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال عز

الدين (ط١، عالم الكتب، د. م ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

(٢٤) الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم محمد شلتوت، ج١

(د. ط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

- (٢٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (د. ط)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).
- التميمي : تقي الدين بن عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م) .
- (٢٦) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ابن جابر الوادي آشي: شمس الدين محمد بن جابر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .
- (٢٧) برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، جامعة أم القرى، تونس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).
- ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) .
- (٢٨) تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير (د. ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت نحو ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) .
- (٢٩) الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) .
- (٣٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- ابن حاتم : بدر الدين محمد بن حاتم الياامي الهمداني (ت بعد ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م).

-
- (٣١) السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث (د.ط، د.ن، كميردج ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- ابن الحاج : أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)
- (٣٢) المدخل (د.ط، دار الحديث، القاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)
- حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) .
- (٣٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (د.ط، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٦م).
- ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .
- (٣٤) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين (د.ط مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- (٣٥) إنباء الغمر بأبناء العمر (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- (٣٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) .
- (٣٧) ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش (د.ط، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- الحري : أبو إسحاق إبراهيم (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) .
- (٣٨) المناسك وأماكن طرق الحج ومعاليم الجزيرة (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

-
- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
(٣٩) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ط ٣، دار المعارف، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
الحميري : محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م).
(٤٠) الروض المعطار في خبر الأقطار (ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م).
ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
(٤١) صورة الأرض (د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م).
ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م).
(٤٢) المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشة محمد مخزوم (ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
الخزرجي : موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م).
(٤٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكويع (ط ٢، دار الآداب، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
خسرو : ناصر (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م).
(٤٤) سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب (ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م).
الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
(٤٥) الفقيه والمتفقه (د. ط، د. ن، القاهرة ١٩٧٧م).

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

(٤٦) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (د. ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
(٤٧) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق احسان عباس (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
(٤٨) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل ركار (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م).
(٤٩) الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م).

(٥٠) جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي (ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م).

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).
(٥١) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (د. ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت).

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
(٥٢) ذيل العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد العيد (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- (٥٣) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم الزبيق (ط٦)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨١م).
- (٥٤) المختار من تاريخ ابن الجزري، دراسة وتحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ابن رافع السلامي : تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع بن هجرس (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- (٥٥) الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت قبل ٣٦٠هـ/٩٧٠م).
- (٥٦) الأعلام النفيسة (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ابن رشيد: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)
- (٥٧) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الرشيدي : أحمد (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م).
- (٥٨) حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد (د.ط، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٠م).
- الزيري : أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م).
- (٥٩) نسب قریش، عني بنشره ليفي بروفنسال (ط٣)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م).

-
- الزمخشري : جار الله بن القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) .
- (٦٠) أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحمن محمود (د.ط، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) .
- (٦١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٥٢م) .
- السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي (٧٧١هـ / ١٣٦٩) .
- (٦٢) طبقات الشافعية الكبرى (ط٢، دار المعرفة، بيروت د.ت) .
- ابن سحنون : محمد (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
- (٦٣) آداب المتعلمين (د.ط، د.ن، تونس، د.ت) .
- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) .
- (٦٤) الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الخشت (د.ط، مكتبة الساعي، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) .
- (٦٥) التبر المسبوك في ذيل السلوك (د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة د.ت) .
- (٦٦) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (د.ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة ج١، ج٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج٣ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)
- (٦٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت) .

-
- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).
- (٦٨) الطبقات الكبرى (د.ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- (القسم المتمم)، تحقيق زياد محمد منصور (ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٧م).
- (٦٩) كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي (ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م).
- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م).
- (٧٠) الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي (ط١، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- السمهودي : نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).
- (٧١) الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- (٧٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (د.ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- (٧٣) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).
- (٧٤) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م).

(٧٥) لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز،
أشراف أحمد عبد العزيز (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت
١٤١١هـ/١٩٩١م).

ابن شاعر الكتبي محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
(٧٦) عيون التواريخ: تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داوود (د. ط، دار
الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م).
(٧٧) فوات الوفيات: تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار صادر/ بيروت
١٩٧٤م).
أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت
٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)

(٧٨) الذيل على الروضتين (د. ط، دار الجليل، بيروت ١٩٧٤م).
(٧٩) الروضتين. في أخبار الدولتين (د. ط، دار الجليل، بيروت د. ت).
ابن شاهين الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)
(٨٠) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس
راويس (د. ط، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م).
ابن شبه: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م).
(٨١) أخبار المدينة النبوية المعروف بتاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهد محمد
شلتوت (ط ٢، دار الاصفهاني للطباعة، جدة ١٤٠٢هـ).
الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م).
(٨٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (د. ط، مكتبة ابن تيمية ،
القاهرة د. ت).

-
- شيخ الربوة: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م).
- (٨٣) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ط١، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- الصيرفي: علي بن داود (ت ٩٠٠هـ / ١٩٩٤م).
- (٨٤) إنشاء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠م).
- (٨٥) نزعة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي (د. ط، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م).
- ابن طباطبا: محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م).
- (٨٦) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
- (٨٧) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م).
- ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله (ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م).
- (٨٨) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (ط ٢، د. ن، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م).
- العباسي: أحمد بن عبد الحميد (ت ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م).
- (٨٩) عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري (د. ط، نشره أسعد درابزوني القاهرة د. ت).

-
- ابن عبد البر: يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
- (٩٠) جامع بيان العلم وفضله (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت).
- ابن عبد الظاهر: محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م).
- (٩١) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر (ط١، نشر عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- ابن عبد المجيد: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م).
- (٩٢) تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى مجازي (د. ط، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٣٨٤هـ).
- العبدري: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت بعد ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م).
- (٩٣) رحلة العبدري، حققه محمد الفاسي (د. ط، وزارة الثقافة المغربية، الرباط ١٩٦٨م).
- العتبي: أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م).
- (٩٤) تاريخ العتبي بهامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (د. ط، المطبعة الأميرية، بولاق القاهرة ١٢٩٠هـ).
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن زبي جرادة (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م).
- (٩٥) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار (د. ط، دار البعث، دمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

-
- عرام: عرام بن الأصبغ السلمي (ت نحو ٢٧٥هـ / ٨٨٨م).
- (٩٦) أسراء جبال تهامة وبسكانها، تحقيق عبد السلام هارون، نواذر المخطوطات، المجموعة الثامنة، ج ٢ (ط١، دار الجليل، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- العصامي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).
- (٩٧) سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (د. ط، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ).
- العليمي: أبو اليمن مجد الدين عبد الرحمن الحنبلي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢م).
- (٩٨) الأئس الجليل في تاريخ القدس والخليل (د. ط، د. ن، القاهرة ١٢٨٣هـ).
- ابن العماد الأصبهاني: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م).
- (٩٩) خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل (د. ط، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م).
- (١٠٠) الفتح القسي في الفتح القدسي (د. ط، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١هـ).
- ابن عماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م).
- (١٠١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).
- ابن عنبه: جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م).
- (١٠٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م).

- العياشي: أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م).
- (١٠٣) المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد أمحزون (ط١، دار الأرقم، الكويت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م).
- (١٠٤) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد محمد (د). ط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم) تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي القرموط (ط١، الزهراء للإعلام، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- الغزي: نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م).
- (١٠٥) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م).
- الفاصي: تقي الدين محمد بن أحمد (٨٣٢هـ / ١٤٢٨م).
- (١٠٦) ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق محمد صالح المراد (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
- (١٠٧) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق نخبة من كبار العلماء (د). ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).
- (١٠٨) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
- (١٠٩) تقويم البلدان، المتنبي بتصحيحه وطبعة ريفود ومالك كوكين ديسلان (د. ط، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠م).
- (١١٠) المختصر في أخبار البشر، (د. ط، مكتبة المتنبي، القاهرة د. ت).

-
- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤).
(١١١) تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق (د. ط، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٩م).
ابن فرحون: إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م).
(١١٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمد أبو النور (د. ط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م).
ابن فندق: أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م).
(١١٣) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد مهدي الرجائي (ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم إيران ١٤١٠هـ).
ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت نحو ٣٤٠هـ / ٩٥١م).
(١١٤) مختصر كتاب البلدان (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م).
(١١٥) غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهد شلتوت (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

ابن فهد: النجم عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م).

(١١٧) إتحاف الوري بأخبار أم القرى الأجزاء ١، ٢، ٣ تحقيق فهد محمد شلتوت (ط١)، جامعة زم القرى بمكة المكرمة، مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) ج ٤ تحقيق عبد الكريم على بار (ط١)، جامعة أم القرى مؤسسة مكة للطباعة والإعلام مكة المكرمة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

(١١٦) معجم الشيوخ ، تحقيق حمد الجاسر (د. ط، دار اليمامة للبحث والترجمة ، والنشر، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

الفيروزآبادي: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).

(١١٨) القاموس المحيط، تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ).

(١١٩) المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م).

ابن القاضي: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م)
(١٢٠) درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمد أبو النور (ط١)، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م).

(١٢١) تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش (د. ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م).

-
- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).
(١٢٢) الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني (د. ط، مؤسسة الحلبي،
القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٧م).
ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م).
(١٢٣) الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق علي نويهض (د.
ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى (٩٤٦هـ / ١٥٣٩م).
(١٢٤) توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي، (ط١،
دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
القرشي: عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م).
(١٢٥) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (د.
ط، دار العلوم، الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).
القرماني: أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م).
(١٢٦) أخبار الدول وآثار الأول، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد،
ج ٢ (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
القلصادي: أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م).
(١٢٧) رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان (د. ط الشركة
التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨م).
القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
(١٢٨) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (د. ط، المؤسسة المصرية للتأليف
والترجمة والنشر، القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

-
- (١٢٩) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- (١٣٠) مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (ط٢، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠م).
- (١٣١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- (١٣٢) البداية والنهاية (ط٢، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧م).
- الكندي: أبي عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م).
- (١٣٣) كتاب الولاة وكتاب القضاة (د. ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة د.ت).
- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).
- (١٣٤) الكامل (د. ط، دار الفكر ، القاهرة د.ت).
- ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت بعد ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- (١٣٥) تاريخ المستبصر، تحقيق أو سكر الفجرين (د. ط، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١م).
- المراغي: زين الدين أبي بكر بن الحسين (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م).
- (١٣٦) تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي (ط٢، المكتبة العلمية، المدينة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

-
- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).
- (١٣٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
- المطري: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن زحمد (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م)
- (١٣٨) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال (د. ط، منشورات أسعد طرابزونى الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ).
- المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م).
- (١٣٩) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).
- المقري: أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- (١٤٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس (د. ط، د.ن، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- (١٤١) اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- (١٤٢) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، دراسة وتحقيق محمد كمال الدين علي (ط، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- (١٤٣) الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م).

- (١٤٤) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة (ط٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م).
- المنذري: زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).
- (١٤٥) التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف (ط٣ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- (١٤٦) لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت).
- مؤلف مجهول: (مؤلف من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي).
- (١٤٧) أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري - عبد الجبار المطليبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
- مؤلف مجهول: (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).
- (١٤٨) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (د. ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد د. ت).
- الميورقي: أحمد بن علي بن ربي بكر العبدري (ت ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م).
- (١٤٩) بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، د. ن، الطائف ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- الناقليسي: عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م).
- (١٥٠) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز المعروفة برحلة الناقليسي، (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م).

ابن النجار: محمد بن محمود (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م).

(١٥١) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الملحق الثاني من كتاب شفاء الغرام

بأنخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق لجنة من

كبار العلماء والأدباء (د. ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة د. ت).

النوري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م).

(١٥٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (د. ط، دار الكتب المصرية، القاهرة

١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م).

نهاية الأرب في فنون الأدب (القسم التاريخي) تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة

(د. ط، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة ١٤١٠هـ /

١٩٩٠م).

الهجري: أبو علي هارون بن زكريا (ت نحو ٣٠٠هـ / ٩١٢م).

(١٥٣) التعليقات والنوادر، دراسة حمد الجاسر (ط٣، العبيكان للطباعة

والنشر، الرياض ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م).

(١٥٤) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (د. ط،

دار الإمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ /

١٩٧٤م).

الورثياني: الحسين بن محمد (ت ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م).

(١٥٥) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (ط٢، دار الكتاب

العربي، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).

-
- ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).
- (١٥٦) تاريخ ابن الوردي ويعرف بتممة المختصر في أخبار البشر (ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م).
- اليافعي: عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).
- (١٥٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٣٧هـ).
- ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- (١٥٨) المشترك وصفاً والمفترق صقماً (د. ط، جامعة شريفتن، غوتنجن ١٨٤٦م).
- (١٥٩) معجم البلدان (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م).
- (١٦٠) غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة (د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)
- (١٦١) البلدان، (ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- (١٦٢) تاريخ اليعقوبي (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت).
- اليوسفي: موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م).
- (١٦٣) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر (ط ١، 'عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

اليونيني: قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد أحمد (ت ٧٢٦هـ /
١٣٢٥م)

(١٦٤) ذيل مرآة الزمان (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن
الهند ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م).

ثالثاً: المراجع العربية المطبوعة

آدم متمر

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي
أبو ريدة (ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت
١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

إبراهيم رفعت باشا

(٢) مرآة الحرمين (ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م).

إبراهيم العباسي

(٣) المدينة بين الماضي والحاضر (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

أحمد السباعي

(٤) تاريخ مكة، (ط٤، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

أحمد عمر الزيلعي

(٥) مكة وعلاقاتها الخارجية (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض
١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

أحمد عيسى

(٦) تاريخ البيارستانات في الإسلام (د.ط، دمشق ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م).

أحمد كمال الدين حلمي

(٧) السلاجقة في التاريخ والحضارة (ط٢، ذات السلاسل، الكويت

١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

أحمد محمد البرادعي

(٨) المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي (ط١، دار الكتاب، بيروت،

١٣٩١هـ / ١٩٧٢م).

(٩) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، (ط٢، د. م، بيروت

١٣٩٤هـ).

أحمد محمد عدوان

(١٠) الممالك وعلاقاتهم الخارجية (ط١، دار الصحراء السعودية للنشر

والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

أحمد ياسين الخياري

(١١) أمراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم (ط١، مكتبة المدينة

المنورة، المدينة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢).

(١٢) تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ط١، نادي المدينة المنورة

الأدبي، المدينة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

إسماعيل البغدادي

(١٣) هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (د. ط، مكتبة المثنى،

بغداد د. ت).

بكر أبوزيد

(١٤) طبقات النسايين (ط١، دار الرشد، الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

جعفر الخليلي

(١٥) موسوعة العتبات المقدسة، قسم المدينة جـ ١ (ط١، دار التعارف،

بغداد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

جميل حرب

(١٦) الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (ط١، تهامة للنشر والمكتبات، جدة

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م). جواد علي

(١٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط٢، جامعة بغداد، د. م

١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

حسن إبراهيم حسن

(١٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ط٧، دار احياء

التراث العربي، القاهرة ١٩٦٤م).

حسن الباشا

(١٩) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق (د. ط، الدار الفنية للنشر

والتوزيع، القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

حسين مؤنس

(٢٠) أطلس تاريخ الإسلام (ط١، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

حمد الجاسر

(٢١) رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،

الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

(٢٢) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، (ط١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

(٢٣) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) (ط١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

(٢٤) في شمال غرب الجزيرة (ط٢)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

(٢٥) معجم قبائل المملكة العربية السعودية (ط١)، النادي الأدبي، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

(٢٦) بلاد ينبع (د. ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض د.ت).

خير الدين الزركلي

(٢٧) الأعلام (ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م).

راشد سعد راشد القحطاني

(٢٨) أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين (د، ط، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)

ريشارد مورتيل

(٢٩) الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

سنائي لين بول

(٣٠) الدول الإسلامية (د. ط، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

سعيد الأفغاني

(٣١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).

سليمان عبد الغني مالكي

(٣٢) بلاد الحجاز منذ نهاية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد (د. ط، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

(٣٣) مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية (د. ط، دار الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).

صالح لمعي مصطفى

(٣٤) المدينة المنورة «تطورها العمراني وتراثها المعماري» (د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م).

عائق البلادي

(٣٥) معجم قبائل الحجاز (د. ط، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٢م).

عاصم حمدان علي حمدان

(٣٦) حارة الأغوات (ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

عبد الباسط بدر

(٣٧) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، (ط١، د. ن، المدينة المنورة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

عبد الحفي بن عبد الكبير الكتاني

(٣٨) التراتيب الإدارية (د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت).

عبد الرحمن حمد المغيري

(٣٩) المنتخب في ذكر أنساب العرب، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، دار

الحارثي للطباعة، الطائف ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

عبد الرحمن صالح عبد الله

(٤٠) تاريخ التعليم في مكة (د. ط، دار الشروق، جدة ١٤٠٣هـ /

١٩٨٣م).

عبد الرحمن علي الحجي

(٤١) التاريخ الأندلسي (ط٢، دار القلم، دمشق ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م).

عبد العزيز العمري

(٤٢) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

(ط١، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة

١٩٨٥م).

عبد القدوس الأنصاري

(٤٣) آثار المدينة المنورة (ط٣، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس

(٤٤) مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (ط١، جامعة الملك

سعود، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

عبد الله فرج الزامل الخزرجي

(٤٥) المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها (ط١، تهامة للنشر، جدة ١٤١١هـ /

١٩٩١م).

عثمان موافي

(٤٦) منهج النقد التاريخي (ط٢)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية
١٩٧٦).

علي حافظ

(٤٧) فصول من تاريخ المدينة (ط٢)، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر،
جدة ١٤٠٥هـ).

علي حسين السليمان

(٤٨) العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك (د. ط، دار حراء،
القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

(٤٩) النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (ط١،
مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١م).

علي السيد علي

(٥٠) الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك (ط١، عين
للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٤١٤هـ/
١٩٩٤م).

علي غبان

(٥١) الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١، مطبعة سفير، الرياض
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

عمر رضا كحالة

(٥٢) معجم المؤلفين (د.ط، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي،
بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م).

(٥٣) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

فالتز هتس

(٥٤) المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العلي (د. ط، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م).

محسن الأمين

(٥٥) أعيان الشيعة، تحقيق حسين الأمين (د. ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

محمد أحمد دهمان

(٥٦) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

محمد أحمد العقيلي

(٥٧) التصوف في تهامة (د. ط، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة د.ت).

محمد جمال الدين سرور

(٥٨) سياسة الفاطميين الخارجية (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م).

محمد عبد الرحمن الشامخ

(٥٩) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني (ط١، دار العلوم، مكتبة النهضة، الرياض ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

محمد عبد المنعم خفاجي

(٦٠) الخفاجيون في التاريخ (د. ط، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).

محمد قنديل البقلي

(٦١) التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م).

محمد محمد مخلوف

(٦٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، د. ت).

محمد لبيب البتونني

(٦٣) الرحلة الحجازية (د. ط، مكتبة المعارف، الطائف د. ت).

ياسين أحمد الخياري

(٦٤) صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة (ط٢، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

رابعاً : الدوريات والندوات

أحمد عمر الزيلعي

(١) بنو حرام، حكام حلي، وعلاقاتهم الخارجية، مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس عشر، العدد الأول (جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

(٢) المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي، حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة الرسالة التاسعة والثلاثون (جامعة الكويت، الكويت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

سامي الصبقار

(٣) لمحات عن نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

عبد الرحمن عبد الله الشيخ

(٤) لودوفيكودي فارتيمما «الحاج يونس المصري» الرحالة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع جـ ٢، (الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

عبد العزيز صالح الهلابي

(٥) الحركة الثقافية في الجزيرة العربية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (ط١)، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠/١٩٨٩م.

عبد اللطيف إبراهيم

(٦) وثائق الوقف على الأماكن المقدسة (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

عبد الله العنقاوي

(٧) مكة في عهد الشريف قتادة، مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر العدد الأول (جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

لودوفيكودي فارتيمما

(٨) رحلة فارتيمما إلى الحجاز واليمن والهند، مجلة المقتطف، المجلد الثامن والثلاثون (القاهرة يناير ١٩١١م).

الدوريات الأجنبية

(1) MORTEL, RICHARD, T The Origins and Early History of The Husaynid Amirate of Madina to the End of the Ayyubid Period, *Studia Islamica* Paris 74 (1991).

(2) The Husaynid Amirate of Madina during the Mamluk Period *Studia Islamica* Paris 80 (1994).

خامساً: رسائل جامعية غير منشورة

أحمد عبد الحميد خفاجي

(١) موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة (٨٤٢-٩٢٣هـ/

١٤٣٨-١٥١٧م) (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب،

جامعة الاسكندرية ١٩٦٨م).

سعيد القحطاني

(٢) تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (رسالة دكتوراه

غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود،

الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

طرفة العبيكان

(٣) الحياة العلمية والاجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة

(رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة

الملك سعود، ١٤٠٦هـ).

عائشة باقاسي

(٤) مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس

الهجري، دراسة تاريخية حضارية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم

التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم

القرى، مكة ١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ).

عواطف محمد يوسف نواب

(٥) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

محمد صالح الطاسان

(٦) تحقيق ودراسة لكتاب الأرج المسكي في التاريخ المكي لمؤلفه علي بن عبدالقادر الطبري (١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م) (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة أدنبره، بريطانيا ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م).

منى المشاري

(٧) المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٩هـ).

رسائل جامعية بلغة أجنبية

Urainan, Mohammed, Abdel, Qadir Al Taberi - Nasha'at Al- Sulafa bi Munsheat al-Kwlafah unpublished Thesis, Submitted for degree of Doctor, of Philosophy, University of St. Andrews, Department of Arabic Studies, England 1972).

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

(أ)

- آدم المغربي ٩٨ .
 أمّنة بنت محمد بن غانم بن محمد بن
 محمد بن يحيى بن سالم بن عبدالله
 الخشبي المدني الحنفي ١٧١ .
 إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي الحسيني
 ٢٩٥ .
 إبراهيم بن الشهاب أبي العباس أحمد
 ٢٢٣ .
 إبراهيم بن أحمد بن عيسى بدر الدين
 الخشاب ٢٣٨ .
 إبراهيم بن أحمد بن غنائم البعلي المدني
 المقرئ ٢٤٤ .
 إبراهيم بن أحمد بن محمد برهان الدين
 الخجندي ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٩٦ .
 إبراهيم بن أحمد المدني ٩٨ .
 إبراهيم البعلي ٢٤٤ .
 إبراهيم التلمساني ٢٤٦ .
 إبراهيم بن الجلال أحمد الخجندي ١٧٢ .
 إبراهيم بن حماد ٢٥٠ .
 إبراهيم الحوات ١٠٣ .
 إبراهيم بن رجب بن حماد العاري السلماني
 الشافعي ٣١٢ .
 إبراهيم بن سليمان ٤٥ .
 إبراهيم بن عبدالرحمن بن حسين بن
 حسن بن أحمد بن قاسم المدني الشافعي
 ٢٢٢ ، ٣١١ .
 إبراهيم بن عبدالله بن أحمد النفطي
 المؤدب ٢٤٤ .
 إبراهيم العريان الرومي ١٥٠ ، ٢٥٢ ،
 ٣١٥ .
 إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون
 ١٩٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ .
 إبراهيم بن مبارك الششتري ٢٨٤ .
 إبراهيم بن محمد الجنابي ٢٢٣ .
 إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن
 صالح ٢٧٥ .
 إبراهيم بن محمد بن محمد الششتري
 المدني ٢٨٤ .
 إبراهيم بن محمد بن مرتضى ٢٢٠ .
 إبراهيم المغربي الخطاب ١٠١ .
 إبراهيم المكناسي ٢٩٥ .
 إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى
 الفاسي ٢٥٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
 أبغا بن هولكو ٦٩ .
 ابن الأثير ٧٨ .

- أبو بكر ١٩٦ .
- أبو بكر بن أحمد صفي الدين السلامي ٨٧ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٨ .
- أبو بكر بن الحسين المراغي الشافعي ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
- أبو بكر الشيرازي ١٤٧ ، ٢٨٣ .
- أبو بكر الصديق ١٣٣ ، ٢٤٢ .
- أبو بكر بن محمد المراغي ١٧٣ .
- أبو بكر بن عمر بن محمد الطفتكيني المالكي الكامل ٦٥ .
- أبو بكر بن يوسف المحوجب النجار ٩٨ ، ١٩٦ .
- أبو نهي لمحمد بن أبي سعد الحسن بن قتادة ٥٦ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ .
- أحمد بن أحمد بن قاسم ٢٢١ .
- أحمد الأموي ٢٣٤ .
- أحمد الأميني ٢٢٤ .
- أحمد بن أبي بكر بن محمد الطبري المكي الشافعي ١٨٨ .
- أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن عيسى المكي ٣١٧ .
- أحمد الخراساني ١٤٨ .
- أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري ١٦٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦١ .
- أحمد السقا ١٠٤ .
- أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شاه بن بهمن شاه شهاب الدين أبو المغاري ٢٥٣ .
- أحمد الشهاب السندوي ٢٢٧ .
- أحمد بن عبد الحميد العباسي ٣٠٤ .
- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطري ٣١٠ .
- أحمد بن عبد الغني المدني الحنفي ٢٢١ .
- أحمد بن عبدالله بن حمد بن إبراهيم المصري ٢٩٩ .
- أحمد بن عبدالله بن فرحون الشهاب أبو العباس ٢٣٣ ، ٢٦٩ .
- أحمد بن عبدالله محمد الششتري المدني ٢٨٤ .
- أحمد بن عبد الواحد بن مرء الحوراني القاضي الملقب بالتقي الشافعي ٤٩ .
- أحمد بن عبد الوهاب بن كرامة ٢٢٥ .
- أحمد بن عثمان بن عبد الغني الششتري أو الششتري ٢٨٣ .
- أحمد بن عثمان بن عمر الشافعي المصري ٢٩١ .

- أحمد بن عجلان ٧٤ .
- أحمد بن عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبدالله شهاب الدين الزرندي ٢٦٣ .
- أحمد بن علي بن أحمد الشيشني القاهري الحنبلي ١٣٦ .
- أحمد بن علي بن عقيل بن راجع بن مهنا الششتري المدني ٢٨٤ .
- أحمد بن علي بن محمد الفاسي ٢٨٦ .
- أحمد بن علي بن محمد القسطلاني المالكي ٢٨٦ .
- أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن بن أبي بكر العمري الحرازي اليمني الشافعي ١٦٥ ، ١٦٦ .
- أحمد بن قاسم المعروف بابن القطان المدني الشافعي ٢٢١ .
- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي ٢٠٤ .
- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن مبارك بن مسعود الشكيلي ٣١٩ .
- أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر ٢٦٤ .
- أحمد بن محمد بن أحمد الششتري ٢٨٤ ، ١٦٨ .
- أحمد بن محمد التلمساني أبو العباس ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ربالة ١٦٨ .
- أحمد بن محمد الشمس بن أحمد بن موسى بن أبي بكر ابن أبي العيد السخاوي ٢٨٢ .
- أحمد بن محمد بن حسن الكجار ٢٢٢ .
- أحمد بن محمد الخجندي ١٧٣ .
- أحمد بن محمد بن روية بن محمود بن أحمد صفى الدين الكارروني ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
- أحمد بن محمد الشويكي الحنبلي ٢٩٩ .
- أحمد بن محمد شهاب الدين الطبري ٨٧ .
- أحمد بن محمد بن عبدالله الشهاب المالكي النفطي المدني ١٧٢ ، ٢٢٧ .
- أحمد بن محمد بن علي الصاحب زين الدين ١٥٨ ، ١٩٤ .
- أحمد بن محمد بن محمد الخجندي ١٧٢ ، ٢٦٩ .
- أحمد بن محمد اليماني المدني البواب ٢٢٥ .
- أحمد بن محمد محب الدين النويري ٢٨٥ .
- أحمد المدني شهاب الدين أبو العباس الحنفي ٢٢٠ ، ٢٢١ .

- أحمد بن مسدد بن الكارروني ٢٧٨ .
- أحمد بن مشكور ١٠١ .
- أحمد المغربي ١٧٢ .
- أحمد الواعظ ٢٨٠ .
- أحمد الوسيط ٢٨٠ .
- أحمد بن يوسف شهاب الدين الملقب
بالبرهان القراري الشمس بن العز
الأنصاري الزرندي المدني ٢٦٣ .
- أحمد بن يوسف بن مالك أبو جعفر
الغرناطي ٣٠٧ .
- أحمد بن يونس بن سعيد الحميري
القسنطيني المغربي المالكي ٢٩٣ ، ٣١١ .
- الإخشيدي = محمد بن طغج الإخشيدي
٢٤ .
- إدريس بن الحسن بن قتادة الحسيني ٦٨ .
- إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس بن
مطاعن الحسني ٦٦ .
- أرغون (الدودار) سيف الدين الناصري
١٢٦ .
- أبو إسحاق ٢٥٢ .
- أسعد الرومي ١٤٩ ، ١٥٠ .
- إسماعيل بن جعفر الصادق ١٨٧ .
- إسماعيل الزمزمي المجد أبو الطاهر ١٦٦ .
- إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون
السلطان الصالح ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٢٨ .
- الأشرف إينال ٢٠٣ .
- الأشرف برسباي ٤٣ ، ٢٢٦ .
- الأشرف شعبان ٣١٠ ، ٣١٤ .
- الأشرف قانصوه الغوري ٤٦ .
- الأشرف سيف الدين قايتباي الجركسي
الظاهري ٤٦ ، ٧٦ ، ١٦٠ .
- الأصفهاني = محمد بن علي بن أبي
منصور جمال الدين ١٤٧ .
- أعظم شاه بن أسكندر شاه بن شمس
الدين غياث الدين أبو المظفر السجستاني
٢٥٢ ، ٢٥٣ .
- ألب أرسلان بن أبي شجاع محمد بن
داود بن ميكائيل بن سلجوق (السلطان
عفيد الدولة) ٦٠ .
- أميان بن مانع بن علي بن عطية بن
منصور بن جمار ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٥ .
- الأمين الأقصرائي ٢٠٣ ، ٢٧٠ .
- أمين خالص البهادي ٣١٦ .
- أمين بن محمد بن محمد بن محمد
السعدي الأندلسي أبو البركات ٢٨٧ .
- أمين الأميوطي = شرف الدين أبو الفتح
محمد بن القاضي عز الدين أبي عبدالله
محمد بن أحمد المصري ، قاضي المدينة
٣٥ .
- ابن إياس ٢٠٩ .

أيمن بن محمد السعدي التونسي المالكي
أبو البركات ٣٠٦.

أيوب بن سليمان المغراوي المؤدب ٢٤٤.

(ب)

بابا التبتكتي ٣٠٠، ٣٠٨.

البدر حسن ٤٦.

بدر بن فايد بن علي بن الحسين بن
القاسم ١٣٢.

البدر أبو محمد عبدالله بن فرحون =
البدر بن فرحون ١٦٧.

بدر الدين الأسدي ٢٠٩.

بدر الدين بن الخشاب ٢٧٢.

بدر الدين الشهابي ٢١٠.

بدر الدين مالك بن منيف بن شيحة ٥١.

بدر الدين هبة بن جمار ٣٩.

بردة الحاج ٢٢٤.

ابن برطاس = علي بن الحسين بن برطاس
الأمير مبارز الدين ٦٧.

بركات بن محمد بن بركات (الشريف)
٤٦، ٧٥، ٧٦.

البرهان إبراهيم = إبراهيم بن أحمد بن
محمد بن برهان الدين الخجندي ٢٦٧،
٢٧٠، ٢٩٦.

البرهان إبراهيم الزمزمي ١٦٦.

البرهان إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن
أحمد الخجندي ٢٠٤، ٢٧١.

ابن بطوطة ٢١٠، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٩١.

بكتمر بن عبدالله السعدي ٤٣.

البليوي ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٩١.

بيان الأسود الخصي ٢٠٨.

بيرز محمد بن عيسى الأزدي الدوسي
اليمني الشافعي ٢٩٩.

(ت)

التاج عبدالوهاب بن محمد بن يعقوب
المدني = عبدالوهاب بن محمد بن
يعقوب المدني ١٧٣.

التجبي = القاسم بن يوسف السبتي
٦٧.

التستري = الششتري الكارروني ١٦٢.

التقي الفاسي = محمد بن أحمد الفاسي
٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٦، ٢٩٨.

التقي بن فهد = التقي محمد بن فهد
٢٦٢، ٢٧٣، ٢٧٧.

التمار = عبدالسلام بن محمد بن مزروع
البصري المدني الحنبلي ٢٥٩.
تميم الداري ١٤٤.

(ث)

ثابت بن ضيغم بن خشرم بن لحاد بن
ثابت ٤٦، ٧٧.

ثابت بن عجلان ٧٣.

ثابت بن نعيم بن منصور بن جمار بن
شيحة ٤١، ٤٢، ٧٣.

(ج)

الجازية (أخت الحسن بن سرحان) ٥٩.

ابن جبير ١٥٧، ١٩٠، ٢١٠، ٣١٢.

جعيدب ٣٤.

جرقس الخليلي ١٢٦.

الجزيري ٥٨، ١١٤، ١٢٤.

جعفر بن محمد بن الحسن ٥٧.

جعفر حجة الله بن عبيد الله بن الحسين

الأصغر بن علي زين العابدين ٢٤.

جقمق الملك الظاهر، أبو سعيد جقمق

العلائي الجركسي الظاهر = السلطان

جقمق ٥٥، ٨٠.

ابن جمار ٣٨.

جمار بن شيحة بن هاشم بن قاسم

الحسيني ٣٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦،

٦٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٩.

جمار بن القاسم (عز الدين) بن مهنا

الحسين ٢٨، ٣٠، ٣١، ٧٨.

جمار بن منصور بن جمار بن شيحة

٣٨، ١٤٠.

جمار بن هبة بن جمار بن منصور ٤١،

٤٢، ٥٤، ٧٣، ٧٤، ٨٠.

جمال البكري ١٣٣.

الجمال محمد بن أحمد بن محمد

الكارروني الشافعي = محمد بن أحمد

الكارروني ١٦٥، ١٧٠، ٢٣٥، ٢٦٤،

٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠.

جمال الدين بن الموصلبي ٥٠.

الجواد الأصفهاني = محمد بن علي بن

أبي منصور جمال الدين = الأصفهاني

١٤٧.

جويان بن تروان ٢٥٥.

ابن الجوزي ٤٨.

(ح)

الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز نزار

٥٨.

الحيشي الشهاب ٢٥٥.

ابن حجر العسقلاني ٢٧، ٢٧٢، ٢٧٧،

٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٧.

الحراني (الشريف) ٢٦.

الحريري = شبل الدولة كافور المظفري

٢١٦، ٢٢٩.

حريقة بن قاسم بن جمار ٣٣.

ناصر الدين حسن ٥٤، ١٦٥، ٢٦٦.

حسن بن أحمد بن قاسم ٢٢١.

حسن بن أحمد البدر القيسي ٢٣٠.

حسن الأسواني المصري نور الدين ١٤٩،

١٥٨.

الحسن بن جعفر المكنى بأبي الفتوح ٥٨.

أبو علي الحسن الحجام ٣١٠.

- حسن بن حسين بن علي بن رستم الشيرازي ١٠٤، ٢٢٦.
- الحسن الزاهد ٢٦.
- الحسن بن سرحان ٥٩.
- الحسن بن سنان ١٩٢.
- الحسن بن طاهر بن طاهر بن يحيى ٢٤.
- الحسن بن طاهر بن مسلم ٢٣.
- الحسن بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين ٢٤.
- حسن بن عجلان ٤٢، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.
- الحسن العجمي ١٤٧.
- الحسن بن علي الأسواني ٢٥٢.
- حسن بن علي بن سنجر عز الدين المكي المدني ١٤٢.
- الحسن بن علي بن سيد الكل العز الأسواني ٢٥٢.
- الحسن بن عمر بن حبيب ٢٨٧.
- الحسن بن عيسى الخاچائي أبو علي المغربي المالكي ١٤٦، ٢٩٣، ٢٩٨.
- الحسن بن فرخوص التلمساني أبو علي ٣١١.
- الحسن بن قتادة ٦٤.
- الحسن بن محمد بن قلاوون الملك الناصر أبو المعالي بدر الدين ٥٤، ١٦٥.
- حسن بن مشكور ١٠١.
- حسن بن هاشم بن سنان ٢٠٢.
- الحسن بن يعلى العمري ١٣٣، ١٩٩.
- الحسين بن أحمد بن علي بن أبي نصر الحنفي ١٨٨.
- الحسين بن أحمد بن علي العمري ١٣٣.
- حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد البدر بن الخواجا الشهاب الكيلاني المكي الشافعي المعروف بابن قاون = ابن قاون ٨٩.
- حسين بن حسن بن أحمد بن قاسم ٢٢١.
- الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٢١، ٢٢.
- حسين بن علي بن رستم الشيرازي ١٠٤، ٢٢٦.
- الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن محمد بن عبدالرحمن الأموي العثماني المراضي زين الدين أبو بكر المصري الشافعي ٢٧٨.
- الحسين بن مهنا ٢٦، ٢٧.
- الحسين (أبو محمد) هاني ٢٢، ٢٦.
- الحسين بن أبي الهيجاء ٩٠، ٢٢٧.
- الحسين بن أبي اليمن أبي عبدالله الشمس محمد بن أبي بكر ٢٧٩.

- الحسين الأصغر بن زين العابدين بن علي
ابن الحسين ٢٢.
حمد الجاسر ٣٠٤.
حمد بن محمد الغرناطي ١٠٤.
حمزة (أبو عمارة المهنا) بن داود ٢٦.
حمزة بن عبد المطلب ١٥٦، ٢٧١.
حميدان بن محمد بن مسعود الكجاري ٢٢٢.
حميضة بن أبي نمي ٧٠، ٧١.
ابن حنا المصري = أحمد بن محمد بن
علي الصاحب زين الدين ١٥٨، ١٩٤.
أبو حنيفة ٢٩٩.
الخوراني (محيي الدين) ١٥٩.
حيدر بن دوغان ٤٣.
(خ)
الخجندي = شمس الدين الخجندي
١٤٤، ١٦٢.
خشرم بن دوغان بن هبة ٤٣.
ابن خلدون ٢٥.
خلف بن أبي بكر بن أحمد الزين
التحريري المالكي ٢٩٨.
خلف بن عيسى الأنصاري الخزرجي
٢١٨.
أم الخير أم محمد فاطمة بنت إبراهيم بن
محمود بن جوهر البعلبكي المعروف
- بالبطائحي = فاطمة بنت إبراهيم بن
محمود بن جوهر البعلبكي المعروف
بالبطائحي ٢٤٩، ٢٩٠.
خير بك ٢٧٤.
خير بك الأشرف إينال = الأشرف إينال
٢٥٦.
خير بك الأشرف برسبائي ٢٥٦.
خير بك بن حثيث ٢٥٦.
خير بك الظاهري خشقدم ٢٥٦.
خير بك القصري ٢٥٦.
خير بك المؤيدي ٢٥٦.
خير بك ٢٥٦.
(د)
داود بن عيسى ٦١.
داود بن القاسم (أبو هاشم) ٢٥.
دي فارتيماس = لودو فيكودي فارتيماس
الحاج يونس المصري ١٥.
عز الدين دينار ٢١٦.
(ذ)
الذهبي ٣٧، ٢٨٤.
(ر)
راجح بن قتادة ٤٩، ٦٥، ٦٦.
ابن رائق ٢٤.
ابن رشيد ١٥٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩،
٢٥٦، ٢٥٧، ٢٩٠، ٣٠١، ٣١٢.

السمهودي ٨٨، ٩٣، ٩٤، ١٠٩،
١٥٧، ٣٠٠.

الزمزمي ١٦٦.

زهير بن سليمان بن هبة بن جمار بن
منصور الحسيني ٤٥.

زيان بن منصور بن جمار ٣٩.

زيد بن زين العابدين علي بن الحسين
٢٢.

الزين المراغي ٢٦٤.

زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن
شبة المقدسية أم محمد = أم محمد ٢٩١.

(س)

سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني ٢٩،
٤٨، ٦٢، ٦٣.

ابن السبع = محمد بن عبدالمعطي الكتاني
العسقلاني المصري شمس الدين ٢٣٠،
٢٣٧.

سبيع ٢٦.

السخاوي ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٦٣، ٧٢،

٨١، ١٣٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٣، ٢٠٥،

٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧٢،

٢٧٥، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٢، ٣٠٣.

السراج = عمر بن أحمد بن ظافر بن
طارد بن أبي الفتوح الخضرى سراج

الدين الأنصاري الشافعي ٢٥٧.

رميثة بن أبي نجي = أبو عرادة أسد الدين
٧٠، ٧١.

رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن
أبي نجي الحسيني المكي ٧٥.

ريحان ٢٢٤.

ابن الرئيس = محمد بن محمد بن محمد
الشمس القاهري المدني ٢٢٢، ٢٢٣.

أم ريم بنت علي بن ثاقب القرشبية
السهمية المكية ٢٦٠.

(ز)

ابن زبالة = محمد بن عبد الوهاب بن
أحمد بن محمد الهواري القاهري

النبوعي الشافعي ١٦٨، ٣٠٤.

ابن الزبيدي ٢٤٩.

الزبير بن علي الأسواني شرف الدين
٢٩٥.

الزبير بن علي بن سيد الكل الأسواني
شرف الدين أبو عبدالله المصري ٢٥٢.

زبيري ٧٦.

زبيري بن قيس بن ثابت بن نعيم بن
منصور الحسيني ٤٥.

أبو القاسم الزجاجي ٢٤٥.

الزرندي ١٦٢.

زعي ١٠٦.

زكي الدين بن أبي الفتوح بن صالح =

- السراج البهاء بن سلامة المصري ٢٠٥ .
- السراج قاضي المدينة = عمر السراج ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٣١٥ .
- أبو السرايا ٢١ .
- السرسني شمس الدين الشافعي ٢٣٧ .
- سعادة المغربي ١٥٩ .
- سعد بن ثابت بن جمار (الشريف) ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
- سعد الدين سعد بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن عبد الوهاب بن علي بن محمد ابن علي الزرندي ٢٣٢ ، ٢٦٦ .
- سعد النفطي ٢٢١ .
- سعد الدين بن غراب ٤٣ .
- سعيد ٢٥٢ .
- أبو سعيد بن خريندا = القان أبو سعيد ٢٥٥ .
- الجمال سعيد بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن عبد الوهاب بن علي بن محمد ابن علي الزرندي ٢٣٢ .
- سعيد بن محمد بن عبد الوهاب الزرندي ٢٦٦ .
- ابن سعيد المغربي = أبو الحسن بن علي ابن موسى ١١٣ ، ١١٤ .
- سعيد الهندي ٢٢٤ .
- السلطان جقمق = جقمق الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلاني الجركسي الظاهري ٥٥ ، ٨٠ .
- السلطان الملك الكامل الأيوبي ٤٩ ، ١١٢ .
- السلطان المملوكي قايتباي = قايتباي ٢٤٣ .
- سلطان بن نجاد ١٣٢ .
- سليمان البواب ٢٢٥ .
- سليمان بن عبد الملك ٢٠ .
- سليمان بن غرير بن هيارع بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني ٤٤ .
- سليمان الغماري أبو الربيع ١٤٩ ، ٢٩٨ .
- سليمان (أبو محمد) هاني ٢٢ ، ٢٦ .
- سليمان الونشريسي ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٥٢ .
- السمهودي = زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٩ ، ١٥٧ ، ٢٢٨ .
- سنان بن عبد الوهاب بن نميلة ١٤٢ ، ٢٢٨ .
- سنان بن عبد الوهاب شمس الدين أبو هاشم ٩٣ ، ١٩١ ، ٢٠٢ .
- سيدة قرش ١٣٣ .
- سيف الدولة الحمداني ٢٤ .
- (ش)
- (أبو الحسن) الشاذلي ٢٨٣ .

- أبو شامة ٤٧ .
- شكالك بن محمد ٥٢ ، ٧٩ .
- شاهين (شيخ الحرم) ٧٧ .
- شكر بن أبي الفتح الحسن بن جعفر
- ابن شاهين ١٠٩ .
- شمس الخياط ٢٢١ .
- شاهين الجمالي الرومي القاهري شجاع
- شمس الدين الحنفي ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- شمس الدين الحنفي = الحنفي
- شبل الدولة كافور المظفري المعروف
- ١٤٤ ، ١٦٢ .
- شمس الدين بن العجمي ١٩٨ ، ٢٥١ .
- بالحريري ٢١٦ .
- الشهاب أحمد = صاحب كلبجة بالهند
- ابن شبة ٣٠٤ .
- شهاب أبو العباس أحمد ٢٢٣ .
- شجاع الدين = أبو بكر بن عمر بن
- شهاب الدين الحسين أمير المدينة ٢٦ .
- محمد الطغتكيني المكي الكامل ٦٥ .
- شهاب الدين أبو المغاري (المغاري) =
- الشرف الأميوطي = محمد بن عز الدين
- أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شاه
- ابن أبي عبدالله محمد بن أحمد المصري
- ابن بهمن شاه ٢٥٣ .
- المعروف بابن الأميوطي ٢٠٥ .
- شحنة بن هاشم بن قاسم بن مهنا
- شرف الدين السنجاري ٢٠٥ .
- الحسيني ٣٠ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٩ .
- الشريف جمار بن شحنة = جمار بن
- (ص)
- شحنة بن هاشم بن قاسم الحسيني ٣٧ ،
- الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن
- ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
- علي = ابن حنا المصري ١٥٨ .
- ٧٠ ، ٧٩ .
- صاحب كلبجة بالهند = الشهاب أحمد
- الشريف قتادة = قتادة بن إدريس بن
- ٢٧٠ .
- مطاعن بن عبدالكريم الحسني = صاحب
- صاحب مكة وينبع = الشريف قتادة بن
- ٢٨ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
- إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم الحسني
- ٦٥ .
- = قتادة ٢٨ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
- الششتري = التستري الكارروني ١٦٢ ،
- ١٦٥ .
- شعبان الثاني ناصر الدين ٢٦٥ .

طاهر بن أحمد بن محمد الخجندي عز
الدين ٢٧٠ .

طاهر بن الحسن ٢٥ .

طاهر بن محمد بن عبيد الله بن طاهر بن
يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة
ابن عبيد الله الأعرج . . . بن علي بن أبي
طالب = طاهر بن مسلم = طاهر بن مسلم
الحسيني ٢٢ ، ٢٥ ، ٥٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

طاهر بن مسلم ٢٢ ، ٢٥ .

طاهر بن مسلم الحسيني ١٨٨ ، ١٨٩ .

طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن
حجة الله عبيد الله بن الحسين الأصغر
ابن علي بن زين العابدين . . . بن علي
ابن أبي طالب ٢٤ .

طغتكين ٦٥ .

طفيل بن منصور ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٤٢ ، ١٩٢ .

طوغان شيخ الأحمدى ٢٠٣ ، ٢٧١ .

طي بن زيد بن كهلان ٢٩ .

(ظ)

الملك الظاهر برقوق أبو سعيد ٢٠٣ .

الظاهر بيبرس = الظاهر ركن الدين
بيبرس البندقداري ٥٠ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٧٩ ،
١٢٥ ، ١٩٦ .

ظهير الدين (شيخ الخدام بالحرم) ١٩٨ .

صاحب ميفارقين = غاري بن الملك
العادل سيف الدين بن أبي بكر بن أيوب
ابن شادي المظفر شهاب الدين ١٤٩ .
ابن صالح ١٦٢ .

الملك الصالح ٤٠ .

صالح بن إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد
ابن حسن بن علي بن صالح الكناني
الشافعي ١٠٤ ، ١٦٦ ، ٢٧١ .

صالح بن حرية من آل فضل ١٠٧ .

الصالح صلاح الدين حاجي الثاني =
المنصور ناصر الدين حاجي الثاني ٥٤ .

الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن
قلاوون ٢٠٨ .

صالح بن مسعود بن محمد التميمي
العثماني الشافعي المؤدب ٢٤٤ .

صلاح الدين الأيوبي = يوسف بن أيوب
ابن شادي الملك الناصر ٢٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٥٤ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

الصلاحى بن ظهيرة ٧٧ .

(ض)

ضيغم بن خشرم بن نجماد بن ثابت
الحسيني ٤٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(ط)

طاشتكين بن عبدالله المقتفوي مجير الدين
= طاشتكين الأمير مجد الدين أبو سعيد
المستنجدى ٤٨ ، ٦١ .

(ع)

العاخذ الفاطمي ٢٨ .

عائشة ١٩٦ .

(الخوند) عائشة أم بيبرس وأخت السلطان

الملوكي برقوق ٢٢٨ .

أم الخير عائشة بنت القاضي شهاب الدين

الطبري ٢٦٠ .

العباس ١٩ .

العباسي ٣٠٠ .

عبدالباسط بن خليل بن إبراهيم الزين

الدمشقي القاهري ٢٥٤ .

عبدالحفيظ بن محمد بن أبي بكر بن

محمد بن أبي بكر بن الحسين المراهي ٢٨١ .

عبدالحفيظ بن شمس الدين أبي عبدالله

محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر

ابن أبي العيد السخاوي ٢٨٣ .

عبدالحמיד بن أحمد بن محمد بن أحمد

الزجاج عفيف الدين ٢٩٠ .

عبدالحמיד بن علي الموغاني ٢٤٤ .

عبدالرحمن الجبرتي ١٤٦ .

عبدالرحمن بن حسين بن حسن بن أحمد

ابن قاسم ٢٢٢ .

عبدالرحمن بن عبدالمؤمن بن عبدالمملك

الهوري القاهري الشافعي ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٢٣٢ .

عبدالرحمن بن علي أبو الفرج ٢٣١ ،

٢٣٢ .

عبدالرحمن بن فرحون ١٦٧ .

عبدالرحمن بن مبارك بن سعيد ٢٢٦ .

عبدالرحمن بن محمد بن روضة

الكازروني ٢٧٦ .

عبدالرحمن بن محمد بن صالح ٢٠٥ ،

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

عبدالرحمن بن مشكور ١٠١ ، ٢٢٢ .

عبدالرحمن المطري أبو حامد ٢١٩ .

عبدالرحمن بن نور الدين علي بن يوسف

ابن الحسن الزرندي ١١٠ ، ٢٦٦ .

عبدالرحيم بن الحسين الكردي المصري

المعروف بالعراقي الزين أبي الفضل

٢٣٧ .

عبدالرحيم بن محمد بن أحمد الزجاج

عفيف الدين ٢٩٠ .

عبدالسلام بن أحمد المريسي ٢٢٥ .

عبدالسلام بن سعيد بن عبد الغالب

القروي ١٤٦ ، ١٤٩ .

عبدالسلام بن عبدالسلام بن محمد

الكازروني ٢٧٧ .

عبدالسلام بن فرحون ٢٧٦ .

عبدالسلام بن محمد بن محمد بن يحيى

ابن سالم بن عبدالله الخشبي المدني

الحنفي ١٧١ .

عبداللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي
١٤٤.

عبداللطيف المكي سراج الدين أبي أحمد
بن شمس الدين محمد ٢٦٤.

عبدالله أبو محمد الجمال ٢٢٠.
عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن
الظاهري الأزهرى الشافعي ١٤٤.
عبدالله البسكري أبو محمد ١٤٩.

عبدالله البكري أبو محمد المغربي ١٤٦.
عبدالله بن أحمد جمال الدين المطري
٣٠١.

عبدالله الحاذي ١٣٣.
عبدالله الحضري ٢٢٤.
عبدالله الزيلعي ٢٢٥.
عبدالله بن عمر الخراز سبط أبي بكر
المحوجب ١٠٠، ١٩٦.

عبدالله بن المبارك الهذلي المسعودي
البستي المعروف بالنظام = النظام ١٩٩.
عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب
أبي هاشم ٢٠.

عبدالله بن محمد بن فرحون أبي محمد
١٤٤، ١٦٧، ١٩٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣.
البدر عبدالله بن أبي عبدالله محمد بن
الفضل أبي القاسم فرحون بن محمد اليعمرى
الأبدي الجباني التونسي ٢٦٧، ٢٩٦.

عبدالسلام بن محمد بن مزروع عفيف
الدين بن أحمد بن عرفة البصري المكي
أبو محمد التمار ١٦٤، ٢٥٩، ٢٨٤،
٢٩٠، ٢٩١.

عبدالصمد بن عبدالوهاب بن عساكر
الدمشقي المكي أبو اليمن ٣٠١.
عبدالعزیز بن ركنون التونسي أبو فارس
٢٩٤، ٣٠٢.

عبدالعزیز بن عبدالسلام الزرندي ٣١٤.
عبدالعزیز بن علي بن محمد بن محمود
ابن علي بن محمد بن فرحون المجلد
٣١٧.

عبدالعزیز المغربي المكناسي ٣١١.
عبدالغني بن أحمد بن عبدالغني بن
المرتضى الكناني ٢٢١.

عبدالغني بن أحمد المدني الحنفي ٢٢١.
عبدالقادر بن عبداللطيف المحيوي الفاسي
= المحيوي ٢٣٦.

عبد الكافي النفطي ١٤٤.
عبداللطيف بن أبي الفتح الحسني الفاسي
المكي سراج الدين ٢٣٦.

عبداللطيف بن أبي الفضل محمد بن
شمس الدين محمد بن أحمد ٢٦٤.
عبداللطيف بن محمد بن يوسف سراج
الدين الحلبي ١٤٤.

- عبدالله المطري عفيف الدين أبو السيادة
محمد بن أحمد ٣٠١.
- عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان
اليافعي اليمني الشافعي أبو محمد ٢٤٦،
٢٥٩، ٢٩١.
- عبدالله بن شهاب الدين أحمد بن يوسف
الزرندي المدني ٢٦٤، ٢٦٥.
- عبدالله بن حجاج المغربي الشهير
بمكشوف الرأس أبو محمد ٢٩٢.
- عبدالله بن سعيد الوراق ٣٠٠.
- عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن
صالح ٢٧٣، ٢٧٤.
- عبدالله بن عبدالملك القرشي البكري أبو
محمد المرجاني المدني ٣٠٢.
- عبدالله بن محمد بن فرحون البدر ٢٥٨،
٢٧٢، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٥.
- عبدالله بن محمد بن يوسف الزرندي ٢٨٨.
- عبدالله بن المهنا بن الحسين ٢٧.
- عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن الشيباني
المطري المكي ١٨٨.
- عبدالمعطي بن أحمد بن محمد السخاوي
المدني ٢٩٩، ٣٠٠.
- عبدالمعطي بن شمس الدين أبي عبدالله
محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر
ابن أبي العيد السخاوي ٢٨٣، ٣٠٤.
- عبدالواحد الجزولي ١٠٥، ١٤٦، ٢٩٤،
٣١٧.
- عبدالواحد الحسيني ١٦٩.
- عبدالواحد بن مالك بن حسين بن المهنا
الأكبر بن داود ١٣٢.
- عبدالوهاب (جد قضاة المدينة الإمامية من
بني سنان) ٢٦.
- عبدالوهاب بن محمد بن يعقوب المدني
= التاج عبدالوهاب ١٧٣.
- عبدالوهاب بن مسعود المخلص ٢٢٤.
- عبدالوهاب بن ثميلة الوحادي الحسيني
٢٠٢، ٢٢٨، ٢٩١.
- العبدري ٢٥٩، ٢٩٠.
- عبيد بن مشكور ١٠١.
- عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين
العابدين ٢٤.
- عبيد الله بن مهنا ٢٦.
- العتبي = محمد بن عبد الجبار العتبي أبو
نصر ٢٢.
- عثمان المحكمي ١٤٧.
- العجل بن مانع ٤٣.
- عجلان بن رميثة ٧٢.
- عجلان بن نعيم بن منصور بن جمار
٤٢، ٤٣، ٧٣، ٧٤، ٧٥.
- أبو عرادة أسد الدين = رميثة بن أبي نمي
٧٠.

- الشريف عرار ٧٧ .
 العز بن عبدالسلام محمد ١٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
 عز الدين أيدمر الكوندكي = منصور ٥٣ ، ٥٢ .
 عز الدين دينار ٢١٧ .
 عز الدين جمار بن شيحة الحسيني ٥٢ .
 عز الدين المؤذن ٢١٨ ، ٢٢١ .
 عز الدين الواسطي ١٤٦ .
 عزيز الدولة ربحان البدري الشهابي ٨٨ ، ٩٤ .
 عز الدولة العزيزي (شيخ الخدام) ١٤١ ، ٢١٥ .
 (السلطان) عضد الدولة = ألب أرسلان
 ابن أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ٦٠ .
 عطيفة بن أبي نمي سيف الدين ٧٠ .
 عطية جمار بن هبة بن جمار بن منصور الحسيني ٤٠ .
 عفيف الدين = عبدالله المطري أبو السيادة محمد بن أحمد ٢١٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ .
 علاء الدين بن الطبلأوي ٢٢٧ .
 علم الدين اليغموري ٥٠ ، ٥١ .
 علي الحجار القراش ٩٨ ، ٢٢٤ .
 علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي ٢٧١ .
 علي بن الحسين بن برطاس الأمير مبارز الدين = ابن برطاس ٦٧ .
 علي الزجاج ١٦٧ .
 علي الزرندي نور الدين ١٦٥ .
 علي بن زين العابدين علي بن الحسين ٢٢ .
 النور علي بن سعيد بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن عبدالوهاب بن علي بن محمد بن علي الزرندي ٢٣٢ ، ٢٦٦ .
 علي بن سليمان بن عبدالواحد القاهري ١١٨ .
 علي بن سنان بن عبدالوهاب بن نميلة ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢٨ .
 علي بن صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الكنتاني المصري المدني ٢٧١ .
 علي بن أبي طالب ١٩ ، ١٨٧ .
 أبو علي بن طاهر داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن ابن جعفر الحجة عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين ٢٢ .
 علي بن عبدالرحمن بن حسين بن حسن ابن أحمد بن قاسم ٢٢٢ .
 علي بن عبدالله السمهودي ٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٣٠٣ .
 علي بن عجلان بن رميثة ٧٢ ، ١١٥ .

- علي بن فرخوص التلمساني المغربي
٣١٠.
- علي القلصادي أبو الحسن الأندلسي =
القلصادي ١١٥.
- علي بن مانع ٤٣.
- علي بن محمد بن أحمد الخجندي
٢٠٤.
- علي بن محمد الحجار ٢٢٤، ٢٢٦.
- علي بن محمد الصليحي = صاحب
اليمن ٦٠.
- علي بن محمد بن علي الزرندي النور أبو
الحسن ٢٣٢.
- علي بن محمد بن فرحون نور الدين
٢٦٨، ٢٩٦.
- علي بن محمد بن محمد بن يحيى بن
سالم بن عبدالله الخشبي المدني الحنفي
١٧١.
- علي بن محمد بن محمود بن علي بن
محمود بن فرحون المجلد ٣١٧.
- علي بن محمد بن موسى بن منصور
المحلي ٣٠٥.
- علي بن مشكور ١٠١.
- علي بن مطرف ١٣٣.
- علي بن معبد المصري الشهير بالقدسي
(المؤذن) ١٥٠، ٢٢٣.
- علي بن معلى القرشي العمري ١٣٣.
- علي بن موسى بن سعيد المغربي = ابن
سعيد المغربي ١١٤.
- علي بن موسى بن منصور المحلي المدني
الشافعي ١٦٨.
- علي بن ميمون ٢٢٤.
- علي النوساني ١١٨.
- علي الواسطي ١٤٩، ١٥٠، ١٦٠.
- علي بن يحيى (وزير الأمير منصور) ١٤١.
- علي بن عز الدين يوسف بن الحسن بن
محمد بن محمود بن عبدالله الزرندي
نور الدين ١١٠، ٢٣١، ٢٦٣، ٢٦٥.
- علي بن يوسف بن محمد بن علي
الزرندي ٢٦٦، ٣٠٥.
- عليان بن مسعود الكجار ٣١٨.
- عليان بن مشكور ١٠١.
- أبو عمارة المهنا = حمزة ٢٦.
- أبو عمارة = المهنا بن داود بن القاسم بن
عبيد الله بن طاهر ٢٦.
- عمر بن أحمد الأنصاري الدهوري
الشافعي ١٩٢.
- عمر بن أحمد الخضري سراج الدين
الشافعي ٢٠٥.
- عمر بن أحمد السويداوي سراج الدين
الشافعي ١٣٦، ٢٢٠، ٢٢٩.

- عمر بن أحمد بن ظافر بن طراد بن أبي
الفتوح الخطري الأنصاري سراج الدين
الشافعي المعروف بالسراج = السراج
٢٥٧.
- عمر بن الأعمى سراج الدين ٢٢٣.
- (النجم) عمر بن التقي محمد بن فهد
٢٢٧.
- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ١٣٣.
- عمر بن سالم بن بدر الداريلي المغربي
٢٤٤.
- عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي
المغربي ٢٤٤.
- عمر السراج = السراج القاضي = القاضي
السراج ١٩٤، ١٩٨، ٣١٥.
- عمر بن علي بن رسول نور الدين ١١٣.
- عمر بن عياد الخزاز الأنصاري الأتلسي
١٠٠.
- عمر الفرائش ٢٢٤.
- عمر بن فهد ٢٢٨.
- عمر الكازروني ١٤٨.
- عمر بن محمد بن أحمد بن منصور بهاء
الدين الهندي الحنفي (نزىل الحرم النبوي)
٢٤٦.
- عمر بن محمد كمال بن محمد بن عمر
التكروري ١١٧.
- عمر بن محمد الهندي الحنفي ٢٤٦.
- عمر بن مراد ١٠٧.
- عمير السوارقي ٢٢٤.
- عمير بن قاسم بن جمار ٣٠.
- ابن عتبة ٢٥.
- العباشي ١٢٢، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.
- عياق بن متروك الرزاق ١٠٧.
- الملك المعظم عيسى ٦٣.
- عيسى بن ستان ١٩٢، ٢٠٢، ٢٢٩.
- عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن
مهنا ٣٠، ٣١.
- عيسى بن العادل ٤٨، ٦٢.
- (غ)
- غازي بن الملك العادل سيف الدين بن
أبي بكر بن أيوب بن شادي المظفر شهاب
الدين = صاحب ميفارقين = الملك المظفر
غازي ١٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.
- غاثم بن إدريس بن حسن بن قتادة ٦٨.
- غاثم بن راجح بن قتادة ٦٧.
- غاثم بن محمد بن محمد بن يحيى بن
سالم بن عبدالله الخشبي المدني الحنفي
١٧١.
- غريز بن هيارع بن ثعبة بن جمار الحسيني
٤٢.
- أبو الغمر الطنجي ١٤٦.

الغوري ٧٧.

غياث الدين أبو المظفر = أعظم شاه
(صاحب بنجالة) ٢٥٢، ٢٥٣.

أبو الغيث بن أبي نعيم عماد الدين ٧٠،
٧١.

(ف)

فارس بن شامان بن رهير بن سليمان ٤٦.
الفاسي = إبراهيم بن يحيى الفاسي
٢٥٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٧.

فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر
البطائحي = أم الخير أم محمد ٢٤٩،
٢٩٠.

فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب
٩٥.

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ١٥٧.

أبو الفتح ٢٢٤.

أبو الفتح المراغي ٢٧٨.

أبو الفداء ١١٤.

فرج بن برقوق = الناصر فرج ٥٤، ٧٢،
٧٣، ٧٤.

أبو الفرج ناصر الدين = محمد بن أبي

بكر بن الحسين بن المراغي ١٧٠، ٢٨٠،

٢٩٦، ٢٨١.

ابن فرحون = محمد بن فرحون أبو

عبدالله شمس الدين ٣٥، ٣٧، ١٠٧،

١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠،

١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٦،

٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤،

٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٦٥، ٢٨٣، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٢،

٣١٠، ٣١١.

فضل بن قاسم بن جمار بن شبيحة

الحسني آل جمار ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨،

١٠٧، ١٠٨.

الفيروزآبادي ٨٧، ٩٤، ١٤٨، ٢٩٧،
٣٠٤.

(ق)

القاسم ٤٧، ٤٨.

قاسم التكروري ١٠٣، ١٤٧.

القاسم بن جمار بن قاسم بن مهنا

الحسني ٢٩، ٦٣، ٦٤.

قاسم بن سنان ١٩٢، ٢٠٢، ٢٢٩.

القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى

ابن الحسن بن جعفر الحجة (أبو أحمد)

٢٥.

القاسم بن مهنا بن الحسين ٢٧.

القاسم بن مهنا الحسني ٤٧، ٦١،

٢٠٨.

القاسم بن مهنا بن داود (أبو فليته) ٢٧،

٣٠.

القاسم بن يوسف السبتي التجيبي =

التجيبي ٦٧.

القاضي السراج = السراج القاضي =

القاضي عمر السراج ١٩٤، ١٩٨.

القاضي الهوريني ٢٣١.

القان أبو سعيد بن خرنندا = أبو سعيد بن

خرنندا ٢٥٥.

القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن

أحمد ٦٠.

القائم العباسي ٦١.

قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم

الحسني ٤٩، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

قتلمس بن إسرائيل بن سلجوق ٦٩.

القرمي شهاب الدين ١٤٧.

قسطل بن زهير بن سليمان بن هبة ٤٥،

٧٦.

ابن القصبي = محمد بن أحمد بن موسى

ابن أبي بكر العيد السخاوي المالكي

١٧٣، ٢٣٤، ٢٨٢.

(سيف الدين) قطز ٥٠.

قلاوون بن حسن بن مقبل ٣٤.

القلصادي = أبو الحسن علي القلصادي

الأندلسي ١١٥.

القلقشندي ٢٤، ٢٥، ٢٦.

أبو قميص ٣١٩.

القيشاني ١٩٢.

(ك)

كافور الحضري ٣٠٥.

كافور بن عبدالله الأخشيدي ٢٥.

كافور المظفري شبل الدولة المعروف

بالحريري ٢١٧، ٢٢٩.

كبيش = كبيشة بن منصور بن جمار ٣٢،

٣٣، ٥٣.

كبيشة = كبيش بن منصور بن جمار ٣٢،

٣٣، ٥٣.

الكمال أبو الفضل = محمد بن أبي بكر

٢٨٠.

(ل)

لودوفيكو دي فارتيمما = دي فارتيمما =

الحاج يونس المصري ١٥٠.

(م)

مالك ٧٢.

مالك بن شهاب الدين الحسين ٢٦.

مالك بن منيف بن شيحة ٣١، ٦٧،

٧٩.

مانع بن زبيري ٤٦.

مانع بن علي بن عطية بن منصور بن

جمار بن شيحة الحسيني ٤٣.

مانع بن علي بن مسعود بن جمار ٣٨،

٤٣، ١٤٠.

مبارك بن مسعود الكجار ٩٧، ٣١٨.

- محب الدين بن أبي الفتح العسقلاني
 المصري ١١٨ .
 محسن الصالحى جمال الدين ٢١٠ .
 محمد بن إبراهيم ٢١٨ .
 محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد
 الخجندى أبو الفتح ٢٧٠ ، ٣٠٨ .
 محمد بن إبراهيم أبو عبدالله الأندلسي ١٠٠ .
 محمد بن إبراهيم بن علي بن فرحون أبو
 اليمن ٢٣٣ ، ٢٦٩ .
 محمد بن أبي بكر الشمس أبو اليمن
 ٢٣٥ ، ٢٧٩ .
 محمد بن أبي بكر بن أيوب ١١٩ .
 محمد بن أبي بكر بن أيوب المحروفي
 المحرقى ٢٢٧ .
 محمد بن أبي بكر = الكمال أبي الفضل
 ٢٨٠ .
 محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر
 ابن الحسين المراغى شرف الدين أبي الفتح
 = أبو الفرج ناصر الدين محمد بن أبي
 نجي ٧٩ .
 محمد بن أحمد الأقبهري ٣٠٦ .
 محمد الشمس أبو السعادات بن الشهاب
 أبي العباس أحمد ٢٢٣ .
 محمد بن أحمد بن الأمين الأقبهري
 الأخطاى أبو عبدالله ٢٩٧ .
 محمد بن أحمد بن خلف المطري جمال
 الدين أبي عبدالله ٢١٩ .
 محمد بن أحمد عفيف الدين أبو السيات
 ٢٩٦ .
 محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن
 سعاد الأقبهري ٢٨٩ ، ٣٠١ .
 محمد بن أحمد التونسي المعروف
 بالوانوغي ٢٤٩ .
 محمد بن أحمد الجبرتي ٢٢٧ .
 محمد بن أحمد الخجندى ٢٠٤ ، ٢٨٤ .
 محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري
 الخزرجي العبادي المعروف بالمطري جمال
 الدين ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ .
 محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن كمال
 أبو الفضل الهاشمي النويري ٢٨٥ .
 محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر
 التونسي المالكي المعروف بالوانوغي
 ٢٩٢ ، ٣١١ .
 محمد بن أحمد بن عثمان بن عبدالغني
 التستري أو الششتري ٢٨٣ .
 محمد بن أحمد بن علي بن جابر شمس
 الدين الهواري الأندلسي ٣٠٧ .
 محمد بن أحمد بن علي بن محمد
 القسطلاني المالكي ٢٨٦ .

- محمد بن أحمد الفاسي تقي الدين ٢٤٩،
٢٦٠، ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٨.
محمد بن أحمد الكازروني جمال الدين
= الجمال محمد بن أحمد ١٦٥، ١٧٠،
٢٣٥، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٧.
محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن
أحمد الخجندي ٢٧١.
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
الطبري المكي الشافعي ٢٨٦.
محمد بن أحمد بن محمد بن روزبة
الملقب بجمال الدين ٢٧٧.
محمد بن أحمد جمال الدين المطري
٢٠٥، ٢٩١، ٣٠١.
محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر
ابن العيد السخاوي المالكي المعروف بابن
القصبي ١٧٣، ٢٣٤، ٢٨٢.
محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق
١٨٧.
محمد بن بركات بن حسن بن عجلان
٧٥، ٧٦.
محمد بن التقي محمد الكازروني ١٧٠.
محمد التلمساني ١٠٥، ٣١٧.
محمد بن جعفر بن محمد المكنى بأبي
هاشم... بن الحسن بن علي بن أبي
طالب ٦٠.
- محمد بن الحسن بن زبالة ٣٠٠.
محمد بن حسن بن مسعود الشكيلي
الكجار ٢٢٢.
محمد بن حسين العجمي ٢٢٦.
محمد بن حسين بن علي بن رستم
الشيرازي ١٠٤، ٢٢٦، ٣١٠.
محمد الحصيناني أبي عبدالله ١٤٧.
محمد الخجندي ٢٧١.
محمد بن روزبة بن محمود بن أحمد
الكازروني الملقب بالشمس أبي الأيادي
ابن الجمال أبي الثناء المدني الشافعي
٢٧٦.
محمد الزجاج ١٦٧.
أم محمد = زينب بنت أحمد بن عمر بن
أبي بكر بن شبة المقدسية ٢٩١.
محمد بن سالم أبو عبدالله المكي ١٤٩.
محمد السبتي ١٥٩.
محمد بن سعيد بن محمد الزموري
٣٠٨.
محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالوهاب
الزرندي ٢٦٦.
محمد السقا أبو حسين ١٠٣، ١٠٤،
٢٢٥.
محمد بن سليمان الحكري المصري
الشافعي ٢٣١.

- محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٢١ .
- محمد بن صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى المصرى المدنى المعروف بابن صالح ٢٧٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ .
- محمد بن صالح الكيلانى ٢٠٦ .
- محمد بن ضرغام السابقي ٢٢٥ .
- محمد بن طاهر بن الحسن الملقب بمسلم ٢٥ .
- محمد بن طغج الأخشيدي (الأخشيدي) ٢٤ ، ٢٧ .
- محمد بن عبد الجبار العتيبي أبو نصر ٢٢ ، ٢٣ .
- محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن حسن بن أحمد بن قاسم ٢٢٢ .
- محمد بن عبد الرحمن بن صالح أبي الفتح ٢٠٦ .
- محمد بن عبد الرحمن بن صالح فتح الدين ١٦٨ .
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد الملقب بالشمس ٢٦٢ .
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف المطري ٢٦٢ .
- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح أبو عبد الله ٢٣٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
- محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد أبي الفضل ٢٦٤ .
- محمد بن زكي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الملقب بأبي الفضل وأبي العز ٢٧٥ .
- محمد بن الشمس محمد بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥ .
- محمد بن عبد الرحمن المطري ٢٣٤ ، ٢٦٦ .
- محمد بن عبد الرحمن المؤذن ٢٢٣ .
- محمد بن عبد السلام الكارروني ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٧٧ .
- محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن شمس الدين محمد ٢٦٣ .
- محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (النفوس الزكية) ١٩ ، ٢٠ .
- محمد بن عبد الله السبتي المغربي أبو عبد الله ٢٤٣ ، ٢٩٥ .
- محمد بن عبد المعطي الكنانى العسقلاني المصرى شمس الدين المعروف بابن السبع ٢٣٠ ، ٢٣٧ .
- محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الهوارى القاهري الينبوعى الشافعى (ابن زبالة) ١٦٨ .

- محمد بن عبد الوهاب الزرندي ٢٦٦ .
- محمد بن عبدالله بن طاهر ١٨٩ .
- محمد بن عثمان الصرخدي الكركري الشافعي ٢٣١ .
- محمد بن عطية بن منصور (الشريف) ابن جماز ٤١ ، ٧٣ .
- محمد العقيبي المقرئ ٢٩٤ .
- محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي ٣١٠ .
- محمد بن علي بن صالح ٢٧٣ .
- محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ٢٠ .
- محمد بن علي بن محمد بن علي الزرندي ٢٧١ .
- محمد بن علي بن معبد القدسي المعروف بالمدني ١٣٣ .
- محمد بن علي بن أبي منصور المقلب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني = الجواد الأصفهاني = الأصفهاني ١٤٧ .
- محمد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي الغرناطي ٣١٢ .
- محمد بن عمر الحلبي ٢٢٤ .
- محمد بن عمر بن يوسف القرطبي أبي عبدالله ٢٨٦ .
- محمد عمير الهلالي ٢٢٥ .
- محمد بن غانم بن محمد بن محمد بن يحيى بن سالم بن عبدالله الخشبي المدني الحنفي ١٧١ .
- محمد الغرناطي ١٥٠ .
- محمد بن غصن (محسن) أبو عبدالله الأنصاري القصري ١٩٧ ، ٢٤٣ .
- محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري الجبلي التونسي أبي عبدالله ١٦٧ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٥٨ ، ٣١٥ .
- محمد بن الفضل أبي القاسم فرحون بن محمد اليعمري الأبدلي الجبلي التونسي أبي عبدالله ٢٦٧ .
- محمد قاوان الشريف إسحاق العجمي ٨١ .
- محمد بن قايتباي ٧٦ .
- محمد القصري أبو عبدالله ١٩٨ ، ٢٩٥ .
- محمد بن قلاوون = الملك الناصر ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١١٣ ، ٢١٨ ، ٢٥١ .
- محمد الكازروني ١٤٨ .
- محمد بن محسن القصري الأنصاري أبي عبدالله ٢٩٤ .
- محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العثماني اللخمي الأميوطي الشافعي شرف الدين أبي الفتح ٢٠٥ ، ٢٣٠ .
- محمد بن القاضي عز الدين أبي عبدالله

- محمد بن أحمد المصري المعروف بابن
الأميوطي الشافعي ٣٥، ١٩٤ .
- محمد بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن
عبدالرحمن زكي الدين ٢٧٤ .
- محمد بن محمد بن فتح الدين أبي الفتح
محمد بن عبدالرحمن شمس الدين
٢٧٥ .
- محمد بن محمد بن أحمد بن موسى
خير الدين السخاوي ٢٣٤، ٢٨٢ .
- محمد بن محمد الأنصاري الزموري
٣٠٧ .
- محمد بن محمد السخاوي ١٧٣ .
- محمد بن محمد بن صالح ٢٠٦،
٢٠٧ .
- محمد بن محمد بن عبدالرحمن محب
الدين أبي المعالي ٢٩٦ .
- محمد بن فتح الدين أبي الفتح محمد بن
عبدالرحمن صلاح الدين ٢٧٤ .
- محمد بن محمد بن عبدالرحمن مجد
الدين ٢٧٥ .
- محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن
صالح ٢٠٦، ٢٣٥، ٢٧٤ .
- محمد بن محمد بن عبدالله بن فرحون
٢٣٣، ٢٦٩ .
- محمد بن محمد بن علي بن حريث
- القرشي البلنسي السبتي العبدري أبي
عبدالله ١٤٩ .
- محمد بن محمد بن علي الزرندي
الشافعي ٢٣٤، ٢٦٦ .
- محمد بن محمد الغرناطي أبي عبدالله
٢٢٣، ٢٢٧ .
- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
السخاوي ١٧٣ .
- محمد بن محمد بن محمد الشمس
القاهري المدني المعروف بابن الرئيس =
ابن الرئيس ٢٢٢، ٢٢٣ .
- محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
الكاوروني ١٧٠ .
- محمد بن محمد بن يحيى بن سالم بن
عبدالله الخشبي المدني الحنفي ١٧١ .
- محمد بن محمد بن يوسف الزرندي ٢٨٨ .
- محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله
ابن النجار البغدادي ٣٠٠ .
- محمد بن مقل بن جمار ٣٦ .
- محمد المكناسي المغربي ١٤٨، ٣١٦ .
- المحب محمد المطري ٢٢٠ .
- محمد المهدي بن الحسن الملقب بالمهدي
المنتظر ١٨٧ .
- محمد بن موسى بن علي بن عبدالصمد
المراكشي المكي الشافعي ٢٩٧، ٣٠٣ .

- محمد بن فتح الدين أبي الفتح بن نور
 الدين علي بن يوسف الزرندي ٢٣١ .
 محمد الهروي أو الهوري ١٤٥ .
 محمد الهزميري ١٠١ .
 محمد بن يعقوب الفيروبادي ٣٠٣ .
 محمد بن أبي اليمن الشمس محمد بن
 أبي بكر أبي الرضا ٢٧٩ .
 محمد بن عز الدين يوسف بن الحسن بن
 محمود بن عبدالله شمس الدين الزرندي
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ .
 محمد بن يوسف الخليسي شمس الدين
 ١٤٤ .
 محمود بن عماد الدين زنكي بن آمرستقر
 = الملك العادل نور الدين = نور الدين
 زنكي ٤٧ ، ٩٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ .
 محيي الدين بن زكريا الخوراني ٣١٢ .
 المحيوي = عبدالقادر بن عبداللطيف
 الفاسي ٢٣٦ .
 مختار الشرفي ظهير الدين ١٤١ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ .
 مختص الديري شرف الدين ٢١٧ .
 (أبو الفرج) المراغي ٢٦٤ ، ٢٧٧ .
 المراغي ٣٠٠ ، ٣٠٤ .
 المرسي أبو العباس ٢٨٣ .
 مرشد العادي شهاب الدين ٣١٠ .
 مروان بن الحكم ٩٠ .
 المسيحي ٢٥ .
 المستعصم = الخليفة المستعصم ٧٩ .
 المستضيء العباسي ٢٧ .
 المستنصر (الخليفة الفاطمي) ٢٦ .
 المستنصر بالله = المستنصر بالله أبو القاسم
 أحمد ٥٠ .
 المستنصر بالله أبو تميم معد بن علي بن
 الحاكم بأمر الله ٢٦ .
 المستنصر بالله أبو جعفر المنصور (الخليفة
 العباسي) ٣٠٩ .
 الملك المسعود الأيوبي صاحب اليمن
 ١١٩ .
 مسعود الكجار ٩٧ ، ٣١٨ .
 مشكور ١٠١ .
 المطري ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
 معاوية بن أبي سفيان ٩٠ ، ١٠٣ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
 المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور
 ٢٥ .
 المعز لدين الله الفاطمي ٢٣ ، ٢٥ ، ٥٧ ،
 ١٨٧ ، ١٨٩ .
 مقبل بن جملة ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٥٣ .
 المقدسي ١١١ .

- المقريني ٤٢، ١١٣.
- مكشر بن عيسى بن فليته بن قاسم بن
محمد بن جعفر الحسني المكي ٤٨، ٦١.
الملك الكامل الأيوبي (السلطان) ٤٩،
١١٢.
- الملك المظفر الرسولي يوسف ٥١، ٦٦.
الملك المظفر صاحب اليمن ٦٧.
الأمير منصور ١٤١.
- منصور = عز الدين أيدمر الكوندكي
٥٣، ٥٢.
- منصور بن جمار بن شيعة ٣٢، ٣٣،
٣٦، ٣٧، ٣٨، ٥٢، ٧١، ١٤٠، ٢٢٩.
الملك المنصور الرسولي ٤٩.
- الملك المنصور سيف الدين قلاوون
الصالح ٥٦، ٦٩، ٢٠٤، ٢٣٧.
- منصور بن عمارة الحسني ٢٦، ٢٧.
المنصور عمر بن علي بن رسول (صاحب
اليمن) ٦٥، ٦٦.
- المنصور ناصر الدين حاجي الثاني =
الصالح صلاح الدين حاجي الثاني ٥٤.
- منيف بن شيعة أبي الحسين ٣١.
- مهنا بن الحسين شهاب الدين بن مهنا بن
داود الحسني ٢٦، ٢٧، ٦٠.
- مهنا بن داود بن القاسم بن عبيدالله بن
طاهر ٢٦.
- مهنا بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة
الحسني الإمامي المدني = نجم الدين مهنا
١٤٣، ١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٥٩.
- موسى الغزالي ٢٤٧.
- موسى الكاظم ١٨٧.
- المؤيد سيف الدين شيخ ١١٣.
- الميورقي ٢١٠.
- (ن)
- النابلسي ٩٦، ١٥١، ١٥٢، ١٦١،
٢٥٤.
- (السلطان) الناصر حسن ١٢٥، ١٦٥،
٢٦٥.
- الناصر فرج بن برقوق = فرج بن برقوق
٥٤، ٧٢، ٧٣، ٢٢٢.
- الناصر محمد بن قلاوون = الملك الناصر
٣٢، ٣٣، ٥٣، ٧٠، ٧١، ٢٢٩.
- ناصر الدين بن محيي الدين الجزري ٥٢.
- ابن النجار ٣٠٤.
- النجم بن فهد ٢٨٠، ٢٨٨.
- نجم الدين = أبو نجي محمد بن أبي سعد
الحسن بن علي بن قتادة ٥٦، ٦٧، ٦٨،
٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧.
- النظام = عبدالله بن المبارك الهذلي
المسعودي البستي ١٩٩.
- نعير بن منصور ٤٠، ٧٣.

- نور الدين الشهيد ٢٠٩ .
نور الدين عمر ٤٩ .
(محب الدين) النويري ٢٨٧ .
(هـ)
أبو هاشم ٢٠ .
هاشم بن الحسن بن داود ٢٦ .
هاشم بن سنان ٢٠٢ .
هاشم بن قاسم بن مهنا الحسني ٣٠ ، ٧٨ .
هاني (أبو محمد) سليمان الحسين ٢٢ ، ٢٦ .
هبة بن جمار بن منصور ٣٩ .
هذيل ٢٧ .
هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن مضر ٥٩ .
هميان بنت مبارك بن فضل ٣٦ .
(و)
الوادي آشي أبو عبدالله ٢٩٤ ، ٢٩٦ .
ودي بن جمار بن شيحة (بدر الدين) ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٢ ، ٥٣ .
ولي الدين أبي عبدالله محمد ٢٧٤ .
الوليد بن يزيد بن عبدالملك ١٩ .
(ي)
يازكوح ٢٥٦ .
ياقوت ١١١ .
ياقوت بن عبدالله الخزنداري الرسولي
(افتخار الدين) ٢١٤ .
يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخجندي ٢٣٢ .
يحيى بن الحسن بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن زين العابدين ٢٤ .
يحيى بن زكريا المعروف بابن زكري ٢٥٠ .
يحيى بن عبدالسلام بن محمد بن مزروع البصري المدني ١٦٤ ، ١٧٥ .
يحيى القسطنطيني ٢٤٤ .
يزيد بن معاوية ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
يعقوب بن سنان ٢٠٢ .
يعقوب الشريف التونسي ١٤٩ ، ٢٥١ ، ٣١٥ .
يلبغا العمري ١٢٦ .
(جمال الدين) يوسف ٢٠٣ .
(الجمال) يوسف البساطي ٢٣٤ .
يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود ابن الحسن الأنصاري ١٦٤ .
يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبدالله الزرندي عز الدين ١٤٧ ، ٢٦٣ .
يوسف الخولي المغربي ١٤٨ ، ٣١٦ .
(عماد الدين) يوسف الشكاري ٢٩١ .
يوسف الشريشير ٣٩ .
يوسف الصعبيدي ٢٢٤ .
(النجم) يوسف بن علي بن محمد بن علي الزرندي ٢٣٢ .
يوسف بن هاشم بن سنان ٢٠٢ .

فهرس القبائل والطوائف والفرق والمذاهب

(أ)

- أسرة الحراري ١٦٥ ، ١٧٥ .
- الأسرة الحسينية ١٧٤ .
- أسرة الحسيني ١٧٤ .
- أسرة الخجندي (الأسرة الخجندية) ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ .
- أسرة الخشبي ١٦٩ ، ١٧١ .
- أسرة ابن الخطيب ١٧٢ ، ١٧٣ .
- أسرة ابن الرئيس ١٧٢ .
- أسرة ابن ربالة ١٦٨ .
- أسرة الزجاج ١٦٧ .
- أسرة الزمزمي ١٦٦ ، ١٧٥ .
- أسرة السخاوي ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .
- ١٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ .
- أسرة الشامي ١٦٩ .
- أسرة الششتري (التستري) ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٨٥ .
- أسرة الشكليين ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٧ .
- ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٣١٨ .
- أسرة الشكلي (الكجار) ٢٢٢ .
- أسرة ابن صالح ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ .
- آل جمار بن هبة ٣٧ ، ٤٢ ، ٢٢٠ .
- آل الخجندي ١٧٢ .
- آل الزرندي ١٦٥ ، ١٦٧ .
- آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الوحادي المدني ٣٦ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ .
- آل فضل ١٠٧ .
- آل الكارروني ١٧٠ .
- آل منصور بن جمار ٣٨ ، ٣٩ ، ١٣١ .
- آل مهنا ١٦٠ .
- أبيج ٥٩ .
- الأجاش (أحايش) ١٣٨ ، ٢١٠ .
- أروام ٢٠٩ .
- أسرة الأنصاري = أسرة الزرندي ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٥ .
- أسرة البكري المدني ١٧٢ ، ١٧٥ .
- أسرة بني الخطيب المصرية ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- أسرة بني ظهيرة ٢٨٥ .
- أسرة بني مشكور ١٣٨ .
- أسرة التستري (الششتري) ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٨٥ .

أسرة الصبيبي ١٦٩ .	أسرة النظام ١٩١ .
أسرة الطبري ٢٨٥ ، ٢٨٦ .	أسرة النويري ٨٨ ، ٢٨٥ .
أسرة ابن ظهيرة ١٧٥ .	أسرة بدر ٢٤١ .
أسرة عبدالواحد الحسني ١٦٩ ، ١٧٤ .	الإسماعيلية ١٨٧ .
أسرة العسقلاني ٢٨٥ .	الأشراف ٢٣٠ .
أسرة الفاسي ٢٨٥ ، ٢٨٦ .	أشراف الحجار ٥٦ ، ١١٢ .
أسرة ابن فرحون ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٣٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ .	الأشراف الحسينيون ١١٢ .
أسرة القسطلاني ٢٨٥ ، ٢٨٦ .	الأشراف الحسينيون ١٣١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .
أسرة القيشاني ١٣٤ ، ١٨٩ .	الأشراف المداعة ١٤٢ .
أسرة الكارروني ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٠٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ .	أشراف المدينة ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٣٢٠ .
أسرة المجد ١٩٠ .	أشراف مكة ٤٤ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٦ .
أسرة المدني ١٧١ .	أشراف ينبع ٦٢ .
أسرة المراغي ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٣٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ .	الأعراب ٤١ ، ٧٨ ، ١٤٢ .
أسرة المرتضى الكناني المصري ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ .	الافارقة ١٣٨ .
أسرة ابن مشكور (أسرة مشكور) (أسرة المشاكير) ١٠١ ، ٢٢٢ ، ٣١٨ .	الإفرنج ١٠٠ .
أسرة المطري ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ .	إمام شافعي ٢٠٣ .
أسرة المؤذن ١٧٥ .	إمام المالكية ٢٠٦ .
	الإمامية ٨١ ، ٢٣٠ .
	الإمامية الاثني عشرية ١٣٤ .
	أمراء الشام ٢٥٦ .
	أمراء المدينة من الإمامية ٨١ ، ٣٢٢ .

الاندلسيون ١٣٩ .	بني لام ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ١٠٧ .
الانصار ١٣٢ .	بني مشكور (أسرة بني مشكور) ١٣٨ .
أهل الرباط ١٤٤ .	بني مهدي ٧٢ .
أهل السنة ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٨١ ، ١٣٦ ،	بني مهنا (أسرة بني مهنا) ٢١ ، ٢٣ ،
١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ،	٢٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٣١ .
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢ .	بني مهنا الحسينين ١٣١ .
الأوريون ١١٣ .	بني هلال بن عامر ٥٩ .
الأوس ١٣٢ .	البيت العباسي = بني العباس =
الأيويون (الدولة الأيوبية) ٤٩ ، ٦٥ ،	العباسيون ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٦٠ .
١١٣ ، ٦٦ .	(ت)
(ب)	التار ٦٩ .
البدور ١٣٢ .	التركمان ٦٣ .
البكرين = الخلفاء ١٣٣ .	تكاررة ٢٠٩ .
بني أيوب ٤٨ ، ٦٥ .	التكرور (تكروري) ١٣٨ ، ٢١١ .
بني الحسن ٢٥ ، ٢٠٩ .	(ج)
بني الحسين ٢٢ ، ٢٥ .	جديلة ٢٩ .
بني خالد ٥٢ ، ٧٩ .	الجعافرة ٥٧ .
بني رسول ٤٩ .	الجمامزة ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
بني سنان ٢٢٨ ، ٢٢٩ .	جهينة ٧٢ .
بني صخر ٥٢ .	الجيش الرسولي ١١٢ .
بني طاهر ٢٣ .	(ح)
بني العباس = العباسيون ١٩ ، ٢٠ ،	الجبوش (جبوشي) ٢٠٩ ، ٢١١ .
٢٢ ، ٦٠ .	الحجاج ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ،
بني عنزة ٥٢ .	١١٣ ، ١١٤ .
بني عقبة ٧١ .	الحفلة ١٣٣ .
	الحسينيون (الحسينين) ٢٣ ، ٥٧ .

سلاجقة الروم ٦٩.	(خ)
السلاميون ١٣٤، ١٣٥.	الخزرج ١٣٢.
سليم ١٠٦.	خلافة أبي جعفر المنصور ٢٠.
(ش)	الخلفاء = البكرين ١٣٣.
شيخ الرباط ١٤٩.	الخيابة ٨٠، ١٠٧، ١٣٥.
شيخ (شيوخ) القراءات العشر ٢٩٥.	(د)
الشيخ المسند ٢٧٢.	الدهناء ٨٠.
الشيعة ٢٠، ٨١، ١٤٢، ١٤٣، ١٩٣،	الدولة الأخشيدية ٥٧.
٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢٢.	الدولة الأموية ١٩، ٢٠.
الشيعة الاثني عشرية = الشيعة الإمامية	الدولة الأيوبية (الأيوبيون) ٤٩، ٦٥،
(التقية) ٩٦، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٣،	٦٦، ١١٣.
١٨٧، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢٨،	الدولة الرسولية ١١٣.
٢٢٩.	الدولة العباسية ٢٠.
(ص)	الدولة الفاطمية (الفاطميون) ٢٣، ٢٥٧.
الصعاليك ١٠٧.	دولة الماليك (الماليك) ٦٦.
صقالب ٢١٠.	(ر)
الصليبيون ١٩٠.	الرافضة ٥٥، ٨١، ٢١٧.
الصوفية المجردين ١٤٧، ١٤٨.	الرسوليون ٤٩، ٥٥، ٦٥، ٦٦.
(ط)	رومي ٢١١.
الطائفة الإمامية ١٩٨.	رئيس الإمامية ١٩٢.
الطائفة المالكية ٢٦٧.	(ز)
الطلبة الحنفية بالمدرسة الشهابية ٢٥١.	رعب = قبيلة رعب ٧٨، ١٠٦.
طلبة الشافعية ٣١٥.	الزيالعة ١٣٨.
الطلبة الشافعية بالمدرسة الشهابية ٢٥١.	(س)
طلبة العلم ٣١٤.	السلاجقة ٦٠.

- طلبة المالكية ٣١٥ .
الطلبة المالكية بالمدرسة الشهابية ٢٥١ .
طبيئ ٥٢ ، ١٠٧ .
(ع)
عائلة مشكور (مشكور) ١٣٥ .
العباسيون (البيت العباسي) ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٦٠ .
العبيد ٩٧ .
العرب ١٠٧ .
العربان ١١٢ .
عربان الحجار ٥٢ .
عروة ٧٢ .
العصر الأيوبي ٢١ .
العصر المملوكي ٢١ .
علماء الحرم ٢٤٧ .
علماء المدينة ٢٧٢ .
العلويون ١٩ ، ٢٠ .
العمريين ١٣٣ .
(غ)
الغز ١١٢ .
غزية ٥٢ .
(ف)
الفاطيون (الدولة الفاطمية) ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٥٧ .
الفاطيون العبيديون ٢٥ .
الفقراء الصوفية المجريين ١٤٧ ، ١٤٨ .
الفقه الجعفري ٢٩٣ .
فقهاء الإمامية ١٩٠ .
فقهاء السنة ١٩١ ، ٢٢٩ .
فقهاء الشافعية ١٩٧ ، ٢٥٦ .
فقهاء الشيعة ١٩٤ .
فقهاء المالكية ١٩٨ .
فقهاء المدينة ١٩١ .
فقهاء المذاهب الأخرى ١٩٩ .
فقيه الإمامية ١٩٢ .
(ق)
قبالة ٢٠٩ .
قبيلة رعب = رعب ٧٨ ، ١٠٦ .
قبيلة سليم ٧٨ .
قبيلة مطير = مطير ٨٠ .
القحطانية ٢٩ ، ٥٢ .
قريش ٢٢ ، ١٣٥ .
القيشانيون ١٣٤ ، ١٩٤ .
(م)
مجاوري المدينة ٢٠٩ .
المجاورون (المجاورين) ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٧٠ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٣ .
(ن)
النبط ١١٢ .
النبطية ٥٢ .
(هـ)
الهابسيون (البيت الهابسي) ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٦٠ .
الهابسيون العبيديون ٢٥ .

المصريين ١٣٨ .	المداعبة ١٣٢ .
المعتمدين ١٠٢ .	مذهب الأشراف الإمامي الاثني عشر
المغاربة ١٣٨ .	٢١٥ .
المغول ٦٩ ، ١٣٨ .	مذهب (مذاهب) أهل السنة والجماعة
مغول فارس ٥٥ .	١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٢٩ .
المذاهب الأربعة ٢٥٠ .	المذهب الجعفري الإمامي الاثني عشري
المذهب الإسماعيلي ١٨٧ .	١٨٨ ، ١٩٩ .
الممالك ٥١ ، ٥٢ ، ٦٦ .	المذهب الحنبلي ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .
المنافقة ١٣١ .	المذهب الحنفي (مذهب أبي حنيفة)
موالي الهاشميين ٢٦ .	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ،
مؤرخ مكة ٢٨٨ .	١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(ن)	المذهب الشافعي ٤٠ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،
النخالة ٩٦ ، ١٣٥ ، ١٨٩ .	١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
نقادة ٢٠٩ .	١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
النويريون ٨٨ .	٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٣١ .
(هـ)	المذهب المالكي (ذهب مالك) ١٧٦ ،
الهنود (هندي) ٢٠٩ ، ٢١١ .	١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
الهواشم ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٥٨ .	١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ،
(و)	٣١٥ .
الوحدانية ١٣٢ .	مسند مكة ٢٨٦ .

فهرس الأماكن والبلدان

١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ،	(أ)
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ .	أقشهر (أق شهر) ٢٨٩ .
أميوط ٣٥ .	أمل ٢٨٦ .
أوقاف الحرم ٢٨١ .	الأبواء ١٩ .
الأندلس (بلاد الأندلس) ١٠٠ ، ١٣٩ ،	أبواب الحرم ٢٥٣ .
١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٨٩ .	أخميم ١٧١ ،
(ب)	أذربيجان ٢٤٤ .
باب البقيع ٣١٦ .	إربيل ٢٥٠ .
باب الجمعة ١٤٥ .	الأردن ٢٦٤ .
باب الحجرة النبوية ٢٢٨ .	الأرلم ٧١ .
باب الحرم النبوي ١٥١ .	الإسكندرية ٤١ .
باب الدهليز ٢١٤ .	الأسياح ٨٦ .
باب الرحمة ١٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ .	أشبيلية ١٣٩ .
باب السلام ٩٨ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٢٣ ،	أصبهان ١٦٤ .
٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .	أصفهان قزوین ١٣٧ .
باب القلعة ١٥١ .	إفريقية ٢٨٦ .
باب المسجد النبوي ٢٧٤ .	الأقطار الحجارية = الحجار ٢٠ ، ٣٤ ،
باب المصري ١٥١ ، ١٦١ .	٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
باب النساء ٢٥٤ .	٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ،
البادية ٦٣ .	٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
البحر الأحمر (بحر القلزم) ١١١ .	٨١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
بحر الجار = الجار = ميناء الجار ١١٠ ،	١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١١١ ، ١١٢ .	١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٨٧ ،

بحر الحجاز ١١٤ .	بلاد مالي (مالي) ١٠٣ .
بحر الخزر ٢٨٦ .	بلاد ما وراء النهر (ما وراء النهر) ٦٩ ،
البحرين ١١٠ .	١١٨ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
بخارى ٩٧ ، ٢٩٧ .	١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٦٩ .
البصرة ٢٦ ، ١٧٧ .	بلاد المغرب (المغرب) ٥٩ ، ١٠٢ ،
بطن مر ٦٤ .	١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٩٧ ،
بغداد ٦٠ ، ٦١ ، ١٣٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،	٢٤٣ .
٢٦٩ .	بلاد الهند (الهند) ١١٦ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،
البيقع ١٤٥ ، ٣٠١ .	١٩٦ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨١ .
بلاد التركمان ١٣٩ .	البلاط ١٣١ .
بلاد التكرور ١٠٣ .	بلنسية ١٣٩ .
البلاد الحجازية ٥٠ .	بلي ٥٥ ، ٨١ .
بلاد الروم (الروم) ١٣٩ ، ١٩٦ ، ٢٧٤ ،	بنجاله ٢٥٢ .
٢٨٩ ، ٢٨١ ، ٢٧٥ .	البندقية ١١٩ .
بلاد الشام (الشام) ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٧ ،	بئر أريس ٨٧ ، ١٠٠ .
٤٨ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٨ ،	بئر البصة ٨٨ .
٩٠ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ،	بئر بضاعة ٨٨ .
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،	بئر حا ٨٧ ، ٩٥ .
١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٥٦ ،	بئر رومة ٨٦ .
٢٦٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٣٠٧ ،	بئر رمزم ١٦٦ ، ١٧٥ .
٣٢٠ ، ٣١٠ .	بئر غرس ٨٩ .
بلاد فارس (فارس) ٥٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ،	بئر فاطمة ٩٤ .
١١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،	بئر النويرية ٨٨ .
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،	بئر المقدس ٢٦٩ ، ٢٧٤ .
١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٦٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .	البيرة ٣٠٧ .

حارة الصعايدة ١١٥ .	(ت)
الحبشة ١١٠ ، ١٣٨ .	تستر = شوستر ١٣٧ ، ١٦٩ .
الحجرة الشريفة = الحجرة المطهرة =	تلمسان ١٣٧ .
الحجرة النبوية ٥١ ، ٥٦ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ،	تهامة ٧١ .
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،	توزر ٢٨٦ .
٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ .	تونس ١٣٧ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ،
حجرة الصالحين ١٤٦ .	١٩٧ ، ٢٦٧ ، ٣٠٦ .
حديقة أولاد الصفي ٩٥ .	(ث)
حديقة بئر أريس ٩٤ .	ثنية الوداع ١٠١ .
حديقة بئر أيوب = دار فحل ٩٤ .	(ج)
حديقة بئر البضة ٩٤ .	الجبانة ١٠١ .
حديقة بئر زمزم ٩٤ .	الجيرة ١٤٦ .
حديقة الجعفرية ٩٥ .	جبل أبي قبيس ٦١ .
حديقة غشاوة ٩٥ ، ٢٥١ ، ٣١٦ .	جبل أجاء ٢٩ .
حديقة نخل ٩٠ .	جبل أحد ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ٢٧١ .
حديقة وقف رباط اليمنية ٩٥ .	جبل سلع ٩٠ .
حراز ١٦٥ ، ١٦٦ .	جبل سلمى ٢٩ .
الحرم السبعة ٢١٧ .	جدة ٦٤ ، ٨١ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ٣٢١ .
الحرم الشريف = الحرم النبوي الشريف	جزام ٧١ .
٥٠ ، ٥٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٤٥ ،	جزيرة الأندلس ٢٤٣ .
١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ،	جزيرة العرب (الجزيرة) ١١٦ ، ٢٤٥ ،
٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،	٣٢١ .
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،	الجيزة ٢٢٧ .
٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،	(ح)
٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢١ .	حارة الخدام ١٣٢ ، ١٤٢ .

خوزستان ١٦٩ .	الحرم المدني ٢٦٢ ، ٢٨١ .
خيبر ٩٣ .	الحرم المكي ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
(د)	الحرمين الشريفين ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٩ ،
دار تميم الداري ١٤٤ .	٦٠ ، ٦١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،
دار فحل = حديقة أبي أيوب ٩٤ .	١٣٦ ، ١٨٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٩٤ ،
دار المدرسة الشهابية ٢١٦ .	٢٩٥ .
دجلة ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .	حصار ١١٤ .
درب الشام ٢٦٤ .	الحصن العتيق ١٤٥ ، ٢٥٣ .
دمشق ٤٨ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢٧ ،	حلب ٢٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٧ .
٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ،	حلي بن يعقوب ٧١ .
٢٩٤ ، ٣٠٧ .	حمام النبي ١٦١ .
دمياط الاعاجم ١٦٩ .	الحميمة ٢٠ ، ٦٤ .
الدهناء ٨٠ .	الحوراء ١١٢ .
ديار بكر ٢٥٠ .	حوران ٣٤ ، ٢٥٠ .
الديار المصرية ٥٠ .	حورة اليمانية ٩١ .
(ر)	حوش الحسن ١٣٢ .
رابغ ١١٥ .	(خ)
رباط الأصفهاني (الأصبهاني) ١٤٧ ،	خان ١١٤ .
٢٦٣ .	خجند = خجندة ١٣٩ ، ١٧٢ .
رباط البذل ١٤٨ .	خرم بني عوال ١٠٣ .
رباط البطالين ١٤٨ .	خزانة المسجد النبوي ٧٤ .
رباط البغدادي ١٤٨ .	خلاط ٢٥٠ .
رباط البغلة ١٤٨ .	خليص ٧٣ .
رباط التستري ١٤٨ .	الخليل ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ .
رباط الجبرتي ١٤٨ .	خوارزم ٢٦٩ .

رباط الروض ١٤٨ .	رباط المكتاسي ١٤٨ .
رباط الحصن العتيق ١٢٥ .	رباط الهندي ١٤٨ .
رباط دكالة ١٠٥ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،	رباط ابن وهبان ١٤٨ .
٣١٦ .	الرها ٢٥٠ .
رباط السبيل ١٤٨ ، ٣١٥ .	رهاط ٩٣ .
رباط السلامي ١٤٨ .	الروضة الشريفة (المشرفة) ٢١٠ ، ٢١٢ ،
رباط السلطان قايتباي ١٢٥ .	٢٢٣ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣ .
رباط الشمس الششتري ٢٨٤ .	الري ١٣٧ ، ١٦٤ .
رباط الشيرازي ١٤٧ .	رية الحجار ٥٢ .
رباط الزبال ١٤٨ .	(ز)
رباط السميني ١٤٨ .	زرنند ١٣٧ ، ١٦٤ .
رباط المصادر والوارد ١٤٨ .	زمورة ٣٠٧ .
رباط الظاهري ١٤٨ .	(س)
رباط العبيد ١٤٨ .	ساحة القلعة ٢٣٠ .
رباط عرفة ١٤٨ .	سارة ١٦٤ .
رباط ابن عليك ١٤٨ .	السافلة ٩٤ .
رباط الغارة ١٤٨ .	ساية ٩٤ .
رباط غربية ١٤٨ .	سبتة ٢٤٣ .
رباط قريش ١٤٨ .	سخا ٧٣ ، ٢٨٢ .
رباط كرابجة ١٤٨ .	السد ١٠٣ .
رباط كمرسوه ١٤٨ .	سرقسطة ١٣٩ .
رباط ابن لحي ١٤٨ .	سري بركة ٢٦٩ .
رباط مراغة ١٤٨ .	السقايات ١٠٣ .
رباط المساعدة ١٤٨ .	سلا ١٠٢ .
رباط المغاربة ١٤٦ .	السلامية ١١٧ ، ١٣٤ .

سمرقند ١٣٩، ٢٦٩.	(ط)
سنديس ١٢٥، ٢٢٨.	الطائف ٧١، ٧٣.
سنديس ٢١٨.	طبرستان ٢٤٤، ٢٨٦.
السودان (بلاد السودان) ١٤٦.	طبرية ٢٦٤.
سور المدنية الغربي ١٤٥.	طرطوشة ١٣٩.
سورية ٣٤.	طريق الحاج الشامي ٧٨، ٨٠، ١١٦.
سوق البلد ١٣١.	طريق الحاج العراقي ٧٨.
سوق الخطابين ١٠١، ١٠٩.	طريق الحاج المصري ٧٨، ١١٦.
سوق الصواغ (الصواغين) ١٠١، ١٠٩.	الطور ١١٤، ٢١٨.
سوق العطارين ١٠١، ١٠٦.	طيبة ٣٠٧.
سوق الفاكهة ١٠٩.	(ع)
سوق الوراقين ١٠٥.	العراق ٣٠، ٥٥، ٧٩، ١١٧، ١١٨،
السويقة ١٣٢.	١٢١، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٠، ١٦٠، ١٧٧،
السيالة ٩٣.	١٨٩، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥،
سيحون ١٧٢.	٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠.
(ش)	العقبة ٢٩٠.
الشرأة ٢٠.	العقيقة ٢٤.
شيراز ١٣٧، ١٦٩، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٨٨.	العلا ٨١.
(ص)	علوة خاصة ٢١٢.
صعيد مصر ٣٢، ١١٥.	عمارة الحرم النبوي ٢٥٣، ٣١٧.
الصفراء ٧٣، ٩١، ٩٥.	عمان ٢٠.
الصلب ٧١.	العوالي ٩٤، ٩٦، ٢٨٠.
الصين ١١٠.	العيص ٧٢.
(ض)	العين ١٠٤.
الضريح النبوي الشريف = قبر النبي ﷺ	عين الأرق = العين الزرقاء ٩٠، ٩٢،
٥٨، ١٢٥، ٢٢٨.	١٠٤.

- عين الخيف = الغنيمة = النقيية ٩٠ .
- عين شمس ١٦٢ .
- عين الشهداء ٩٠ .
- عين كهف بني حرام ٨٩ .
- عين النبي ٨٩ .
- العيون ٨٩ .
- (غ)
- الغربية (كورة الغربية) ٣٥ ، ١٦٨ .
- غرناطة ١٣٩ .
- الغنيمية = عين الخيف ٩٠ .
- (ف)
- فارس = بلاد فارس .
- فحل (فحلان) ١٠٣ .
- فخ ٢١ .
- الفرع ١٩ .
- الفسطاط ١٧٣ .
- الفقرة ٩١ .
- الفيوم ٢٨٢ .
- (ق)
- القاهرة ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٢٦ ، ١٧٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ .
- قبا ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٠ .
- قبة الحجر النبوية ٤١ .
- القدس ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ .
- قرطبة ١٣٩ .
- القرم ١٣٩ ، ٢٦٩ .
- قريش ١٣٥ .
- قرية السوارقية ٩٥ .
- قزوين ٢٨٦ .
- قسطيلة ٢٨٦ .
- قسنطينة ٢٨٦ .
- قلعة الجبل ٣٣ .
- قلعة دمشق ٥٠ .
- قلعة ينبع ٦٤ ، ١١٢ .
- القليوبية ١٢٥ ، ٢٢٨ .
- قونية ٢٨٩ .
- القيروان ١٣٧ .
- (ك)
- كازرون ١٣٧ ، ١٦٩ ، ٢٨٥ .
- الكجار ٩٧ .
- الكرك ٧١ .
- كرمان ١٦٤ .
- الكعبة المشرفة (الشريفة) ١٢٥ ، ٢٠٧ .
- كلبرجة ٢٥٣ ، ٢٧٠ .
- كيلان ٨٩ .

المدرسة المزهرية ٢٥٤ .	(ل)	اللجون ٢٦٤ .
مراغة ١٧١ .		
مريم ١٠٣ .	(م)	مالي ١٠٣ .
مر الظهران = وادي الظهران ٦٨ .		محارب الحنفية ٢٠٣ .
مرية ١٣٩ .		المحارب الشافعي (محارب الشافعية) ٢٠٣ .
المسجد الأقصى ٢٧٤ .		المحارب العثماني ٢٠٣ ، ٢٢٤ .
مسجد الراية ١٠١ .		المحارب القبلي ١٥٧ .
مسجد قباء ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ .		المحارب النبوي ٢٢٤ .
المسجد المقدس ١٣١ .		المحرقة ٢٢٧ .
المسجد النبوي الشريف ٤٦ ، ٧٥ ، ٩١ ،		المحلة ١٦٨ .
١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ،		مخشوش ٧١ .
١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،		المدارس الرسولية ٢٨٦ .
١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،		المدرسة الأركجية ١٥٠ ، ١٦٠ ، ٢٥٤ .
٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،		المدرسة الأشرفية ٢٥٣ .
٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،		المدرسة الباسطية ٢٥٤ .
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،		المدرسة البنجالية ٢٥٢ ، ٢٥٥ .
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،		المدرسة الجوبانية ٢٥٥ .
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،		المدرسة السنجارية ٢٥٤ .
٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،		المدرسة الشهابية ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،		١٦٠ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .		٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٣١٥ .
مشهد حمزة بن أبي طالب ٢٧١ .		المدرسة الشيرازية ١٥٠ ، ٢٥٢ .
مشيخة الخانقاة الزمامية ٢٨٠ .		المدرسة الكلبرجية ٢٥٥ ، ٢٧٠ .
مصر (الديار المصرية) ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،		
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ،		

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ،	٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ،	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٩٠ ،
٢٣٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،	١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،	١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،	١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ،
٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢١ ،	١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
منارة باب السلام بالمسجد النبوي ٩٨ ،	١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
٢١٧ .	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
منارل بني الحسين ١١٤ .	٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
المنبر (منبر المدينة) (المنبر النبوي) ٧٦ ،	٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
١٢٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ .	٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ،
الموصل ٤٧ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١٣٤ .	٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،
موقان ٢٤٤ .	٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ .
ميافارقين ٢٥٠ .	المطرية ١٦٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .
ميناء جلة ١١٥ ، ١١٦ ، ٣٢١ .	مقام حمزة بن عبد المطلب ١٥٦ .
ميناء الطور ١١٤ .	المقام الحنفي ٢٠٤ ، ٢٠٦ .
ميناء عدن ٣٢١ .	مكتب الأيتام ٢٥٤ .
ميناء ينبع ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،	مكة ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ،
٣٢١ .	٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
(ن)	٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
لجدة ٥٩ ، ٨٠ ، ٨١ .	٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
لجدة ٣٣ .	٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ،
نخل ١٢١ .	٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
نخلة ٢٧ .	١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
نخلة الشامية ٢٧ .	١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،

نخلة اليمانية ٢٧.

النظامية ١٩١.

نقادة ٢١٨.

التقيية = عين الخيف ٩٠.

نوباجية ١١٤.

نيسابور ٢٦٣.

(هـ)

هذيل ٧١.

الهند = بلاد الهند.

(و)

وادي بطحون ٩٠.

وادي حلي ٧١.

وادي ذي الهدى ٩١، ٩٥.

وادي ساية ٩٧.

وادي الصفراء ٦٣.

وادي العقيق ٨٦، ١٥٧.

وادي القرى ٩٣.

وادي قناة ١٥٧.

وادي نخلة ٧١.

وادي يليل ٩١، ٩٥.

واسط ١٤٦، ١٥٠.

وجه ٨١.

ورقان ١٠٠، ١٠٣.

وقفات المظفر خان ٢٥١.

ولاية مكة ٧٦.

(ي)

اليمن ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٦٠، ٦٦، ١١٢،

١١٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٣،

١٣٤، ١٣٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٨، ٢٧٤،

٢٧٥، ٢٨٠، ٣٢١.

ينبع ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٩١، ١٠٨،

١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧،

١١٨، ١٦٨، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٤، ٣٢١.

ينبع البحر ١١٢، ١١٤، ١١٥.

ينبع الساحل ١١٤.

ينبع النخل ١١٢، ١١٣، ١١٤.

ينبوع ١١٤، ١١٥، ١٢٧.

